

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً، كتاب أحكمت آياته من لدن حكيم عليم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، خصّ أهل القرآن بعظيم فضله وكبير منته، وكرّمهم فجعلهم أهل خاصته، وشفّعهم في خلقه.

والصلاة والسلام على من تنزل القرآن على قلبه فأشرب حبّ القرآن، وأمر بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }^(١) أنزله منجّماً؛ ليفقهوه ويعملوا به.

وتعهّد ربنا تبارك وتعالى بحفظه إلى يوم الدين من أيدي العابثين والمغرضين، وتحدي العالمين أن يأتوا بمثله، وأكدّ على عدم قدرتهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل ذهب إلى أقلّ من ذلك أن يأتوا بسورة من مثله فأعجزهم ذلك، فقامت الحجة بذلك على الثقلين. ثم الرضا عن الرعيل الأول من سلف هذه الأمة، الذين تلقوا القرآن عذباً ندياً، وعاصروا أسباب نزوله، وعرفوا ناسخه ومنسوخه، وفهموا معانيه ودقائقه، حتى كانوا لا يتجاوزون الآية حتى يُحكّموا علمها وعمَلها.

وبعد:

(١) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

فإن من أجل نعم الله تعالى عليّ أن هداني للإسلام، وشرفني بخدمة كتابه ومطالعة أسراره، والتبحر في أغواره، فوقفت منه على نفائس يعجز اللسان عن اللهج بشكره، فله الفضل والثناء وحده أن وفقني لأكون من خدمة القرآن والدراسة الإسلامية.

ومنذ أن بدأت مرحلتي الدراسية الإسلامية تعلق قلبي بحبّ القرآن وتفسيره؛ ولذلك اخترت في مرحلة دراستي الجامعية كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وكنتُ كلما قرأت القرآن، وخضت في مكوناته ازددت عشقاً وولعاً به، إلى أن انتهى بي هذا الحبّ إلى اختياري في رسالة الدكتوراه موضوعاً يتعلق بتفسير القرآن الكريم. وسأبيّن في هذه المقدمة أربعة أمور:

- ١- موضوع هذا البحث.
- ٢- أهمية هذا البحث.
- ٣- هدف هذا البحث.
- ٤- منهجي في دراسة وإنجاز هذا البحث.

موضوع هذا البحث

بعد بحث وتنقيب في كتب التفسير وأعلامها قرّ رأيي على اختيار تفسير الإمام الملا كوراني رحمه الله تعالى المسمّى "غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني"؛ لأنه شيخ الإسلام الرابع في الدولة العثمانية، وشيخ محمد الفاتح، ولقيمته التاريخية ومكانته العلمية؛ ولذلك عهد إلي الأستاذ الدكتور الفاضل/ ولي أولو ترك مع الأستاذين الفاضلين/علي أرباش ومحمد آيدين بتحقيق قسم من تفسيره من أول سورة النجم إلى آخر القرآن الكريم مع دراسة موجزة عن المؤلف وحياته وتفسيره، وبهذا أصبح عنوان رسالتي "غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني" من أول سورة النجم إلى آخر القرآن دراسة وتحقيقاً.

أسأل المولى عز وجل أن يوفقي في إنجاز هذا العمل، وإبراز قيمته العلمية للأمة الإسلامية.

أهمية هذا البحث وسبب اختياره

إن المكتبات في العالم أجمع تذخر بكتب التراث الإسلامي الذي خلفه لنا العلماء الأجلاء الذين لم يتركوا جانباً من جوانب العلم إلا وألّفوا فيه آلافاً من الكتب، حتى إن عدد المكتبات الإسلامية في الشرق والغرب يزيد على الألف وخمسمائة مكتبة، ونقل عبد السلام محمد هارون في حاشية كتابه "تحقيق النصوص ونشرها" عن الفيكونت فيليب دي طرازي في كتابه "خزائن الكتب العربية في الخافقين" أن في الولايات المتحدة ٢٨٥ مكتبة، وألمانيا والنمسا ١٤٥ مكتبة، والإتحاد السوفياتي ١٢٠ مكتبة، وبريطانيا ٧٦ مكتبة، وفرنسا ٦٧ مكتبة، وإيطاليا ٤٨ مكتبة، وسويسرا ٢١ مكتبة، وهولندا ١٥ مكتبة، وغيرها كثير في الشرق والغرب، وفي كل مكتبة آلاف من المخطوطات، ففي مكتبة السلیمانية ثمانون ألف مخطوط في قسم التفسير وعلومه فقط.

فمن البديهي أن ندرك ضخامة عدد المخطوطات المدفونة في خزائن المكتبات الإسلامية في العالم، ولكن للأسف الشديد قليل من هذه المخطوطات بالنسبة لهذا العدد الضخم عرفت، وعمل عليها دراسة، واستفادت منها أمتنا الإسلامية، وما زال الكثير والكثير جداً من كتب التفسير وغيرها من الكتب قيد الحرمان، يحتاج إلى جهود مكثفة من طلبة العلم في العالم الإسلامي لدارستها، والقيام بتحقيقها حتى يستفيدوا منها ويفيدوا غيرهم.

وإن إقدامي على هذا العمل الجليل هو مساهمة في إبراز الجواهر المكنونة من تراث العلماء؛ لكي أستفيد منه أولاً، ويستفيد منه غيري من طلبة العلم.

وتأتي أهمية هذا البحث من عدة جوانب، لعل من أبرزها:

١- أن هذا البحث هو تفسير لكلام الله عز وجل، فلاشغال بما يتصل بكلام الله تعالى من أشرف الأعمال وأعلاها.

- ٢- مكانة المؤلف أحمد بن إسماعيل الكوراني العلمية، حيث كان من العلماء البارزين، رحل في طلب العلم، وتلمذ على عدد من أعلام عصره في الشام ومصر والجزيرة، فأتقن التفسير والحديث والعربية والمنطق وغيرها، وصنّف في علوم متنوعة، وكان محل تقدير في علماء عصره.
- ٣- قيمة كتاب "غاية الأمان" العلمية، حيث جاء جامعاً لما تميّز به الكشاف للزمخشري وأنوار التنزيل للبيضاوي خالياً من اعتراضات الأول وفلسفيات الثاني.
- ٤- عناية المؤلف بتفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة، وإبراز البلاغة القرآنية، والحرص على إيضاح أسرارها.
- ٥- تطرّق هذا التفسير لوجوه القراءات السبعة غالباً والعشرة نادراً مع توجيهها مما يساعد في فهم كلام الله عز وجل.

هدف هذا البحث

لابدّ لكل إنسان يقوم بعمل ما من هدف وغاية يريد الوصول إليها، سواء كان الهدف خيراً أو غير ذلك.

وإنني من خلال اختياري لهذا البحث، وقيامي بالعمل به، لي أهداف خاصة وأهداف عامة.

أما الأهداف العامة فهي:

- ١- المساهمة في خدمة تراث الأمة من خلال إبراز هذا التفسير المخطوط وتحقيقه؛ لينتفع به الناس ويستفيدوا منه.
- ٢- تعريف الأمة الإسلامية بالمؤلف الإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، الذي كان أحد شيوخ الإسلام في عصره، وكان شيخ محمد الفاتح، وكان له أثر كبير في النهضة العلمية في عصره.

- ٣- الاطلاع على حقبة تاريخية من زمن الدولة العثمانية نضجت فيها المؤلفات الإسلامية، وكثر جانب الإتيان فيها.
- ٤- إعطاء صورة وافية عن التفسير في تلك الحقبة.
- ٥- بعد البحث في كتب التفسير المخطوطة وجدت أن هذا التفسير قد عملت له دراسة علمية من أوله وحتى سورة النجم إلى آخر فاخترته أن يكون ما بقي منه موضوعاً لرسالتي؛ ليكتمل بذلك دراسة هذا التفسير، وتحقيقه، وإخراجه لأهل العلم لعل الله أن ينفع به هذه الأمة.

وأما الأهداف الخاصة فهي:

- ١- الحصول على الأجر من الله تعالى، سائلاً المولى بالإخلاص فيه.
- ٢- الاطلاع على التراث الإسلامي، والوقوف على ما كتبه المتقدمون من نفائس وجواهر ثمينة.
- ٣- الرغبة في الفائدة، والتحصيل العلمي من خلال هذا التفسير.
- ٤- الرغبة في فهم كلام الله عز وجل، ومعرفة أسرارهِ ودقائقهِ.
- ٥- إن مما أثار انتباهي في أوساط طلاب العلم عامة، وخاصة في تركيا أنهم يختارون في مرحلة الماجستير والدكتوراه رسائل موضوعية، فهي أسهل وأسرع انتشاراً من الرسائل التي تعتمد على التحقيق، وغالباً ما يكون ذلك لضعف في اللغة العربية، فقصدت من وراء اختياري لهذا التفسير تقوية لغتي العربية التي هي لغة القرآن والكريم.

منهجي في دراسة وإنجاز هذا البحث

قبل أن أبدأ بذكر النقاط التي توضح منهجي في دراسة وتحقيق هذا الموضوع، لابدّ وأن أنوّه إلى أن هناك مذهبين في طريقة تحقيق المتون.

فالمذهب الأول: يعتمد على الاختصار الشديد بذكر المتن كما في الأصل بدون تعليق على الأخطاء الموجودة فيه، ويكتفي بالإشارة في الهامش إلى اختلاف النسخ الخطية للكتاب الواحد في بعض الألفاظ.

وأما المذهب الثاني: فيعتمد على التطويل، فيرجح بين الآراء، ويفند بعضها، ويكتب ترجمة مستفيضة لأعلام المتون، حتى لتطغى الحاشية على الكتاب^(١).

وفي نظري القاصر أن هذا ليس من غرض التحقيق؛ ولذلك اتخذت مذهباً وسطاً بين المذهبين سرت فيه وفق المنهج التالي:

- ١- أول عمل قمت به هو أنني أجريت مقابلة بين هذه النسخ، فتبين لي أن نسخة داماد باشا كانت أقدمها تاريخاً، فقد كتبت في عصر المؤلف وقرأها بنفسه، وعلق على هوامشها، وكتب تلميذه إبراهيم بن أحمد بن خليل في نهاية هذه النسخة أن المؤلف صححها من أولها إلى آخرها؛ لذلك اعتمدها الأصل في المتن ورمزت لها بـ (الأصل أو د)، أما النسخة الثانية وهي الحميدية تحت رقم ١٠٨ فرمزت لها بـ (ح)، والثالثة وهي نسخة راغب باشا ٢٠٥ فرمزت لها بـ (ر).
- ٢- قمت بنسخ الكتاب وفق القواعد الإملائية، ووضعت علامات الترقيم، مراعيًا كتابة التفسير على هيئة فقرات.
- ٣- فأثبتت عبارة الأصل وهي داماد باشا في المتن إلا إن كانت العبارة فيها سقط أو غير واضحة فأعتمدت عبارة إحدى النسختين، وأشار إلى ذلك في الحاشية بقولي: (ورد أو هكذا في الأصل والمثبت من ح أو ر)، أو (ساقط من الأصل والمثبت من ح أو ر).
- ٤- إذا كان السقط في نسخة الأصل ملحقاتاً به في التعليق من تصحيحات المؤلف فإني أعتمده مباشرة في المتن بدون الإشارة إليه في الحاشية.

(١) راجع مناهج البحث وتحقيق التراث لأكرم ضياء العمري [مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- ١٤١٦هـ، ط١]

- ٥- بيّنت الفروق بين النسخ ومواضع السقط فيها وأشارت إلى ذلك في الحاشية.
- ٦- إذا ورد في جميع النسخ خطأً واضحاً أثبت الصواب في المتن من عندي، وأشار إلى ذلك في الحاشية بقولي: (ورد في جميع النسخ كذا ولعل الصواب ما أثبتناه).
- ٧- لا أشير إلى الفروق بين جمل الثناء على الله تعالى، أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أو الترضي عن الصحابة والتابعين.
- ٨- إذا ورد في الآية المفسرة، أو المستشهد بها خطأً كتابيً أثبت الصحيح من القرآن بدون أن أشير إلى ذلك في الحاشية.
- ٩- وضعت الآيات القرآنية بين قوسين ﴿ 》 كما وضعت للآيات المفسرة أرقامها في بداية كل آية أو آيتين بين معقوفتين [] .
- ١٠- قمت بعزو الآيات القرآنية المستشهد بها بذكر اسم السورة، ورقم الآية مراعيًا في ذلك ورودها في المتن كاملة، أو جزءاً منها فأقول مثلاً: سورة آل عمران، الآية: ١٣٣، أو جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
- ١١- وضعت الأحاديث النبوية بين قوسين متتالين (())
- ١٢- خرّجت الأحاديث النبوية والآثار - قدر الاستطاعة- من الكتب المسندة مكتفياً بصحيح البخاري ومسلم إذا ورد فيهما، وإذا ورد في أحدهما أكتفي بمصدرين أو ثلاثة معه، وإذا لم يوجد في واحد منها أكتفي بثلاثة أو أربع مراجع من كتب المصادر الحديثية، وما لم أهد إليه في كتب الحديث أشير إلى من ذكره في غير ذلك من المصادر ككتب التفسير وغريب الحديث.
- ١٣- ما لم أعر عليه من الأحاديث والآثار أشرت إلى ذلك في الهامش بقولي: (لم أعر عليه) وهو لا يتجاوز ثلاثة مواضع.
- ١٤- إذا ورد الحديث في المتن بالمعنى أو مختلف الألفاظ عما في كتب الحديث أثبتته كما ورد، وذكرت لفظ الحديث من المصدر في الهامش بقولي مثلاً: أخرجه البخاري بلفظ:.....

- ١٥- خرجت الأحاديث بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث^(١)، إلا إذا لم يوجد في المصدر اسم للباب، أو رقم للحديث فأعزوه عند ذلك للجزء والصفحة.
- ١٦- إذا ذكر المفسر الإمام الكوراني الحديث إلى المصدر ولم أجد في ذلك المصدر أشرت إلى ذلك في الهامش بقولي: لم أجد في كذا وإنما وجدته في كذا.
- ١٧- لم أذكر حكم العلماء على الأحاديث لسببين:
- الأول: أن معظم الأحاديث الواردة في تفسير الكوراني من صحيح البخاري ومسلم.

- والثاني: أن موضوع رسالتي في التفسير وليس في الحديث، فلم أرد التعمق فيه.
- ١٨- ضبطت الآيات الشعرية المستشهد بها بالشكل، فلذا اجتنبت التطويل فيه وبينت نسبتها إلى أصحابها أو صحابيتها عند الاختلاف.
- ١٩- عزوت الآيات الشعرية إلى دواوين قائلها، أو المصادر الأدبية ككتب النحو والأدب وشرح الشواهد الشعرية. أتمت شطر البيت الشعري بباقيه في الحاشية، ذكرت وجه الاستشهاد بالبيت الشعري.
- ٢٠- عزوت الأمثال إلى مصادرها، مع شرح ما أمكن شرحه منها، ووجه الاستشهاد بها.
- ٢١- ترجمت للأعلام - غير المشهورين من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين- ترجمة وافية مختصرة من المصادر الملائمة لحال المترجم له، والاقتصار في ذلك على مصدرين أو ثلاثة، وما لم أجد في كتب التراجم أشرت إلى ذلك في الهامش بقولي: (بحث عنه ولم أجد ترجمته).
- ٢٢- عرفت بالأماكن والقبائل والطوائف وغيرها- عدا المشهور منها- باختصار.

(١) مما هو معروف بين أوساط طلبة العلم أنه يوجد اختلاف في أرقام الأحاديث ضمن كتب الحديث المسندة ويعزى ذلك إلى اختلاف المذاهب في الترقيم أو اختلاف النسخ المخطوطة للكتاب الواحد أو لاختلاف الطبعة، وقد استفدت في تخريج الأحاديث من الوسائل العلمية المتطورة كالموسوعات الحديثة في الحاسب الآلي كما يفعل ذلك مراكز البحوث والدراسات الإسلامية في وقتنا الحاضر.

٢٣- شرحت الألفاظ التي تحتاج إلى شرح، مع بيان معانيها، وضبط المشكل منها بالشكل.

٢٤- علّقت على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق باختصار.

٢٥- وضحت بعض المسائل العقدية والأصولية والتاريخية التي تحتاج إلى توضيح دون إطالة طلباً للاختصار، مع إحالة القارئ إلى مصادرها الأصلية.

٢٦- تطرّقت إلى المسائل الفقهية إذا أوردتها المؤلف، وعزوتها إلى مصادرها الأصلية.

٢٧- عرّفت بالمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريف.

٢٨- ما ذكرته من المراجع والمصادر في الحاشية فإني أسميه باسمه واسم مؤلفه عدا تفسير القرطبي استغناءً بشهرته وشهرة مؤلفه.

٢٩- ذكرت بيانات كل مرجع عند وروده أول مرة بما يشمل دار النشر ومكان النشر والعام الذي تم فيه نشر المرجع.

٣٣- وأخيراً قمت بوضع فهرس تفصيلية لكل من:

١- الآيات القرآنية.

٢- الأحاديث النبوية.

٣- الآثار.

٤- الأعلام.

٥- الأشعار.

٦- الأمثال.

٧- القبائل والبلدان.

٨- وفهرس للموضوعات، وضعته في أول البحث.

وبعد أن ظهرت أهمية هذا البحث واتضح أهدافه واستبان منهجه شرعت فيه مستعيناً بالله تعالى وفق خطة البحث التي تتكون من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة على النحو

التالي:

المقدمة: بينت فيها موضوع البحث وأهميته وأهدافه والمنهج في دراسته وتحقيقه.

القسم الأول: دراسة حياة المؤلف، وبما أن هذه الرسالة تشرف عليها جامعة صاقريا في الجمهورية التركية فقد كتبت هذا القسم والذي بعده (القسم الثاني) باللغة التركية لتعم بذلك الفائدة، ويتكون هذا القسم من فصلين:

الفصل الأول: العصر الذي عاش فيه المؤلف وحالته السياسية والعلمية والاجتماعية.

الفصل الثاني: حياة المؤلف وآثاره العلمية.

القسم الثاني: دراسة تفسير الملا كوراني " غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني"، ويتكون من خمسة فصول:

الفصل الأول: اسم الكتاب، ونسبته إليه.

الفصل الثاني: نسخ الكتاب.

الفصل الثالث: مصادر الكتاب.

الفصل الرابع: منهج الإمام الكوراني في تفسيره.

الفصل الخامس: تأثير تفسير غاية الأمانى على التفسير التي بعده.

القسم الثالث: تحقيق نص " غاية الأمانى" من أول سورة النجم إلى آخر القرآن.

فهذا عملي وصفت فيه جوانبه ولم أدّع الكمال فيه، والكمال لله وحده لكن كما قيل

ولكننا نأتي بما نستطيعه ومن بذل الجهود حق له العذر

فالحمد لله على ما أسبغ من النعمة، وأتم من المنّة، وأسبل من السّتر، ويسر من العسر،

وقرب من النجاح، وقدّر من الصّلاح.

والشكر له وهو المبتدئ النوال قبل السّؤال، والمعطي من الإفضال فوق الآمال.

فأيّ نعمة أحصي عدده، وأيّ عطائه أقوم بشكره: ما أسبغ عليّ من النعماء، أو ما

صرف عني من الضراء.

وأشكر بعد شكر الله تعالى وحمده والديَّ الكريمين؛ امتثالاً لأمر الله عز وجلّ { أَنْ
اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ }^(١). فكم بذلا من جهد في تربيّتي ورعايتي وتعليمي، ملتصقاً منهنّما العفو
والصفح فطالما نأت بي الديار عنهما وأنا منشغل بإعداد هذا البحث.
كما أشكر القائمين على جامعة صافقيا لإتاحتهم هذه الفرصة لي لمواصلة مرحلة
الدكتوراه.

والشكر موصول لمشرفي الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور ولي أولو ترك على ما غمرني
به من علم وحلم وتوجيهات نافعة قيّمة.
وكما أشكر كذلك لفضيلة الأستاذين الفاضلين فضيلة الدكتور علي أرباش والدكتور
محمد آيدين اللذين كانا نعم العون لي خلال مسيرتي في هذا البحث.
وكما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر لكل من كانت له أيادٍ بيضاء أثناء كتابتي
لهذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد مصطفى كوكصو

٢٥/٠٥/٢٠٠٧م

(١) جزء آية من سورة لقمان، الآية: ١٤

سورة النجم

مكية، إحدى وستون آية أو^(١) اثنتان وستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم بالثرثيا؛ فإنه أبدع الكواكب صنعا، والنجم: علمٌ غالبٌ له عند العرب وفي أمثالهم:

إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءً ابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً.^(٢)

(١) في (ح) ٥٠٤/ب: و.

(٢) ورد في جميع النسخ بلفظ:

إِذَا طَلَبَ النَّجْمُ عِشَاءً طَلَبَ الرَّاعِي كِسَاءً

ولعل الصحيح ما أثبتناه لما ورد في النصوص في المراجع الآتية: الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي [دار إحياء التراث العربي- بيروت] (٤/٤١٨). والمحزر الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد السلام محمد [دار الكتب العلمية- لبنان- ١٤١٣هـ/١٩٩٣م- ط١، ١] (٥/١٩٦). والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت] (٩/١٣٤). والبحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض [دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت- ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١] (٨/١٥٤). وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ] (٢٢/٤٩٦). وجه الاستشهاد: استدلل به على أن العرب تسمى الثريا النجم.

وقيل جنس النجوم؛ لأنها زينة السماء، ورجوم الشياطين. و ﴿هَوَى﴾ من الهوى، بفتح الهاء وهو السقوط، أو بضمها وهو الطلوع؛ لأنه أدل على كمال الاقتدار، كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾^(١) أو نجم القرآن؛ لأنه نزل منجماً، وهذا أوفق لوجود نظائره، وألصق بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ الضلال: ضد الاهتداء، والغواية: ضد الرشد^(٢)، وهما جواب القسم، أي: ليس هو كما تزعمون ضالاً غاوباً في ترك دين آبائه. وفي لفظ "الصاحب" وإضافته توبيخ لهم، حيث عرفوا أمانته وصدق لهجته، ثم نسبوه إلى الضلال.

[٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ في أمر الدين والدعوة إليه. وفي الإتيان به مضارعاً بعد قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ إشارة إلى أنه إذا لم يكن له سابقة ضلال قبل النبوة، فبعدها أبعد.

[٤] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ استدلل به من منع اجتهاده^(٣)، وليس بتام؛ لأنه إذا قال له تعالى وتقدس: ما ظننت فهو حكمي يكون اجتهاده وحياً لا بالوحي، وغيره ليس كذلك.

[٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ جبرائيل، والإضافة لفظية، أي: قواه الجسمانية من البطش، والسمع، والبصر.

(١) سورة التكوير، الآية: ١٧.

(٢) "الغواية ضد الرشد" ساقطة من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٠٥/أ و (ر) ٤٥٥/أ.

(٣) مسألة أصولية تتعلق باجتهاد النبي ﷺ. اختلفوا في النبي ﷺ هل يجوز له الاجتهاد فيما لا نص فيه. بعضهم يرجح اجتهاده؛ لكونه معصوماً عن الخطأ دون غيره، ومنهم من جوز عليه الخطأ ولكن لا يُقرُّ عليه، حيث يصوبه الوحي مباشرة.

انظر: كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي الحنفي [مطبعة جاويد بريس للنشر - كراتشي] (ص ١٩ - ١٥٤، ٢٢٩-٢٣١). والمستصفي في علم الأصول لمحمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي [دار الكتب العلمية للنشر، بيروت - ١٤١٣، ط: الأولى] (٣٤٦/١).

[٦-٨] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ عقل كامل ورأي وافر، أتى به في أسلوب الترقى. ﴿فَاسْتَوَى﴾ على صورته الحقيقية. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ مطلع الشمس وإنما ظهر له في تلك الصورة؛ ليتيقن أنه ذلك إذا أتاه في غير تلك الصورة.. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قرب من محمد فتعلق به.

[٩] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: كان البعد بينهما مسافة قوسين أو أقرب في مراكم لو رأيتهم. القاب والقيب كالقاد والقيد: هو المقدار^(١) وقيل^(٢): القاب^(٣)، ما بين المقبض إلى السية^(٤) فلكل قوس قابان^(٥). ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ على تقدير كم كقوله: أو يزيدون. وهذه الرؤية كانت بعد مجيئه بجراء^(٦) أول ما بعث، لما فتر الوحي على ما رواه الثقة، أنه لما

(١) انظر: معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان ضميرية - سليمان الحشر [دار طيبة للنشر والتوزيع - ١٤١٧هـ، ط٤] [٤٠٢/٧]. القيد: المقدار كالقاد والقيد بالكسر. انظر: المحيط في اللغة لأبي القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس المشهور بالصاحب بن عباد [عالم الكتب - بيروت] [٤٩٢/١]. وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين [دار الهداية] مادة (قيد).

(٢) انظر: تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [دار الشعب - القاهرة] [٩٠/١٧]. وزاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤هـ، ط٣] [٤٣٩/٥].

(٣) في (ر) ٤٥٦/ب "القابة".

(٤) هي: مقدمة القوس، وهو ما عطف من طرفيها. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي [مؤسسة الرسالة - بيروت] مادة "نعل" [٩٧/١]. ولسان العرب لمحمد بن منظور الإفريقي ت ٧١١هـ [دار صادر - بيروت - ط١] مادة "بهر" [٨١/٤].

(٥) قال الرازي: تقول: بينهما قاب قوس أي: قدر قوس، والقاب: ما بين المقبض والسية، ولكل قوس قابان. انظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر [مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ، طبعة جديدة] (ص ٢٣١).

(٦) جِراء: بالكسر والمد، منهم من يؤنثه ولا يصرفه، جبل شامخ من جبال مكة، معروف، وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها، وهو مشرف على منى. كان رسول الله ﷺ يتعبد قبل المبعث في غار موجود فيه، وفيه أتاه الحق من ربه وبدأ الوحي، وهو الذي اهتز تحت رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ((أثبت فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد)). انظر: معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي [دار الفكر - بيروت] [٤٤٦/١]. والنهاية في غريب الأثر

اشتد به الكَرْبُ من تكذيب قريش حتى قالوا: هجره شيطانه. قال: ((فأردت أن ألقى نفسي من شاهق فلما خرجت فإذا هو جالس على كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وقال: لا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا^(١) فَرُعِبْتُ^(٢) مِنْهُ فَرَجَعْتُ^(٣) إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ دَثْرُونِي. فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٤)). فهذا معنى الدنو، والتدلي، والقرب. لا أنه تمثيل للعروج به.

[١٠] ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ الموحى هو جبرائيل، وضمير ﴿عَبْدِهِ﴾ لله، ولا لبس فيه. والقول بأن الضمائر لله. فالدنو والتدلي على [٣٠٧/ب] التأويل، خلاف الظاهر بعيد عن المساق. ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ لم يأت بالضمير؛ تفخيماً لشأن المنزل، وأنه مما يجِلُّ عن الوصف، أتى يتوهم التباسه بالشعر والكهانة؟ وكما فنمَّ شأن المنزل، كذلك شأن المنزل إليه بإيثار لفظ "العبد" المضاف إليه تعالى؛ إشارة إلى أنه العبد الحقيقي، الكامل، الذي لا يذهب الوهم منه؛ وإيماء إلى أنه حقيق بالخطوة والاصطفاء.

[١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي: ما رآه من صورة جبرائيل، أي: لم يكن قلبه منكراً له إذا رآه مرة أخرى في غير صورته. وقيل: ما رآه من جلال الله تعالى. لما روى

للمبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي [المكتبة العلمية- بيروت- ١٣٩٩هـ] [٣٧٦/١].

(١) "حقاً" ورد في (ح) ٥٠٥/أ: حقا.

(٢) "فَرُعِبْتُ" ورد في (ر) ٤٥٦/أ: فرغت و (ح) ٥٠٥/أ: فرعيت، والمثبت من الأصل.

(٣) "فَرَجَعْتُ" ورد في (ر) ٤٥٦/ب: ورجعت.

(٤) سورة المدثر، الآية: ١. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، تحقيق: مصطفى البيغا [دار ابن كثير- بيروت- ١٤٠٧هـ، ط ٣] كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (رقم: ٣). ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [دار إحياء التراث- بيروت-] كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (رقم: ٢٣٢).

مسلم^(١) عن ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما: ((أن رسول الله ﷺ رأى ربه بفؤاده مرتين))^(٣). والحق أن ذلك ليس تفسيراً للآية وإن صح.

[١٢] ﴿أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ تجادلونه؛ من المراء. أصله المري. يقال: مريتُ الناقة، إذا جذبت ضرباً لتدثر^(٤). وقرأ حمزة^(٥) والكسائي^(١) ﴿أَفْتَمَرُونَهُ﴾ على المغالبة من ماريته فمريتته.

(١) هو: مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، يقال: ولد سنة أربع ومائتين وأول سماعه سنة ثمان وعشرة ومائتين، روى عن يحيى التميمي والقعني وعون بن سلام وأحمد بن حنبل وخلق كثير، وروى عنه الترمذي حديثاً واحداً وخلق كثير، توفي في رجب سنة إحدى وستين ومائتين. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي [دار الكتب العلمية-بيروت-ط١] [١/٢٠٨٨]. وسير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد نعيم العرقسوسي [مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤١٣هـ، ط٩] [١٢/٥٥٧]. وطبقات الحفاظ للسيوطي [دار الكتب العلمية-بيروت-١٤٠٣هـ، ط١] [١/٢٦٤].

(٢) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، توفي سنة ٦٨هـ بالطائف. انظر: أسد الغابة لعز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي [دار إحياء التراث العربي-بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ط١] [٢/٢٩٠]. والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي [دار الجيل-بيروت-١٤١٢، ط١] [٤/١٤١]. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي [دار الجيل-بيروت-١٤١٢هـ، ط١] [٣/٩٣٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (رقم: ٢٥٨). وأبو عوانة في مسنده، [دار المعرفة-بيروت] بيان رؤية النبي جبريل عليهما السلام (١/١٥٢). والطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي [مكتبة العلوم-الموصل-١٤٠٤هـ، ط٢]، الشعبي عن ابن عباس (رقم: ١٢٥٦٤).

(٤) ماراه مراء: جادله، والمرية: الشك، وأمّرت الناقة: درّ لبئها. انظر: مختار الصحاح للرازي مادة (مرو). ولسان العرب لابن منظور مادة (مرا).

(٥) هو: أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيات، مولى آل عكرمة، أحد القراء السبعة، أخذ عنه الكسائي، وأخذ هو عن الأعمش، له تصانيف منها: "قراءة حمزة"، "الفرائض"، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي بجلوان سنة ١٥٦هـ. انظر: الفهرست لمحمد بن إسحاق الندم [دار المعرفة-بيروت-١٣٩٨هـ/١٩٧٨م] (ص٤٤). ووفيات

[١٣] ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ فَعَلَّةٌ^(٢) من النزول أي: مرة أخرى؛ ولذلك نصبت على الظرف.

[١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ليلة الإسراء^(٣)، وهي شجرة النبق^(٤)، كل نَبَقَةٍ كَقَلَّةٍ من قلال هجر^(٥)، وأوراقها كأذان الفيلة، وقد غشيها من الأنوار ما لا يقدر على نعتها إلا الله. وسميت بالمنتهى؛ لانتهاه علم الخلائق إليها، وهي في السماء السابعة. كذلك رواه البخاري^(٦).

الأعيان وأبناء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر- بيروت- من ١٩٠٠ إلى ١٩٧١] [٢١٦/٤]. وشذرات الذهب لعبد الحمي بن أحمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرنؤوط [دار ابن كثير- دمشق- ١٤٠٦هـ، ط١] [٢٤٠/١].

(١) هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن بھمن بن فيروز الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، روى عن أبي بكر بن عياش، وحمزة الزيات، وابن عيينة، وغيرهم، وأخذ عنه الفراء، وأبو عبيد، وغيرهما، له مصنفات منها: "معاني القرآن"، "مختصر النحو"، "القراءات"، توفي بالري سنة ١٨٩هـ. انظر: الفهرست لابن النديم (٩٧). ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٩٥).

(٢) "فَعَلَّةٌ" ورد في (ح) ٥٠٥/ب: فلعله.

(٣) "الإسراء" هكذا ورد في الأصل، وفي (ح) ٥٥٥/ب و (ر) ٤٥٦/ب: الأسراء.

(٤) النَّبِقُ بفتح النون وكسر الباء وقد تسكن: ثمر السدر، واحده نَبِقَةٌ وَنَبَقَةٌ، وأشبه شيء به العناب قبل أن تشتد حمرة. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٩/٥).

(٥) هجر: بلدة من بلاد اليمن، من أقصاها، وقلال هجر معروفة. انظر: الأنساب لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي [دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى] (٥/٦٢٧).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب المعراج (رقم: ٣٥٩٨) بلفظ: ((ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قَلَالِ هَجَرَ وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ أَذَانِ الْفِيلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى)). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (رقم: ١٦٢).

[١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ الجنة التي تأوي إليها أرواح الشهداء أو المتقون^(١).

[١٦] ﴿إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى﴾ من الأنوار والألوان ما يجل^(٢) عن الوصف،
وقيل: ملائكة كالغربان على كل ورقة^(٣) ملك يسبح^(٤).

[١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ما مال عن سنن الاستقامة. ﴿وَمَا طَغَى﴾ وما تجاوز عن
المرئي^(٥). لما قرر أن الفؤاد لم يكذب ما رأى أزال شبهة من يتوهم أن آله^(٦) الإدراك قد تخطئ
في الإدراك كما بين في موضعه. أو ما^(٧) مال البصر^(٨) ولا تجاوز عن مطلبه، وهو الحق تعالى.
وهذا مقام^(٩) مخصوص به^(١٠) لم يتيسر لفرد من البشر.

البخاري هو: الإمام المحدث الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري، صاحب الجامع
الصحيح، المعروف بصحيح البخاري، توفي بسمرقند سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي [دار الكتب
العلمية - بيروت] (٤/٢). وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٣٤/٢).

(١) "المتقون" هكذا ورد في الأصل و (ح) ٥٠٥/ب و (ر) ٤٥٦/ب.

(٢) "ما يجل" ورد في (ح) ٥٠٥/ب: ما يجلي.

(٣) ورد في جميع النسخ "ورق"، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) أخرج الطبري حديثاً في هذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه أو عن غيره شك أبو جعفر قال: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى
السدرة قال: فغشيتها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر قال: فكلمه عند ذلك فقال: له
سل... انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٥٦/٢٧).

(٥) "المرئي" غير واضحة في الأصل و (ر) ٤٥٦/ب، والمثبت من (ح) ٥٠٥/ب.

(٦) "آله" هكذا في الأصل، وورد في (ح) ٥٠٥/ب و (ر) ٤٥٦/ب: لآلة.

(٧) "ما" ساقط من (ح) ٥٠٥/ب.

(٨) "البصر" ورد في (ح) ٥٠٥/ب و (ر) ٤٥٦/ب: النصر.

(٩) "مقام" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٠٥/ب و (ر) ٤٥٦/ب.

(١٠) "به" ساقط من الأصل و (ح) ٥٠٥/ب، والمثبت من (ر) ٤٥٦/ب.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ استئناف يؤكد ما تقرر. أي: قد رأى من عجائب الملكوت مالا يمكن وصفه، فضلاً عن رؤية جبرائيل، ويجوز أن يكون الكبرى مفعول الرؤية. أي: رأى كبراهن. وبه يتمسك من أثبت الرؤية إذ لا أكبر منها آية. (١)

[٢٠-١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿ هذه أصنام كان أهل الجاهلية يعبدونها. اللات كان بالطائف (٢) يعبد (٣) ثقيف (٤)، والعزى (٥) سمرة بجيلة (١) يعبدها (٢)

(١) مسألة كلامية تتعلق برؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج. وهي مسألة فيها شيء من التفصيل والاختلاف قال بعضهم: رأى ربه بفؤاده ولم يره بعين رأسه، وقال بعضهم: بل رآه بعينه وهم قلة، وقال بعضهم: بل رأى جبريل عليه السلام، واستدل هؤلاء بقوله تعالى في سورة النجم ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ {سورة النجم، الآية: ١٣-١٤} وجعل رؤية النبي ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطح، وهي رؤية عين حقيقة لا مناماً، ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولا كان لتكذيب قريش بها معنى؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه. وإنما قص عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناماً فكذبوه واستهزؤوا به؛ استبعاداً لذلك واستعظماً له، مع نوع مكابرة؛ لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل.

أخرج البخاري ومسلم عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمته هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت!! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمد ﷺ رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١٠٣} ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ {سورة الشورى، الآية: ٥١}... ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. هذا لفظ البخاري. انظر: أساس التقديس في علم الكلام للإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي [مؤسسة الكتب الثقافية للنشر - بيروت - ١٤١٥هـ، ط/الأولى] (١/٦٣). ومعارج القبول لحافظ بن أحمد حكيمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر [دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط ١] (١/٣٤٦، ٣/١٠٦٧-١٠٧٢).

(٢) في الأصل و (ح) ٥٠٥/ب: الطائف.

(٣) "يعبده" في الأصل و (ر) ٤٥٦/ب يعبدها، والمثبت من (ح) ٥٠٥/ب.

(٤) هي: قبيلة عربية مشهورة تنسب إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن... بن عيلان بن مضر، وقيل: إن اسم ثقيف قسي، ونزلت أكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت منها في البلاد، روي أن النبي ﷺ قال: يخرج من ثقيف كذاب ومبير. انظر: الأنساب للسمعاني (١/٥٠٨).

(٥) العزى: تأنيث الأعز، وهي شجرة كانت تعبد بالجاهلية، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فقطعها وخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس منشورة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وهو يقول:

غطفان^(٣). ومناة^(٤) صنم كان على الساحل يعبد هذيل^(٥) وخزاعة^(٦). وقد همزه ابن كثير^(٧) جعله مفعلة من النوء؛ لأنهم كانوا يستمطرون عنده بالأنواء^(١). ومن لم يهَمْزها أخذها من

يا عَزَّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ورجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى وفعل فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً.

انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين لمحمد بن أبي نصر الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز [دار النشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: الأولى] (٣١١/١).

(١) بجيلة: بفتح الباء المنقوطة بواحدة والجيم، قبيلة عربية تنسب إلى بجيلة بن أمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي الأسد بن الغوث، وقيل: إن بجيلة اسم أمهم وهي من سعد العشيرة، وأختها باهلة ولدتا قبيلتين عظيمتين، نزلت بالكوفة، منهم أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي. انظر: الأنساب للسمعاني (٢٨٤/١).

(٢) في جميع النسخ ورد: يعبد، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) غطفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وفتح الفاء وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى غطفان وهي قبيلة من قيس عيلان وهي بيت قيس عيلان نزلت الكوفة. انظر: الأنساب للسمعاني (٣٠٢/٤).

(٤) مناة: صنم الصفا، وهي صخرة لهذيل وخزاعة كانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في الجاهلية يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وإنما أفردت بالذكر مع وجود غيرها؛ لأنها أشهر من غيرها.. انظر: جامع البيان للطبري (٥٢٥/٢٢). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٦/٧).

(٥) هذيل: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة قبيلة يقال لها: هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان تفرقت في البلاد، ومن الصحابة أسامة الهذلي، له صحبة ورواية عن النبي ﷺ. انظر: الأنساب للسمعاني (٦٣١/٥).

(٦) خَزَاعَة: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وفي آخرها العين المهملة: قبيلة مشهورة. انظر: الأنساب للسمعاني (٣٥٨/٢).

(٧) هو: عبد الله بن كثير العطار الداري الفارسي، أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٤٥هـ، أخذ القراءة عن درباس مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وعبد الله بن السائب، وغيرهم، روى القراءة عنه جماعة منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد، وغيرهم، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٤١/٣). وتقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق: محمد عوامة [دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦هـ، ط ١] (٣١٨/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٨/٥).

مبنى^(٢): أراق. فإنهم كانوا يريقون دماء النساءك عليها. والعزى تأنيث الأعز. قطعها خالد بن الوليد^(٣)، فخرج منها شيطانة ناثرة شعرها، تدعو بالويل، فضر بها خالد بن الوليد بالسيف، وقال:

كُفْرَانُكَ يَا عَزَى لَا سُبْحَانَكَ^(٤)

فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ((تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم أبدا))^(٥). واللات^(١) قيل: اسم^(٢) رجل كان يَلْتُ لها السويق^(٣). وعن مجاهد^(٤) اسم رجل كان

(١) الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ﴾ {جزء آية من سورة يس، الآية: ٣٩} ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوعاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوعاً أي: هُض وطلع. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (١٢١/٥).

(٢) المني: الموت والقدر، ومنى بمكة سميت بذلك؛ لما يُمنى بها من الدماء أي: يُراق. انظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٤٧٦/٢). ولسان العرب لابن منظور مادة "مني" (٢٩٤/١٥).

(٣) هو: خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان القرشي، سماه النبي ﷺ سيف الله، أسلم بعد الحديبية، شهد مؤتة وحنين، واختلف في شهوده خبير، واستعمله النبي ﷺ على بعض مغازيه، واستعمله أبو بكر الصديق على قتال مسيلمة الكذاب وأهل الردة من الأعراب بنجد، ثم وجهه إلى العراق، ثم إلى الشام، وهو أحد أمراء الأجناد الذين ولّوا فتح دمشق، توفي بمصر سنة ٢١هـ. انظر: التاريخ الكبير للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي [دار الفكر] (١٣٦/١). وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠هـ، ط ١] (١٨٧/٨).

(٤) أورده ابن كثير وغيره من المفسرين في تفاسيرهم مع قصة خالد بن وليد، وتمامه:

يا عَزَى، كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكَ

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٦/٧). والتفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ط ١] (٤١٣/١٤). والكشاف للزمخشري (٤٤٠/٦).

(٥) أورد السيوطي نحو هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ {سورة النجم، الآية: ١٩}. انظر: الدر المنثور للسيوطي [دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣] (٦٥٢/٧).

يلت السمن ويطعمه، فلما مات اتخذوا قبره وثناً^(٥). والمعنى: أبعد هذا البيان تستمرون على الضلال. فترون هذه الأصنام آلهة تستحق العبادة، وتجعلونها شركاء الله ﴿الْأُخْرَى﴾ صفة ذم أي: الوضيعة فإنهم كانوا يرون التقدم للآلات والعزى.

[٢١] ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ وأنتم تقتلون الإناث، ولا ترضونها، تأنفون منها عاراً. فكيف تجوزون أن تكون^(٦) أولاداً له وشركاء في الألوهية؟! وإذا كان شأنكم في

(١) اللات: اسم صنم كان في الجاهلية لتقيف بالطائف أو لقريش بنخلة، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنتت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة. قال ابن زيد: اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش. انظر: جامع البيان للطبري (٥٢٣/٢٢). وتفسير القرطبي (١٠١/١٧).

واللات: ما فئت من قشور الشجر، وما لئت به من سمن ودهن وغيرهما، ولت السويق ونحوه لئاً: خلطه بسمن أو غيره، والعجين ونحوه: بله بشيء من الماء. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية [دار الدعوة للنشر] (٨١٤ / ٢).

(٢) "اسم" ساقط من (ر) ٤٥٧/أ.

(٣) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير سمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار (٤٦٥/١).

(٤) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي، قرأ على ابن عباس، وصحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه، قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. توفي سنة: ١٠٣هـ. انظر: طبقات المفسرين للإمام أحمد بن محمد الأدهوي، تحقيق: د. سليمان بن صالح الخزي، [ط١، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، سنة ١٩٩٧م] (ص ١١). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٤٢/١). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٢٥/١).

(٥) الوثن: ما ليس له صورة، والصنم: ما له صورة، وقيل: الصنم: ما كان مصوراً على أي صورة، والوثن: ما كان منحوتاً على غير ذلك ذكره الطبري عن مجاهد، وقد يطلق الوثن على الصنم ذكر معناه غير واحد. انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله التميمي [مكتبة الرياض الحديثة للنشر - الرياض] (ص ١٦٦).

(٦) "أن تكون" ورد في (ح) ٥٠٦/أ، و (ر) ٤٥٧/أ: أن يكون.

الجهالة^(١) والضلال هذا. فكيف تضللون من يدعو إلى التوحيد وإلى عبادة من له الخلق والأمر؟.

[٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ جائرة، من ضَاذَه^(٢) يضيئه إذا ظلمه. أصله ضيئى؛ لأن فعلى صفة لم يثبت على ما ذكره سيبويه^(٣). إلا مع التاء كعزّهات فكسر الفاء لتسلم الياء كما فعل بيض^(٤). وقرأ ابن كثير بالهمز من ضَاذَه ظلمه.

[٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُمُوهَا﴾ أي: لا حقيقة لها باعتبار الألوهية. ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ برهان يدل على جواز إطلاق اسم الإله عليها، وفيه تمكّم بهم بأن العقل لا يبيح إطلاق الآلهة على الجماد، لو فرض ذلك لم يكن إلا تعبدًا محضًا من الله. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يقلدون آباءهم. ولا اعتبار للظن في العقائد ولا

(١) "في الجهالة" ورد في (ح) ٥٠٦/أ: في الجاهلية.

(٢) "ضازه" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٠٦/أ و (ر) ٤٥٧/أ.

(٣) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب بسيبويه، شيخ النحاة وحمّة العرب، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، ولزم الخليل بن أحمد فبرع وساد أهل العصر، وألّف فيها كتابه "الكتاب" رحل إلى بغداد وناظر الكسائي، وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه خبسة في عبارته وانطلاق في قلمه، وأجازته الرشيد بعشرة آلاف درهم، وعاد إلى الأهواز فتوفي فيها، وقيل: بشيراز سنة ١٨٠هـ على أصح الأقوال. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٥١/٨). والبلغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري [جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧، ط ١] (١٦٣/١). والبداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: علي شيري [دار إحياء التراث العربي - ١٤٠٨هـ، ط ١] (١٧٦/١٠).

(٤) انظر: المزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ط ١] (٢١١/١).

تقليد^(١). ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ الرسول أو الكتاب الذي هو مناط الإيقان.

[٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أم منقطعة، ومعنى هزتها الإنكار، أي: ليس للإنسان ما يتمناه حاصلًا له وهو طمع هؤلاء في شفاعة تلك الجمادات، أو ما كانوا يقولون: لكن كان هناك بعث نحن أحسن حالًا من محمد وأصحابه. كقوله: ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾^(٢) و ﴿لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣) أو هو قول عاص بن وائل^(٤): ﴿لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(٥).

(١) مسألة كلامية تتعلق بالتقليد في العقائد: سُمِّي أهل العلم علم العقائد باسم الفقه الأكبر، وعلم التوحيد والصفات، واعتبروا في أدلته اليقين؛ لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقادات بل في العمليات فظهر أنه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية؛ ولذا عرّف بعضهم علم العقائد بأنه: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه. ومعنى إثبات العقائد: تحصيلها واكتسابها بحيث يحصل الترقى من التقليد إلى التحقيق. فتبين من هذا أن الاعتقاد لا مجال للظن والتقليد فيه بل هو مبني على العلم والتحقيق، وعلى هذا معظم علماء الأمة. انظر: شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود التفتازاني [دار المعارف النعمانية للنشر - باكستان - ١٤٠١هـ، ط الأولى] (ص ٨ - ٧). ومعالم أصول الدين: لفخر الدين الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد [دار الكتاب العربي للنشر - لبنان - ١٤٠٤هـ] (ص ٩-٢٥).

(٢) جزء آية من سورة فصلت، الآية: ٥٠.

(٣) جزء آية من سورة الزخرف، الآية: ٣١.

(٤) هو: العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص، كان من المستهزئين بالنبي ﷺ، وهو القاتل لما مات القاسم ابن النبي إن محمداً أبت لا يعيش له ولد ذكر، فأنزل الله في حقه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ {سورة الكوثر، الآية: ٣}، توفي بعد هجرة النبي ﷺ وهو ابن خمس وثمانين سنة. انظر: الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي [دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ، ط ٢] (١/٥٩٣).

(٥) جزء آية من سورة مريم، الآية: ٧٧.

[٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يعطي ما يشاء لمن يشاء ليس لأحد فيهما شرك، وقدم الآخرة؛ لأن الكلام فيها^(١).

[٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ أدنى شيء مع مكانتهم وقربهم عند الله. فكيف^(٢) تشفع هذه الجمادات التي هي أحسن الكائنات. والمراد أشرف الملائكة؛ ليدل بالأولوية على انتفائها من غيرهم، ولذلك نكر الملك وخصه بمن في السموات. ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أن يشفع ويشفع له، ﴿وَيَرْضَى﴾ بتلك الشفاعة أي: تكون مقبولة؛ لأن الإذن في الشفاعة لا يستلزم القبول.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ حيث قالوا: هم بنات الله. قالوا: تزوج سروات الجن فولدت له الملائكة.^(٣) والتقييد بالآخرة؛ إشارة إلى فرط جهلهم بأنهم يعتقدون أن الإنسان يترك سدى، ومن كان هذا شأنه لا يبعد منه تلك المقالة.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أدنى علم. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لما سمعوه من آبائهم. ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الذي لا يمكن تبذله باختلاف الشرائع وتبدل الأعصار وهي المسائل الأصلية والمباحث الإلهية. ﴿شَيْئًا﴾ أدنى شيء.

(١) "فيها" ساقط من (ح) ٥٠٦/أ.

(٢) "فكيف" ساقط من (ح) ٥٠٦/أ.

(٣) أورد السيوطي آثاراً عدة مشابهة لهذا، منها قوله: أخرج آدم بن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد في قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ {جزء آية من سورة الصافات، الآية: ١٥٨} قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله. فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: بنات سروات الجن. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٧/١٣٣).

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أَعْرِضَ عَنْهُ وَلَمْ يَتَأَمَّلْهُ. والمراد به القرآن. وفي إضافته إلى نفسه؛ إشارة إلى أنه كان حقيقاً بالإقبال. ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١) إلا هذا الخسيس، لا أن ذلك كان لعائقٍ آخَرَ.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ اعتراض يؤكد الأمر بالإعراض؛ لأن السعي في الإرشاد إنما يجدي لمن له قابلية الترقى. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ يعلم من يجب ومن لا يجب، وقد علم أن هؤلاء أهل الطبع. وفي إعادة العلم ثانياً مبالغة دالة على كمال تمايز الحزين عنده.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلَقًا وَمُلْكًا. نفى به توهم الإهمال، وتركهم سدى من قوله: ﴿فَأَعْرِضْ﴾^(٢)؛ ولذلك عقبه بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ بجزاء أعمالهم، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ غير النظم؛ للدلالة على أن جزاءهم ليس على قدر أعمالهم. ويجوز أن يتعلق ﴿لِيَجْزِيَ﴾^(٣) بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٥) اعتراض يؤكد حديث الجزاء بأهم تحت ملكه.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾^(٦) أو صفته، أو نصب، أو رفع على المدح. أي: الكبائر من الإثم فإنه جنس الذنوب. والكبيرة: ما توعد عليه

(١) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٢٩.

(٢) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٢٩.

(٣) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٣١.

(٤) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٣٠.

(٥) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٣١.

(٦) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٣١.

الشارع بخصوصه كالقتل والزنى، أو كان قبحه أزيد منه أو مساوياً^(١). وقرأ حمزة والكسائي بالإفراد على إرادة الجنس. ﴿وَالْفَوَاحِش﴾: ما زاد قبحه من الكبائر من عطف الخاص على العام. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: ما قلَّ قبحه فإنه معفو عنه إذا اجتنب الكبائر، وهو ما دون الكبيرة كمقدمات الزنا والسرقة والقتل قبل الوقوع. وأصل التركيب يدل على القلة^(٢)، ومنه اللمة لشعر جاوز الأذن^(٣)، والممام الضيف قال:

لقاء^(٤) أخلاء الصفاء لمام^(٥).

وهو استثناء منقطع، أو صفة، كأنه قيل: كبائر الإثم غير اللمم؛ لأن المضاف إلى^(٦) المعرف الجنسي في حكم النكرة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ حيث تجاوز عن الصغائر التي قلَّ أن يخلو عنه الإنسان. وإليه أشار ﷺ ﴿إِنَّ تَعْفِرَ اللَّهُمَّ تَعْفِرُ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَاءَ﴾^(٧).

(١) اختلف العلماء في تعريف الكبيرة. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. انظر: الكبائر لمحمد بن عثمان الذهبي [دار الندوة الجديدة للنشر - بيروت] (١/١). والكبائر لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل الأنصاري [مطابع الرياض للنشر - الرياض، ط: الأولى، قابله على أصوله الخطية: إسماعيل الأنصاري، محمد عيد، عبد العزيز بن إبراهيم الفريح] (ص ٣).

(٢) "يدل على القلة" ورد في (ح) ٥٠٦/ب: يد على القتل.

(٣) قال الرازي: ألم الرجل، من اللمم وهو: صغائر الذنوب. وقال الأخفش: اللمم: المتقارب من الذنوب. انظر: مختار الصحاح للرازي (ص ٢٥٢).

(٤) "لقاء" ورد في (ر) ٤٥٧/ب: لقلا.

(٥) لم أقع على قائله. الشاهد فيه قوله "لمام" أي: لقاء قليل ومتباعد الفترات، استشهد به على مجيء "اللمم" بمعنى: إلمام الضيف، كناية عن قلة الذنوب.

(٦) "إلى" ورد في (ح) ٥٠٦/ب: لأن.

(٧) أخرجه الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون [دار إحياء التراث - بيروت] كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم (رقم: ٣٢٠٦). والحاكم في المستدرک، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ، ط ١] كتاب الإيمان (رقم: ١٨٠). والبيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا [مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ] كتاب الشهادات، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز (رقم: ٢٠٥٣٣). وأبو

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾^(١) منكم^(٢) ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣) لما خلق أباكم آدم، وأخرجكم من ظهره ذرية. ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾. فعلمه بكم الآن، وبما يصدر منكم أجلى وأظهر. فإن قلت: ^(٤) إذا كان أعلم بهم وقت الإنشاء من الأرض فلا يخفى أنه أعلم بهم حال كونهم أجنة. فما الفائدة في ذكره؟ قلت: أراد أن علمه لا يتفاوت بجلاء المعلوم وخفائه كما هو شأن العلم الحادث. ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ فإن محل التقوى هو القلب، والوقوف على أحواله وأسراره ينقطع دونه التقوى^(٥). والمنهي تزكية النفس تمدحاً لا شكراً و ترغيباً للغير، ويجوز أن يراد مدح المؤمن أخاه لما روى أبو بكر^(٦) أن رجلاً مدح رجلاً عند رسول الله ﷺ فقال: ((قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُهُ كَذًّا وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا))^(٧).

يعلى في معجمه، تحقيق: إرشاد الحق الأثري [إدارة العلوم الأثرية- فيصل آباد- ١٤٠٧هـ ط ١] باب السين (رقم: ١٩٠).

(١) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٥٣.

(٢) "منكم" ساقط من (ر) ٤٠٧/ب.

(٣) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٤) "إذا كان أعلم بهم...، فما الفائدة في ذكره" ساقط من (ح) ٥٠٦/ب.

(٥) "دونه التقوى" ورد في الأصل: دون القوى، وفي (ح) ٥٠٦/أ: دونه القوى، والمثبت من (ر) ٤٥٧/ب.

(٦) هو: نفع بن الحارث بن كلدة بن عمرو التقفي، أبو بكر، مشهور بكنيته، أسلم بالطائف، كان أحد فضلاء الصحابة، وكان ممن اعتزل يوم الجمل، لم يقاتل مع واحد من الفريقين، نزل البصرة وتوفي فيها سنة ٥١هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٥٣٠). والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر - بيروت - ١٩٦٨م، ط: ١] (١٥/٧). وتقريب التهذيب لابن حجر (١/٥٦٥).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا زكّي رجل رجلاً كفاه (رقم: ٢٤٦٨). ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على المدوح (رقم: ٣٠٠٠).

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ أي: أبعد علمك بأن الله هو أعلم بحال الإنسان منه بنفسه أخبرني عن حال من أراد^(١) سلوك سبيل الآخرة والوصول إلى الله استقلالاً. تعجيب منه.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ وأمسك بعده عن الخير اكتفاءً بذلك القليل. أصله أكداء^(٢) الحافر وهو أن يلقاه كدية أي: صخرة فيمسك عن الحفر.

والآية نزلت في الوليد بن المغيرة^(٣) أراد أن يتبع رسول الله ﷺ فعيّره بعض المشركين، وقال: تترك^(٤) دين الأشياخ؟ فقال: إني أخاف عذاب الله. فقال: أعطني بعض مالك وأنا أحمل عنك العذاب، ففعل معتقداً ذلك^(٥). ونزولها في عثمان^(٦)، وتفسير التولي^(١) بالفرار يوم أحد باطل؛ لأن السورة من أول ما نزل بمكة^(٢).

(١) "أراد" ورد في (ح) ٥٠٦/ب: أرادني.

(٢) "أكداء" ورد في (ر) ٤٥٧/ب: أكدا.

(٣) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد شمس، كان أشد عظماء قريش عداء لرسول الله ﷺ، توفي بمكة بعد الهجرة بثلاثة أشهر. انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (٥٩٢/١).

(٤) "تترك" ورد في (د) ٣٠٨/ب: ترك، والمثبت من (ح) ٥٠٧/أ و (ر) ٤٥٧/أ.

(٥) أورد السيوطي أثراً في هذا المعنى فقال: أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقبه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضلتهم وزعمت أنهم في النار، قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل عذاب كان عليك، فأعطاه شيئاً فقال: زدني، فتعاسرا حتى أعطاه شيئاً وكتب له كتاباً وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ {سورة النجم، الآية: ٣٣-٣٤-٣٥}. انظر: جامع البيان للطبري (٧٠/٢٧). والدر المنثور للسيوطي (٦٥٩/٧). وتفسير القرطبي (١١١/١٧).

(٦) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، ويقال: أبو ليلي، ذو النورين، من الخلفاء الأربعة، ولد في السنة السادسة بعد الفيل، توفي سنة ٣٥ هـ بالمدينة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٤/٣). وتاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري [دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥م] (٣/٣٩).

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح. ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ يشاهد ما فيه؛ فلذلك اكتفى به واستغنى عن اتباع الرسول ﷺ.

[٣٦-٣٨] ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والمعنى: أن هذا شرع قديم ليس من خواص ما جاء به محمد ﷺ فهلا استغنى في ذلك علماء أهل الكتاب، ليخبروه بجمليّة [٣٨/٣] الحال. وتقدم موسى؛ لكون كتابه أشهر، والاطلاع على ما فيه أيسر. ولا ينافيه قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾^(٣)؛ لأن الغرض هناك تقرير كون الآخرة خير وأبقى، وذلك مما سطر^(٤) في صحف إبراهيم فضلاً عن التوراة^(٥) الذي هو أعلى وأجل، ولما تأخر ذكره زاده وصفاً، وهو التوفية المبالغة في الوفاء، وأطلق ليتناول كل وفاء، من تبليغ الرسالة، والقيام بسائر المكارم، من ذبح الولد، والصبر على نار نمروود. قيل^(٦): كان عاهد الله أن لا يسأل غيره، فلما ألقى إلى النار لقيه جبرائيل، فقال له: هل من حاجة يا خليل الله؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: سل ربك،

(١) "التولي" ورد في (ر) ٤٥٧/أ: القولي.

(٢) قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية (١١١/١٧): وقال ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب ابن شريك: نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن أبي سرقم: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوباً وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلهما وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تعالى: (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى) فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٨-١٩.

(٤) "سطر" ورد في (ر) ٤٥٨/أ: ينتظر.

(٥) "التوراة" ورد في (ح) ٥٠٧/ب: التوبة.

(٦) "قيل" ورد في (ح) ٥٠٧/ب: وقيل.

قال: علمه بجالي يغني عن سؤالي^(١). وروى الترمذي^(٢) عن أبي ذر^(٣) أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ؟ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: ﴿فَسَبَّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٤) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ))^(٥). وليس معنى الحديث أنه مجرد هذا الذكر بلغ تلك الرتبة. بل إشارة إلى أنه كان يحافظ على محاسن الأعمال.

[٣٩] ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ إلا سعيه، أي: كما لا يؤخذ أحد بذنوبه غيره، كذلك لا يصل إليه ثواب عمله. وما يصل إلى المؤمن من ثواب دعاء المؤمنين، واستغفار الملائكة، والصدقة له هو أيضاً من سعيه؛ لأنه أعم من المباشرة والتسبب. وإليه يشير قوله ﷺ: ((من دعا إلى هدى فله أجر فاعله))^(٦).

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (١/٢٠٥). والكشاف للزمخشري (٣/١٢٦). ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٢٥٠).

(٢) هو: أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي، الحافظ العلامة، طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً، روى عن محمد بن المنذر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي وخلق. كان يضرب به المثل في الحفظ. توفي بترمذ في رجب سنة ٢٧٩هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١/٢٨٢). والثقات لابن حبان، تحقيق السيد شرف الدين أحمد [دار الفكر - ١٣٩٥ - ط١] (٩/١٥٣). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٦٣٣).

(٣) هو: أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور، الصادق للهجة، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، كان من كبار الصحابة، قدم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامساً. قال علي رضي الله عنه: وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج شيئاً منه. توفي بالربذة سنة ٣١ أو ٣٢هـ وصلى عليه ابن مسعود. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/١٢٥). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٦٥٢). والطبقات لابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري [دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢ - ط٢] (١/٣١).

(٤) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٥) لم أجد هذا الحديث في سنن الترمذي، وإنما وجدته في مسند أحمد [مؤسسة قرطبة - مصر] عَنْ سَهْلِ بْنِ مَعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ، فِي مَسْنَدِ الْمَكِينِ، حَدِيثَ مَعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ، (رقم: ١٥٠٧١). والطبراني في المعجم الكبير، معاذ بن أنس الجهني (رقم: ٤٢٧).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب فضل إعانة الغزاة في سبيل الله بمركوب وغيره (رقم: ٣٥٠٩) بلفظ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)). وأبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الفكر] كتاب الأدب،

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ يوم القيامة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١).

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ ثم يجزي العبد سعيه، أي: على سعيه، نصب على نزع الخافض ﴿الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾ الأوفر من استحقاقه؛ ولذلك يرى عمله الحقير. نصب على المصدر، ويجوز أن يكون البارز المنصوب ضمير الجزاء المدلول عليه والجزاء الأوفى بدل منه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ انتهاء الخلاق كلهم. هذا وما بعده أيضاً من جملة ما في الصحف.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: خلق الضحك والبكاء وأسبأهما.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ خلق الموت والحياة. وفيه مراعاة النظير مع اللف والنشر.

[٤٥-٤٦] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ تُدْفَق. يقال: مَنَى وأمْنَى، أو يقدر من مَنَى الماني أي: قدر. وأكد في الأولين بضمير الفصل؛ لمظنة وهم الغير. ألا يرى إلى قول من حاج إبراهيم: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾^(٢)؟ وقولهم: "أضحكني الدهر دون هذه"^(٣) إذ لا مجال لذلك الوهم.

باب الدال على الخير (رقم: ٥١٢٩). والترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله (رقم: ٢٦٧١).

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) استشهد المؤلف بالآية والمثل على أنه قد يتوهم الإحياء والإماتة والإضحاك والإبكاء من غير الله تعالى؛ ولذلك كرّر ضمير الفصل في الآيتين السابقتين من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ {سورة النجم، الآية: ٤٣-٤٤}.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ وفاء بوعده. وقرأ أبو عمرو^(١) وابن كثير بالمد كلاهما مصدر نشأة.

[٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ بالمال. ﴿وَأَقْنَى﴾ أي: أعطاه ما يقنيه زيادة على قدر حاجته، من القنية وهي: المال المحفوظ لا للتجارة، أو أرضاه من القنا وهو: الرضى^(٢). وعن أبي زيد^(٣) تقول العرب: من أعطي مئة من المعز فقد أعطي القنا، ومن أعطي مئة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطي مئة من الإبل فقد أعطي المئى^(٤). وعن أبي عبيدة^(٥): أقناه الله، أعطاه ما يقتنى من المال والنسب.

(١) هو: زيان بن العلاء بن عمرو بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٦٨هـ، وقيل: ٧٠هـ، وقيل: ٦٥هـ، وقيل: ٥٥هـ، سمع أنس بن مالك، وأبا صالح السمان، وقرأ على سعيد وعطاء، وطائفة، توفي سنة ١٥٤هـ، وقيل: ١٥٥هـ، وقيل: ١٥٧هـ. انظر: فوات الوفيات لمحمد شاكر الكنتي، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر - بيروت - ١٩٧٤م، ط ١] [٢٨/٢]. وغاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره: ج: براجستراسز [مكتبة المتنبى - القاهرة] [٢٨٨/١]. والثقات لابن حبان (٣٤٥/٦).

(٢) "الرضى" ورد في (ح) ٥٠٧/ب: الرضاء.

(٣) هو: سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد، أبو زيد الأنصاري النحوي البصري، ولد سنة ١٢٠/أو ١٢١هـ، من صغار أتباع التابعين، ولد سنة نيف وعشرين ومائة، كان من جلة أصحاب أبي عمرو بن العلاء وكبرائهم، توفي سنة ٢١٤/أو ٢١٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٤/٩). وغاية النهاية لابن الجزري (٣٠٥/١).

(٤) الشاهد فيه قوله (...أعطي القنا) أي: الرضى. استدل به المؤلف على أن معنى قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي: أعطاه الله ما يرضيه.

(٥) هو: القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد، ذو الفنون والتصانيف المفيدة، ولد بـ"هراة" سنة ١٥٧هـ، تولى قضاء طرسوس، وصنف كتباً كثيرة منها: "الأموال"، و"الغريب"، و"فضائل القرآن"، و"الناسخ والنسوخ"، وتلمذ على الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وسفيان بن عيينة وغيرهم، توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١). والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢٤١/٢). وغاية النهاية لابن الجزري (١٨/٢).

[٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ كوكب معروف يتبع الجوزاء. وهو كوكب وقاد يقال له مِرْزَمٌ^(١) الجوزاء^(٢) كانت الخزاعة تعبده، أول من عبدها أحد أجداد رسول الله ﷺ من جهة أمه، يسمى أبا كبشة^(٣)؛ ولهذا لما ادّعى رسول الله ﷺ النبوة، وفارق دين آبائه سموه ابن أبي كبشة. كما جاء في حديث هرقل^(٤) من قول أبي سفيان^(٥). وفيه إشارة إلى رد قولهم الباطل، فإنه وإن وافق جده في مخالفة دينهم، فقد خالفه^(٦) أيضاً في عبادتها.

(١) "مِرْزَمٌ" ورد في الأصل: مورزم، والمثبت من (ح) ٥٠٧/ب و (ر) ٤٥٨/ب.

(٢) المِرْزَمَان: نجمان من نجوم الأنواء، والجمع مَرَاذِم. ومِرْزَمُ الجوزاء اختلفوا فيه، فقال بعضهم: ليس للجوزاء مِرْزَمٌ، إنما هو مِرْزَمُ السَّمَاك. ويقال: المِرْزَمَان مِرْزَمُ الجوزاء ومِرْزَمُ السَّمَاك. انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي [دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧م ط١] مادة "رزم" (٣٨٤/١).

(٣) هو: أبو كبشة حاضن النبي ﷺ الذي كانت قريش تنسبه إليه فتقول: قال بن أبي كبشة، قيل: هو الحارث بن عبد العزى السعدي زوج حليمة، ويقال: إن أبا كبشة الذي كان ينسب إليه هو جده من قبل جدة أبيه وهو والد سلمى الأنصارية الخزرجية والدة عبد المطلب، وهو ابن عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي. انظر: الإصابة لابن حجر (٣٤٢/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٧٣٩/٤).

(٤) هو: ملك الروم، كاتبه رسول الله ﷺ، وبعث دحية بن خليفة الكلبي إليه فسأل عن النبي ﷺ وثبتت عنده صحة نبوته، فهمم بالإسلام فلم توافقه الروم على ذلك، وخافهم على ملكه فأمسك، تولى مكانه ابنه قسطنطين بعد وفاته. انظر: المنتظم لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج [دار صادر - بيروت - ١٣٥٨، ط ١] (٣٠٥/٤). وتهذيب الكمال للمزي (١٩٧/١).

(٥) هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو سفيان، والد معاوية الخليفة المشهور، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف، كان من المؤلفين، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة ١٣هـ، وقيل: ٣٢هـ، وقيل: ٣٤هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٤١٣/٣). والكاشف لحمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة [دار القبة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، ط ١] (٥٠١/١).

(٦) "خالفه" ورد في الأصل: خالف، والمثبت من (ح) ٥٠٧/ب و (ر) ٤٥٨/ب.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ والكلام في تأكيد الأولين بضمير الفصل وتركه في الأخير كما تقدم آنفاً. و﴿عَادًا الْأُولَى﴾ قوم هود، والثانية إرم^(١). وقيل الأولى القدماء؛ لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح، أو المتقدمون الأشراف.

[٥١] ﴿وَتَمُودٌ﴾ عطف على ﴿عَادًا﴾^(٢)؛ لأن ما بعد "ما" النافية لا يعمل فيما قبلها. ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ أي: من الفريقين أحداً كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٣). وقرأ عاصم^(٤)، وحمزة ﴿وَتَمُودٌ﴾ بغير تنوين. والوقف بالألف لمن قرأ بالتنوين.

[٥٢] ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل عاد وتمود نصب بما نصبا به^(٥). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ من الفريقين؛ لأنهم وإن لم يؤمنوا بنبيهم، فلم يؤذوه كما آذى قوم نوح نوحاً، إذ قد تواتر أنهم كانوا يشجعونه ويضربونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"^(٦).

(١) اختلف في معناها على ثلاثة أقوال: الأول: أنه اسم جد عاد، والثاني: اسم بلدتهم التي كانوا فيها، والثالث: أنها أعلام قوم عاد حيث كانوا يبنونها على هيئة المنارة، وعلى هيئة القبور. انظر: التفسير الكبير للرازي (١٥١/٣١).

(٢) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٨.

(٤) هو: أبو بكر عاصم بن مهدي الأسدي، مولاهم، الكوفي، أحد القراء السبعة، أخذ عن أبي وائل وأبي صالح السمان وحيد الطويل، وأخذ عنه شعبة وحفص والحمادان والسفيانان وزائدة وعوانة وغيرهم. توفي سنة ١٢٧هـ، وقيل: ١٢٨هـ، وقيل: ١٢٩هـ. انظر: معرفة القراء الكبار لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، ط ١] (٧٣/١).

وغاية النهاية لابن الجزري (٣٤٦/١).

(٥) "بما نصبا به" ورد في (ح) ٥٠٧/ب: بانصبا به.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (رقم: ٣٢١٨). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (رقم: ١٧٩٢).

[٥٣] ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط. اتفك: انقلب. قلبها عليهم جبرائيل جعل^(١) عاليها سافلها ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد أن رفعها. الإسناد إلى الله؛ لأنه الأمر.

[٥٥-٥٤] ﴿فَعَشَاهَا مَا غَشَى﴾ فَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ المذكورات بعضها وإن [٣٠٩/ب] كانت نقماً^(٢) لأقوام فهي نعم للأنبياء وأتباعهم. قال أبو الطيب^(٣):

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ^(٤).

﴿تَتَمَارَى﴾ تشكك. الخطاب لرسول الله ﷺ إلهاباً وتهيجاً وتعريضاً بالغير^(٥)، أو للإنسان على الإطلاق وهذا أوفق.

(١) "جعل" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٠٧/ب و (ر) ٤٥٨/ب.

(٢) "نقماً" ورد في الأصل ٣٠٩/ب: نعماً، والمثبت من (ح) ٥٠٧/ب، و (ر) ٤٥٨/ب.

(٢) هو: أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتني، شاعر العصر، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، مدح عدّة ملوك، وله إحدى وخمسون سنة، قتله قطاع الطريق سنة ٣٥٣هـ في رمضان، بين شيراز والعراق، وأخذوا المال الذي معه. انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، [دار إحياء التراث للنشر - بيروت - ١٤٢٠هـ] [٢٠٨/٦]. ووفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٠/١). والأعلام لخير الدين الزركلي [دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٥] [١١٥/١].

(٤) البيت للمتني من الطويل.

انظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع يعقوب [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، ط ١] [١٩٥/١]. والحماسة المغربية لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية [دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٩٩١م، ط ١] [٥٢٧/١]. وبتيمة الدهر لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية [دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط ١] [٦١/١]. والشاهد فيه (مصائب قوم عند قوم فوائد) يؤكد فيه أن الإهلاك نقمة على الكافرين ونعمة على المؤمنين.

(٥) "بالغير" ورد في جميع النسخ: العير، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[٥٦] ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ أي: هذا القرآن من الإنذارات الأولى، أي: من جنس الكتب المنزلة. فذلـكـة لما عدّد من الآي والأحكام التي اشتملت^(١) عليها الصحف، أو لما افتتح به السورة. أو الرسول ﷺ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

[٥٧] ﴿أَزَفَتِ الْأَازِفَةُ﴾ قربت القرية، وهي الساعة المخبر عن قربها في قوله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾^(٣) و ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٤).

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ لا يعلمها غيره لقوله ﴿لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٥)، أو ليس نفس تقدر^(٦) على كشفها إذا وقعت إلا هو لكنه لا يكشفها، أو ليس أحد يقدر على كشفها الآن بالتأخير لو وقعت. ويجوز أن يكون كاشفة مصدر كالعافية.

[٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ أي: من القرآن.

[٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ وكان الواجب عليكم ذلك كما يفعله الموقنون ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾^(٧).

[٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ مستكبرون. من سمد: رفع رأسه تكبراً، أو لاهون من سمد البعير في سيره^(١).

(١) "اشتملت" ورد في جميع النسخ: اشتمل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) جزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٣) جزء آية من سورة القمر، الآية: ١.

(٤) جزء آية من سورة الأنبياء، الآية: ١.

(٥) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٦) "تقدر" ورد في الأصل و (ر) ٤٠٨/ب: يقدر.

(٧) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ١٠٧.

[٦٢] ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ بعد هذا البيان والترهيب، اعبدوه ولا تعبدوا غيره.

تمت سورة النجم، والحمد لكاشف الغم، والصلاة على من فضله أعم^(٢).

(١) السامد: اللاهي الرافع رأسه. انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني [دار المعرفة - لبنان] (١/٢٤١). وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي [دار الفكر - بيروت] (٥/٢٤٥).

(٢) "على من فضله أعم" ورد في الأصل: على من به فضله عم، وفي (ر) ٤٥٩/أ: على من به فضل عم، والمثبت من (ح) ٥٠٨/أ.

سورة القمر

مكية، وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: قد قرب قيام الساعة. ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وانشقاقه من آياتها. روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود^(١) ((أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقِيْنِ حَتَّى رَأَوْا الْحِرَاءَ بَيْنَهُمَا))^(٢)

[٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ أهل مكة، وإن لم يسبق لهم ذكر للعلم بهم. كقوله:

زارتُ عليها للظلامِ رواقُ^(٣)

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: مات سنة ثلاث، وقيل: مات بالكوفة. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٣٣/٤). والاستيعاب لابن عبد البر (٩٨٧/٣). والطبقات لابن خياط (١٦/١).

(٢) أخرجه البخاري عن أنس، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر (رقم: ٣٥٧٩). ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر (رقم: ٥٠١٣) بلفظ: ((أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ)).

(٣) البيت لأبي العلاء المعري وتمامه:

زارتُ عَلَيْهَا للظلامِ رواقُ وَمِنَ التُّجُومِ قَلَائِدُ وَنِطَاقُ

﴿يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١) دائم، أي: ليس هذا وحده من سحر محمد، بل كم له من هذا يريدون ما سبقه من المعجزات، أو محكم من استمر مزيده، أو مرّ غاية لا نقدر على إساغته، من استمر الشيء إذا قويت مرارته، أو مار لا بقاء له يسلون بذلك أنفسهم ويعنونها^(٢).

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ واستمروا على التكذيب ودفع الحق ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ما سولت لهم أنفسهم^(٣) ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: كل أمر له نهاية يثبت فيه كلام مستقل، جاري مجرى المثل كقوله: "كل شيء له آخر والصر نعم الناصر" أي: كل أمر ينتهي إما إلى السعادة أو إلى الشقاوة، أو كل من أمره وأمرهم يستقر على حاله من خذلان أو نصر، وقرأ أبو جعفر^(٤) ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ مجروراً عطفاً على ﴿السَّاعَةِ﴾ أي: اقترب كل أمر مستقر على أن انشق القمر، حال بتقدير قد ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾^(٥) اعتراض، وفي قراءته زيادة تسلية وتهويل.

انظر: ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري، شرح أحمد شمس الدين [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٠م] [٣٥٨/١]. والشاهد فيه (زارت..) بدون التصريح بالزائر للعلم به وهو محبوبته.

(١) ورد في الأصل: لا يقدر، والمثبت من (ح) ٥٠٨/أ و (ر) ٤٥٩/أ.

(٢) "ويعنونها" لم ترد في أصل المتن وإنما وردت في هامش الأصل ٣٠٩/ب، ووردت في (ح) ٥٠٨/أ و (ر) ٤٥٩/أ: تمنونها.

(٣) "﴿وَكَذَّبُوا﴾ واستمروا... ما سولت لهم أنفسهم" ساقط من أصل المتن، وورد في هامش الأصل ٣٠٩/ب.

(٤) هو: يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، قرأ القرآن على مولاة ابن عياش، وابن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم. وروى عنه القراءة: نافع، وابن جهم، وابن وردان، وغيرهم. توفي في سنة ١٣١هـ، وقيل في سنة ١٣٢هـ، وقيل غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٤/٦). ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٥٨/١).

(٥) جزء آية من سورة القمر، الآية: ٢.

[٤-٥] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ في القرآن مما نزل بأمثالهم. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار: افتعال من الزجر، قلبت تاؤه دالاً؛ لتناسب الدال والزاي^(١). ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتها في الإحكام. بدل من ما، أو خبر مبتدأ محذوف ﴿فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ بعدها. نفي أو استفهام إنكار أي غناء تغني النذر بعد وصول الأمر إلى الغاية.

[٦] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أعرض ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ إسرائيل^(٢)، نصب بـ "يخرجون"، أو بـ "اذكر". أثبت ياء ﴿الدَّاعِ﴾ البزي^(٣) عن ابن كثير في الحالين. وأبو عمرو، وورش^(٤) وصلوا. ﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ﴾ منكر تنكره النفوس لفظاعته. قرأ ابن كثير بضم الكاف.

[٧] ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ كناية عن الذل؛ لأن العز والذل يظهر آثارهما في العيون. وإسناد جمع التكسير إلى المظهر فاش فصيح. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿خُشَعًا﴾ وهو المختار. ولم يؤنث لعدم الفاصل، وانتصابه على الحال من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ مِنْ

(١) "الزاي" ورد في جميع النسخ: والزاء، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) هو: مَلَكٌ مكلف بالنفخ في الصور. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢٥٣/٧).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم، أبو الحسن البزي المكي، المقرئ، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، أصله فارسي، ولد عام ١٧٠هـ، وقرأ القرآن على عكرمة بن سليمان ووهب بن واضح وابن كثير وغيرهم، أذن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من ((الضحى)). توفي سنة ٢٥٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١٧٣/١). وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١١٩/١).

(٤) هو: عثمان بن سعيد بن عدي المصري، من كبار القراء، غلب عليه لقب "ورث" لشدة بياضه، أصله من القيروان، مولده ووفاته بمصر، ولد في سنة ١١٠هـ، قرأ على نافع، وعبد الله بن عامر وغيرهما، وقرأ عليه أحمد بن صالح وداود بن أبي طيبة، وغيرهما. توفي سنة ١٩٧هـ. انظر: معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ط١] (٣٤٩/١). وشذرات الذهب لابن العماد (٣٤٩/١). والأعلام للزركلي (٢٠٥/٤).

الْأَجْدَاثِ ﴿١﴾. وقرئ "نحشع" بالرفع على الخسرية، فتكون الجملة حالاً. ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُتَشَشِرٌ﴾ ﴿٢﴾ في الكثرة والتفرق.

[٨] ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّين أعناقهم. أثبت ابن كثير ياء ﴿الدَّاعِ﴾ في الحالين. ونافع ﴿٣﴾ وأبو عمرو في الوصل. ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِرٍ﴾ شاق.

[٩] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تسلية وترهيب. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ تفصيل لما أجمل، أو كذبوه تكديماً إثر تكذيب، كلما مضى قرن تبعه آخر. وكذبوا الرسل رأساً فكذبوه؛ لأنه من جملتهم. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أصابه الجنون. ﴿وَأَزْدُجِرَ﴾ زجره شتماً وضرباً. عطف على "قالوا". وأوثر بناء المفعول؛ تطهيراً للألسنة عن ذكرهم، ودلالة على أن فعلهم أسوء من قولهم، ولتوافق الفواصل، أو هو من قولهم: إنه مجنون وقد ازدجرته الجن. والأول أوجه وأوفق لقوله:

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ بعدما أيس وجرب الأولاد والأحفاد ﴿فَانْتَصَرَ﴾ انتقم.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي: بعد الأمر باتخاذ ﴿٤﴾ السفينة والفراغ منها وركوبه بمن معه. ﴿بِمَاءٍ مِنْهُمْ﴾ منصبٌ بكثرة وتتابع. مطاوع همره ﴿١﴾. قيل: لم ينقطع أربعين يوماً.

(١) سورة القمر، الآية: ٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٧.

(٣) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني، أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عرضاً عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وشيبة بن نصاح، وأبي جعفر، وروى عنه القراءة إسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان، وغيرهما. انتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة. توفي سنة ١٦٩هـ. انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٣٣٠/٢). ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣٦٨/٥).

(٤) "باتخاذ" ورد في (ح) ٥٠٨/ب: باتخاذ، و (ر) ٤٥٩/ب: باتخاذ.

[١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ جعلنا الأرض كلها كأنها عيون. أصله فجرنا عيون الأرض، [٣٠٩/ب] عدل إلى المنزل مبالغة. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: ماء الأرض وماء السماء التقيا على مقدار سواء بسواء، أو على أمر قدر في اللوح من هلاك قوم نوح، أو على أمر قدره الله تعالى، واقتضته حكمته.

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَّ دُسْرٍ﴾ أي: السفينة. عبر بالوصف عن الموصوف كناية كقولهم في الإنسان: "حي مستقيم القامة، عريض الأظفار، وفيه فخامة" (٢). ليس في الأصل، وإشارة إلى كمال الاقتدار؛ لبعد عن حال الخشب والحديد عن دفع ذلك الطوفان العظيم. والدرس: جمع دسار، وهي المسمار من الدسر وهو الدفع.

[١٤] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ محفوظة بكلائتنا. ﴿حِزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ علة للفتح (٣) وما بعده. والذي ﴿كُفِرَ﴾ نوح؛ لأن كل نبي نعمة من الله، أو على حذف الجار وإيصال الفعل أي: كفر به.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ أي: الفعلة أو السفينة. تواتر خبرها في أقطار الأرض وفي الأعصار كلها إلى آخر الدهر. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ معتبر يتعظ بها.

[١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَّ نُذُرِي﴾ وإنذار جمع نذير. معناه استفهام تعجيب وتهويل.

(١) "همزة" ورد في (ح) ٥٠٨/ب: همزه.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين الخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي [دار إحياء العلوم - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٤] [٣٠٢/١]. والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط١] (ص ١٤٨).

(٣) "الفتح" ورد في (ر) ٤٥٩/ب: للفتح.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ للاعطاء؛ لاشتماله على أنباء^(١) الأولين والآخرين، وبيان ما أصاب من كذب الرسل، أو سهلناه للتلاوة؛ لأنه عربي مبين يتلوه أهل كل لسان، أو حفظه دون سائر الكتب، أو بأن أنزلناه على سبعة أحرف بحسب لغة القبائل تيسيراً على العرب إزاحة لعذرهم. والأول أوفق بالمقام؛ ولذلك أعاده^(٢) مراراً. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ.

[١٨] ﴿كَذَّبْتَ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وإنذاراتي لهم قبل نزول العذاب وبعده لمن بعدهم.

[١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بارداً من الصرّ بكسر الصاد، أو شديد الصوت من الصرير. ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ شؤمه، أو اليوم على إرادة الحين؛ لأنه كان سبع ليالٍ وثمانية أيام، أو على أشخاصهم لم يدع صغيراً ولا كبيراً، أو شديد مرارته.

[٢٠] ﴿تَنْزَعُ النَّاسُ﴾ تقلعهم. بيان لشؤمه. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أصول نخل منقلع من مغارسها. وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل، وتأنيثه في قوله ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٣) باعتبار المعنى. روي أنهم كانوا يصطفون آخذاً كل واحد يد^(٤) الآخر، فيدخلون في الشعاب، ويحفرون فتنزعهم^(٥) وتندق رقابهم^(١). وقيل: تقلع رؤوسهم وتبقى الجثث ساقطة على الأرض.^(٢)

(١) "على أنباء" ورد في جميع النسخ: على بناء، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) "أعاده" ساقط من (ح) ٥٠٨/ب.

(٣) جزء آية من سورة الحاقة، الآية: ٧.

(٤) "يد" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٠٩/أ و (ر) ٤٥٩/ب.

(٥) "فتنزعهم" ورد في (ح) ٥٠٩/أ: فتصرعهم.

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ كرهه للتهويل، أو الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيط به في الآخرة؛ لقوله^(٣) في شأنهم: ﴿لنذيقنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى﴾^(٤).

[٢٢-٢٣] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾
بالإنذارات، أو بالآيات، أو بالرسول.

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلًا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً لاسيما وهو ليس من طائفة أخرى ليكون له المزية، موصوفاً بالوحدة والإنفراد فكيف يبتعه الجم الغفير. ونصب "بشراً" بمضمرة على شريطة التفسير، وفي مثله نختار^(٥) النصب لمكان الاستفهام. ﴿إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ وجنون، يقال: "ناقة مسعورة" أي: مجنونة، أو عكسوا عليه لما دعاهم إلى التوحيد لئلا يقعوا في سعر، قالوا: لو اتبعناه^(٦) وقعنا فيها. على أن السعر جمع سعير.

(١) انظر: الكشف للزمخشري (٤/٤٣٦). ومدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله أحمد بن محود النسفي، تحقيق: إبراهيم محمود رمضان [دار القلم - بيروت - ١٤٠٨هـ] (٤/١٩٦). والبحر المحيط لأبي حيان (٨/١٧٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي [دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ط ١] (٩/١٦٥).

(٣) "لقوله" ساقط من (ح) ٥٠٩/أ.

(٤) سورة فصلت الآية: ١٦.

(٥) "نختار" ورد في (ر) ٤٦٠/أ: يختار.

(٦) "وقعناه" ورد في (ح) ٥٠٩/أ زائداً.

[٢٥] ﴿أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وفيما من هو أكثر أموالاً وأسباباً. كقول قريش ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١). ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ شَدِيدُ الْكُذْبِ، حَتَّى اخْتَرَعَ هَذَا الْكُذْبَ﴾^(٢) البديع. ﴿أَشْرُ﴾ بطر حمله عليه بطره.

[٢٦] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكُذْبِ الْأَشْرُ﴾ أي: يوم القيامة فإن الدنيا والآخرة يومان. وقرأ ابن عامر^(٣) وحزرة بالناء على حكاية قوم صالح، أو التفات من الله تعالى إليهم كأنهم حضور ينعي عليهم جنائتهم ثم حكاها لرسول الله ﷺ؛ دلالة على أنهم كانوا أحقاء بذلك الوعيد.

[٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسَلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ امتحاناً. وذلك بعد أن سألوها. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ انتظرهم^(٤) مراقباً أحوالهم مع الناقة، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على أذاهم.

[٢٨] ﴿وَتَبَّتْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ ذو قسمة ﴿لَهُمْ شَرِبٌ يَوْمَ وَلَهَا شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ و^(٥) في الضمير تغليب العقلاء. ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ﴾ يحضره صاحبه خاصة.

[٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف^(١)، أشقى الناس، نطق به القرآن. وقال رسول الله ﷺ: ((أشقى الناس رجلان: عاقر الناقة، وقاتل علي ﷺ))^(٢) ﴿فَتَعَاطَى﴾ اجترأ

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

(٢) "الكذب" ورد في (ح) ٥٠٩/أ: الكتاب.

(٣) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي الشامي، أحد القراء السبعة، ولد عام ٢١هـ. أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب، وروى عنه محمد بن الوليد وربيعة بن يزيد وعبد الله بن العلاء. توفي سنة ١١٨هـ. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٦٧). وتهذيب التهذيب لابن حجر [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ، ط ١] (٥/٢٧٤). وغاية النهاية لابن الجزري (١/٤٢٤).

(٤) "انتظرهم" ورد في (ح) ٥٠٩/أ: فانظرهم.

(٥) "و" ساقط من (ح) ٥٠٩/أ.

علي تعاطي الأمر العظيم. من باب يعطي ويمنع، أو تعاطى قتل الناقة والسيف. والتعاطي: تناول الشيء بتكلف. ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: الناقة.

[٣٠-٣١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴿صاح بهم جبرائيل ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ كالشجر المنكسر اليابس الذي مرّ عليه زمان طويل. والمحتظر: من يعمل الخطيئة لماشيته، أو هو الحشيش الذي يجمعه ليعلفها به في الشتاء.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ لم يُعد حديث الإنذار كما أعاده في قصة هود؛ اكتفاءً به، وكذلك يعده في قوم نوح؛ لأنهم بذلك أولى إذ هم أظلم وأطغى، وتركه رأساً في قصة لوط، لتكرره مراراً، وترك ذكر التيسير والادكار في آل فرعون؛ لأنها آخر القصص فاختصر؛ [٣١/١] ليدل الاختصار على الاختصار^(٣). فهذا من أسرار التنزيل لله دره.

[٣٣-٣٤] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴿ريحاً تحصبهم أي: ترميهم بالحجارة. وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العذاب قلب الأرض وإمطار الحجارة عليهم والرمي بالحصباء. ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ هو قبيل الصبح صرف؛ لأنه لم يرد به معين وإلا فعلم وعدل. وقد يطلق على ما بعد انصداع الفجر. فقيّد^(٤) الأول بالأعلى، ومنه حديث

(١) هو: قدار بن سالف عافر ناقة ثمود، يضرب به المثل في الشؤم يقال: "أشأم من قدار". انظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٧/٣١). وإكمال الكمال لابن ماكولا [دار الكتاب الإسلامي - القاهرة] (١٠٤/٧).

(٢) أخرجه أحمد، كتاب مسند الكوفيين، باب بقية حديث عمار بن ياسر (رقم: ١٧٦٠٢) بلفظ: ﴿إِلَّا أَحَدُنْكُمْ مَا بَأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَحْيِمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلِيٌّ هَذِهِ يَعْني قَرْنَهُ حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ يَعْني لِحْيَتَهُ)). والحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، ذکر إسلام أمير المؤمنين علي عليه السلام (رقم: ٤٦٧٩).

(٣) "الاقتصار" ساقط من (د) ٣٠٩/ب، والمثبت من (ح) ٥٠٩/ب، و (ر) ٤٦٠/أ.

(٤) في (ح) ٥٠٩/ب: فيفيد.

عائشة^(١) رضي الله عنها: ((ما ألقاه السحر الأعلى عندي إلا نائمًا))^(٢) وذلك؛ ليكون في صلاة الصبح على نشاط، بخلاف ما إذا وصل بين التهجد وبينها.

[٣٥] ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ إنعاماً عليه تفضلاً. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ بالإيمان والطاعة كائناً من كان.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ كذبوا بها متشاكين.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ جبرائيل ومن معه من الملائكة ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ مسحناها بحيث لم يبق لها أثر بل بقيت كسائر أجزاء الوجه. طمسها جبرائيل لما دخلوا بيت لوط، بقوا يترددون في الأزقة لا يهتدون إلى منازلهم، وشرعوا يتهددون لوطاً أن إن أصبحنا لنفعلن بك كذا وكذا، فكانوا وقت الصبح في مهم آخر. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ على تقدير القول من الملائكة.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أول طلوع الفجر ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم إلى النار.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الأول قيل لهم عند الطمس، وهذا عند قلب الأرض.

(١) هي: الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست أو سبع، وبنى بها وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وهي أشهر نساته رضي الله عنها. توفيت سنة ٥٨هـ، ودفنت في البقيع. انظر: الإصابة لابن حجر (١٣٩/٨). وأسد الغابة لابن الأثير (١٨٨/٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر (رقم: ١٠٦٥). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ (رقم: ٧٤٢).

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أعاده في كل قصة؛ تجديداً للإيقاظ، وحثاً على الاتعاظ لئلا تستولي عليهم الغفلة. وهذا شأن كل تكرير في القرآن.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ الإنذارات. واكتفى بالآل؛^(١) للعلم بأنه شر منهم.

[٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ مع كثرتها، وهي الآيات التسع. لم يعطفه بالفاء؛ اكتفاء بالاتصال معني، وإشارة إلى شدة كفرهم كأن تكذيبهم كان مع مجيء تلك الآيات، ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ بأن طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لحظة طرف كأن لم يكونوا.

[٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ﴾ المهلكين زينة وأموالاً وقوة وأسباباً، أو لِينِ شَكِيمَةٍ وَعِنَادًا. أي: ليس الأمر كذلك بل هؤلاء أقل أسباباً وأكثر كفراً وعناداً ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ بأن لا عذاب عليكم. الزبير: الكتب السماوية، جمع زبور من زيره: كتبه.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ﴾ أفرد الضمير باعتبار لفظ الجميع، وعدل عن الخطاب كأنه يحكي جهلهم لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عتاب عبده: أو به جنون؟!

[٤٥] ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ الأدبار، أفرده لإرادة الجنس، أو باعتبار كل واحد. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقُبَّةِ يَثْبُ فِي دِرْعِهِ وَهُوَ يَتْلُو ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾))^(٢)، وعن عكرمة أن عمر قال: كنت

(١) "بالآل" ورد في (ر) ٤٦٠/ب: بالأول.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (رقم: ٤٤٩٧) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا تُعَبِّدْ بَعْدَ الْيَوْمِ فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ وَهُوَ يَثْبُ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ

أقول أيّ جمع يهزم^(١)؟. فلما رأيت رسول الله ﷺ يوم بدر يثب في الدرع وهو يتلوها عرفت تأويلها^(٢).

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ من القتل والأسر. والداهية: داء لا دواء لها، وإنما أعاد لفظ الساعة؛ قهويلاً، ولثلاً يتوهم عود الضمير إلى وقعة بدر.

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نيران في الآخرة، أو في ضلال وجنون. ناقة مسعورة أي: مجنونة.

[٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ظرف لسعر، أو بدل اشتمال منه. ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: يقال لهم هذا القول في ذلك الحين؛ تقریباً وإيفاء لحق السامعة من العذاب. والمس مستعار للإيلام كما يقال: ذاق طعم الموت. وسقر: علم نار الآخرة، من سقره وصقره إذا لَوَّحَهُ^(٣) قال ذوالرمة^(٤):

يُقُولُ: سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)). والنسائي في السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار البنداري - سيد كسروي حسن [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ، ط١] كتاب التفسير، قوله تعالى ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (رقم: ١١٥٥٧). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب الاختيار في التحرز (رقم: ١٧٧١٠).

(١) "يهزم" ورد في (ح) ٥١٠/أ: سيهزم.

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٧٨/٤). والكشاف للزمخشري (٤/٤٣٩). والمحرم الوجيز لابن عطية (٢٢٠). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٧).

(٣) "لَوَّحَهُ" ورد في (ر) ٤٦٠/ب: لوجه.

(٤) هو: غيلان بن عقبة بن نيس العدوي، من مضر، ولد في سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ م، عاصر الفرزدق وجريز، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، كان مقيماً بالبادية، امتاز بإجادة التشبيه. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بلذي الرمة. توفي سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م. نظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر [دار المدني - جدة] (٥٣٥/٢). وشذرات الذهب لابن العماد (١٢٢/١ - ١٢٣).

بَأَفْنَانٍ مَرَبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعِيلٍ^(٣) إِذَا ذَابَتْ^(١) الشَّمْسُ أُبْقَى^(٢) صَعْرَاتُهَا...

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ منصوب بمضمّر مفسر أي: خلقنا كل شيء وأوجدنا ملتبساً بما سبق من التقدير في الأزل، وسطر في اللوح. روى مسلم والترمذي أنّها

(١) "ذَابَتْ" ورد في الأصل و (ر) ٤٦٠/ب: ذاب، والمثبت من (ح) ٥١٠/ب.

(٢) "أُبْقَى" ورد في (ح) ٥١٠/أ و (ر) ٤٦٠/ب: بقي، والمثبت من الأصل.

(٣) "مُعِيل" ورد في (ح) ٥١٠/أ: معيل.

والبيت لذي الرمة من الطويل، وقد ورد بلفظ مختلف عن النص حيث يقول:

إِذَا ذَابَتْ الشَّمْسُ اتَّقَى صَعْرَاتِهَا
بَأَفْنَانٍ مَرَبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعِيلٍ

والمكان المربع: الذي أصابه مطر الربيع. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٧٠/٨). والأماي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م] (٦٨/١). وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني [دار الكتب العلمية - بيروت] (١١١/١). والشاهد فيه: (صعراتها) أي: شدة حر الشمس إذا وقع على رأس الإنسان.

نزلت في أهل القدر^(١). وعن زرارة^(٢) أن رسول الله ﷺ لما تلاها قال: هذه في أناس من أمّتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بالقدر^(٣).

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ إلا فعلة واحدة، دفعة بلا آلة وأسباب ﴿كَلِمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾ في سرعة التكوّن، كقوله كن فيكون.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم ومن شايحكم في الاعتقاد ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ بمصيبة أولئك.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ثابت فيه مسطور، فيجازون به.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ قولاً كان أو فعلاً أو اعتقاداً ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب لا

محالة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (رقم: ٤٨٠٠) بلفظ: "عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ {سورة القمر، الآية: ٤٨-٤٩}. والترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقدر (٢٠٨٣). وابن ماجه في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [دار الفكر - بيروت] باب في القدر (رقم: ٨٣).

(٢) لم أجد من ترجم له في كتب الطبقات سوى ابن حجر الذي ذكره باسم: زرارة الأنصاري حيث أشار إلى روايته للأثر الوارد في المتن. روى ابن شاهين وابن مردويه من طريق عمر أبي حفص عن خالد بن سلمة عن سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي عن بن زرارة الأنصاري عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآيات ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ {سورة القمر، الآية: ٤٧} إلى قوله ﴿بِقَدَرٍ﴾ فقال: أنزلت هذه الآيات في أناس يكونون في آخر أمّتي يكذبون بالقدر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥٦٢/٢).

(٣) ذكره ابن حجر في ترجمته لزرارة الأنصاري وقال: أخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه من وجه آخر. انظر: الإصابة (٥٦٢/٢). وأيضاً أخرجه أبو داود مختصراً عن عبد الله بن عمرو بلفظ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكْذِبُونَ بِالْقَدْرِ". كتاب السنة، باب لزوم السنة، (رقم: ٣٩٩٧).

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ وضياء وسعة، أو في أنهار، واكتفى باسم الجنس.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ بدل من في جنات، سميت به؛ لأنها منزل الصادقين، أو لأنها مكان مرضي كما يقال: رجل صدق أي: مرضي الخصال محمود^(١) الفعال. ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ حال من المستكن في الخبراء، مقربين ذوي رتب عند سلطان كامل الاقتدار. ولا ألد للنفس من قرب الملوك؛ ولذا تبذل^(٢) الأموال أو الأرواح دونه مع ملوك الدنيا.

تمت سورة القمر، والله الحمد في الأصال والبكر. والصلاة على صفوة عدنان ومضر، وآله وصحبه من هاجر أو آوى ونصر.

(١) "محمود" ورد في (ر) ٤٦١/أ: محمودة.

(٢) "تبذل" ورد في جميع النسخ: يذل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

سورة الرحمن

مكية، ست وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ هذه السورة مقصورة على بيان نعم الدارين التي لها شأن؛ لأن إحصاء الكل محال؛ فلذلك صدرها بالاسم الدال على جلائل نعم البراعة للاستهلال، وبدأ بأجلها وهي نعم الدين، ثم اختار أعلاها شأنًا وأسناها مكاناً وهي القرآن الحاوي لأصول الدين وفروعه الموضح للسبل، المصدق لسائر الكتب والرسول. ولما كان كمال الإنسان في تكميل قوته النظرية، وهو الغاية المطلوبة من خلقه؛ قدم تعليم القرآن، ثم أردفه بما يتوقف عليه بقوله:

[٤-٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿ المنطق الفصيح المعرب عما في^(١) الضمير الذي لا يمكن تعلم القرآن وتعليمه إلا به. وأتى بالجمل الثلاث على نمط التعديد؛ إشارة إلى تقاعد الإنسان عن الوفاء بشكرها كما تقول فيمن قصر في مكافأة معروفك: "يا هذا كنت صغيراً ربيتك، محتاجاً أعطيتك، ضائعاً آويتك". ثم بعد قضاء الوطر من هذا الأسلوب، أفاض في تعداد النعم واحدة إثر أخرى على النمط المعروف بحرف النسق مراعيًا التقارب والتناسب بقوله:

(١) "في" ساقط من (ح) ٥١٠/ب.

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجري كل منهما في منازلهم وبروجه بلا اختلال؛ ليضبط^(١) بذلك أحوال الكائنات، ويتميز به^(٢) الفصول والأوقات.

[٦] ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ينقادان لأمره فيما خلقا له. شبه ذلك بسجدة المكلف. و^(٣)النجم: نبت لا ساق له^(٤)، والشجر: ماله ساق^(٥)، وارتباط الجملتين بما تقدم معنوي؛ وذلك أنه لما رمز إلى تقاعده في الشكر أخذ في تعداد نعم أخرى حثاً له على ما طلب منه، ولو عطف لم يفد هذا الغرض. فيهما إشارة إلى أن ما في العالم العلوي والسفلي قائم بما خلق له، والإنسان مع كونه المقصود من الكون خسر^(٦) بذلك، وكان ظلوماً جهولاً.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ شرفاً ورتبة؛ لأنها منشأ أحكامه، ومصدر قضاياه، ومنزل أوامره ونواهيه، أو مكاناً فوق الأرض كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٧). دل به على علو شأنه وعظم كبريائه وسلطانه، مع كونه مبدأ جوده وإحسانه. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ قانون الشرع الذي به النظام والوفاق بين الأنام الذي هو لأفعال المكلفين كالمكيال والمقياس الذي يعرف به الأشباه والأمثال.

(١) "ليضبط" ورد في (ر) ٤٦١/أ: ليضبط.

(٢) "ويتميز به" ورد في (ح) ٥١٠/ب: يتميزه.

(٣) "و" ساقط من (ح) ٥١٠/ب.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور "نجم" (٥٦٨/١٢).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور "نجم" (٥٦٨/١٢). و المغرب في ترتيب المغرب لأبي الفتح بن عبد السيد بن علي المطرزي [دار الكتاب العرب - بيروت] (٤٣٢).

(٦) "خسر" ورد في الأصل ٣١١/أ: خس، وفي (ر) ٤٦١/أ: خس، والمثبت من (ح) ٥١٠/ب.

(٧) جزء آية من سورة الأنبياء، الآية: ٣٢.

[٨] ﴿أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ﴾ لا تتجاوزوا بالزيادة والنقصان، فيورثكم الندم والخسران.

[٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ اجعلوا وزن أعمالكم قويمًا لا عوج به بالعدل السوي، وهو ما قننه الشارع. ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ لا تنقصوا ما وجب عليكم عن حقه. أعاده مبالغة في التوصية.

[١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ بسطها مدحوة؛ لئلا يشق عليهم التصرف والتردد في اكتساب المعاش والمعاد. والأنام^(١): الإنس والجن كذا عن الحسن^(٢)، أو كل ذي روح.

[١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به. ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ جمع كِمّ بالكسر وهو وعاء الطلع، أو أريد به كل ما يغطي من ليفه وسعفه وكُفْرَاهُ^(٣). وبالجملة ليس في شجر النخل مالا ينتفع به؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً مِثْلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ... ثم قال إنها النَّخْلَةُ))^(٤)، وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة ليس كذكر جبرائيل بعد الملائكة.

(١) الأنام: قيل: ما ظهر على الأرض من جميع الخلق. وقال المفسرون في قوله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ {سورة الرحمن، الآية: ١٠}: هم الجن والإنس. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٧/١٢).

(٢) هو: الحسن بن يسار التابعي البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، سمع من ابن عمر وأنس و عمران بن حصين وغيرهم، وسمع منه خلق كثير. توفي سنة ١١٠هـ. انظر: حلية الأولياء للأصفهاني [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط ٤] (١٣١/٢). وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (١٦٢/١).

(٣) كُفْرَاهُ - بالضم وتشديد الراء وفتح الفاء وضمها مقصور - هو وعاء الطلع وقشره الأعلى. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (١٨٩/٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم (رقم: ١٣١) بلفظ: "عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أمها النخلة قال عبد الله: فاستحييت فقالوا يا رسول الله: أخبرنا بما، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة، قال عبد الله:

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ كالبُرِّ وسائر الحبوب، و^(١)العصف^(٢): ورق النبات. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ لب الحَبِّ وما يؤكل منه؛ ولذلك فسر بالرزق. استوعب أقسام ما يتناول في حال الرفاهية؛ لأنه إما للتلذذ وهو الفاكهة، أو له وللتغذي وهو ثمر النخل، أو للتغذي^(٣) وحده وهو الحب. وفي ذكرها على هذا الأسلوب ترق من الأدنى إلى ما هو أدخل في الامتنان. وقرأ ابن عامر الثلاثة^(٤) بالنصب عطفاً على الفعلية بتقدير خلق. وعليه رسم الشام، ونافع وابن ذكوان^(٥) وابن كثير وأبو عمرو وعاصم برفعها عطفاً على الاسمية أي: فيها فاكهة وفيها الحب. وعليه بقية الرسوم. وقرأ حمزة والكسائي بجر الثالث ورفع الأولين أي: ذو العصف والريحان أصله روحان، قلبت واوه ياء تخفيفاً. أو ريوحان حذف واوه فوزنه فيلان.

[١٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للتقلين؛ لما تقدم ذكرهما في الأنام، ولقوله: ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾. عن جابر ((قرأ رسول الله ﷺ علينا سورة الرحمن إلى آخرها ثم

فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا". ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (رقم: ٢٨١١).

(١) "و" ساقط من (ر) ٤٦١/ب.

(٢) العصف: قيل: هو الورق، وقال الفراء: ذو الورق والرزق. وقال أيضاً: العصف: ساق الزرع، والريحان: ورقه. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢/٤٦٠).

(٣) "للتغد وهو ثمر النخل" ورد في (ح) ٥١٠/ب زائداً.

(٤) "الثلاثة" ورد في (ر) ٤٦١/ب: الثلاثة، والمثبت من الأصل ٣١٢/أ و (ح) ٥١٠/ب.

(٥) "ابن ذكوان" ساقط من الأصل و (ح)، والمثبت من (ر) ٤٧١/ب.

هو: عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الإمام الثبت، الحافظ، أبو عبيدة العنبري مولاهم، البصري التنوري المقرئ، قرأ القرآن على أبي عمرو وأقرأه، وقرأ أيضاً على حميد بن قيس المكي، وكان عالماً مجوداً من فصحاء أهل زمانه، ومن أهل الدين والورع. توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٣٠٠). والثقات لابن حبان (٧/١٤٠).

وطبقات الحفاظ للسيوطي (١/١١٦).

قال^(١): قرأتها على الجن كانوا أحسن رداً منكم كلما أتيت إلى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
قالوا: لا بشيء من آلائك نكذب ربنا ((^(٢)).

[١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ من طين يابس له صلصلة أي: صوت.
﴿كَالْفَخَّارِ﴾ كالخزف، وعبر عنه بالطين اللازب والحمأ المسنون والتراب أيضاً باعتبار انقلابه
في الأطوار.

[١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو أبلّيس ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ أي: من نار
صافية، أو مختلطة بالدخان. ومنه الأمر المريج. "من" بيان، أو من [١/٣١١] نار مخصوصة ممتازة
عن هذه النيران؛ فلهذا نكره فـ"من" ابتدائية.

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إذ إفاضة الجود^(٣) أجلّ الإنعامات وأولاها.

[١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما.

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى.

[١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أرسلهما متلاقين، من مرجت الدابة أرسلتها.

[٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(١) حاجب من قدرته يمنع أحدهما من التعدي على

الآخر بالاختلاط.

(١) "قال" ساقط من (ح) ٥١١/أ.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن (رقم: ٣٢١٣). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن (رقم: ٣٧٦٦). والبيهقي في شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ، ط١] فصل في فضائل السور والآيات، ذكر المفصل (رقم: ٢٤٩٣).

(٣) "إذ إفاضة الجود" كذا ورد في (ر) ٤٦١/ب وهو الصواب، وفي الأصل (ح) ٥١١/أ: إذا إفاضة الجود.

[٢١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١) إذ في ذلك من الآيات ما يدل على كمال اقتداره الموصل إلى الإيمان الذي كل نعمة دونه. وتفسير الالتقاء بتماس السطوح، ثم تفسير البرزخ بحاجب من الأرض، وحمل البحرين على بحر فارس والروم غير سديد^(٢).

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أحدهما أبيض يقق^(٤)، والآخر أحمر قانئ^(٥)، وهما من خواص الملح دون العذب، وإنما قال منهما؛ لاتصالهما في المرأى. والقول بأنهما يخرجان من مجمع البحرين ترده^(٦) المشاهدة.

قرأ نافع وأبو عمرو بضم الياء وفتح الراء، والباقون بالعكس. والأولى الأصل، والثانية التعبير باللازم.

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وكونهما من فواخر النعم غني عن البيان.

[٢٣] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن الجارية في البحر ﴿الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ المرفوعات الشرع. وقرأ حمزة بالكسر أي: رافعات الشرع أو الموج أو السير اتساعاً، أو المبتدئات في الفعل، من أنشأ: شرع في الفعل.

(١) "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" ورد في الأصل و (ر) ٤٦١/ب زائداً.

(٢) "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" ساقطة من (ر) ٤٦١/ب.

(٣) روي هذا القول عن الحسن وقتادة. انظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد [مكتبة الرشيد-الرياض-١٤١٠هـ-ط١] (٣/٢٦٣). وتفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب [المكتبة العصرية-صيدا-] (٨/٢٧٠٨).

(٤) البقق: المتناهي في البياض. يقال: أبيض يقق، وقد تكسر القاف الأولى أي: شديد البياض. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٥/٢٩٨).

(٥) قنأ الشيء يقناً قنوءاً: اشتدت حمته. وفي الحديث: مررت بأبي بكر فإذا لحيته قانئة أي: شديدة الحمرة. انظر: لسان العرب لابن منظور (١/١٣٤-١٣٥).

(٦) "ترده" ورد في جميع النسخ: يرده، ولعل الصواب ما أثبتناه.

﴿كَأَلْعُلَامٍ﴾ كالجبال الشامخة. قالت الخنساء^(١):

كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ^(٢) نَارًا^(٣)

[٢٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لما في ذلك من الدلائل الدالة على كمال علمه تعالى واقتراره، وما في ضمنه من منافع العباد.

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي: على الأرض من الموجودات، و﴿مَنْ﴾ لتغليب العقلاء؛ لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، والاقتران على من على الأرض؛ لأنه في تعداد النعم، وأشار إلى العموم بقوله:

[٢٧] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته. يجوز به أولاً عن الجملة كاليد والعين، ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل فيمن تنزهه عن الأجزاء^(٤). ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي:

(١) هي: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، أشهر شاعرة العرب وأشعرهن على الإطلاق، أدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستشدها ويعجبه شعرها. توفيت سنة ٢٤ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٤٤/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٧/٤).

(٢) " في رأسه " ورد في جميع النسخ: من فوقه، والمثبت من كتب الشعر. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ] (١٥٥/١).

(٣) البيت من البسيط للخنساء ترثي أخاها صخرًا:

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمَّ الْهُدَاةُ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا

انظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١٥٥/١). وديوان المعاني لأبي هلال العسكري [دار الجليل - بيروت] (٤١/١).
وخزانة الأدب للبغدادي (١١٣/٨). والعقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي [دار إحياء التراث العربي - بيروت/لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط٣] (١٢٤/١). استشهد به المؤلف؛ للدلالة على أن الأعلام بمعنى الجبال.

(٤) " الأجزاء " ورد في (ر) ٤٦٢/أ: الأخرى.

الذي يجله الموحدون وينسبونه^(١) إلى الكرم، أو الذي جدير بأن يقال: ما أجله وما أكرمه قيل أو لم يقل. وتقدم صفة السلب، لأنه في مقام الجلال، وقهر الخلق بالفناء.

[٢٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لما في ذلك من العلم بكمال الصانع وكبريائه، مع الوصول إلى الجزاء والحياة الأبدية.

[٢٩] ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لافتقار الكل إليه ابتداء وبقاء. روي أنه تعالى لما لعن إبليس وطرده من جواره، وكان من الحافين بالعرش بكى جبرائيل وميكائيل فسألهما الرب تعالى وهو أعلم بهما لم تبكيان؟ قالوا: يا ربنا من خوفك. فقال: هكذا كونا راهبين^(٣). ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يسعد ويشقى، ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، شؤون يديها لا شؤون يتديها.

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لما في ذلك من دفع الضر وجلب النفع، والاعتبار والتذكر المنجي من عقابه.

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ كناية عن التوفر^(٤) للانتقام وتوجه الإرادة إليه، أو تمثيل بأن مثل حاله تعالى بعد انتهاء الشؤون إلى واحد وهو الأخذ بالجزاء بحال من له سابقة اشتغال عن شيء ثم فرغ له. والثقلان: الإنس والجن؛ لأن الأرض لهما كالحمولة. قرأ حمزة و أبوبكر في وجه ﴿سَيَفْرُغُ﴾ بالياء.

[٣٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لما في هذا التهيب من الحث على الطاعة.

(١) " ينسبونه " ورد في (ر) ٤٦٢/أ: ينونه.

(٢) "يا" ساقطة من (ر) ٤٦٢/أ.

(٣) انظر: الكبائر للذهبي (٢٢٧).

(٤) "التوفر" في (ر) ٤٦٢/أ: التوفر.

[٣٣-٣٤] ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ من ملكوتي لتنجو بذلك من قهري ﴿فَانْفُذُوا﴾ أمر تعجيز^(١) وفي معناه ﴿أَمْ
حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢) وقيل: المراد به يوم الحشر؛
فإن الملائكة يحدق بهم سبعة صفوف. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمَدُ أَيَّنَ الْمَفْرُ﴾^(٣). وتقدم الجن؛
لأنهم أعتى وأشد قوة ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ وأنى لكم ذلك.

[٣٥-٣٦] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهب مركب من النار والدخان. وعن ابن
عباس: "نار لا دخان فيه"^(٤). وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين. ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾ صفرٌ
مذابٌ يحشر الناس إلى الموقف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالجر عطفاً على الجرور أي: من
نار ومن نحاس على أن المراد به الدخان. وأنشد^(٥):
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا.^(٦)

(١) "تعجيز" في (ح) ٥١١/ب: تعجيزي.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٠.

(٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٢٤٨/١٠).

(٥) "أنشد" ورد في (ر) ٤٦٢/ب: نشد.

(٦) البيت للناطقة الجعدي من المتقارب. انظر: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع [دار
الأرقام - بيروت] (٢١/١). وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي الخزومي/إبراهيم السامرائي [دار
ومكتبة الهلال] (١٤٤/٣). والكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المراد تحقيق: عبد الحميد هندراوي [دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ، ط ١] (٩٩/١). وخزانة الأدب للبغدادي (٢٨٩/٢). والشاهد فيه (... فيه نحاساً)
أراد به الدخان.

والرفع أبلغ وإليه ذهب ابن عباس ﴿فَلَا تَتَّصِرَانِ﴾ فَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿فَإِنْ فِي﴾ التهديد كبح عنان العاصي، وحث الطائع على المزيد.

[٣٧] ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ قطعة حمراء كلون الورد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوردة أديم أحمر^(١). ﴿كَالدَّهَانِ﴾ كالزيت المذاب الذي يدهن به. كقوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾^(٢) والمعنى: أنها تذوب من حر نار جهنم. والدهان: كل ما يدهن به كالخزام^(٤) واللثام والختام.

[٣٨-٣٩] ﴿فَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ [٣٨/ب] لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿هَذَا فِي أَوَّلِ الْحَالِ قَبْلَ شَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ، فَلَا يَنَافِيهِ﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥) والهاء للإنس والجان؛ لتقدمهما رتبة.

[٤٠] ﴿فَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿لَمَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ النِّعِيمِ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم سواد الوجه وزرقة العين ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ مجموعاً بينهما، أو على التعاقب.

(١) "في" ساقط من (ح) ٥١٢/أ.

(٢) لم أعره عليه.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٨.

(٤) "كالخزام" ورد في (ر) ٤٦٢/ب: كالخزام.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩٢.

(٦) جزء آية من سورة يونس، الآية: ٦٢.

[٤٢-٤٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ بلغ نهاية الحرارة. يحترقون بالنار ويشربون من ذلك الحميم.

[٤٥-٤٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴿الوقوف﴾^(١) بين يديه ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) كقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾^(٣)، أو لفظ المقام مقحم أي: لمن خاف الله كقول الشماخ^(٤):

..... وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(٥)

﴿جَنَّاتٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: لكل واحد إحداها للاعتقاد والأخرى للعمل، أو إحداها لترك المعاصي والأخرى لفعل الطاعات. وجعل إحداها للخائف من الإنس والأخرى للخائف من الجن بعيد مخالف للأحاديث^(١).

(١) ورد في الأصل ٣١٣/أ: الوقف.

(٢) سورة المطففين، الآية: ٦.

(٣) جزء آية من سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

(٤) هو: الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لييد والنابعة. كان شديد متون الشعر، وكان أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م. انظر: الإصابة لابن حجر (٣/٣٥٣). والوافي بالوفيات للصفدي (١٦/١٠٣).

(٥) البيت للشماخ بن ضرار الذبياني من الوافر، وبدايته:

دَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ
مَقَامَ الذَّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٤/٣٢٠). وتاج العروس للزبيدي (٣٦/١١٨). وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب [دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، ط ١] (٢/٢٤٠). وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (١/٥). الشاهد فيه (مقام الذَّبِّ) أراد به الذَّبِّ نفسه وأقحم كلمة مقام قبله.

[٤٨] ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ جمع فَنَنٌ^(٢): وهو الغصن. خصها بالذكر؛ لأنها التي ينتفع بظلالها وثمارها وحسن المنظر بأوراقها، أو جمع فن أي: أنواع من الثمار.

[٤٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حيث أعد لكم هذا وأنتم بعد في العدم.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ كيف شأؤوا إحداهما السلسيل، والأخرى تسنيم. روي أنهما ينبعان من جبل من مسك^(٣). والوصف بالجرعان؛ لتوفير حظ الباصرة فإن النظر إلى الماء الزلال أجلب شيء للسرور.

[٥١-٥٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان مما تعلمون^(٤) ومما لا تعلمون، أو رطب ويابس لثلا يُمل.

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وأي نعيم أفضل من هذا التنويع؟

[٥٤] ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من حرير غليظ، وظهائرها من سندس. نصب على المدح، أو حال من فاعل "خاف"؛ لأنه في معنى الجمع. ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ دان قريب يناله القاعد والمتكئ. اسم بمعنى الجني.

(١) "للأحاديث" ورد في الأصل: الأحاديث، والمثبت من (ح) ٥١٢/أ و (ر) ٤٦٢/ب.

(٢) أفنان: أغصان، واحدها فنن. انظر: غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، [دار قتيبة للنشر - ١٤١٦هـ] (١/٨٢).

(٣) أخرج نحو هذا أبو حاتم في تفسيره فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيع عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: قال عبد الله: أثمار الجنة تفجر من جبل من مسك. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٩١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٧٧).

(٤) في (ح) ٥١٢/أ، و (ر) ٤٦٢/ب: تعملون.

[٥٥-٥٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الجنان التي لكل واحد منها^(١) جنتان، أو في الجنتين؛ لاشتمالها على الأمكنة، أو في الآلاء المعدودة. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على أزواجهن لا ينظرن الغير. ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ بُرْسِكُمْ﴾ ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فهن^(٢) أبكار^(٣) كما خلقن. وقرأ الكسائي في رواية الدوري^(٤) هنا بضم الميم وكسرها في الثانية، وفي رواية الليث^(٥) عنه بالعكس، وفي رواية الجوهري^(٦) بالمرجان^(٧) خير الكسائي بين ضم إحداهما و كسر الأخرى على التعاند. وهذا أحسن جمعاً بين اللغتين بلا ترجيح من غير مرجح.

(١) "منها" ورد في (ر) ٤٦٢/ب: منهما.

(٢) "فهن" ورد في جميع النسخ: فهي، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) "أبكار" ساقط من (ح) ٥١٢/ب.

(٤) هو: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الأزدي البغدادي، إمام القراء، وشيخ العراق في عصره، ثقة ثبت، قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وعلى العلاء والكسائي. له مؤلفات. منها: "أحكام القرآن"، "السنن"، "فضائل القرآن". توفي سنة ٢٤٦هـ. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري [دار صادر - بيروت ١٤٠٠هـ] (٥١٢/١). ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٥٧/١).

(٥) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، إمام أهل مصر في عصره، كانت له مكانة عظيمة، روى القراءة عن نافع، روى عنه ابنه شعيب وابن وهب والحلواني. أصله من خراسان ومولده في قلقشندة سنة أربع وتسعين ووفاته بالقاهرة في شعبان سنة ١٥٧هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢٩٠/١). والوفاي بالوفيات للصفدي (٣٠١/٧).

(٦) هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، التركي اللغوي، صاحب الصحاح، أحد أئمة اللسان، كان في جودة الحفظ في طبقة ابن مقلة ومهلل، أصله من فاراب من بلاد الترك، أكثر الترحال ثم سكن بنيسابور. قال القفطي: أنه مات متردياً من سطح جامع نيسابور، وقيل: مات في حدود ٤٠٠هـ. انظر: شذرات الذهب لابن العماد (١٤٢/٣). ودمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي القاسم علي بن الحسن البخارزي، تحقيق: عبد الفتاح محمد حلو [دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧١م] (٢٣١/١).

(٧) "الجوهري بالمرجان" ساقط من (ح) ٥١٢/ب، و (ر) ٤٦٣/أ.

[٥٨] ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ في صفاء الياقوت وبياض المرجان. روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لِكُلِّ وَاحِدٍ زَوْجَتَانِ يُرَى مَخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ))^(١). وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه: ((مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً))^(٢).

[٦٠-٥٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿ أَي: لا يكون إلا ذلك.

[٦٢-٦١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جَنَّاتٌ ﴿ دون الجنتين الأولين في الشرف، هما للمقربين وهاتان لأصحاب اليمين. روى البخاري عن عبد الله بن قيس^(٣) عن

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة (رقم: ٣٠٧٤). ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسييحهم فيها بكرة (رقم: ٥٠٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب في صفة نساء أهل الجنة (رقم: ٢٤٥٦). وابن حبان في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤١٤هـ، ط٢] باب وصف الجنة وأهلها، ذكر الأخبار عن وصف نساء الجنة اللاتي أعدها الله جل وعلا للمطيعين من أوليائه (رقم: ٧٣٩٦). والدارمي في سننه، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي - خالد السبع العلمي [دار الكتاب العربي - بيروت- ١٤٠٧هـ، ط١] باب في صفة الحور العين (رقم: ٢٨٣٢).

(٣) هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن الأشعر، أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معاً، أسلم وهاجر إلى الحبشة، وقيل: بل رجع إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى الحبشة وهذا قول الأكثر. قدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، وكان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين. توفي سنة اثنتين وأربعين، وقيل: أربع وأربعين، وقال الهيثم وغيره: مات سنة خمسين، وقال المدائني: سنة ثلاث وخمسين. انظر: الإصابة لابن حجر (٢١١/٤). والاستيعاب لابن عبد البر (٩٧٩/٣). ومعجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراحي [مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة- ١٤١٨هـ، ط١] (١٢٤/٢).

أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما))^(١). وفي اللفظ دلالة على مزية الأولين.

[٦٤-٦٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿سوداوان من الرِّيِّ. في مقابله ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾^(٢)

[٦٦-٦٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿في مقابلة ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾^(٣) والنضخ: الفوران، أقل من الجري.

[٦٨-٦٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿أفردهما؛^(٤) لبيان شرفهما على سائر الفواكه كأنهما جنسان آخران، أو لاشتمالهما على غير التفكه كالغذي في التمر، والتداوي وفي الرمان؛ ولذلك ذهب أبو حنيفة^(٥) رحمه الله إلى أن من

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ومن دولهما جنتان (رقم: ٤٥٠٠) ((عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال...))؛ لأن عبد الله بن قيس هو الصحابي أبو موسى الأشعري الراوي عن رسول الله ﷺ. ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رهم سبحانه وتعالى (رقم: ١٨٠).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٨.

(٣) جزء آية من سورة الرحمن، الآية: ٥٠.

(٤) "أفردهما" ورد في (ر) ٤٦٣/أ: أفردهما.

(٥) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، فقيه أهل العراق، وإمام أصحاب الرأي. رأى أنساً وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء وعاصم بن أبي النجود والزهري وقتادة وخلق، وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وزفر وخلائق، كان خزازاً يبيع الخبز. قال ابن معين: كان ثقة لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه، ولد سنة ثمانين، ومات سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١/٨٠). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٣٩٠).

حلف^(١) لا يأكل الفاكهة لا يحنت بأكل أحدهما^(٢). والوجه هو الأول إذ هذا إنما يتصور في فاكهة الدنيا؛ لأن كل ما يتناول في الجنة لا يتناول إلا على وجه التفكه.

[٧٠-٦٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿﴾ جميلات حسان الأخلاق، تخفيف خيرات صفة لا اسم^(٣) تفضيل. إذ ذاك لا يجمع هذا الجمع.

[٧٢-٧١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿﴾ مخدرات^(٤) لا يخرجن، أو مقصور طرفهن على أزواجهن.

[٧٦-٧٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرَفٍ خَضِرٍ ﴿﴾ وسائد من حرير أخضر؛ لأنه لون مفرح، ويقال أيضاً للبسطة ولأطراف الخيمة وكل ثوب أخضر. ﴿وَعَبَقْرِيٌّ حِسَانٌ﴾ بُسْطٌ حَسَنَةٌ منسوب إلى عبقر. تزعم العرب أنه اسم بلد للجن ينسبون إليه كل شيء عجيب. ومنه في وصف عمر. ((فَلَمْ أَرَّ عَبَقْرِيًّا يَفْرِي فَرِيهَ))^(٥) والمراد به الجنس؛ ولذلك جمع وصفه. [١/٣١٢]

[٧٨-٧٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴿﴾ كثر خيره وازداد. أراد لفظ الرحمن الذي يعقبه هذه النعم، أو كل اسم له فإنه لا يبدأ^(٦) به شيء إلا صار ذا بركة

(١) "حلف" ورد في (ر) ٤٦٣/أ: خلف.

(٢) قال في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٢، ط ٢] (٤٠٧/٦): "وَلَوْ حَلَفَ لَا يَأْكُلُ فَاكِهَةً فَآكَلُ تَفَاحًا أَوْ سَفْرَجَلًا أَوْ كُمَثْرَى أَوْ خَوْخًا أَوْ تِينًا أَوْ إِجَاصًا أَوْ مِشْمَشًا أَوْ بَطِيخًا حِنْتًا وَإِنْ أَكَلَ قِنَاءً أَوْ خِيَارًا أَوْ جَزْرًا لَا يَحْنُ وَإِنْ أَكَلَ عِنَبًا أَوْ رُمَّانًا أَوْ رُطْبًا لَا يَحْنُ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ".

(٣) "لا اسم" ورد في (ر) ٤٦٣/أ: لاسم.

(٤) "مخدرات" ورد في (ر) ٤٦٣/أ: مخدورات.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات التوبة (رقم: ٣٣٦١). ومسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (رقم: ٢٣٩٢).

(٦) "لا يبدأ" ورد في (ح) ٥١٢/ب: لا يبدأ.

ويعن. ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم الكلام فيه. وقرأ ابن عامر ﴿ذُو﴾ مرفوعاً صفة للاسم وفيه مبالغة حسنة.

تمت سورة الرحمن، والحمد لمن له الفضل والإحسان، والصلاة على المبعوث إلى الإنس والجان، وآله وصحبه ذوي الرتب والشان.

سورة الواقعة

مكية، وهي سبع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: القيامة. عبر عنها بالواقعة؛ دلالة على^(١) تحقق وقوعها لا محالة كقولك: حدثت الحادثة. و"إذا"^(٢) ظرف لليس، أو نصب بـ"اذكر"، أو لمقدر^(٣) أي: إذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا أجزل.

[٢] ﴿لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تكذب في الإخبار^(٤) عن عدم وقوعها كالיום كقوله: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^(٥)، أو من كذبت نفسه عند الخطب إذا شجعتة على أمر لا طاقة له به. كأنه قال: هذا الخطب ليس من الخطوب التي تقدر نفس على الكذب مع صاحبها في احتمالها. وعلى الوجهين اللام للوقت. مثلها في ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٦)، أو هو

(١) "على" ساقط من (ح) ٥١٣/ب.

(٢) "إذا" ورد في (ر) ٤٦٣/ب: إذ.

(٣) "لمقدر" ساقط من (ح) ٥١٣/ب.

(٤) "الإخبار" ورد في (ر) ٤٦٣/ب: الأخبار.

(٥) جزء آية من سورة غافر، الآية: ٨٤.

(٦) جزء آية من سورة الفجر، الآية: ٢٤.

كلام على طريقة التمثيل أي: بعد وقوعها ليس نفس تكذب بلسان الحال أو المقال ويقول لها لم تكوني، أو مصدر بمعنى الكذب كما يقال: حمل عليه حملة صادقة. أي: ذات صدق.

[٣] ﴿خَافِضَةٌ﴾ لَأَقْوَامٍ ﴿رَافِعَةٌ﴾ لِأُخْرٍ^(١). لقوم ويل ولقوم نيل.

[٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ حركت تحريكاً عنيفاً كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ﴾^(٢).

[٥-٧] ﴿وُئِسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ سیرت. وفي الحديث: ((إذا فتحت العراق يأتي قومٌ يئسون بأهلهم))^(٣)، أو فُتَّتْ؛ لقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غباراً ﴿مُنْبَثًا﴾ منتشرًا. ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿ثَلَاثَةً﴾.

[٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: أصحاب الجنة هل تدري ما صفتهم، وما هم فيه؟ أقام المظهر مقام المضمرة؛ لما فيه من الفخامة. والميمنة: الجهة التي تسامت أقوى الجانبين، من اليمن وهو البركة. والعرب تتايمن^(٤) باليمين، وتتشاءم بالشمال ويسمونهما الشؤمى^(٥)، أو لأن أهل السعادة يؤخذ بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة ذات الشمال.

(١) "أخر" ورد في (ح) ٥١٣/أ: لأخرى، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب من رغب عن المدينة (رقم: ١٧٧٦). ومسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (رقم: ٢٤٥٩) بلفظ: تَفْتَحُ الشَّامُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَيْسُونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَيْسُونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَيْسُونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

(٤) "تتايمن" ورد في (ح) ٥١٣/ب: يتايمن.

(٥) الشؤمى: ضد اليمنى. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (شأم).

[٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: ما هم، وما صفتهم؟. سيق
للتعجب.

[١٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ مبتدأ وخبر أي: السابقون إلى الإيمان هم الذين بلغك
خبرهم في علو الرتبة ورفعة الشأن^(١) كقوله: "أنا أبو النجم وشعري شعري"^(٢). وتخصيصهم
بالأنبياء مما لا وجه له.

[١١-١٢] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿أي: الموصوفون بالسبق هم
الذين قربت درجاتهم من الله، وأعلت منازلهم في الجنة. استئناف لبيان ذلك الإبهام.

[١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ جماعة كثيرون، من الثلث^(٣) وهو الصب والهدم. خير محذوف
أي: هم.

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وفي تفسير الأولين وجهان. قيل: السابقون على هذه
الأمّة من لدن آدم إلى محمد عليه السلام فالسابقون من أولئك أكثر من سابقي هذه الأمّة.

(١) "علو الرتبة ورفعة الشأن" ورد في الأصل ٣١٢/ب: علو الرفعة ورفعة الشأن، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) القول لأبي النجم، تمامه:

أنا أبو النجم وشعري شعري لله دري ما يجنُّ صدري

أي: شعري هو ذلك المعروف بجزالته وفصاحته وسلاسته. انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (٦٠/١).
والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر [دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان] (٤٧/٦).

وجه الاستشهاد: هو تكرار كلمة "شعري" مرتين، كما كررت "السابقون" في الآية مرتين؛ لأن التكرار أفاد معنىً جديداً
لم يفده الجزء الأول من الكلام، وهو الإخبار عن الجزء الأول بعلو مرتبته ورفعة شأنه. بتصرف عن كتاب الخصائص
لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار [عالم الكتب - بيروت] (٣٣٧/٣).

(٣) التلّة بالضم: الجماعة من الناس، وتلّ الدراهم يتلّها تلاً: صبّها، وتليل الماء: صوت انصبابه. انظر: لسان العرب لابن
منظور (٩٠/١١ - ٩١). والصحاح في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار [١٤٠٢هـ،
ط ٢] مادة "تلل".

وروا هذا عن الحسن، وهذا قول لا سند له. بل السابقون واللاحقون من هذه الأمة، وذلك لما صحَّ ((أن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا^(١)) ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم))^(٢). وقد نطق القرآن بأن هذه الأمة خير الأمم.^(٣) وروى البخاري ومسلم أنه ﷺ قال: ((نحن أقلُّ عملاً وأكثرُ أجرًا)).^(٤) فكيف يكون السابقون من أربعين أكثر من السابقين من ثمانين، مع أن هؤلاء أكثر أجرًا وخيرًا من أولئك بنص القرآن والحديث! بل الأولون هم أوائل هذه الأمة، الذين أشار إليهم بأنهم خير القرون. ﴿السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٥).

[١٥] ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بالدر والياقوت^(٦) داخلًا بعضها في بعض كحلق الدرع، وقيل: متدانية، أدنى بعضها من بعض.

[١٦] ﴿مُتَكِينٍ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ حالان من الضمير في ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾^(٧).

(١) "صفًا" ورد في (ر) ٤٦٣/ب: وصفًا.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، (رقم: ٤٢٧٩). وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به محارب بن دثار (رقم: ٧٥٨٣). وأحمد في مسنده، مسند البصريين، حديث بريدة الأسلمي ﷺ (رقم: ٢٢٩٩٠).

(٣) يريد بذلك قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ {جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١١٠}.

(٤) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ: "قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقلُّ عملاً وأكثرُ أجرًا" كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (رقم: ٦٩١٣). ولم أحده في صحيح مسلم بهذا اللفظ ولا بغيره. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإجارة، باب جواز الإجارة (رقم: ٧٠٢٩).

(٥) جزء آية من سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٦) "الياقوت" ورد في الأصل ٣١٣/ب، و (ر) ٤٦٣/ب: اليواقيت، والمثبت من (ح) ٥١٣/ب.

(٧) جزء آية من سورة الواقعة، الآية: ١٥.

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقون على تلك الهيئة أبداً، لا يعترهم تغير وتبدل من كبر سن، أو في آذانهم الخلدة^(١) وهي القُرْطَة. وعن الحسن: "هم أولاد الكفار"^(٢). والحق^(٣) أنهم أهل الجنة، وقيل: هم الأولاد والأطفال الذين ماتوا من غير عمل^(٤).

[١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ متعلق بيطوف، والكوب:^(٥) ما ليس له عروة ولا خرطوم،^(٦) والإبريق عكس ذلك^(٧)، وهذا التنوع على طريقة أهل الشرب في الدنيا. ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ هو القدح الذي يشرب به^(٨)، والمعين: الجاري^(٩) أي: ليس مثل خمر الدنيا توخمت من مجاورة الدنّ.

[١٩] ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا يحصل لهم بشرها صداع ﴿وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ يسكرون
يقال: أنزف سكر. قال:

(١) "الخلدة" ورد في (ح) ٥١٣/ب: الخلد، والمثبت من الأصل ٣١٣/ب، و (ر) ٤٦٤/أ.

(٢) أخرج عبد بن حميد عن الحسن (يطوف عليهم ولدان مخلدون) قال: لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا في هذه المواضع. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٩/٨).

(٣) "والحق" ورد في (ر) ٤٦٤/أ: إذ الحق، والمثبت من الأصل ٣١٣/ب، و (ح) ٥١٣/ب.

(٤) قال السمرقندي: ويقال: هم أولاد الكفار لم يكن لهم ذنب يعذبون به ولا طاعة يثابون فيكونون خداماً لأهل الجنة. انظر: بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق/د. محمود مطرجي [دار الفكر - بيروت] (٣/٣٧١).

(٥) انظر: الصحاح في اللغة للجوهري مادة "كوب" (١٢٦/٢). والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد مادة "بوك" (٦٩/٢).

(٦) انظر: جامع البيان للطبري (١٠٢/٢٣).

(٧) لم أجد في كتب التفسير وكتب اللغة ما يؤيد هذا القول، وإنما قيل: الكوب: الإبريق المستدير الرأس، الذي لا أذن له ولا خرطوم. انظر: جامع البيان للطبري (٦٤١/٢١). وجمهرة اللغة، لابن دريد، مادة "بلن" (١٧٨/١).

(٨) انظر: مختار الصحاح للرازي (٢٩١). وتهذيب اللغة للأزهري (٢١/٤).

(٩) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، مادة "عمه" (٣٦/٢). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٣٧٠/٣).

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم... لبئس الندامي كنتم آل أبجرا^(١)

أو لا ينفد شراهم، من أنزف: نفذ والمعنى: لا تنفذ عقولهم ولا شراهم. وقرأ غير الكوفيين بفتح الزاي^(٢) على بناء المفعول، من أنزفه: أسكره. وهذا أوفق بقوله ﴿لَا يُصَدِّعُونَ﴾.

[٢٠-٢١] ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿يَرْضَوْنَ﴾ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يستلذون.

[٢٢] ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بيض نحل العيون. عطف على ولدان معنًى. [٣١٢/٣] أي: لهم ولدان وعندهم حور، أو على فاعل متكئين؛ لوجود الفاصل كقوله ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(٣). وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفاً على جنات أي: في جنات ومعاشرة حور عين،

(١) البيت للأبيرد ويقال: الأبرد بن المعدر، شاعر إسلامي بصري، قاله في هجاء آل أبجر.

أنزف: إذا ذهب عقله من السكر. انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٣٨٩/٩). والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٥٣٦/١). ولسان العرب لابن منظور (٣٢٧/٩). الشاهد فيه (أنزفتم) أي سكرتم. استدل به المؤلف على أن معنى لا ينزفون: لا يسكرون.

(٢) "الزاي" ورد في جميع النسخ: الزاء، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

وعن الزجاج^(١) عطف على بـ "أكواب" أي: يطوف عليهم الولدان بالخور كما هو دأب الملوك يأتي الخادم بحظاياهم إلى أماكن أنسهم، وعن الفراء^(٢) الجر على الجوار.

[٢٣] ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ في الصدف في الصفاء والطرادة، أو المخزون لشرفه وبهائه.

[٢٤] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مفعول له. أي: هذا الذي أتخفناهم به جزاء أعمالهم.

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كلاماً باطلاً، ﴿وَلَا تَأْتِيماً﴾ ولا شيئاً لو كان في الدنيا أوجب إثماً كما يقع من أهل السكر في مجالسهم.

[٢٦] ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ قولاً ﴿سَلَامًا﴾ سالماً عن ذلك ﴿سَلَامًا﴾ بدل منه، أو إلا سلاماً إثر سلام. ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٣)

[٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي: لهم شأن وأي شأن، ثم شرع يفصله.

(١) هو: إبراهيم بن السري، أبو إسحاق النحوي، من الأئمة الكبار، أخذ الأدب عن الميرد وتعلب وغيرهم. له مؤلفات كثيرة منها: "معاني القرآن وإعراجه"، "خلق الإنسان"، "تفسير جامع المنطق". توفي سنة ٣١١هـ، وسمع في آخر نفسه يقول: ((اللهم احشرنني على مذهب أحمد بن حنبل)) . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٠/١٤). وطبقات المفسرين للأددهوي (٥٢/١). وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨م] (٤٣/٣).

(٢) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، كان أبرع الكوفيين بالنحو واللغة، له مصنفات كثيرة منها: "الحدود"، "معاني القرآن"، "كتاب اللغات"، "كتاب المصادر في القرآن"، "الوقف والابتداء"، "النوادر". توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: الفهرست لابن النديم (٩٨). ووفيات الأعيان لابن خلكان (١٧٦/٦). وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢١٢/١١).

(٣) جزء آية من سورة إبراهيم، الآية: ٢٣.

[٢٨] ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ عن الشوك^(١) كأنه خضد، وقيل: هو موقر الجمل. من خضده: إذا ثناه وأماله.

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ نُضِدَ بالتمر من أسفله إلى أعلاه، وهو شجر الموز أو أم غيلان، وقيل: شجر في البادية^(٢). والظاهر أنه إنما خُصَّ بالذكر؛ لكثرةهما في أرض العرب وليس لهما ثمر فاخر. فأشار^(٣) إلى أنهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه، وقيل: إنما ذكر المعنى، التظليل دون الثمر وليس بوجه؛ لذكر الظل بعده، ولكون الوصف بالخضد والنضد غير ملائم، وقيل^(٤): هذا كلام مع أهل الوبر^(٥) وأم غيلان: له رائحة طيبة، وله شوك، فأشار إلى أن ما في الجنة لا شوك له مع كونه موقراً بالتمر.

[٣٠-٣٣] ﴿وَوَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ لا فُرَجَ فيه ولا يتقلص، كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ على الدوام كيف شاعوا. ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ الأنواع ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في وقت كفاكهة الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ من الوصول إليها.

(١) "الشوك" ورد في (ح) ٥١٣/ب: الشكوك.

(٢) الطلرقم: شجرة حجازية جناها كجناة السمرة ولها شوك أحجن ومنابتها بطون الأودية وهي أعظم العضاه شوكة وأصلبها عوداً وأجودها صمغاً. وقال الليث: الطلرقم: شجر أم غيلان ووصفه بهذه الصفة. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢/٥٣٢).

(٣) "فأشار" ورد في (ح) ٥١٣/ب: فأشا.

(٤) "وقيل" ورد في (ر) ٤٦٤/أ: وقيل ملائم.

(٥) "الوبر" ورد في (ح) ٥١٣/ب: الدير.

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر، أو نضد بعضها فوق بعض فارتفعت. روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في تفسير ﴿فُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ "ارْتِفَاعُهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ" (١). أو هو كناية عن الحور.

[٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ أي: خلقناهن خلقاً جديداً، إما ابتداءً وهن الحور أو نساء الدنيا. والضمير للفرش إن كان كناية عن النساء، أو لما دل عليه ذكر الفرش وإن لم يسبق له ذكر. وعن أم سلمة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ قال: هُنَّ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا شُمُطًا، رُمُصًا (٢)، عَجَائِزَ (٣).

[٣٦-٣٧] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا﴾ جمع عُرُوبٍ. متحبيات إلى أزواجهن. قرأ أبو بكر (٤) بسكون الراء مخففاً. ﴿أَتْرَابًا﴾ لدات، هن والأزواج في سن واحد وثلاثين وطول آدم ستين ذراعاً في عرض سبعة أذرع (١).

(١) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد ليس عن أبي هريرة، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة (رقم: ٢٤٦٣). وأحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري (رقم: ١١٢٩٤). وابن حبان في صحيحه، باب وصف الجنة وأهلها، ذكر الأخبار عن الفرش التي أعدها الله لأولياته في جناته (رقم: ٧٤٠٥). وأبو يعلى في مسنده، تحقيق: حسين سليم أسد [دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤هـ، ط ١] من مسند أبي سعيد الخدري (رقم: ١٣٩٥).

(٢) "رُمُصًا" ورد في (ح) ٥١٤/أ: مصا.

(٣) أخرجه الترمذي عن أنس، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة (رقم: ٣٢١٨) بلفظ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً قَالَ: إِنَّ مِنَ الْمُنْشَأَاتِ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزَ عُمُشًا رُمُصًا)). والمنذري في الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ، ط ١] كتاب صفة الجنة والنار، فصل في وصف نساء أهل الجنة (٢٩٩/٤). وهناد بن السري في الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي [دار الخلفاء للكتاب - الكويت - ١٤٠٦هـ، ط ١] باب صفة الحور العين (رقم: ٢١).

(٤) هو: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الخياط المقرئ، اختلف في اسمه على أقوال، والصحيح أن اسمه كنيته، روى عن أبيه وحميد الطويل والأعمش وأبي إسحاق السبيعي وخلق، وعنه أحمد ويحيى وابن المبارك وخلق توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: الثقات لابن حبان (٦٦٨/٧). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢٦٥/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٥/٨). وطبقات الحفاظ للسيوطي (١١٩).

[٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْشَأْنَا﴾، أو صفة أخرى لـ ﴿أَبْكَارًا﴾.

[٣٩-٤٠] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف.

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ﴾ في سوء الحال.

[٤٢-٤٣] ﴿فِي سَمُومٍ﴾ في نار تنقد^(٢) في المسام. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماء تناهت في

الحرارة. ﴿وَوَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ دخان أسود، من الحمة وهي السواد.

[٤٤] ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ ليس فيه برد وروح كسائر الظلال. أثبت لهم الظل، ثم

نفى برده وروحه؛ فهكماً وتعريضاً بأن ذلك إنما يستحقه أضدادهم.

[٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ متنعمين، أذهبوا طيباتهم في الحياة الدنيا. من

أترفه^(٣) النعمة: أطعمته^(٤).

[٤٦] ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ الكفر بالله.

[٤٧] ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ منكرين ذلك

مكذبين للرسول، نافين لقدرة المقتدر.

(١) وردت عدة أحاديث في ذلك، ومنها ما أخرجه أحمد في مسنده، باقي مُسند المُكثِرِينَ، مُسندُ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ (رقم: ٨١٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعَةِ أَذْرُعٍ)).

(٢) "تنقد" ورد في (ر) ٤٦٤/ب: تنقد.

(٣) "أترفه" ورد في الأصل ٣١٣/أ، و (ر) ٤٦٤/ب: أترفه.

(٤) "أطعمته" ورد في (ر) ٤٦٤/ب: أطعمته، والمثبت من بقية النسخ.

[٤٨] ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ مع تقادم العهد هذا أشد بعداً. والعطف على المستكن في مبعوثون؛ لوجود الفاصل، أو على محل اسم إن. وقرأ ابن عامر وقالون^(١) بسكون الواو، ويتعين العطف على المحل.

[٤٩-٥٠] ﴿قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ الميقات: ما يوقت به الشيء، ومنه ميقات الإحرام أي: إلى وقت معين من يوم معلوم. الإضافة بمعنى "من"^(٢).

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ﴾ المكذبون بالبعث. قدم الضلالة؛ لأنها^(٣) منشأ الكذب.

[٥٢-٥٣] ﴿لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ﴾ "من" الأولى لابتداء الغاية، والثانية بيان. ﴿فَمَالِقُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لغلبة الجوع.

[٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ الماء المتناهي في الحرارة. وتأنيت الضمير أولاً ثم تذكيره ثانياً باعتبار اللفظ والمعنى، وحمل التذكير على الأكل يفك الضمائر.

[٥٥] ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ جمع هيماء: وهي التي لا تروى من العطش لداء بها. قال ذو الرمة:

صداها ولا يقضي عليها هيامها^(١). فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرداً ...

(١) هو: أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر الزرقني، مولى بني زهرة، قارئ أهل المدينة، صاحب نافع. لقب بـ "قالون"؛ لجودة قراءته. توفي سنة ٢٢١هـ. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/١٢٨). ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/١٠٣). والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢/٢٣).

(٢) "من" ساقط من (ح) ٥١٤/أ.

(٣) "لأنها" ورد في جميع النسخ: لأنه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

أوجع هيام: وهو الرمل الذي لا يمسك الماء^(٢). والعطف باعتبار الصفة؛ لأن شربهم الحميم لدفع العطش بديع، كما أن شربهم كشرب الهيم عجيب. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي بفتح الشين، وهما لغتان. والضم أشهر.

[٥٦] ﴿هَذَا نَزَلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [١١٠/١] هو ما يعد للضيف النازل، وإذا كان هذا النزل فما بعده أطم.

[٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ لا تشكون في ذلك. ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالإعادة فإنها أوضح من البدء.

[٥٨-٥٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ تلقون في الأرحام من النطف ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هب أنكم لا تعلمون خلق أنفسكم أستم شاهدون ما تولد منكم؟!

[٦٠-٦١] ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ قضينا بذلك، وسويناكم فيه مع الاختلاف في الأعمار كالأرزاق. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ على أن يُبدل أمثالكم. يقال: سبقت على كذا غلبت عليه. ﴿وَوُضِعْنَا فِي مَا لَمْ نَعْلَمُونَ﴾ ما هو^(٣) وما عهدتم مثله، قدرتنا على الأمرين سواء.

(١) البيت لذي الرمة، من الطويل. والأرض الهيماء: الأرض المضلة، وقيل: الهيم: الرمال. انظر: ديوان ذي الرمة (١/٢٣٨). واتفاق المباني واقتراح المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر [دار عمار - الأردن - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ط ١] (١١٠/١). والكشاف للزمخشري (٤٨٢/٦).

وجه الشاهد فيه قوله: (... كَالْهِيمَاءِ لَا الْمَاءَ مُبَرِّدٌ صَدَّاهَا...) استدل به على أن معنى "الهيم" في قوله تعالى ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الحيوانات أو الأرض التي لا تروى من العطش.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٨٢/٦).

(٣) "هو" ساقط من (ح) ٥١٤/أ.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فإنها في غاية الظهور لا تحتاج^(١)

إلى ترتيب مقدمات.

[٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تشقون الأرض وتلقون فيها من البذر.

[٦٤] ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه وتوصلونه إلى الكمال، ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

الفاعلون لذلك!؟

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ متكسراً ﴿فَطَلْتُمْ نَفْكَهُونَ﴾ قضيتم هماركم

تتعجبون أو تندمون على تعبكهم فيه، أو على المعاصي التي تسببت^(٢) له. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يقل أحدكم زرعاً وليقل حرثاً))^(٣).

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾ لذهاب رزقنا، من الغرام، أو ملزمون بغرامة ما أنفقنا فيه، من

الغرامة. وقرأ أبو بكر بالاستفهام تعجباً، والإخبار أبلغ.

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ مصابون بالحرمان والشقاء.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ عذباً فراتاً.

[٦٩-٧٠] ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ جمع مُزْنَةٌ: السحاب الأبيض فإن ماءه

أعذب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ مُرًّا زُعَاقًا لا يسوغ. ﴿فَلَوْلَا﴾

(١) "تحتاج" ورد في (ح) ٥١٤/ب، و(ر) ٤٦٥/ب: يحتاج.

(٢) "تسببت" ورد في (ح) ٥١٤/ب، و(ر) ٤٦٥/ب: تسبب.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الزجر عن قول المرء لما حرث زرع (رقم: ٥٧٢٣). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب المزارعة، باب ما يستحب من حفظ المنطق في الزرع (رقم: ١١٥٣٢). والطبراني في الأوسط، من بقية من أول اسمه ميم، من اسمه موسى (رقم: ٨٠٢٤). وأبو يعلى في معجمه، باب الميم (رقم: ٢٩٢).

تَشْكُرُونَ ﴿ هذه النعمة. وإنما حذف اللام؛ لتقدمها قريباً مع اشتهاؤها، ولأن المشروب تبع للمأكل؛ ليدل على أن فقده أهم، والاهتمام به أتم.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تقدحون^(١) بالزند والزندة.

[٧٢-٧٣] ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ المودعة فيها النار؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً ﴿ تدل على قدرتنا على الإعادة، وأتمودجاً من نار الآخرة، ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ النازلين بالقواء ممدود ومقصور، من القي: وهو المكان القفر، وخص بالذكر؛ لفرط الاحتياج فيه، أو من القوى: وهو الخلو فيعم المسافر والمقيم.

[٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكراً لعظيم آلائه، أو اذكره باسمه العظيم تعجباً ممن يرى هذه النعم ثم يكفر. الباء للاستعانة أو للملازمة.

[٧٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بِمَسَاقِطِهَا، أو^(٢) في ذلك الوقت يزول سلطانها فيكون أدل على وجود الصانع. وعن الحسن: انتشارها يوم القيامة^(٣)، وقيل منازلها، وقيل: أوقات نزول القرآن. و"لا" مزيدة. وقرأ حمزة والكسائي "بموقع النجوم"؛ لإرادة الجنس.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض فيه اعتراض لما في المقسم به من كمال القدرة، أو نهاية الرأفة.

(١) "تقدحون" ورد في (ح) ٥١٤/أ: يقدحون.

(٢) "أو" ورد في (ر) ٤٦٥/أ: إذ.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٢٧/٢٠٤).

[٧٧] ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ شريف، نيط به أمر المعاش والمعاد، أو كريم عند الله، وإنما بالغ في القسم وجعل القرآن مقسماً به؛ لكون السورة مصدرة بأمر المعاد، وقد استوفى فيها أدلة الآفاق والأنفس على وجه تحار فيه الألباب، ولا يبقى لذي العينين ارتياب.

[٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ مصون عن يد الأغيار، ولم يقع فيه شائبة تبديل.

[٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من دنس الآثام، وهم السفرة الكرام البررة، أو المطهرون من الأحداث. رواه مالك^(١) وأبو داود^(٢). فالنفي بمعنى النهي.

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مصدر نعت به صفة أخرى للقرآن.

[٨١] ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾ متساهلون، من الدهن. فإن المتهاون^(١) يلين

جانبه.

(١) هو: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري، أبو عبد الله المدني، شيخ الأئمة، وإمام دار الهجرة، روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحמיד الطويل وخلق، وعنه الشافعي وخلائق جمعهم الخطيب في مجلد. توفي بالمدينة سنة ١٧٩هـ وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٩٦/١). والتقات لابن حبان (٤٥٩/٧). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠٧/١).

(٢) أخرجه الإمام مالك رحمه الله في الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [دار إحياء التراث - مصر] كتاب النداء للصلاة، باب الأمر بالوضوء لمن مس المصحف (رقم: ٤١٩) بلفظ: حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ. والدارقطني في سننه، تحقيق: عبد الله يماني [دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦هـ] كتاب الطهارة، باب في نهْيِ الْمُحَدِّثِ عَنْ مَسِّ الْقُرْآنِ (رقم: ٤٥٤) بلفظ: عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: كُنَّا مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَأَنْطَلَقَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: أَيُّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَوْضِئاً لَعَلَّنَا نَسْأَلُكَ عَنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: سَلُونِي فَإِنِّي لَا أَمْسُهُ إِنَّهُ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَسَأَلْنَاهُ فَقَرَأَ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ يَتَوَضَّأَ. ولم أجده في سنن أبي داود.

أبو داود السجستاني هو: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي، الإمام العلم، صاحب كتاب "السنن" و"الناسخ والمنسوخ" و"القدر" و"المراسيل" وغير ذلك، ولد سنة اثنتين ومائتين. روى عن القعني ومسلم بن إبراهيم وأبي الوليد الطيالسي وأحمد ويحيى وإسحاق وابن المديني وخلق، وعنه الترمذي وأبو عوانة وخلق. توفي في شوال سنة ٢٧٥هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٢٦٥/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٣/١٣).

[٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ شكر ما رزقتم من فهمه، أو رزقكم الذي بين في السورة من نعم الدارين ﴿أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ به. وقيل: الرزق: المطر، وتكذيبهم به نسبتبه إلى الأنواء.

[٨٣-٨٥] ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي: النفس، والخطاب للذي حول المحتضر ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ نظر المحتاج العاجز. ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك.

[٨٦] ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مربيين مملوكين، من دان السلطان رعيته: ساسها.

[٨٧-٨٩] ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ النفس إلى البدن ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن لا صانع، وأنكم تتركون^(٢) سدى. وهؤلاء وإن لم يصرحوا بنفي الصانع إلا أن تكذيبهم الرسل، وإنكار البعث والجزاء مؤدِّ إليه. ثم استطرد ذكر الأزواج الثلاثة التي صدر بها السورة؛ زيادة في الترغيب والترهيب، وليتجاوب طرفاها رداً للعجز على الصدر قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿راحة، ورزق، ومقام كريم. قدم الأهم فالأهم.

[٩٠-٩١] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: من إخوانك المؤمنين. "من" ابتدائية. وقيل: مُسَلِّمٌ أنك منهم.

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ أي: من أصحاب الشمال. عبر عنهم بالوصف؛ [٣/١٣٣] دلالة على أن ذلك الوصف أورثهم الشقاء.

[٩٣-٩٤] ﴿فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ وَتَصَلِيَةً جَحِيمٍ ﴿في ذكر النزول تمكم بهم.

(١) "المتهاون" ورد في (ح) ٥١٥/أ: المتهاون.

(٢) "تتركون" ورد في (ر) ٤٦٥/ب: تتركونها.

[٩٥] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ ما ذكر في السورة، أو في شأن الأزواج ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ لا يقين فوقه. كقولك آمين حق آمين.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: بعدما بلغت هذا البلاغ المبين نزهه ربك عما لا يليق بجلاله مستعيناً باسمه الأعظم ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).

تمت سورة الواقعة، والحمد لمن رحمته واسعة، والصلاة على من شفاعته شائعة، وعلى آله وصحبه دائمة متتابعة.

(١) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

سورة الحديد

مكية، وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جاء بلفظ الماضي في مواضع والمضارع أخرى؛ دلالة على أن شأن من أسند إليه الفعل الاستمرار في جميع الأزمان. وحيث كانت هذه أطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار في المعطوف بخلاف سائرهما^(١)، ولم يغلب العقلاء؛ إشارة إلى أنهم في القلة مغمورون في جملة لا تحصى^(٢) كثرة.

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(٣).

(١) "سائرهما" ورد في (ر) ٤٦٥/ب: نابرها.

(٢) "تحصى" ورد في (ح) ٥١٥/ب: يحصى.

(٣) البيت من المتقارب، واختلف في قائله، نسبه الأصفهاني في محاضرات الأدباء لليد بن عمرو، والبيت الذي قبله:

فَوَاعَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ

انظر: محاضرات الأدباء لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع [دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م] (٢/٤١٠)، بينما نسبه الإشبيلي والحصري لأبي العتاهية.

انظر: المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي، تحقيق: مفيد محمد قميحة [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط ٢] (١/١٦). وزهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الحصري، تحقيق: د. زكي مبارك [١٩٢٥م] (١/١٣٤)، ونسبه الجاحظ لأبي نواس. انظر: المحاسن والأضداد لأبي

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر. ﴿الْحَكِيمُ﴾ المتقن في صنعه فهو حقيق بالتسييح.

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مرفوع خبر مبتدأ، أو منصوب حال من الجرور، أو استئناف مقرر لما تقدم. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كامل القدرة إحياء وإماتة وغيرهما.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعد فناء كل شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ في كل شيء^(١) ﴿وَالْبَاطِنُ﴾^(٢) عن كل شيء، لا يحيط به شيء علماً. ولا دليل فيه لنا في الرؤيا. وتفسير البطون بـعدم^(٣) إدراك الحواس قصور، بل بطونه عدم إدراك كنهه أزلاً وأبداً، حساً وعقلاً. تعالى عن ذلك علواً كبيراً. والواو الأولى والثالثة لعطف المفرد على المفرد، والوسطى لعطف المركب على المركب. والمعنى: أنه جامع لهذه الصفات أزلاً وأبداً، ولما أوهم بطونه عن الأشياء بطونها عنه كما في الشاهد رفعه بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي في علمه الظاهر والباطن.

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ لتدبير الكائنات تمثيل. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من ماء وحب. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وزرع. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من^(٣) مطر وثلج وبرد، وأقدار وأحكام. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأرواح والأعمال. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ شاهد لا يخفى عليه الإخلاص والرياء. وإعادة الجلالة؛ دلالة على أن ذلك من لوازم الألوهية.

عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: محمد سويد [دار إحياء العلوم - بيروت - ١٩٩١م] (٥٥/١)، ونسبه ابن كثير في تفسيره لابن المعتز. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٨/١). وجه الشاهد فيه: أن الله أودع في كل شيء خلقه من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والجمادات والنباتات آيات تدل على أحديته.

(١) ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ في كل شيء" ساقط من الأصل (د) ٣١٤/أ.

(٢) "بعدم" ورد في (ح) ٥١٥/ب: بعد.

(٣) "من" ساقط من (ح) ٥١٥/ب.

[٥] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أعاده؛ ليقرن به أمر المعاد كما قرن به المبدأ. ﴿وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي كلا على حسبه.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
مضمراها^(١) أبلغ من قوله ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

[٧] ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إذ لم يبق لكم شبهة. ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من الأموال التي بأيديكم إذ هي في الحقيقة له تعالى وأنتم بمنزلة الوكلاء والخزان فأنتم تحت أمره فكما يأمركم به يجب عليكم الامتثال، ولا ينبغي أن يشق عليكم إذ لا أحسن ممن يشح بمال الغير. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ مع كونكم غير مالكين. لكم أجر لا يحاط^(٣) به ترغيب، ووعده فيه مبالغات بناء الخير على الموصول، وإعادة الإيمان والإنفاق، و تنكير الأجر والوصف بالكبير.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ما تصنعون غير مؤمنين بالله^(٤). ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ حال من ضمير لا تؤمنون، وهو من ضمير تصنعون. فهما^(٥) حالان متداخلان. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ حال من أحد ضميري يدعوكم^(٦)، أو حال بعد حال من ضمير تؤمنون. والحال أنه قد أخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب فيكم من العقل

(١) "مضمراها" ورد في (ح) ٥١٥/ب: بمضمراها.

(٢) جزء آية من سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) ورد في الأصل "بما لا يحاط"، و(ر) ٤٦٦/أ "لا يحاط"، والمثبت من (ح) ٥١٥/ب.

(٤) "ما تصنعون غير مؤمنين بالله" ساقط من الأصل (د) ٣١٤/أ.

(٥) "فهما" ساقط من (د) ٣١٤/أ، و(ح) ٥١٦/أ، والمثبت من (ر) ٤٦٦/أ.

(٦) "أحد" ساقط من (ح) ٥١٦/أ.

ونصب الأدلة فقد أزاح الشبهة عنكم من كل وجه. وقرأ أبو عمرو "أَخَذَ" (١) على بناء المفعول. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بموجب الإيمان، فقد بان لكم الموجب بما لا مزيد عليه، كقولك لتارك الصلاة: هذا الماء والمحراب إن كنت تصلي. والعتاب عام لمن لم يؤمن، ومن آمن ولم ينفق (٢).

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الإعجاز أو الدلالة على الأحكام. ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أي: الله أو الرسول، والأول أولى؛ لقوله: تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٣) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث بين لكم وأوضح.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيما يكون قربة إليه، من الجهاد والصدقة على المحاويج (٤). ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الباقي بعد فناء من في السموات والأرض، فأى فائدة في الإمساك، هلا يقدم العاقل ماله بين يديه، ويشترى بالفاني الباقي. عنه ﷺ: ((يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مَالٌ إِلَّا مَا أَكَلْتَهُ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَهُ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ بِهِ فَأَبْقَيْتَ)) (٥). ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ فتح مكة، وقيل: حديبية، في حال شدة الاحتياج ومن بعده. حذف؛ لوضوح الدلالة عليه. ﴿وَقَاتِلْ﴾ بيان

(١) "أخذ" ورد في (ح) ٥١٦/ب: وأخذ.

(٢) "ومن آمن ولم ينفق" ورد في (ر) ٤٦٦/أ "ومن آمن ومن لم ينفق"، و(ح) ٥١٦/أ "ومتى آمن ولم ينفق"، والمثبت من الأصل.

(٣) جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) "على المحاويج" ورد في (ر) ٤٦٦/أ: "على المحاريج".

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، (رقم: ٥٢٥٨) بلفظ: عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ قَالَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ. والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة أهاكم التكاثر (رقم: ٣٩٦٩). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة التكاثر (رقم: ١١٦٩٦).

لتفاوت الإنفاق، وحثّ على طلب المحل القابل، وتقدم الأولى والأحوج. ﴿أُولَئِكَ﴾ هم المنفقون ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ بعد فتح مكة، ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: من المنفقين السابقين واللاحقين موعود بالجنة وإن تفاوت حالهم. وقرأ ابن عامر "وكل" بالرفع على الابتداء والفعلية خبر بحذف العائد، والنصب أحسن؛ لعدم التقدير. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم نية المنفق إخلاصاً ورياءً. قيل نزلت في الصديق. أنفق ماله في سبيل الله حتى تحلل بعباء فجاء جبرائيل فقال لرسول الله يقول الله تعالى قل لأبي بكر "هل هو راضٍ عني في فقره؟ وسلم عليه مني" (١).

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ مثل حال المنفق في سبيل الله بحال من أقرض إنساناً يؤديه إليه وقت احتياجه. والقرض الحسن: مالا يجز نفعاً ولا يطلب فيه زيادة. ﴿فِيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا﴾ لا يعلمها غيره. قرأه بالنصب ابن عامر وعاصم بأن مضمرة بعد الفاء جواباً للاستفهام معني. وقرأ ابن كثير وابن عامر بضعف مشدداً. وكما زاد "كماً"، فكذلك عظم "كيفاً" بقوله (٢): ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ شريف لا كسائر الأجور يكون مع (٣) مهانة.

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ مقدر بـ "اذكر" فإنه يوم عظيم، أو ظرف ليضاعفه، أو له أجر كريم. ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: يسرع نورهم قدامهم، وعن اليمين والشمال، على قدر سيرهم. منهم من سيرهم كالبرق الخاطف، ومنهم

(١) أورده السمعي في تفسيره عن الكلبي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ. قال: وقد ورد في بعض المسانيد عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان جالساً وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره، فجاء جبريل عليه السلام وقال للنبي: يقول الله تعالى: سلم على أبي بكر وقل له: أراض أنت عني في فرك أم ساخط؟ فقال النبي ﷺ لأبي بكر: هذا جبريل يقرئك من ربك السلام ويقول كذا، فبكى أبو بكر وقال: بل أنا راض عن ربي، بل أنا راض عن ربي. انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم [دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ، ط/١] (٣٦٧/٥).

(٢) "بقوله" ورد في (ر) ٤٦٦/ب فقط.

(٣) "مع" ورد في الاصل: معنى، والمثبت من (ح) ٥١٦/أ، و (ر) ٤٦٦/ب.

كالريح، ومنهم كأجاويد الخيل^(١). وكذلك أنوارهم على قدر أعمالهم حتى أن فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره. وفي لفظ الإيمان تغليب. ﴿بَشْرَاكُمْ الْيَوْمَ﴾ أي: تقول لهم الملائكة الذي بشرتم به ﴿جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خير بشراكم. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الفوز الذي بشروا به من كلامه تعالى.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ انظرونا نقتبس من نوركم﴾ بعد القضاء بين العباد يؤخذ بالكفار الخالص إلى النار، وبالمؤمنين إلى الجنة، ويتبعهم المنافقون كما كانوا في الدنيا يعدون أنفسهم منهم، ويعطون نوراً مجازة لخدعهم^(٢)، فإذا توسطوا الصراط انطفى نورهم، نادوا المؤمنين انتظرونا أو انظروا إلينا نأخذ قبساً أي: شعلة من نوركم، كما يفعله الأصحاب في الدنيا إذا انطفى مصباح أحدهم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الدنيا. القائل: المؤمنون أو الملائكة ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ آخر؛ لأنه محل الأعمال التي صارت اليوم أنواراً. وقرأ حمزة ﴿انظرونا﴾ بهمزة القطع أي: أمهلونا وهو قريب من الأول. ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ هو الأعراف^(٣): حائط الجنة ﴿لَهُ بَابٌ﴾ يدخل منه

(١) هذه الصفة لمن يجاوز الصراط يوم القيامة، وردت في السنة النبوية، وأخرجها معظم رواة السنة، انظر: مسند الإمام أحمد (٣/١٦ - رقم: ١١١٤٣). ونوادير الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة [دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢م] (٢/١٢٨).

(٢) "لخدعهم" ورد في (ح) ٥١٦/ب، و (ر) ٤٦٦/ب: لخداعهم.

(٣) "الأعراف" في اللغة: المكان المشرف، جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو "عُرف"، ومنه قول السماخ بن ضرار:

وَوَظَلْتُ بِأَعْرَافِ تَعَالَى، كَأَنَّهَا
رِمَاحٌ تَحَاها وَجَهَةَ الرِّيحِ رَاكِبٌ

رؤي عن ابن عباس قال: إن الأعراف تل بين الجنة والنار حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار، وورد عن مجاهد قال: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، وروي عن الضحاك قال: الأعراف السور الذي بين الجنة والنار. وكان السدي يقول: إنما سمي "الأعراف" أعرافاً؛ لأن أصحابه يعرفون الناس. سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: "هم آخر من يفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، وأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم". انظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٤٩-٤٦٢).

المؤمنون الجنة ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ وتغيير الأسلوب؛ للدلالة على أن داخله كله نعيم، بخلاف ظاهره لبعده النار عنه.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا منفيين في الدين ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بخستموها بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر، وقتلتم: ربح الإسلام هب ساعة ثم تسكن ﴿وَارَبَّيْتُمْ﴾ في أمر الساعة، وقتلتم: ﴿مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (١). ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾ الكاذبة، وقتلتم: إن كان بعث سيُغفر لنا. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيام الساعة (٢) وأمره بدخول النار، ﴿وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان بوعدته (٣) الكاذب.

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ إن لو كان لكم ما تفدون. قرأ ابن عامر بالتاء، والتذكير أحسن؛ لوجود الفصل. ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً. ﴿مَأْوَاكُمْ النَّارُ﴾ مقامكم. ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: أولى بكم من غيرها؛ لما معكم مما يلائمها من الأعمال، أو هي التي تتولى أمركم أو ناصركم تهكماً. ﴿وَبَيْتُ الْمَصِيرِ﴾ مصيركم.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: القرآن. من عطف العام على الخاص، أو عطف باعتبار الصفة. وقرأ نافع وحفص (٤) "نزل" مخففاً، والشديد أبلغ. "يأن" من أنى يأتي الأمر إذا جاء أنه أي: وقته، والهزمة للاستبطاء كقولك للغلام: ألم أدعك؟ والمعنى: ليس للمؤمنين عذر في عدم خشوع قلوبهم. وما رواه

(١) جزء آية من سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

(٢) "الساعة" ساقط من (ح) ٥١٦/ب.

(٣) "بوعدته" ورد في (ح) ٥١٦/ب: بدعوه.

(٤) هو: حفص بن سليمان، أبو عمر الأسدي مولاهم، الغاضري الكوفي، المقرئ، صاحب عاصم، ولد سنة ٩٠هـ، روى عن علقمة بن مرثد وثابت البناني وأبي إسحاق السبيعي وغيرهم، قال أحمد بن حنبل: ما به بأس، وقال البخاري: تركوه. قال الذهبي: قلت: أما في القراءة فتحة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/١٤٠). وغاية النهاية لابن الجزري (١/٢٥٤).

مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ))^(١). وما رواه قتادة^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله عاتب المؤمنين على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن^(٣)؛ يدل على أن السورة مكية، فإن قلت: إذا كانت السورة مكية، فما وجه قصة المنافقين، والنفاق إنما نجم بالمدينة؟. قلت: إخبار بما يقع كسائر الأخبار عن المغيبات. ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ عَطْفَ عَلِيٍّ تَخَشُّعًا﴾، ويجوز أن يكون هياً لهم عن مماثلة أولئك. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ﴾ الزمان. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فغلب عليها القسوة والجفاء لتراكم الذنوب، وظلمات المعاصي فأحدثوا التحريف والبدع. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون بالكلية عن دينهم لفرط قسوتهم.

[١٧] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبِّي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ مثل حال القلوب النائية عن الخشوع، [٣١/ب] ثم تأثرها من ذكر الله، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٤) بحال أرض غلب عليها اليبس ثم أصابها الغيث فاخضرت. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في تصدير الكلام

(١) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ (رقم: ٥٣٥٢). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (رقم: ١١٥٦٨). وأبو يعلى في مسنده، تابع مسند عبد الله بن مسعود (رقم: ٥٢٥٦).

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه، أحد الأعلام، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو عوانة وخلق. قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة، وقال غيره: كان يتهم بالقدر. ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٤/١). والثقات لابن حبان (٣٢١/٥). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٢/١).

(٣) أورد عدد من المفسرين هذا النص في تفاسيرهم ونصه: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. انظر: الكشاف للزمخشري (٤٧٥/٤). ومعالم التنزيل للبغوي (٤/٢٩٧).

(٤) جزء آية من سورة الحديد، الآية: ١٥.

بـ ﴿اعْلَمُوا﴾ وختمه بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ نوع عتاب، إذ^(١) كان الأولى بهم التدبر بدون هذا؛ لجلاء الحال.

[١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطف على المصدقين؛ لكونه في معنى الذين صدقوا، وفيه تغليب؛ لثلا يقع فصل بالأجنبي. والمعنى: الذين تصدقوا وأخلصوا في ذلك وأخرجوه من مالمهم الطيب. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد من التصديق أي: آمنوا بالله ورسوله، والتشديد أولى؛ لذكر الإيمان بعد ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تقدم تفسيره آنفاً.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: بمنزلة هؤلاء وإن كانوا قاصرين تنزلوا منزلتهم. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: مثل أجر أولئك ونورهم، لا في الإضعاف أي: جميع ما يحصل لهم من الأجر والإضعاف، بل مثل مجرد أجر الصديقين وحده. فإن قلت: فأى ترغيب في ذلك؟. قلت: كل ترغيب؛ لأن آحاد المؤمنين إذا جعل ثواب عمله مثل ثواب عمل الصديق^(٢) فأى إحسان فوق ذلك؟ وأما الإضعاف فذلك ليس راجعاً إلى الأعمال. بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ويجوز أن يكون ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ مبتدأ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر، وليس بقوي. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الذين لا يفارقونها؛ لإفادة الكلام الحصر.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ﴾ لما ذكر ما للفريقين في الآخرة، حقر أمر الدنيا بأن حصر ما فيها في أمور خيالية، قليلة النفع؛ ترغيباً فيما عنده، وتحذيراً عن الاغترار بها. واللعب: ما يجلب السرور. واللهو: ما يدفع الهم. ﴿وَزِينَةٌ﴾ بالأموال والبنين، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أنا ابن فلان، وأنت ابن فلان، ﴿وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أنا لي كذا

(١) "إذ" ورد في (ح) ٥١٧/أ: إذا.

(٢) في (ح) ٥١٧/أ: الصديقين.

مالاً وولداً، وأنت لا تملك ما أملك. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَّامًا﴾ مثل حال الدنيا في قلة جدواها، وسرعة نقضها^(١) بحال نبات أنبته الغيث، فاستوى على سوقه اخضرّ ناضراً وارِقاً^(٢)، فأعجب الزراع شأنه، أو الكفار بالله؛ لقصور نظرهم إلى الدنيا. والمؤمن إذا رآه علم أن ما عند الله هو الباقي، وأن هذا عن قريب زائل. ثم اصفرّ بعد تلك^(٣) النظارة وتبدل حاله، ثم تكسر وذهب كأن لم يكن. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ﴾ تنفير عن الركون إليه. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ﴾ حث على العمل المثمر ذلك. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ﴾ إلا شيء يسير ونفع قليل يغتر به.

[٢١] ﴿سَابِقُوْا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مسابقة الفرسان إلى إحراز قصب السبق. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما ذكر العرض؛ لأنه أقصر الامتدادين^(٤)، فإذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول؟! والمراد جنس السماء؛ لقوله: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥). فإن قلت: أيهما أبلغ؟ قلت: الثاني؛ لحذف أداة التشبيه، والتصريح بما يدل على العدد. فإن قلت: لم اختص كل بموقعه؟ قلت: لأن الثاني في آل عمران، وهو متأخر نزولاً، فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره. ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ﴾ الاستدلال به على أن مجرد الإيمان كاف، ليس بناهض؛ لقوله في آل عمران: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦) الذين نعتهم كيت وكيت. ﴿ذَلِكُمْ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ من عباده من غير إيجاب؛ لأن العبد لا

(١) "نقضها" ورد في (ح) ٥١٧/أ: نقضها، و(ر) ٤٦٧/ب: تقضيتها.

(٢) "وارِقاً" ورد في (ر) ٤٦٧/ب: وارِقاً.

(٣) "بعد تلك" ورد في جميع النسخ: بعد ذلك، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) "الامتدادين" ورد في (ر) ٤٦٧/ب: الإمدادين.

(٥) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٦) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

يستحق على المالك أجرة. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ لا يحاط بفضله. خلق وهدى وأعطى ما لم يخطر على قلب، من غير وجوب ولا استحقاق.

[٢٢-٢٣] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح^(١). ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾ نخلقها أي: الأنفس أو المصيبة. والأول أوجه؛ لما روى مسلم "أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"^(٢). ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ لعلمه بالأشياء قبل وقوعها، كعلمه بها حال وقوعها. ثم أشار إلى الحكمة في ذلك بقوله: ﴿لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فإن من علم أن ما أصابه من الضر كان مقدراً عليه في الأزل لم يحزن الحزن الشديد؛ لأنه قد وطن نفسه على ذلك، وكذا في جانب الخير؛ لأنه كان مترقباً. والمراد بهما ما يخرج إلى الجزع وعدم الصبر، والفرح المطغي المفضي إلى البطر، لا ما يعترى الإنسان من الهم والسرور شكراً لنعمة الله. وقرأ أبو عمرو: ﴿آتَاكُمْ﴾ مقصوراً أي: جاءكم، وهي قراءة حسنة فسرها ﴿لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾^(٣) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ متكبر، فخور على الناس بكثرة المال. واكتفى بأحد الشقين؛ لدلالته على الآخر، وآثر الثاني؛ لأنه أشد تكبراً^(٤).

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من ﴿كل مختال﴾ وأوفى منه؛ لدلالته على أن عز المال وحبّه بلغ حداً يشح بمال الغير. وقرأ حمزة [٢٣١٥] والكسائي

(١) "في اللوح" ساقطة من (ر) ٤٦٧/ب.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (رقم: ٤٧٩٧). وعبد الله بن وهب في كتاب القدر، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم [دار السلطان - مكة المكرمة - ١٤٠٦هـ، ط ١] باب كتب مقادير الخلائق (رقم: ١٧).

(٣) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) "أشد تكبراً" ورد في (ر) ٤٦٧/ب: أشد تكبر.

﴿البخل﴾ بفتح الباء، وهما لغتان كالرشد والرشد. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يعرض ولم ينته عما نهي الله. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ﴾ لا يحتاج إلى إنفاق المنفق. ﴿الْحَمِيدُ﴾ محمود في ذاته وإن تولوا عن شكره. وقرأ نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل، وعليه رسم مصحف المدينة والشام، والإثبات أكد، وعليه بقية الرسوم.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: الملائكة إلى الأنبياء بالمعجزات، لا الأنبياء إلى الناس؛ لقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ قانون الشرع يشمل الميزان الذي به تعامل الناس، وكل ما يعرف به الإنصاف من أمور المعاش والمعاد؛ ولذلك علله بقوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يتخذ منه آلة الجهاد والقتل. وفيه إشارة إلى أن أمر الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان.

الظلمُ من شيمِ النفوسِ فإن تجد ذا عفةٍ فلعله لا يظلمُ (١)

وعنه ﷺ: ((رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي)) (٢) ﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾ إذ لا صنعة إلا وللحديد فيه مدخل (٣). ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ عطف على محذوف دل عليه السياق. أي:

(١) البيت للمتني من الكامل. انظر: ديوان المتني لأبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلي [دار المعرفة - بيروت] (١٦٦/١). وصبح الأعشى للقلقشندي (٢٠٧/٢). وخزانة الأدب للبغداد (١٩٣/١). ونهاية الأرب في فنون الأدب لشمس الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري [دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٥٥هـ، ط ٢] (٤٢٣/٢). وجه الشاهد: أن الظلم والانحراف من طبيعة النفس البشرية فلا بد من الجهاد بالسيف وغيره لإقامة العدل والإسلام.

(٢) أورده البخاري في ترجمة باب، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، تحقيق: كمال يوسف الحوت [مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩هـ، ط ١] كتاب الجهاد، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه (رقم: ١٩٤٠١). وأحمد في مسنده، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر (رقم: ٥١١٤). والبيهقي في شعب الإيمان، باب الدعاء إلى الإسلام، ذكر فصول في الدعاء يحتاج إلى معرفتها (رقم: ١١٩٩).

(٣) "وللحديد فيه مدخل" ورد في (ح) ٥١٨/أ: وللحديد مدخل فيه.

لنفعهم^(١) وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ، وفي الحذف إشارة إلى أن الثاني هو المطلوب بالذات. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من المستكن في ينصره. أي: غائباً عنه. عن ابن عباس رضي الله عنه: "ينصره ولا يبصره".^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ ذو قدرة بالغة. ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء. وإنما أنزل الحديد وأمر بالقتال؛ لينالوا بذلك القربة عنده والزلفى.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي: الوحي المتلوه. أشار إلى أن قانون الشرع والأمر بالقسط بين الناس قدم، من لدن نوح إلى محمد عليهما السلام^(٣). ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ غير الأسلوب؛ للدلالة على أن الغلبة لأهل الضلال.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أي: آثار نوح وإبراهيم، والجمع للتعظيم، أوهما ومن عاصرها من الرسل، أو من أرسلنا إليه. ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: انتهى إرسال الرسل إليه. ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مصدر رهب: وهو شدة الخوف. والمراد تعبدهم في الجبال والمغائر والكهوف. وذلك أن بني إسرائيل بعد صعود عيسى افترقوا اثنتين وسبعين فرقة، ثلاث فرق على الحق والباقون على الضلال، فدعوا الملوك والجبابة إلى دين عيسى، وقتلوه حتى لم يبق منهم إلا قليل، فلم يقدرُوا على المقاومة، ففترقوا في الجبال. ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ اخترعوها من عند أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما فرضناها عليهم. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع. أي: لكن ابتدعوها طلباً لمرضاة الله. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ما قاموا بها حق القيام. وفيه إشارة إلى أن التعمق في

(١) "لنفعهم" ورد في (ح) ٥١٨/أ: لينفعهم.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرجه مجاهد عن ابن عباس بلفظ: "ينصرونه ولا يبصرونه". انظر: التفسير الكبير للرازي (٢١٢/٢٩).

(٣) "واقصر على نوح؛ لأنه أبو البشر. ثانياً: ليس في الدنيا إلا ذريته" ورد في (ح) ٥١٨/أ زائداً.

العبادة فوق ما سنه الله ورسوله مذموم. وقد روى البخاري عنه عليه السلام: ((إِنْ الدِّينَ يُسْرَ (١) وَكَنْ يُشَادَّ أَحَدَ الدِّينِ إِلَّا غَلَبَهُ)) (٢). ((فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّكَ بِقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا)) (٣). وانتصاها بمضمرة مفسر، وجعلها من المجعولات عدول عن الظاهر مخالف للأحاديث. ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ الذين وفوا بما نذروا. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على ما عاهدوا الله عليه.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أحدثوا الإيمان. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه. ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد عليه السلام. عن ابن عباس والضحاك عليهما السلام (٤) أنها نزلت في مؤمني

(١) "يسر" ورد في (ر) ٤٦٧/ب: تستر.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنْ الدِّينَ يُسْرَ وَكَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشَرُوا، وَأَسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْحَةِ. وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر الأمر بالعدو والروح والدلحة في الطاعات عند المقاربة فيها (رقم: ٣٥١). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الإيمان وشرائعه، الدين يسر (رقم: ١١٧٦٥). والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب صلاة التطوع وقيام رمضان، باب القصد في العبادة والجهد في المداومة (رقم: ٤٥١٨).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحسد (رقم: ٤٢٥٨) بلفظ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْعَمِيَاءِ أَنَّ سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ أَبِي: يَرَحْمُكَ اللَّهُ أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنْفَلْتَهُ، قَالَ: إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ وَإِنَّهَا لَصَّلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْطَأْتُ إِلَّا شَيْئًا سَهَوْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّكَ بِقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ {سورة الحديد، الآية: ٢٧}.... وأبو يعلى في مسنده، أبو سفيان عن أنس (رقم: ٣٦٩٤).

(٤) هو: أبو القاسم بن مزاحم الهلالي، الخراساني، البلخي، الكوفي، المفسر، المحدث، النحوي، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير. وثقه أحمد وأبو زرعة. توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: ميزان الاعتدال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، ط ١] (٢/٣٢٥). ومعجم الأدياء لياقوت الحموي (٤/٢٧٢).

أهل الكتاب^(١). ويدل عليه قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وذلك؛ لما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله أن رسول الله ﷺ قال: ((ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ لَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَرَوَّجَهَا))^(٢). والكفل: ^(٣) الحظ الوافر، والنصيب الكامل كأنه تكفل بالكفاية. ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط يسعى بين أيديكم وبأيمانكم، أو نوراً ينقذكم به عن ظلمات الجهل. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف لكم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عن سعيد^(٤) بن جبير^(٥) رضي الله عنهما "افتخر مؤمنو أهل الكتاب بأن لهم الأجر مرتين، فأنزل الله تعالى لمؤمني هذه الأمة، وزادهم النور والمغفرة"^(٦). ويؤيده ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: ((مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَلُوا لَهُ إِلَى الظُّهْرِ، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فَعَلُوا لَهُ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَأَكْمَلُوا بَقِيَّةَ الْيَوْمِ، فَأَعْطَاهُمْ مِثْلَ أَجْرِ الْفَرِيقَيْنِ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ أَجْرًا، فَقَالَ: هَلْ نَقَصْتُمْ مِمَّا شَرَطْتُمْ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ^(٧) مِنْ أَشَاءُ))^(١). وما قيل: إن رسول الله ﷺ أرسل جعفرًا^(٢) يدعو النجاشي^(٣) إلى

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب (٢٧٨٩). ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ (رقم: ٢١٩٠) بلفظ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ فَعَدَّاهَا فَأَحْسَنَ غَدَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَرَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١/٣٩٢، ١١/٥٨٩). والصحاح في اللغة للجوهري مادة "كفل".

(٤) "سعيد" ورد في (ح) ٥١٨/أ: سعد.

(٥) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو عبد الله، مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، كوفي الأصل، أحد أعلام التابعين، أخذ عن ابن عباس، وابن عمر، قتله الحجاج سنة ٩٤هـ، وقيل: سنة ٩٥هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/١٧٨). ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٣٧١).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣١٨).

(٧) "أوتي" ورد في (ح) ٥١٨/ب: أوتيته.

الإيمان، فأمن به وأرسل سبعين رجلاً إلى رسول الله ﷺ، فجاؤوا ورسول الله قد هياً لوقعة أحد كلام لا أصل له [٣١٥/ب]. وجعفر إنما قدم مع من هاجر إلى الحبشة^(٤)، ورسول الله في محاصرة خيبر^(٥) بعد أحد بثلاث سنين. رواه البخاري^(١) مكرراً في مواضع.

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (رقم: ٣٢٠٠). والترمذي في سننه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله (رقم: ٢٨٧١). وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر (رقم: ٥٩٠٢). وعبد الرزاق في مصنفه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣هـ، ط ٢] باب مثل هذه الأمة وغيره (رقم: ٢٠٩١١).

(٢) هو: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبد الله، ابن عم النبي ﷺ، وأخو عليّ كرم الله وجهه وأسّن منه، أحد السابقين إلى الإسلام. قال ابن إسحاق: أسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً، وأخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن جبل. كان أبو هريرة يقول: إنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ، هاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه وأقام جعفر عنده، ثم هاجر منها إلى المدينة فقدم والنبي ﷺ بخيبر، استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان في جمادى الأولى. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٨٧/١). والاستيعاب لابن عبد البر (٢٤٢/١).

(٣) هو: أصحمة بن أبحر النجاشي، ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه، وكان ردءاً للمسلمين نافعاً، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام. صلى عليه النبي ﷺ عند وفاته صلاة الغائب. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٠٥/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٨/١).

(٤) الحبشة: هي أرض واسعة على بحر فارس، وهي في مجاورة اليمن وفارس وكرمان في الجنوب إلى أن تحاذي أرض الهند، شامها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. الحر بها شديد جداً، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون بما قليل. انظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب لأبي حفص ابن الوردی سراج الدين عمر القرشي، تصحيح: محمود فاحوري [دار الشرق العربي - حلب - ١٤١١هـ، ط ٢] (٤/١). وآثار البلاد وأخبار العباد لأبي يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزويني [دار صادر - بيروت] (٦/١).

(٥) خيبر: بلدة على مسافة ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، وهي ذات حصون ومزارع نخيل كثيرة. فتحها النبي ﷺ كلها في سنة سبع للهجرة، وقيل: سنة ثمان. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٩٥/٢). وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (٣٥/١).

[٢٩] ﴿لَقَدْ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ "لا" مزيدة.
 والمعنى على الأول: إنما وعدنا من آمن من أهل الكتاب كفلين من رحمتنا؛ ليعلم الذين لم
 يؤمنوا منهم أن إيمانهم السابق لا يورثهم شيئاً من فضل الله قط. وعلى الثاني: اثبتوا أيها
 المؤمنون على إيمانكم، واتقوا الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجر مرتين،
 ويزيدكم النور والمغفرة. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقيل: "لا" غير مزيدة.
 والمعنى: إنما فعلنا كذا وكذا؛ لئلا يعتقد أهل الكتاب أن رسول الله ﷺ والمؤمنين لا يقدر
 على حصر فضل الله فيمن آمن بمحمد. وقوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ عطف على ﴿أَلَّا
 يَعْلَمُ﴾ ولا يخفى بُعدَه.

تمت بحمد الله على العبيد، ونسأله من فضله المزيدي، والصلاة على الماجد الفريد، وآله
 وصحبه الذين فلقوا بالحديد هام كل جبار عنيد.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لتوائب المسلمين (ج: ٢٩٠٣).
 وكتاب المناقب، باب هجرة الحبشة (رقم: ٣٥٨٧). وكتاب المغاري، باب غزوة خيبر (رقم: ٣٩٠٥). ومسلم، كتاب
 فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم (رقم: ٢٥٠٢).

سورة المجادلة

مدنية، وهي اثنتان^(١) وعشرون آية^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ عن عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، لقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة^(٣) زوجة أوس بن صامت الأنصاري^(٤) إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها وأنا في ناحية البيت يخفى علي بعض كلامها، وكان أوس ولاج الخوالم، وكان به حدة، فدعاها إلى الفراش فأبت فظاهر عنها، فاستفتت رسول الله ﷺ^(٥) فقال: حرمت عليه، فقالت: إن لي منه صبية إن

(١) ورد في جميع النسخ: اثنان، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) "آية" ساقط من (ح) ٥١٩/أ.

(٣) هي: خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية، ويقال لها: خويلة، وقيل: بنت ثعلبة بن مالك، هي زوج أوس بن الصامت، صحابية من الطبقة الأولى، وهي المجادلة التي ظاهر منها زوجها. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٦٣/٣٥). والطبقات الكبرى لابن سعد (٣٧٨/٨). والإصابة لابن حجر (٦١٨/٧).

(٤) هو: أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف الأنصاري الخزرجي، أخو عبادة بن الصامت، شهد بدرًا والمشاهد بعدها. توفي أيام عثمان وله خمس وثمانون سنة، وقيل: مات سنة أربع وثلاثين بالرملة وهو بن اثنتين وسبعين. انظر: الإصابة لابن حجر (١٥٦/١). والاستيعاب لابن عبد البر (رقم: ١١٨/١).

والطبقات الكبرى لابن سعد (رقم: ٥٤٧/٣).

(٥) "رسول الله ﷺ" ساقط من (ح) ٥١٩/أ.

ضممت إليه ضاعوا، وإن ضمنت إلي جاعوا، فقال^(١): قد حرمت، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي. فنزلت.^(٢) روي أنها استوقفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً زماناً طويلاً، فدنا منها وأصغى إليها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟، قال: ويحك!. هذه خولة التي سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سموات، لو لم تنصرف لوقفت معها إلى الليل^(٣). وفي "قد" دلالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن الله سينزل في شأنها ما يفرج كربتها. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما في الكلام. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال.

(١) "فقال" ورد في (ر) ٤٦٩/أ: فقالوا.

(٢) أخرجه النسائي مختصراً، كتاب الطلاق، باب الظهار (رقم: ٣٤٠٦). وابن ماجه، كتاب الطلاق، باب الظهار. (رقم: ٢٠٥٣). وأحمد، مسند القبائل، باب حديث خولة بنت ثعلبة. (رقم: ٢٦٠٥٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا [دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان] (٤/١٨٥). وكنز العمال للمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٩م] (٢/٢٢٠). وإثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر عبد الله البدر [الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦هـ، ط١] (ص ١٠٢).

[٢-٣] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ الظهار^(١) كان طلاقاً في الجاهلية مؤكداً باليمين^(٢). وفي إقحام منكم توبيخ للعرب، وتصوير لزيادة التهجين؛ لأنه كان مخصوصاً بهم. وقرأ حمزة والكسائي: بفتح الياء والهاء والتشديد من "أظاهر". وعاصم بضم الياء وكسر الهاء والتخفيف من "ظاهر". ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ حقيقة. بكسر التاء قراءة السبعة على أن "ما" عاملة. ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ﴾ والمرضعات وأزواج الرسول ﷺ ملحقات بهن احتراماً. قرأ الكوفيون وابن عامر: "اللائي" بالهمز والتاء، وأبو عمرو وابن كثير في رواية قبل^(٣): بالياء ساكنة. ونافع في رواية ورش: كالياء مكسوراً. وفي رواية قالون وابن كثير في رواية البيهقي: بالهمز. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ باطلاً منحرفاً عن الصواب،

(١) أهم ركن في الظهار: هو اللفظ الدال على الظهار، والأصل فيه قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ويلحق به قوله: أنت علي كبطن أمي، أو فخذ أمي، أو فرج أمي، ولأن معنى الظهار تشبيه الحلال بالحرام؛ ولهذا وصفه الله تعالى بكونه منكراً من القول وزوراً فقال سبحانه وتعالى في آية الظهار: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ {سورة المجادلة، الآية: ٢}. والظهار لا يوجب زوال النكاح والزوجية؛ لأن لفظ الظهار لا يبيء عنه، ولهذا لا يحتاج إلى تجديد النكاح بعد الكفارة.

ومسألة الظهار مسألة كبيرة وواسعة، لها شروط، ومحترزات، وكفارات، ويوجد في بعض نقاطها خلاف بين أصحاب المذاهب الفقهية. انظر: بدائع الصنائع للكاساني (٢٢٩/٣). والمغني لابن قدامة لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى] (٣/٨). والمهذب في فقه الإمام الشافعي لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، [دار الفكر - بيروت] (١١٢/٢). والمحلى لابن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي [دار الآفاق الجديدة - بيروت] (٤٩/١٠).

(٢) يؤيد هذا ما ذكره أبو بكر الدمياطي بقوله: إن الظهار كان طلاقاً في الجاهلية كالإيلاء، فغير الشرع حكمه إلى تحريم المظاهر منها بعد العود، ولزوم الكفارة، ففيه شبه باليمين من حيث لزوم الكفارة، وشبه بالطلاق من حيث ترتب التحريم عليه؛ ولذلك صح توقيته نظراً للأول وتعليقه نظراً للثاني. انظر: حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين. مهمات الدين لأبي بكر محمد شطا الدمياطي [دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت] (٣٦/٤).

(٣) هو: أبو عمر محمد بن عبدالرحمن المخزومي مولاها، المكّي، إمام في القراء مشهور، عاش ستاً وتسعين سنة، تلا على أبي الحسن القواس وغيره، أخذ عنه ابن شنبوذ وابن مجاهد وابن عبدالرزاق وابن شوذب الواسطي، يقال: هرم وتغير. توفي سنة إحدى وتسعين وميتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٤/١٤). والإكمال لعلي بن هبة الله بن ماكولا [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ، ط ١] (١٠٠/٧).

إذ بين الزوجات والأمهات أبعد مما بين الضب والنون. فإن قلت: الظهار كالطلاق، فكيف يوصف بالزور الذي هو من خواص الخير؟ قلت: باعتبار ما تضمن من إلحاقها بالأم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ الظهار: قول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كرأسها، أو كجسدها وسائر المحارم كالأم. الآية الأولى في ذم المظاهر، وهذه في بيان حكمه. ثم العود عند الظاهرية أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره^(١). وعند أبي حنيفة رحمه الله باستباحة ما حرم ولو بالنظر بالشهوة^(٢). وعند الشافعي رحمه الله بأن يمسكها زماناً يمكنه أن يفارقها^(٣). وعند الإمام أحمد رحمه الله أن يعود إلى الجماع، أو يعزم عليه^(٤). وعند مالك العزم على الوطئ أو الإمساك^(٥). ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: كفارته تحرير رقبة. قيده الشافعي رحمه الله بالمؤمنة بناء على أصله من حمل المطلق على

(١) "فيكرره" ورد في الأصل، و (ر) ٤٦٩/أ: فيكون، والمثبت من (ح) ٥١٩/أ.

(٢) قال السمرقندي: الكفارة لا تجب إلا عند وجود الظهار والعود، قال الله تعالى: (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) والعود عندنا: هو العزم على وطئها بعد الظهار. وقال أصحاب الظواهر: العود أن يكرر لفظ الظهار. انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ، ط ٢/٢١٤]. والاختيار لتعليل المختار لأبي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود الموصلية، تحقيق: علي عبد الحميد ومحمد وهي سليمان [دار الخير - بيروت - ١٤١٩هـ] [٣٧/١].

(٣) قال النووي: الظهار له حكمان: أحدهما تحريم الوطئ. الحكم الثاني: وجوب الكفارة بالعود، والعود: هو أن يمسكها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه. انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، ط ٢/٢٠٠/٣]. وحاشية إعانة الطالبين للدمياطي (٣٧/٤).

(٤) قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي: تجب الكفارة بالعود وهو الوطئ. نصّ عليه أحمد، وهو اختيار الخرقي، فمضى وطئ لزمته الكفارة، ولا تجب قبل ذلك إلا أنها شرط لحل الوطئ فيأمر بها من أراده ليستحلها كما يأمر بعقد النكاح من أراد حال المرأة. انظر: الشرح الكبير لابن قدامة [دار الكتاب العربي] [٥٧٩/٨]. والمغني لابن قدامة (١١/٨).

(٥) قال الدسوقي المالكي: وَلَقَطُّ الْمُدُونَةِ: وَالْعَوْدُ إِرَادَةُ الْوَطْءِ وَالْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ، وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ أَيْضًا أَنَّ الْعَوْدَ: هُوَ الْعَزْمُ عَلَى الْوَطْءِ مَعَ إِرَادَةِ إِمْسَاكِ الْعِصْمَةِ، فَهَمَّا رَوَيْتَانِ اخْتَلَفَا فِيهِمَا. انظر: المدونة الكبرى لمالك بن أنس، [دار صادر للنشر - بيروت] [١٨٤/٤]. وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفه الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، [دار الفكر - بيروت] [٤٤٧/٢].

المقيد^(١). والفاء للسببية، وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار. ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ يستمتع كل من المظاهر والمظاهر بالآخر لعموم اللفظ، أو أن يجمعها. وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير. ﴿ذَلِكُمْ﴾ التكفير على هذا الوجه. ﴿تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ تزجرون به؛ لأن المظاهر إذا علم بوجود الكفارة وهي إعتاق رقبة ينزجر. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ حث على الإتيان به على الوجه الأكمل.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾^(٢) مالا يعتق به رقبة، ومن ماله غائب واجد فلا يعدل عن العتق ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فإن أفطر يوماً لغير عذر أو نسي النية، أو مرض بطل [١/٣١٦] تتابعه دون الحيض. والقربان بالليل يقطعه^(٣) عند أبي حنيفة^(٤) ومالك^(٥) دون الشافعي^(٦) رحمهم الله. ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ لفرط شبق، أو لهرم، أو مرض لا يرجى

(١) انظر: المستصفي للغزالي (١/٢٦٢). والبحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر [دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط ١] (٦/٣).

(٢) "فَصِيَامُ" ورد في الأصل زائداً.

(٣) "يقطعه" ورد في الأصل ٣١٢/ب: قطعه.

(٤) قال ابن مودود في الاختيار: العبد لا يجزئه في الظهار إلا الصوم، فإن لم يجد ما يعتق صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ويوما العيد وأيام التشريق، فإن جامعها في الشهرين ليلاً أو نهاراً، أو نهاراً، أو ناسياً، بعذر أو بغير عذر استقبل. انظر: الاختيار لتعليل المختار لابن مودود الموصلي (١/٣٨). وتحفة الفقهاء للسمرقندي (٢/٢١٥).

(٥) قال الدسوقي المالكي: لا يَنْقَطِعُ تَتَابُعُ الصَّوْمِ سِوَاءَ كَانَ كَفَّارَةً قَتْلٍ أَوْ صَوْمٍ أَوْ كَانَ نَذْرًا مُتَتَابِعًا بِالْحَيْضِ... (ولا يَفْطِرُ نَسِيَانًا) أي: بِغَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ بِهِ نَهَارًا فِي غَيْرِ الْمُظَاهَرِ مِنْهَا، وَأَمَّا فِيهَا فَتَقَدَّمَ أَنَّهُ يَنْقَطِعُ بِهِ تَتَابُعُهُ وَإِنْ لَيْلًا نَاسِيًا. انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفه الدسوقي (٢/٤٥٢).

(٦) قال أبو إسحاق الشيرازي الشافعي: وإن أفطر في يوم منه من غير عذر لزمه أن يستأنف، وإن جامع بالليل قبل أن يكفر أم؛ لأنه جامع قبل التكفير، ولا يبطل التتابع؛ لأن جماعه لم يوتر في الصوم فلم يقطع التتابع كالأكل بالليل. انظر: المهذب للشيرازي (٢/١١٧).

زواله ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ وهو نصف صاع^(١) من بر، أو صاع من شعير اعتباراً بالفطرة^(٢). وعند الشافعي رحمه الله مُدٌّ^(٣) بمُدِّ رسول الله ﷺ وهو رطل^(٤) وثلاث، وكل خمسة أرطال وثلاث، ستمائة درهم وثلاثة وتسعون درهماً وثلاث درهم. والدليل للشافعي حديث الأعرابي الذي جامع في رمضان^(٥) وإنما لم يُعَدِ التماس؛ لتقدمه مكرراً، أو لجوازه في خلال الإطعام كما قال أبو حنيفة رحمه الله. وأجراه بعضهم على الظاهر. ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرعا من الأحكام، وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: الأحكام المذكورة فلا تتجاوزوها. ﴿وَاللَّكَافِرِينَ﴾ الذين لم يصدقوا. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جزاء لكفرهم.

(١) الصاع: مكيال يكال به الحيوان وغيره، أربعة أمداد بإجماع العلماء. انظر: القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب [دار الفكر - دمشق - ١٩٩٣م، ط ٢] (٢١٨/١). والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢٩٦/٢).

(٢) أي: قياساً على زكاة الفطر في نهاية شهر رمضان.

(٣) المد: مكيال قدم، وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز، أي: ربع صاع، ورطلان عند أهل العراق. وعند الشافعي: رَطْلٌ وَثَلْتٌ بَعْدَادِيٌّ، وَقُدْرَتٌ بِالْبَعْدَادِيِّ؛ لِأَنَّ الرُّطْلَ الشَّرْعِيَّ، لِأَنَّ الرُّطْلَ الدَّمَشْقِيَّ سِتْمِائَةٌ دِرْهَمٍ. وَعِنْدَ الرَّافِعِيِّ: أَنَّ الرُّطْلَ الْبَعْدَادِيَّ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا فَيَكُونُ الْمُدُّ مِائَةً وَثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ دِرْهَمًا وَثَلْتٌ دِرْهَمٍ. انظر: القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب (٣٣٧/١). والصحاح في اللغة للجوهري (١٦٣/٢). وروضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٢١٩/٣).

(٤) الرُّطْلُ: مِقْدَارُ نِصْفِ مَنْ، وَتُكْسَرُ الرَّاءُ فِيهِ. انظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٣١٦/٢). والعين للخليل بن أحمد (٩٧/٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر (رقم: ١٨٣٤) بلفظ: عن الزهري قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ؓ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: ما لك، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر - والعرق المكتل - قال: أين السائل، فقال: أنا قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لابتها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك. ومسلم، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في ثمار رمضان على الصائم (رقم: ١٨٧٣).

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يشاققوهما. من الحد؛ لأن كلاً من المتعادين^(١) في حد، أو^(٢) يقابلوهما في شرع الحدود، وخلاف ما شرعا. ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أُخْزُوا وأهلكوا مثلهم. قيل: الضمير في ﴿كُتِبُوا﴾ لبي قريظة^(٣). فإن رسول الله ﷺ قتلهم وسبى ذراريهم بعد الخندق. و﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ المشركون يوم بدر. ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات لا يُبْسُ بها^(٤). ﴿وَاللَّكَافِرِينَ﴾ بتلك الآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لاستكبارهم عن الإيمان بها.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ظرف لـ ﴿مُهِينٌ﴾؛ لأن الخزي في الجمع الكثير أشق، أو منصوب بـ "اذكر". ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من التكذيب وسائر المعاصي على رؤوس الأشهاد؛ تكميلاً للخزي والإهانة ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٥) ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ علمه مفصلاً ﴿وَتَسْوَهُ﴾ لتهاونهم. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل ما يطلق عليه اسم الشيء من الذرات ﴿شَهِيدٌ﴾ حاضر يعلمه عياناً. ثم أقام البرهان عليه بقوله:

[٧-٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الأجزاء والجزئيات. والخطاب عام. ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ اسم من النجوى: وهو القطع؛ لأن السر منقطع عن الغير، أو من النجوة: وهي الارتفاع؛ لعدم وصول العين إليه. والمعنى: ما يكون شيء من نجوى ثلاثة نفر. على أن نجوى مضاف إلى الثلاثة، أو موصوف بها. أي: من

(١) "المتعادين" ورد في (ر) ٤٦٩/ب: المتعادين.

(٢) "أو" ساقط من (ر) ٤٧٩/ب.

(٣) بنو قريظة: حي من يهود المدينة، ينتهي نسبهم إلى هارون أخي موسى عليهما السلام، سكنوا المدينة، غزاهم رسول الله ﷺ لما نقضوا العهد وظاهروا المشركين في غزوة الأحزاب، فأمر بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم واستفاعة أموالهم. انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٥٦/٧). والنهاية لابن الأثير (٢١٥/٤).

(٤) "بها" ورد في الأصل ٣١٦/ب: لها، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) جزء آية من سورة هود، الآية: ١٨.

أهل نجوى. فحذف الأهل، وجعلوا نفس النجوى مبالغة. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ في العلم. ﴿وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ كذلك. وتخصيص العددين إما نظراً إلى الواقع وهو ما روي أنها نزلت في حبيب^(١) وربيعة^(٢) ابني عمرو، وصفوان بن أمية^(٣) كانوا يتناجون بأحوال المؤمنين^(٤). وذكر معه الخمسة؛ لتناسب الوترين، أو لأن النجوى إنما تكون^(٥) من ذوي الأحلام والنهي، وهم قليلون في الأغلب لا يعدون عشرة، فذكر الوترين؛ لأن الله وتر يجب الوتر. ثم أشار إلى الطرفين بقوله: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ على أنه لو ذكر الأربعة لم يتناول الأدنى الإثنين إلا على التوسع. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ إذ علمه بالأشياء لا يتفاوت، والقرب والبعد منه محالان ﴿ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يجازيهم عليه، أو يوبخهم به تفضيحاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ تعجيب السامع لوقاحتهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في

(١) هو: حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن غيرة - بكسر المعجمة وفتح التحتانية - بن عوف بن ثقيف الثقفي. روى ابن جرير من طريق عكرمة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٧٨} قال: نزلت في ثقيف منهم مسعود وحبيب وربيعة وعبد ياليل بن عمرو بن عمير. انظر: الإصابة لابن حجر (٢١/٢).

(٢) هو: ربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف أخو أبي عبيد والد المختار روى ابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في ربيعة بن عمرو وأصحابه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ.. الآية﴾ {جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٧٩}. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٧٠/٢).

(٣) هو: صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، يكنى أبا وهب، أسلم بجنين وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين خمسين بغيراً. قيل له: إنه لا إسلام لمن لم يهاجر فقدم المدينة، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال له: عزمت عليك يا أبا وهب لما رجعت إلى أباطح مكة، فرجع إلى مكة فلم يزل بها حتى توفي أيام خروج الناس من مكة إلى الجمل، وذلك في شوال سنة ٣٦هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٣٢/٣). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٩/٥). والاستيعاب لابن عبد البر (٧١٨/٢).

(٤) لم أعر عليه.

(٥) "تكون" ورد في (ر) ٤٦٩/ب: يكون.

المنافقين^(١). وعن مجاهد: في اليهود، كانوا إذا رأوا المؤمنين سارَّ بعضهم بعضاً وغمزوهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم فلم ينتهوا^(٢) ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ بالكذب والظلم ومخالفة الرسول. بيان وكشف عن حال نجواهم بما يؤكد ذمهم، إذ لو كان تناجيهم بما فيه خير؛ كان أمر الرسول موجباً للانتهاك والامتنال. وقرأ حمزة ﴿يَتَنَاجَوْنَ﴾ مقصوراً. عن الفراء كلاهما بمعنى^(٣). ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون: السام عليكم^(٤) والسام هو الموت. ويقول الله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾^(٥). روى البخاري: ((أَنْ يَهُودِيًّا مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ. فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَكُونِي فَحَاشَةَ. قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعِ مَا قَالَ^(٦)؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ قُلْتُ: وَعَلَيْكَ. فَيَسْتَجَابُ لِي وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ))^(٧) ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ إن كان نبياً كما يزعم. ﴿حَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ﴾ كافيهم في العذاب. ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها. ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم. والفاء للسببية؛ مبالغة في استحقاقهم. وليس في القرآن شيء غيره.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٤٣/١٠). والدر المنثور للسيوطي (٨٠/٨).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/٢٨). والدر المنثور للسيوطي (٧٩/٨).

(٣) قال القرطبي في تفسيره: قال النحاس: حكى سيبويه أن تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد، نحو تخاصموا واختصموا، وتقاتلوا واقتتلوا فعلى هذا "يتناجون" و"ينتجون" واحد. انظر: تفسير القرطبي (٢٩١/١٧). والتفسير الكبير للرازي (٢٧١/١٥).

(٤) "السام عليكم" ورد في (ح) ٥٢٠/أ، و (ر) ٤٧٠/أ: السام عليك.

(٥) جزء آية من سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٦) "قال" ورد في (ح) ٥٢٠/أ: قالت.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (رقم: ٢٤٧٨). ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (رقم: ٢١٦٦).

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾
 صرح بما علم ضمناً؛ ليرتب عليه قوله: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ بما فيه [٣١٦/ب] الثواب
 والاتقاء عن معصية الرسول. ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في مجامع أموركم.

[١٠] ﴿إِنَّمَا التَّحْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: نجوى المنافقين. ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
 الشيطان أو التحوى. وقرأ نافع "يَحْزَنُ" بضم الياء على أنهما لغتان. وقال الخليل (١): أحزنه:
 أدخل فيه الحزن، فهو أبلغ. ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فعلى المؤمن إذا رأى شيئاً
 من ذلك أن لا يحزن. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لعلمهم بأن لا ضار ولا نافع غيره.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ توسعوا وتباعدوا.
 عن ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في مواضع الحرب، كانوا يتنافسون فيها (٢). وعن مقاتل (٣): كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفة يوم الجمعة، فجاء البديون والصفة غاصة بالناس فلم يجدوا موضع
 الجلوس فوقفوا. فأقام (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة حتى جلس البديون. فنزلت (٥). روى

(١) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، من أئمة النحو والأدب، ولد بالبصرة سنة مائة للهجرة،
 كان رأساً في لسان العرب، ديناً، مفرطاً في الذكاء. قال النضر: أقام الخليل في خص له بالبصرة لا يقدر على فلسطين
 وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال، له مصنفات منها: "العين في اللغة"، مات ولم يتمه، و"معاني الحروف"، و"جملة آيات
 العرب"، و"تفسير حروف اللغة"، و"العروض"، و"النقط والشكل"، وغيرها. توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: شذرات الذهب
 لابن العماد (٢٧٦/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٩/٧). والبلغة للفيروزآبادي (٩٩).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/٢٨). والدر المنثور للسيوطي (٨٢/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير
 (٣٢٧/٤).

(٣) هو: مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي، الخزاز، مولى بكر بن وائل. من الذين عاصروا صغار التابعين، كان
 ناسكاً فاضلاً، هرب من أبي مسلم إلى كابل. توفي هناك قبيل سنة ١٥٠هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٥٠٨/٧).
 وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٧٤/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٠/٦). وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢٤٨/١٠).

(٤) "فأقام" ورد في الأصل ٣١٧/أ: وأقام، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٨٢/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٥/٤).

البخاري ومسلم: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يُقِمُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ مَكَانَهُ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا))^(١) وقرأ غير عاصم ﴿الْمَجْلِسِ﴾ مفرداً وعليه الرسم. ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المجلس قيل: لم يضق المكان قط عن جاء بعد التفسح، أو في أموركم كلها بركة الامتثال. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ عن الحسن: انهضوا إلى الحرب^(٢). وعن قتادة: إلى كل معروف^(٣). وعن أبي زيد^(٤): ارتفعوا عن مجلسه^(٥). وقرأ نافع وابن عامر وحفص بضم الشين، وأبوبكر بخلاف عنه. وهما لغتان. والكسر أخف. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ جزم على الجواب أي: إن^(٦) امثلوا أمر الله يرفع الله لهم المنزلة لأجل تواضعهم. ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ خاصة ﴿دَرَجَاتٍ﴾؛ للجمع بين العلم والعمل. وفي الحديث: ﴿فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ﴾^(٧) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الامتثال. ﴿خَيْرٌ﴾ فليكن ذلك عن إخلاص وصفاء قلب.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاسئذان، باب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا.. الآية﴾ (رقم: ٥٧٩٩). ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح. (٤٠٤٤).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٨/٢٨). وتفسير القرآن للصنعاني (٢٨٠/٣).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٨/٢٨). وتفسير القرآن للصنعاني (٢٧٩/٣-٢٨٠).

(٤) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر وصفوان بن سليم وأبي حازم سلمة بن دينار، وعنه بن وهب وعبد الرزاق ووكيع والوليد بن مسلم وابن عيينة وغيرهم. قال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً. توفي بالمدينة في أول خلافة هارون سنة ١٨٢هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٦١/٦). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤١٣/٥). والضعفاء الصغير للبخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد [دار الوعي- حلب- ١٣٩٦هـ، ط ١] (٧١).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (١٨/٢٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٧/٤).

(٦) "إن" ساقط من (ر) ٤٧٠/ب.

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (رقم: ٣١٥٧). والترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة. (رقم: ٢٦٠٩) واللفظ له. والدارمي في سننه، باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله (رقم: ٢٨٩).

[١٢] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾

كان يخاطبه المؤمن والمنافق، وأجلاف البوادي، والإماء والعبيد، ويرمون^(١) فيما لا طائل تحته. فأراد الله إظهار كرامته، فأوجب لمن أراد أن يناجيه أن يتصدق أمام نجواه بشيء، فبقي الأمر على ذلك عشرة أيام، وقيل: ساعة، ثم نسخ بالذي بعدها. وعن علي بن أبي طالب: لم يعمل بها غيري، كان معي دينار فصرفته، وكنت إذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم^(٢). وعن ابن عمر: كانت في علي ثلاث لو كانت في واحدة كانت أحب إلي من جميع النعم: صهارة رسول الله ﷺ، وفاطمة، والنجوى، والراية يوم خيبر^(٣). ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أي: التصدق^(٤) من الإمساك. ﴿ وَأَطَهْرُ ﴾ فإن الصدقة طهرة الذنوب، لا سيما في مناجاة رسول الله ﷺ. ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أباح المناجاة من غير تقديم صدقة.

[١٣] ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ أي: أخفتم مما أمرتم به

من الصدقة بين يدي النجوى؟. والجمع باعتبار كثرة المخاطبين. الهمة للتقرير. ولم يرد نص على إظهارهم الخوف، ولكن الله أخبر عما حدثت به أنفسهم. ﴿ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن رخص لكم ترك الصدقة أمام النجوى. الجمهور على أن هذا ناسخ لوجوب الصدقة. وقيل: نسخت بوجوب الزكاة. ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ مسبب عما قبله، كأنه قال: لا تقصروا في أدائهما كما قصرتم في الصدقة. وفيه نوع تعبير لهم. ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

(١) "ويرمون" غير واضحة في الأصل.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠/٢٨). والمستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة المجادلة (رقم: ٣٧٩٤). ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (رقم: ٣٢١٢٥).

(٣) أورده القرطبي والزمخشري بلفظ: عن ابن عمر: كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. انظر: تفسير القرطبي (٣٠٢/١٧). والكشاف للزمخشري (١٦/٧).

(٤) "التصدق" ورد في (ح) ٥٢٠/ب: الصدقة.

وَرَسُولُهُ ﴿ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ وَإِنْ كَانَتْ شَاقَّةً عَلَيْكُمْ. ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً، فيجازيكم على حسب ذلك.

[١٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ تعجيب (١) من حال المنافقين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ﴿ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ أي: المنافقون ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود. ﴿ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ ﴾ الذي هو ادّعاء الإسلام. ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون (٢) فيتعمدون الكذب. وهي اليمين الغموس (٣).

[١٥] ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ نوعاً منه متفاقماً. ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في الأزمنة المتطاولة، أو هو حكاية ما يقال لهم يوم القيامة.

[١٦] ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ يتسترون بها ويدفعون اطلاع المؤمنين على حالهم. ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الذين يريدون الإسلام. يوهنون أمر الإسلام، وأنه لا بقاء له. عن ابن عباس رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرِهِ (٤)، فَقَالَ: سَيَأْتِيكُمْ الْآنَ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعْينِ شَيْطَانٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُبْتَلٍ (٥). فَقَالَ

(١) "تعجيب" ورد في الأصل ٣١٧/أ: تعجب، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) "أهم كاذبون" ساقط من الأصل.

(٣) اليمين الغموس: هي اليمين الكاذبة الفاجرة كالتي يقتطع بها الخالف مال غيره. سميت غموساً؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. وقيل: هي الحلف على فعل أو ترك ماضٍ كاذباً. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٣/٣٨٦). والتعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ص ٣٣٣). والتعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية [دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق - ١٤١٠هـ، ط ١] (١/٧٥١).

(٤) "حجره" ساقط من الأصل ٣١٨/أ، والمثبت من (ح) ٥٢١/أ، و (ر) ٤٧٠/أ.

(٥) ذكره ابن حجر في الإصابة دون أن يترجم له، وقال عنه: عبد الله بن نبتل بن الحارث الأنصاري، سيأتي ذكر أبيه، وقد ذكر الواقدي لولد هذا قصة في عهد عمر. وقيل: إن هذا كان من المنافقين. انظر: الإصابة لابن حجر (٤/٢٤٩). ولم أجده في غيره.

لَهُ رَسُولٌ اللَّهُ ﷺ: عَلَامٌ (١) تَشْتَمِي أَنْتَ وَ (٢) أَصْحَابُكَ ؟. فَجَاءَ أَصْحَابُهُ فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا. فَنَزَلَتْ (٣). ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لكفرهم وصددهم. وقيل: الأول عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة (٤).

[١٧] ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من عذاب الله أو شيئاً من الإغناء. وذلك أنهم كانوا يقولون: لنا الأموال والأولاد، إن كان لقول محمد أصل، نفتدي بها يوم القيامة. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أبداً.

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿فِيحْلِفُونَ لَهُ﴾ ﴿١٣٧﴾ أنهم مؤمنون حقاً. ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا. ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أن تلك الأيمان (٥) تروج عنهم كما راجت في الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الغالون في الكذب. كأن من عداهم ليس بكاذب.

(١) "عَلَامٌ" ورد في جميع النسخ: على ما، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) "وَ" ورد في (ح) ٥٢١/أ: وما "ما" زائداً.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٢٩). ومعالم التنزيل للبغوي (٨/٦١) بلفظ: قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال النبي ﷺ: "علام تشتمني أنت وأصحابك؟" فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله عز وجل هذه الآيات، فقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ {جزء آية سورة المجادلة، الآية: ١٤}. وأسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي [مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٨هـ] (٤٧٦).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/٢٧٩). وفتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني [دار الفكر - بيروت] (٧/١٧٩).

(٥) "الأيمان" ساقط من (ح) ٥٢١/أ.

[١٩] ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى على قلوبهم. بيان لذلك الكذب المفرط. ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فلا يتأملون في صفاته ليميز لهم ما لا يليق بكبريائه. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ جنده^(١). ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الكاملون في الخسران.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أعاده؛ ليفصل أحوالهم الجملة في "كبتوا"، ويقرن^(٢) بها أحوال أصدادهم المؤمنين حزب الرحمن. ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ في زمرة هم أذل خلق الله.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالسيف والرهان. وذكر الله؛ بيان أن الرسل عنده بمكان، كأنه معهم في المناظرة والمخاربة. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ ذو قدرة كاملة. ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب قاهر.

[٢٢] ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ لأنه جمع بين الضدين. قال:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ لَيْسَ التَّوَكُّ عَنكَ بِعَازِبٍ^(٣)

والمعنى: لا ينبغي الوجدان. وإنما عبر عنه به؛ مبالغة. فإن الواقع عدم الانبغاء لا الوجدان، فصوّر بصورته؛ إبرازاً بما^(٤) لا يتمتع ممتنعاً. ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

(١) "جنده" ورد في (ح) ٥٢١/أ: جند.

(٢) "ويقرن" ورد في الأصل ٣١٧/ب، و (ر) ٤٧٢/أ: يقولون، والمثبت من (ح) ٥٢١/أ.

(٣) البيت لبشار بن برد من الطويل، ونسبه ابن عبد ربه الأندلسي للعتابي. انظر: ديوان بشار بن برد لأبي معاذ بشار بن برد العقيلي، شررقم: مهدي محمد ناصر الدين [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٣م] (١/٣٠٠). والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٢/٢١٢). والأماي لأبي علي القالي (١/٨٤).

النوك: الحمق. واستشهد به المؤلف على أن مولاة الولي ومولاة عدوه متافيان.

(٤) ورد في الأصل: لما، والمثبت من بقية النسخ.

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿١﴾ كما فعل أبو عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر وكان أسيراً، ذكر رسول الله ﷺ بما لا يليق به فضرب عنقه^(١). وأبو بكر دعا ابنه إلى^(٢) البراز يوم بدر^(٣). ومصعب بن عمير^(٤) قتل أخاه يوم بدر^(٥). ولما استشار رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ في الأسرى قال: هؤلاء رؤوس الكفار، مكني من فلان لقريب له، ومكن علياً من عقيل^(٦)،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، ذکر مناقب أبو عبيدة بن الجراح ﷺ (رقم: ٥١٥٢) بلفظ: " عن عبد الله بن شوذب قال جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب الأمل لأبي عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ {جزء آية من سورة المجادلة، الآية: ٢٢}. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب المسلم يتوقى في الحرب قتل أبيه ولو قتله لم يكن به بأس (رقم: ١٧٦١٣). أما ما ذكره المؤلف من أن أبا عبيدة ﷺ قتل أباه؛ لأنه سب النبي ﷺ فلم أعتز عليه. وإنما أورد السيوطي في الدر المنثور (٨٦/٨) قال: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكّه أبو بكر صكّة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أفعلت يا أبا بكر، فقال: والله لو كان السيف مني قريباً لضربتته فنزلت (لا تجد قوماً) الآية.

(٢) "إلى البراز" ورد في جميع النسخ: على البراز، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب عبد الرحمن بن أبي بكر (رقم: ٦٠٠٤).

(٤) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، بعثه رسول الله ﷺ بعد بيعة العقبة الأولى إلى المدينة، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فأسلم أهل المدينة على يده قبل قدوم النبي ﷺ إليها. استشهد بأحد. انظر: الثقات لابن حبان (٣٦٨/٣). والإصابة لابن حجر (١٢٣/٦). والاستيعاب لابن عبد البر (١٤٧٣/٤).

(٥) اتفق العلماء على أن أبا مصعب بن عمير قتل يوم أحد وليس يوم بدر، ولكن اختلفوا في المقتول من إخوته. قال المفسر أبو السعود: وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد. وردّ ابن حجر في الإصابة، وابن عبد البر في الاستيعاب أن يكون المقتول أبا عزيز بل ترجما له في الصحابة. قال ابن حجر: وقال الزبير بن بكار وابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والدارقطني: إن أبا عزيز قتل يوم أحد كافراً وردّ ذلك أبو عمر بأن ابن إسحاق عدّ من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلاً ليس فيهم أبو عزيز، وإنما فيهم أبو يزيد بن عمير. انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٦٩٨/٤). والإصابة لابن حجر (٢٧٤/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٧١٤/٤).

(٦) هو: عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أبو يزيد وأبو عيسى، ابن عم رسول الله ﷺ، كان أسنّ من أخيه علي ﷺ بعشرين سنة، ومن جعفر الطيار بعشر سنين، هاجر في مدة الهدنة وشهد مؤتة. توفي زمن معاوية سنة ٦٠هـ. وقيل بعدها. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٣٩٦/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩٩/٣).

وفلاناً من فلان، ليعلم المشركون أن لا هودة في قلوبنا^(١). ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانَ﴾ ألزمه فيها إلزام المكتوب في الرق. ﴿وَيَدْخُلُهُمْ بُرُوحٌ مِنْهُ﴾ بقوة من عنده حتى اجترأوا
 على قتل أعزتهم. أو بنور الإيمان فإنه حياة للقلوب. ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٢) وفيه دليل
 على أن الإيمان فعل القلب^(٣) ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قبل طاعاتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما جاءهم به^(٤). ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
 اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أولئك هم الفائزون في الدارين بالغلبة في الدنيا، والجنة في العقبى.

تمت المجادلة، والحمد لمن آلاؤه شاملة، والصلاة على سيد الزمرة الكاملة، وآله وصحبه
 دائمة متواصلة.

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/٢٦١).

(٢) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٣) اختلف العلماء في مسمى الإيمان في عرف الشرع: فبعضهم ذهب إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب. أي: تصديق
 الرسول ﷺ في كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقاً جازماً مطلقاً أي: سواء كان لدليل أو لا.

وهو مذهب المحققين وأكثر الأئمة كالأشعري، والقاضي عبد الجبار، والأستاذ أبي إسحق الإسفرائيني، والحسين بن الفضل
 وغيرهم.

وذهب البعض الآخر إلى أن الإيمان فعل القلب واللسان مع سائر الجوارح. وهو مذهب أصحاب الحديث، ومالك،
 والشافعي، وأحمد، والأوزاعي. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني [دار إحياء
 التراث العربي - بيروت] (١/١٠٢ - ١٠٤).

(٤) في (ح) ٣١٧/ب، و(ر) ٤٧١/أ: بما جاءهم به.

سورة الحشر

مدنية، وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سبق الكلام عليه. (١)

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لا أنتم (٢). والمراد بنو النضير (٣). وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاء إلى المدينة، ودعاهم إلى الإيمان وأبوا، عاهدتهم أن لا يكونوا (٤) لا له ولا عليه، حتى قتل عمرو بن أمية (٥) رجلين من بني عامر خطأ،

(١) يعني بذلك: عند مطلع سورة الحديد.

(٢) "أنتم" ساقطة من (ح) ٥٢١/ب.

(٣) بنو النضير: حي من يهود خيبر من آل هرون أو موسى عليهما السلام وقد دخلوا في العرب. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/٢١٤).

(٤) في (ح) ٥٢١/ب: لأن لا يكون.

(٥) عمرو بن أمية بن نحويلد الضمري، أبو أمية، صحابي مشهور. روى عنه بنوه، والشعبي، وأبو قلابة، وغيرهم. أسلم بعد أحد، وكان شجاعاً، أول مشاهدته بئر معونة وأسر فيها. توفي بالمدينة في خلافة معاوية. وقال أبو نعيم: توفي قبل الستين. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي (٢/٧٢). والإصابة لابن حجر (٤/٦٠٢).

فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية الرجلين. وكان بنو عامر حلفاء^(١) بني النضير. فقالوا: نفعل ذلك يا أبا القاسم. وأجلسوه في ظل جدار، وأخذوا في المشاورة وقالوا: ما نرى فرصة أحسن من هذه. فانتدب عمرو بن جحاش^(٢) لقتله بأن يصعد ويلقي عليه صخرة. فأتاه خبر السماء بكيدهم، ففكر راجعاً. وكان معه أبو بكر وعمر، وعلي ﷺ. فتجهز لقتالهم وسار إليهم. وكانت لهم حصون منيعة، فتحصنوا بها على ما يفصل بعد. كان بعد أخذ وقيل: بعد بدر بستة أشهر^(٣). ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ واللام للتوقيت، مثل ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٤) ومعنى أولية الحشر أنهم لم يكن أصابهم جلاء، وأول مجيئهم من الشام إلى أرض العرب كان باختيار منهم، أو أنهم أول من أخرج من جزيرة العرب، أو أن هذا أول حشر أهل الكتاب والثاني: إجلاء عمر أهل خيبر، أو آخر حشرهم يوم القيامة. حاصرهم ستة أيام، ثم اتفقوا على أن لهم ما حملت الإبل فأجلاهم إلى الشام، ولحق بعضهم بخيبر. وأسلم منهم رجلان يامين بن عمرو^(٥)، وأبو سعيد^(٦) بن وهب^(١). واستدلال عكرمة^(٢) بالآية على أن^(٣)

(١) ورد في جميع النسخ "خلفاء"، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) هو: عمرو بن جحاش بن كعب بن بسيل النضري، ابن عم الصحابي يامين بن عمرو، قال ابن إسحاق: حدثني بعض آل يامين أن النبي ﷺ قال ليامين: "ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحاش وما هم به من قتلي؟ - يعني في قصة بني النضير، وكان أراد أن يلقي على النبي ﷺ رحي فيقتله فأذره جبريل فقام من مكانه ذلك - فجعل يامين لرجل جُعلأ على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر (٦/٦٤١).

(٣) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (١/٤٥٠). وجامع البيان للطبري (٦/١٤٤). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٣٢).

(٤) جزء آية من سورة الفجر، الآية: ٢٤.

(٥) ذكر ابن حجر أن اسمه يامين بن عمير بن كعب أبو كعب النضري. ذكره أبو عمر فقال: كان من كبار الصحابة، أسلم فأحرز ماله، ولم يحرز ماله من بني النضير غيره وغير أبي سعيد بن عمرو بن وهب. انظر: الإصابة لابن حجر (٦/٦٤١). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٥٨٩).

(٦) هكذا في الأصل، وورد في بقية النسخ "أبو سعد".

أرض الشام هي المحشر^(٤) غير تام. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أيها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم. ﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانَعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ كان الظاهر وظنوا أن لا يخرجوا^(٥). فالعدول إلى المنزل؛ لما في تقديم الخبر ثم إسناد الجملة إلى الضمير من الدلالة على أن ظنهم قارب اليقين، لا كظن المؤمنين. ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: بأسه. ولم يكن ذلك [٣١٧/ب] في حسابهم^(٦)؛ لاعتمادهم على شدة بأسهم، وحصانة حصونهم. ﴿وَوَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف الذي يملأ الصدر. وأكدته بلفظ القذف الدال على القوة. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ عن قتادة: كانوا يخربونها ليصلحوا به ما تهدم من السور^(٧). أو كانوا يفعلون ذلك لثلا يبقى^(٨) للمسلمين جنة. ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم تسبوا لذلك. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ ولا تخالفوا أمر الله ورسوله، أولا تعتمدوا على قواكم، واتكلوا

(١) أبو سعد بن وهب النضري - بفتح الضاد المعجمة - من بني النضير إخوة قريظة. قال ابن إسحاق في المغازي: لم يسلم من بني النضير سوى الرجلين يامين بن عمرو بن كعب وأبي سعد بن وهب فأحرزا أموالهما. ووقع في كلام أبي عمر أنه نزل إلى النبي ﷺ يوم قريظة، وهو خطأ تعقبه الرشاطي، فإن قصة بني النضير متقدمة على قصة بني قريظة عمدة طويلة. انظر: الإصابة لابن حجر (١٧٣/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٦٦٨/٤).

(٢) هو: عكرمة مولى عبد الله بن عباس، أبو عبد الله المدني، أصله من البربر من أهل المغرب، ثقة ثبت عالم بالفسير. قال ابن المديني: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة، كان من أهل العلم. توفي سنة ١٠٥ هـ، وقيل: بعد ذلك بـ المدينة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٤٣/١). والنقات لابن حبان (٢٢٩/٥). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٩٥/١).

(٣) "أن" ساقطة من (ح) ٥٢٢/أ.

(٤) أورد السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الحميد عن عكرمة قال: من شك أن المحشر إلى بيت القدس فليقرأ هذه الآية (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول المحشر). انظر: الدر المنثور للسيوطي (٩٢/٨).

(٥) في (ح) ٥٢٢/أ: ظنوا أن يخرجوا.

(٦) "ذلك في حسابهم" في (ح) ٥٢٢/أ: ذلك في حسابهم، وفي الأصل: بذلك في حسابهم، والمثبت من (ر) ٤٧١/ب.

(٧) أورده الطبري في تفسيره (٣٠/٢٨) عن ابن عباس والضحاك. ولم أجد من نسبه إلى قتادة.

(٨) في (ر) ٤٧١/ب: تبقى.

على الله في أموركم. وفيه دليل على جواز القياس فيما لا نص فيه بشرائطه المعلومة في موضعه^(١). وقرأ أبو عمرو بالتشديد وهو أبلغ؛ لدلالته على التكثر.

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الذي هو أشق. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل وسي الذراري كما فعل بيني قريظة^(٢). ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الذي القتل والجلاء عنده أهون شيء.

[٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: ذلك الغضب الذي أورثهم عذاب الدارين لأجل^(٣) أنهم عادوا رسول الله وكذبوه. وذكر الله تعالى؛ للدلالة على أن مشاققة رسوله مشاقته، ولذلك اكتفى به في قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وفيه تهديد لغيرهم.

(١) القياس في الشرع: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. وقال الآمدي في الإحكام: والمختار في حد القياس أن يقال: إنه عبارة عن الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل.

قال الآمدي في الإحكام: الحجة المنعوية للقياس: هي أن النص والإجماع مما يقل في الحوادث ويندر، فلو لم يكن القياس حجة أفضى ذلك إلى خلو أكثر الوقائع عن الأحكام الشرعية، وهو خلاف المقصود من بعثة الرسل وذلك ممتنع. ودليل القياس من الكتاب قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) أمر بالاعتبار، والاعتبار: هو الانتقال من الشيء إلى غيره، وذلك متحقق في القياس حيث إن فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع.

انظر: الإحكام لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: سيد الجميلي [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ، ط ١] (٣/٢٠٩ - ٤/٣٢). والمستصفي للغزالي (١/٧٥). وروضة الناظر وجنة المناظر، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد [جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ١٣٩٩، ط ٢] (١/٢٧٥).

(٢) بنو قريظة: حي من يهود، دخلوا في العرب، نسبهم إلى هرون أخي موسى عليهما السلام، منهم محمد بن كعب القرظي، كانوا بالمدينة فنقضوا العهد وظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ فأمر بقتل مقاتلتهم وسي ذراريهم واستفاءة أموالهم. انظر: لسان العرب لابن منظور (٧/٤٥٦).

(٣) في (ح) ٥٢٢/أ: لأجلهم.

[٥] ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ هي: النخلة ما عدا العجوة^(١) والبرنية^(٢) من اللون. سميت به؛ لاشتغالها على الألوان. قلبت الواو ياء للكسرة، والجمع لينٌ. ﴿ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لما أمر رسول الله ﷺ بقطعها وتحريقها وقع في قلوب المؤمنين وسوسة. وقيل: أرسلت قريظة^(٣) تقول: "يا محمد كنت تنهى عن الفساد فنزلت^(٤). وفيه يقول حسان بن ثابت^(٥):

وهان على سراة بني لؤيٍ
حريقٌ بالبويرةٍ مُستطيرٌ^(٦)

وإنما أبقوا العجوة والبرنية، لأنهما أحسن. ﴿ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ اليهود إذا شاهدوا ذلك. والمعلل محذوف. أي: أذن لكم.

(١) العجوة: تمرٌ بالمدينة، يقال: إته غرسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انظر: العين للخليل بن أحمد (١/١٢٢).

(٢) البرنية ثوبٌ من أجود التمر. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي المقرئ [المكتبة العلمية - بيروت] (١/٢٧٧).

(٣) الصواب بنو النضير. انظر: جامع البيان للطبري (٢٣/٢٧١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٦١).

(٤) قال الطبري: إنما أنزلت هذه الآية فيما ذكر من أجل أن رسول الله ﷺ لما قطع نخل بني النضير وحرقها، قالت بنو النضير لرسول الله ﷺ: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله ﷺ أو ترك، فعن أمر الله فعل. انظر: جامع البيان للطبري (٢٨/٣٤). والدر المنثور للسيوطي (٨/٩١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٣٤).

(٥) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري النجاري، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الوليد، ويقال: أبو الحسام، المدني، شاعر رسول الله ﷺ، كان ﷺ يقول له: اهجمهم - يعني المشركين - وروح القدس معك، وقال ﷺ: إن قوله فيهم أشد من وقع النبل. توفي قبل: الأربعين، وقيل: سنة أربعين، وقيل: خمسين، وقيل: أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/٢٩). والاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٤١). والإصابة لابن حجر (٢/٦٢). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (١/٣٢٠).

(٦) البيت لحسان بن ثابت - من الوافر - قاله عند تحريق نخل بني النضير. انظر: نهاية الأرب للنويري (٤/٤٣٦). وتاج العروس للزبيدي (١٠/٢٥٧). وجمهرة اللغة لابن دريد (٢/٧٥٣). ووجه الشاهد فيه: أن حسان ﷺ ذكر في شعره حادثة تحريق النبي ﷺ لنخل بني النضير.

[٦] ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ لقرب حصونهم ولم يقع منهم قتال. الإيجاف: الإسراع. والركاب: الإبل التي يسار بها. لا واحد له من لفظه. ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ بإلقاء الرعب في قلوب عدوهم. نزلت حين طلبوا منه قسمة أموالهم كما قسم أموال المشركين بيدر^(١). ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ينصر^(٢) بالملائكة وبدونها.

[٧] ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ لم يدخل العاطف؛ لأنه بيان الأول شامل لمال بني النضير، ولسائر أموال الفيء إلى يوم القيامة. ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ هذه مصارف مال الفيء وهي مصارف خمس الغنيمة. فلما قطع عنه مطامح أنظار أهل الغزو، أمره أن يضعها هذه المواضع. فكان رسول الله ﷺ يأخذ من ذلك قوت سنته وأهله، ثم يصرف الباقي في هذه المصارف^(٣). وكذلك فعلت الخلفاء مع أمهات المؤمنين. وذكر الله؛ للتعظيم. وقيل: يصرف سهمه^(٤) في عمارة الكعبة شرفها الله^(٥)، ولسائر المساجد. وذهب الشافعي إلى أن المصروف في هذه المصارف في زمانه كان أربعة أخماس الخمس، وأما الأخماس الأربعة^(٦) مضافاً إليها خمس الخمس، كانت خالصة رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة أهله، ويصرف الباقي إلى الكراع والسلاح^(٧)، وهي الآن تصرف

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٦/٢٨). والدر المنثور للسيوطي (١٠٠/٨).

(٢) في (ر) ٤٧٢/ب: ما ينصر.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (رقم: ٢٧٤٨). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء. (رقم: ١٧٥٧).

(٤) أي: سهم الرسول ﷺ.

(٥) "الله" ساقط من (ر) ٤٧٢/ب.

(٦) "أما الأخماس" ساقطة من الأصل ٣١٨/أ، والمثبت من (ح) ٥٢٢/ب و (ر) ٤٧٢/أ.

(٧) اختلف الناس في سهم الرسول ﷺ وسهم ذي القربى بعد وفاة رسول الله ﷺ. فقال قائلون: سهم القرابة لقرابة النبي، وقال قائلون: لقرابة الخليفة، وقال قائلون: سهم النبي للخليفة من بعده. قال: فأجمع رأيهم على أن يجعلوا هذين

إلى المرتزقة^(١). واستدل بحديث رواه البخاري عن عمر بن الخطاب^(٢). ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: إنما بيننا مصارف الفياء؛ كيلا يكون جدًّا وحظًّا بين الأغنياء يتكاثرون به. والدولة: ما يدول مع الإنسان من الحظ أي: يدور. فُعْلَةٌ بمعنى الفاعل. أو كي لا يكون دولة جاهلية. وكان أهل الشوكة يختصون بها ويقولون: " من عزَّ بَزٌّ " ^(٣)، أو بمعنى المفعول. أي: يتداولونه ويتعاورونه، كالغرفة لما يغترف^(٤). وقرأ هشام^(٥) في أحد الوجهين

السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله، قال: فكانا على ذلك خلافة أبي بكر وعمر. انظر: المغني لعبد الله بن قدامة المقدسي (٣١٦/٦). والأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق: خليل محمد هراس [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ] (٤١٦).

(١) أي: في زمن المؤلف. والمرتزة: من يعملون في مصالح الدولة لأجل الرزق. انظر: المجموع للنووي [دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م] (٢٠١/٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجن ومن يتترس بترس صاحبه (رقم: ٢٧٤٨). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفياء (رقم: ١٧٥٧).

(٣) "من" ساقطة من (ح) ٥٢٢/ب.

(٤) مثل ينسب لجابر بن رألان، وقع أسيراً مع رقيقين له في يد جند المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فطلب منه الملك أن يقرع بينهم، وأبهم خرجت قرعته خلى سبيله، فخرجت قرعة جابر فحلى سبيله وقتل صاحبيه، فقال جابر حينئذ: " من عزَّ بَزٌّ "، فذهبت كلمته مثلاً، والمعنى: من غلب فله الغنيمة. انظر: المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم جبار الله محمود بن عمر الزمخشري [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م، ط ٢] (٣٥٧/٢). وجمهرة الأمثال للعسكري (٢٨٨/٢). ومجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [دار المعرفة - بيروت] (٣٠٧/٢).

(٥) في (ح) ٥٢٢/ب: يغرف.

(٦) هو: هشام بن عمار أبو الوليد السلمى الدمشقي، العلامة، شيخ الإسلام، خطيب دمشق ومقرئها ومحدثها ومفتيها، ولد سنة ١٥٣هـ، حدث عن مالك ومسلم الزنجي وإسماعيل بن عياش والمهشم بن حميد، وحدث عنه أبو عبيد والبخاري وأبو داود والنسائي وجعفر الفريابي وعبدان. عرض القرآن على عراك بن خالد وأيوب بن تميم وتصدر للإقراء. توفي في المحرم سنة ٢٤٥هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤٥١/٢). والثقات لابن حبان (٢٣٣/٩). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٢٠٠/١).

بتأنيث الفعل، ونصب ﴿ذُولَةَ﴾، على أن كان ناقصة^(١). ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ لا تخالفوه في شيء، ولا تتوهموا في أفعاله وأقواله غير الحق. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعة رسوله. ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ حقيق بأن يتقى.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من ذوي القربى بإعادة الجار لا من الرسول وما عطف عليه^(٢)، لخروجه عنهم بقوله: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣) ولكونه أجل من أن يطلق عليه اسم الفقير، ولأن المبدل في حكم السقوط وذلك محل بتعظيم الله؛ لأن الاسم الأعظم وإن كان مذكوراً توطئة وتمهيداً إلا أنه لا يليق أن يقال أنه في حكم السقوط. ألا يرى أنه لا يقال له علامة لمكان التاء؟ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ استولى عليها المشركون. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ﴾ الجنة. ﴿وَرِضْوَانًا﴾ ورضاه. حال مقيدة. ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ دينهما. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في دعوى الإيمان؛ لتتور دعواهم بالبرهان.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الأنصار عطف على المهاجرين. أي: دار الهجرة ودار الإيمان. فاللام في الأول يغني غناء الإضافة وحذف ﴿١٣١٨﴾ المضاف من الثاني. أو أخلصوا الإيمان كقوله:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٤)

(١) في (ر) ٤٧٢/أ بزيادة "منكم"، والمثبت من الأصل و (ح) ٥٢٢/ب.

(٢) "عليه" ساقطة من (ر) ٤٧٢/أ.

(٣) جزء آية من سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) البيت لا يعرف قائله. ونسبه بعضهم لذي الرمة. وقد ذكره الشيرازي والفاضل اليماني صدرًا، وجعلوا المذكور عجزًا:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

لَمَّا حَطَّطْتُ الرِّحْلَ عَنْهَا وَإِرْدَا

وَأُورِدَهُ غَيْرَهُمَا صَدْرًا، وذكر له عجزًا:

أو جعل الإيمان مستقرّاً ومتوطناً على أنه استعارة مكنية. وهذا أبلغ الوجوه. وإطلاق الدار حيث؛ للتويه كأنها الدار التي يحق لها أن تسمى داراً. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرة المهاجرين. وقيل: سبقوا المهاجرين بالتبوء والإيمان. إذ سبق الأنصار بالإيمان على كل من هاجر غير مسلم. ولا يستقيم إلا بتقدير الإضافة. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يعدونه كلاً. قال سعد بن الربيع ^(١) لعبد الرحمن بن عوف - وكان رسول الله ﷺ آخى بينهما كما آخى بين المهاجرين والأنصار-: أشاطرك مالي، وانظر أيّ زوجتي أعجبتك، أطلقها فتزوجها ^(٢). ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ مما أعطي المهاجرون. وذلك أن

عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا.

انظر: خزنة الأدب للبغدادي (١٣٢/٣). وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الجليل - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط ٥] (٢/٢٤٥). وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الفكر - سوريا - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م] (٢/٢٠٧). وشرح شذور الذهب لعبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد الغني الدقر [الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م] (١/٣١٢).

وجه الشاهد: استشهد به على جواز حذف العامل (وهو الفعل) إذا دل عليه السياق. والمعنى: عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَ(سَقَيْتَهَا) مَاءً بَارِدًا، وكذلك في الآية ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ أي: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ(أَخْلَصُوا) الْإِيمَانَ.

(١) هو: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة وبدراً، وقتل يوم أحد شهيداً. انظر: الثقات لابن حبان (٣/١٤٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قَوْلِ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ انظُرْ أَيَّ زَوْجَتِي شَتَّتَ حَتَّى أَنْزَلَ لَكَ عَنَّا (رقم: ٤٦٨٤) بلفظ: عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي عَلَى السُّوقِ، فَأَتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقْطٍ وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ فَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ: مَهْمٌ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً قَالَ: فَمَا سَقَتْ إِلَيْهَا قَالَ: وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: أَوْلِمَ وَأَوْ بِشَاءً. والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، ذكر قول النبي ﷺ لولا الهجرة لكت امرأ من الأنصار (رقم: ٨٣٢٢). والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ (رقم: ١٩٤٣).

رسول الله ﷺ لم يعط من مال بني النضير الأنصار شيئاً، إلا أبا دجانة^(١) وسهل بن حنيف^(٢)، والحارث بن الصمة^(٣). وقد بالغ في مدحهم حيث نكر الحاجة وذكر الصدر والوجدان. أي^(٤): لم يخطر بخاطرهم ما يسمى حاجة، فضلاً عن توجه النفس إلى طلبها؛ ولذا أوتر الوجدان دون العلم. ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يختارون المحتاج على أنفسهم بما لهم، فكيف يطمح إلى شيء ليس لهم؟! ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقر وحاجة. من خصاص^(٥) الأثافي: الفرج بين أحجارها. روى البخاري عن أبي هريرة ؓ: ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد أصابه الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد شيئاً، فقال: "ألا رجل يضيف هذا؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب به، فقالت امرأته: ما أجد إلا قوت الصبية. قال: نومي الصبية وقدمي الطعام، ثم قومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه ليأكل وحده، فإنه يضيف رسول الله، ففعلت. فلما أصبح جاء إلى رسول الله فقال: لقد عجب الله منك. فنزلت ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾^(٦)). الشح: البخل مع الحرص^(١). وأضافه إلى النفس؛

(١) هو: أبو دجانة الأنصاري الساعدي سماك بن خرشة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ وكان من الأبطال، قاتل بسيف رسول الله ﷺ يوم أحد ودافع عنه حتى كثرت فيه الجراحات، اشترك في قتل مسيلمة، واستشهد يوم اليمامة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٦٤٤/٤). والإصابة لابن حجر (١١٩/٧). والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٥٦/٣).

(٢) في (ر) ٤٧٢/ب: سهل بن خفيف. وهو: سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي. صحابي من أهل بدر، استخلفه علي على البصرة، ومات في خلافته سنة ٣٨هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٢٥٧/١). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٤٦٩/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٩٤/٤).

(٣) هو: الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك. يكنى أبا سعد صحب النبي ﷺ، وخرج معه إلى بدر فكسرت رجله بالروحاء، فضرب له النبي ﷺ بسهمه، شهد أحدًا، وقتل يوم بدر معونة شهيداً في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة. انظر: الثقات لابن حبان (٧٤/٣). والإصابة لابن حجر (٥٧٨/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٠٨/٣).

(٤) "أي" ساقطة من (ح) ٥٢٣/أ.

(٥) في (ر) ٤٧٢/ب: خصائص.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ.. الآية﴾ الْخَصَاصَةُ: الْفَاقَةُ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ الْفَائِزُونَ بِالْخُلُودِ، وَالْفَلَارِقِم: الْبَقَاءُ، حَيَّ عَلَى الْفَلَارِقِم: عَجَلْ، وَقَالَ الْحَسَنُ ﴿حَاجَةً﴾ حَسَدًا،

لأنه غريزتها. أي: ومن تحفظ عن هذه الرذيلة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون^(٢) بالثناء من الله عاجلاً والثواب آجلاً. والأنصار داخلون أول دخول.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الفريقين، وهم^(٣) الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين. وقيل: الذين هاجروا بعد السابقين الأولين. وفيه أنه لا يستوعب مستحق الفيء. ويرده قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾؛ لأن اللاحق هجرة يجوز أن يكون أسبق إيماناً. ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ غشاً وحقداً. من الغلل: وهو الماء بين الأشجار. وعن مالك: أن ساب^(٤) السلف، لا يستحق من الفيء شيئاً؛ لعدم اتصافه بما في الآية^(٥). ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حقيق بإجابة دعائنا.

(رقم: ٤٥١٠) بلفظ: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ نِسَاءَهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِمَرَاتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَأُتَدَخَّرِيهِ شَيْئًا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قَوْتُ الصَّبِيَةِ قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَةَ الْعَشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ وَتَعَالِي فَاطْفِنِي السَّرَّاجَ وَتَطْوِي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ {سورة الحشر، الآية: ٩}. ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (رقم: ٢٠٥٤).

(١) الفرق بين الشح والبخل هو أن الشرقم: البخل مع حرص، فهو أشد من البخل. وقيل: الشرقم: اللؤم، وأن تكون النفس حريصة على المنع، وقد أضيف إلى النفس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ {سورة النساء، الآية: ١٢٨}؛ لأنه غريزة فيها. وفي الحديث ((الشح أن ترى القليل سرفاً، وما أنفقت تلفاً)). انظر: الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي [مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤١٢هـ، ط ١] (٢٩٥/١).

(٢) في (ر) ٤٧٢/ب بزيادة "إلى النفس".

(٣) "وهم" ورد في (ر) ٤٧٢/ب: "وأهم"، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ر) ٤٧٢/ب: سات.

(٥) انظر: الاستذكار ليوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض [دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، ط ١] (١٧/٥). وشرح النووي على صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف النووي [دار إحياء التراث - بيروت - ١٣٩٢هـ، ط ٢] (١٥٨/١٨). والمقصود بالآية أن الله تعالى قسم الفيء للفقراء المهاجرين،

[١١] ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ تَفَقُّوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

ابن أبي رأس المنافقين ومن تبعه. دسوا إلى أهل الكتاب بما أخرج الله به رسوله. والمراد بالأخوة توادهم وإتفاقهم في الكفر فلا ينافيه قوله: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾^(١) ﴿لَعْنٌ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ﴾ إذ لا عيش لنا بدونكم. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم^(٢) ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ محمداً وغيره ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ لا محالة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في كل ما قالوه. ثم رد مقالتهم مفصلة بقوله:

[١٢] ﴿لَعْنٌ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَكِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَكِنْ نَصَرُوهُمْ﴾

فرضاً وتقديراً ﴿لِيُؤَكِّنَ الْأَذْيَارَ﴾ اهزاماً ﴿ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ أي: المنافقون بل يقتلون لظهور نفاقهم. وقيل: الضمير لليهود، وليس بوجه؛ لأن سوق الكلام لزم المنافقين.

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مرهوبة. والمعنى: يخافونكم

في السر أكثر من تخوفهم من الله. أو من إظهارهم الخوف من الله لكم إذ لم يكن لهم خوف من الله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ عظمة الله، ليعلموا أنه الحقيق بأن يخاف.

[١٤] ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ المنافقون واليهود ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾؛ لضعف

قلوبهم، واستيلاء الجبن عليها، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ جمع جدار. كحمر وحمار. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار مفرداً؛ لقصد الجنس، أو إرادة السور الجامع. والجمع أظهر وأوفق بالقرى ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إذا تقاتلوا، وأما إذا حاربوا الله ورسوله "أجبن من صافر"^(٣)

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ {جزء آية من سورة الحشر، الآية: ١٠} ومن سب من أمره الله تعالى أن يستغفر له لا حق له في الفيء.

(١) جزء آية من سورة المجادلة، الآية: ١٤.

(٢) "في قتالكم" ساقط في الأصل ٣١٦/ب، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) مثل يضرب للجان الخواف. قال أبو عبيد: الصافر: كل ما يصفر من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطير وإنما يكون في خشاشها وما يصاد منها. وقيل: الصافر: طائر يعينه إذا أمسى تعلق بالشجرة برجليه ونكس رأسه خوفاً من أن

﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا﴾ ذوي إلف واتحاد ظاهراً ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ جمع شتيت: متفرقة. هؤلاء عبدة الأصنام، وأولئك أهل الكتاب. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن تشتت القلوب والآراء مما يورث الفشل والوهن.

[١٥-١٦] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل اليهود في محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل المشركين يوم بدر. وعن ابن عباس: بنو قينقاع^(١) أجلاهم رسول الله قبل هؤلاء^(٢) ﴿قَرِيبًا﴾ أي: في زمان قريب. وانتصابه على الحال أي: وجد مثل هؤلاء مثل وجود مثل^(٣) أولئك قريباً لم ينطمس بعد أثره، فكان لهم عبرة فيهم. ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ بيان للمشبه به يقرره، وفيه زيادة تجهيل [٣١٨/ب] لليهود. الوبال: سوء العاقبة، من قولهم: مرعى وبيل أي^(٤): وخيم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لما مثل حال اليهود بحال أهل بدر مثل المنافقين بحال الشيطان يوم بدر، جاءهم في صورة سراقه^(٥) سيد

ينام فيؤخذ، فبييت منكوساً ولا يزال يصبح حتى يصبح. وذكر ابن الأعرابي أنهم أرادوا بالصافر: المصفور به فقلبو، أي: إذا صفر به هرب. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٨٠/١). وزهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر [الدار البيضاء - ١٤٠١هـ، ط ١] (١٥٩/١).

(١) بنو قينقاع: أحد أحياء اليهود في المدينة، كان نزولهم المدينة قبل الأنصار، أجلاهم النبي ﷺ؛ لأن امرأة من المسلمين قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه، فأجلاهم عن المدينة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٢٤، ٤/٣-٤).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٤٨/٢٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٤١).

(٣) في (ر) ٤٧٣/أ: مثل ذلك أولئك.

(٤) "أي" ساقطة من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٢٣/ب، و(ر) ٤٧٣/أ.

(٥) هو: سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدج المدلجي الكتاني، أبو سفيان، كان ينزل قديداً، يعدّ في أهل المدينة، ويقال: إنه سكن مكة، روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر وروى عنه سعيد بن المسيب وابنه

كنانة^(١) وقال للمشركين: ﴿إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾^(٢) هارباً ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(٣) ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ والمراد بالإنسان الجنس، أو كفار قريش. وقيل: راهب حملة على الفجور بامرأة، وله قصة يرويها القصاص^(٤).

[١٧] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال، والظرف خبر كان، وفيها تأكيد. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. كل كامل في الظلم وهم^(٥) الكفار.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظَرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة. سماه غداً؛ لقربه، أو لأن اليوم يومان، وتنكيره؛ لاستقلال الأنفس النواظر كأنه قال: ولتنظر نفس واحدة، أوللتعظيم وهي النفس المطمئنة كأنه قال: ولتنظر النفس التي لها قدر^(٦). وأما جعله

محمد بن سراقه. توفي سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان، وقيل: إنه مات بعد عثمان. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٥٨١/٢). والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤١/٣).

(١) كنانة: قبيلة من مضر، وهو كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر. وهو الجد الثالث عشر للمصطفى ﷺ. انظر: البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي [مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد] (١١٠/٤). ولسان العرب لابن منظور (٣٦٢/١٣).

(٢) جزء آية من سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٣) جزء آية من سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٤) أخرجها الحاكم في المستدرک عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان راهب يتعبد في صومعة فجاءته امرأة وزينت له نفسها فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها فدفنها فجاؤوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: أنا الذي زينتك لك فاسجد لي سجدة أنجيك فسجد له، فأنزل الله عز وجل (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) الآية. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر (رقم: ٣٨٠١).

(٥) "هم" ورد في (ر) ٤٧٣/أ: وهو.

(٦) في (ر) ٤٧٣/أ: قدرا.

من قبيل علمت نفس أباه المقام؛ لأن سوق الكلام^(١) لبيان استيلاء الغفلة والقسوة على الإنسان. وتنكير لـ ﴿لَعْدٌ﴾ للتعظيم. أي: غد وأيّ غد. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أعاده؛ لأن الأول فيما قدم من الأعمال، وهذا جاري مجرى الوعيد؛ ولذا عقبه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وفي مجيئهما مطلقين من الفخامة ما لا يخفى.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ نسوا حقه. ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث لم يرشدهم إلى طريق الهدى. أو أراهم يوم القيامة ما نسوا أنفسهم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسق.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ كأن الناس لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا إلى الإعلام كقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾^(٢) واستدل الشافعي بالآية على أن المسلم لا يقتل بالذمي^(٣)؛ وذلك لأنه لما نهى المؤمنين أن

(١) في (ر) ٤٧٣/أ: سوق المقام.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٩.

(٣) اختلف العلماء في المسلم إذا قتل ذمياً هل يقتل به؟ قال في المعنى: أكثر أهل العلم لا يوجبون على مسلم قصاصاً بقتل كافر أي كافر كان، روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت ومعاوية رضي الله عنهم، وبه قال عمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن وعكرمة والزهري وابن شبرمة ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وإسحاق وأبو عبيد وأبو ثور وابن المنذر.

وقال النخعي والشعبي وأصحاب الرأي: يقتل المسلم بالذمي خاصة، واحتجوا بالعمومات، وبما روى ابن البيلمي ((أن النبي ﷺ أقاد مسلماً بذمي وقال: أنا أحق من وفي بدمته))؛ ولأنه معصوم عصمة مؤبدة فيقتل به قاتله كالمسلم. ولنا قول النبي ﷺ: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ولا يقتل مؤمن بكافر)) رواه الإمام أحمد وأبو داود. وفي لفظ: ((لا يقتل مسلم بكافر)) رواه البخاري وأبو داود. وعن علي رضي الله عنه قال: من السنة ألا يقتل مسلم بكافر رواه الإمام أحمد؛ ولأنه منقوص بالكفر فلا يقتل به المسلم كالمستأمن، والعمومات مخصوصات بحدِيثنا، وحدِيثهم ليس له إسناد. قاله أحمد. وقال الدارقطني: يرويه ابن البيلمي وهو ضعيف إذا أسند فكيف إذا أرسل. والمعنى: في المسلم أنه مكافئ للمسلم بخلاف الذمي، فأما المستأمن فوافق أبو حنيفة الجماعة في أن المسلم لا يقاد به، وهو المشهور عن أبي يوسف. انظر: المعنى لابن قدامة (٢١٨/٨). والحصول في أصول الفقه لأبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق: حسين علي البدري - سعيد فودة [دار البيارق - عمان - ١٤٢٠هـ، ط ١] (٣/٢٠٥). والإحكام للآمدي (٢/٢٧٧).

يكونوا^(١) كالذين نسوا الله، أشار إلى عدم مساواة الحزبين في أحكام الدارين، وإن كان الملحوظ بالقصد الأول أحكام الآخرة^(٢)؛ ولذلك عقبه بقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بما لم يخطر على قلب بشر.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

تمثيل وتصوير لزواجر القرآن وما فيه من الوعيد والآيات الدالة على شدة سخطه على من كفر أن لو كان في الجبل فهم وكان هو المكلف والمخاطب لتكسر^(٣) وتفرقت أجزاؤه من الخوف. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ هذا المثل ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وفيه من الدلالة على قسوة قلبه وعدم تدبره مالا يخفى.

[٢٢-٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لما أثنى على القرآن وأعلى شأنه بما

لا مزيد عليه أقام البرهان على ذلك بأنه كلام من هذه^(٤) أوصافه ونعوته. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الضمير وما شاهدوه، أو الموجود والمعدوم، أو الدنيا والآخرة، أو السر والعلن. ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ السلطان المنزه عن وصمة النقص والزوال واختلال^(٥) ملكه كسائر الملوك. ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة عن الآفات كأنه عينها. ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ الجاعل غيره آمناً. ﴿الْمُهَيَّمِنُ﴾ الرقيب الحفيظ^(٦). من الأمن إلا أنه أبلغ منه. وهأؤه منقبلة من الهمزة. وقيل: من الأمانة؛ لأن الأمين هو الحافظ.

(١) في (ح) ٥٢٤/أ: أن يكونا.

(٢) في (ح) ٥٢٤/أ: الآخر.

(٣) في (ح) ٥٢٤/أ: لتكثير.

(٤) "هذه" ساقط من الأصل.

(٥) في (ح) ٥٢٤/أ: اختلاف.

(٦) "الحفيظ" ورد في (ح) ٥٢٤/أ و (ر) ٤٧٣/ب: الحافظ، والمثبت من الأصل.

﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب. ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي جبر الخلق على ما أراد، أو كثير الجبر للمنكسرين ما كسر إلا وجبر. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ البليغ الكبرياء كلت العقول عن إدراك ذاته. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ليس كمثلته شيء. فكيف يكون له شريكاً؟.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ المقدر للأشياء على وفق حكمته. ﴿الْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئة عما لا يريد بل جاءت كما أراد. ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ المفيض للصور^(١) والأشكال على المواد القابلة. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الدالة على صفات الجلال و نعوت الكمال، وهذه نبذة منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أَنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))^(٢). وقيل: إنما يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعون تينياً^(٣)؛ لأنه لم يعرف الله بهذه الأسماء، ولم يؤمن بها. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الأجزاء والجزئيات ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٤). ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب. ﴿الْحَكِيمُ﴾ المتقن في صنعه. فذللكة للسورة، ورمزاً إلى جلاء اليهود وإيراث أمواهم لرسول الله والمؤمنين. روى الإمام أحمد بن حنبل عن رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قرأ ﷻ)).

(١) "﴿الْمُصَوِّرُ﴾ المفيض للصور" ورد في (ح) ٥٢٤/أ: المصور المفيض للصور، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً (رقم: ٦٩٥٧). ومسلم، كتاب العلم، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (رقم: ٢٦٧٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، فصل في أحوال الميت في قبره، ذكر الأخبار عن بعض العذاب الذي يعذب به الكافر في قبره (رقم: ٣١٢١) بلفظ: "عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تينياً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تينياً منها نفخت في الأرض ما أنبتت خضراً)). والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (رقم: ٢٤٦٠). والدارمي في سننه، كتاب الرقائق، باب في شدة عذاب النار (رقم: ٢٨١٥).

(٤) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

ثلاث آياتٍ من آخرِ الحَشْرِ، وَكَلَّ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ مَاتَ شَهِيدًا^(١).

تمت سورة الحشر، والحمد لله الرؤوف البر، والصلاة على المؤيد بالعز والنصر، وآله وصحبه إلى آخر الدهر.

(١) أخرجه أحمد، كتاب مسند البصريين، باب حديث معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه (رقم: ١٩٤١٩) بلفظ: عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح ثلاث مرّات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكَلَّ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِنَلِّكَ الْمَنْزِلَةَ. والترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب (رقم: ٢٩٢٢). والدارمي في سننه، باب ما جاء في فضل حم الدخان والجواميم والمسبحات (رقم: ٣٤٢٥).

سورة المتحنة

مدنية، وآياتها ثلاث عشرة [١٩/٣١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وكان رسول الله ﷺ هادن قريشاً سنة الحديبية، ثم نقضوا العهد، فأراد أن يغزوهم، وكان وقت الفتح الموعود. فقال: اللهم أعم عن المشركين شأننا، فكتب حاطب بن أبي بلتعة^(١) - وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من قريش، بل كان حليفاً لعثمان ﷺ وكان قد تخلف عنه أهله وماله - كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بأمر رسول الله ﷺ وقصدتهم، وأعطاه لعجوز من عَجَز مزينة^(٢). وقيل: لسارة مولاة أبي المطلب^(٣). فلما توجهت أخبر جبرائيل رسول الله ﷺ بشأنها، فأرسل

(١) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة، حليف بني أسد بن عبد العزى، يكنى أبا محمد، صحب رسول الله ﷺ وشهد بدرًا. قدم رسولاً إلى مصر من النبي ﷺ إلى المقوقس. توفي سنة ٣٠ هـ. انظر: الإكمال لابن ماكولا (٣٠٦/٤). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٤٧/٢). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣/٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: قوله: فإن بما طعينة معها كتاب. ذكر ابن إسحاق أن اسمها سارة، والواقدي أن اسمها كنود، وفي رواية سارة، وفي أخرى أم سارة، وقيل: إنها كانت مولاة العباس... انظر: فتح الباري لابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب [دار المعرفة - بيروت] (٥٢٠/٧).

(٣) سارة، وقيل: أم سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، التي أرسل معها حاطب الكتاب، أمّنها النبي ﷺ يوم الفتح. انظر: الإصابة لابن حجر (٦٩٠/٧).

علياً عليه السلام، والزبير وأبا مرثد^(١) والمقداد بن الأسود^(٢). وقال: إبتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة^(٣) معها كتاب خذوه منها. قال علي عليه السلام: فذهبنا تعادى بنا خيلنا فأدركناها فقالت: ليس معي كتاب. فقلت: ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب أو لأجردتك، فأخرجته من حجزتها وكانت محتجزة بكساء وفي رواية أخرجه من عقاصها^(٤). فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب حاطباً^(٥) وقال: ما هذا الكتاب؟ قال: يا رسول الله لا تعجل، فو الله منذ أسلمت ما ازددت إلا إيماناً، ولكن كان من هاجر من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم، وكنت لصيقاً فيهم^(٦)، فأردت إذ فاتني ذلك أن أصطنع يداً^(٧) عندهم يحمون بها أهليهم^(٨) قرابتي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد صدقكم فلا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: يا رسول الله، منافق دعني

(١) هو: كنان بن حصين بن يربوع بن عمرو، أبو مرثد الغنوي. من كبار الصحابة، شهد بدرًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابنه مرثد، وهما حليفا حمزة بن عبد المطلب، أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبادة بن الصامت. توفي سنة ١٢ هـ وهو ابن ست وستين سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٤١٤-٦٥/٢). والوفيات للصفدي (٧/٢٨٧). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٢/١٤٩).

(٢) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، الكندي، أبو معبد البهراني، وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود. أسلم قديماً، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر المجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. توفي بالجرف سنة ٣٣ هـ وحمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه عثمان بن عفان وكان له يوم مات نحو من سبعين سنة. انظر: الثقات لابن حبان (٣/٣٧١). والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٣/١١٨). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٢١٤).

(٣) ورد في الأصل و (ر) ٤٧٤/أ: ضعيفة، وفي (ح) ٥٢٤/ب: ضعيفة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) قال ابن الأثير: ومنه حديث حاطب فأخرجت الكتاب من عقاصها أي: ضفائرها، جمع عقيصة أو عقصة، وقيل: هو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب، والأول أوجه. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/٢٦٧).

(٥) في (ر) ٤٧٤/أ: حاطباً.

(٦) قال ابن الأثير: وفي حديث حاطب (إني كنت امرأة ملصقة في قريش) الملصق: هو الرجل المقيم في الحي وليس منهم بنسب. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٤/٢٤٩).

(٧) أي: أن أضع في ذمتهم ديناً وأمرأ حتى يكرموني فيما بعد بسبب هذا المعروف والإحسان.

(٨) "أهليهم" ساقط من (ح) ٥٢٤/ب، و (ر) ٤٧٤/أ.

أضرب عنقه، فقال: يا عمر وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر وقال: افعلوا ولا حرج قد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر فنزلت^(١). والعدو: فعول من عداه جاوزه، ولكونه على زنة المصدر كالقبول يطلق على الجمع. وفي تقديم ﴿عدوي﴾؛ إشارة إلى أنه المهم، وإن فرض أن لم يكن عدواً لهم. ﴿تَلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ حال من فاعل ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، أو صفة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾. جرت على غير من هي له من دون الإبراز؛ لكونها فعلاً أو استئنافاً. والباء مزيدة للتوكيد، كما في ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾^(٢)، أول للسيبية والمفعول محذوف أي: أخبار رسول الله بسبب المودة. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾. حال من فاعل ﴿تَلْقُونَ﴾ إن جعل مستأنفاً، وإلا جاز أن يكون منه أو من فاعل ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾. ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ استئناف جار مجرى التفسير كأنه قيل: كيف كفروا؟ فقيل: كفروا أشد الكفر لإخراجهم الرسول والمؤمنين لإيمانهم بالله مولاهم خاصة لا لغرض آخر. وهذا أملاً فائدة من جعله حالاً من فاعل كفروا. ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ حذف جواب الشرط؛ للدلالة ما قبله عليه. ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ماذا فعلوا حتى عوتبوا بما عوتبوا^(٣)؟. ولذلك أوتر إن على إذا. و يجوز إبداله من "تلقون". و"الباء" فيه كما في تلقون. ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ منكم وأطلع رسولي عليه. فأى فائدة في الإسرار بعد علمكم بهذا وإيمانكم به. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الطريق القويم.

[٢] ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ إن يظفروا بكم يظهر لكم منهم نتيجة العداوة، من الإضرار بما يمكنهم. ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾ بالقتل والشتم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرأ (رقم: ٣٦٨٤)، وكتاب المغازي، باب غزوة الفتح، وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يحذرهم بغزو النبي ﷺ (رقم: ٤٠٢٥). ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة (رقم: ٢٤٩٤).

(٢) جزء آية من سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) "بما عوتبوا" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٢٥/أ، و (ر) ٤٧٤/أ.

جار مجرى تفسير العداوة. ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ يردونكم^(١) كفاراً. وإيثار الماضي هنا؛- وإن كان الماضي والمضارع لا يتفاوتان بعد وقوعهما جزاء الشرط- للإشارة إلى أن ودادهم لكفر المؤمنين أهم؛ لانحسام مادة العداوة وارتفاع المشاققة حينئذ. والمراد: ودادة مقارنة للقدرة على ردهم كفاراً. فلا يرد أن ودادهم مستمرة، فلا يفيد التقييد بالشرط ليوثر^(٢) العطف^(٣) على الشرطية لا الجزاء كما في ﴿ثُمَّ لَأُيَنْصَرُونَ﴾^(٤) في سورة الحشر.

[٣] ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم، ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين توالون الكفار لأجلهم. خطأهم أولاً في موالاتهم^(٥) من هو خالص العداوة لهم، ثم في من يوالون لأجله، ثم بين وجه ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يفرق بينكم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٦). فأى فائدة في موالات أعداء الله لمن لا بقاء ولا نفع في وده. قرأ غير عاصم بضم الياء وكسر الصاد، ويشدده حمزة والكسائي وابن عامر، وهو أبلغ وأوفق بالمقام. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مشاهد له.

[٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الأسوة: اسم لما يؤتسى به، كالقدوة لفظاً ومعنى. كسر همزته غير^(٧) عاصم. ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر كان وهو لكم. ﴿إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ﴾ جمع بريء، كظرفاء جمع ظريف. ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

(١) "يردونكم" ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) "ليوثر" ورد في (ح) ٥٢٥/أ: ليورث.

(٣) "العطف" ورد في (ر) ٤٧٤/ب: العظيم.

(٤) جزء آية من سورة الحشر، الآية: ١٢.

(٥) "موالاتهم" ورد في (ح) ٥٢٥/أ و ٤٧٤/ب: موالاته.

(٦) سورة عبس، الآية: ٢٤-٢٦.

(٧) "غير" من (ر) ٤٧٤/ب، وهو ساقط من بقية النسخ.

كَفَرْنَا بِكُمْ ﴿١﴾ أي: بكل شيء يلتبسون [٣١٩/ب] به مما يدان به. والكلام على المشاكلة والتهكم إذ الكفر إنما يكون بالحق وما أتى به الرسل. ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ فحينئذ تنقلب العداوة موالاة، والبغضاء حباً. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من أسوة حسنة؛ لأنها عبارة عن قولهم: ﴿إِنَّا بُرَاءٌ﴾ إلى آخره. ﴿وَمَا أَمَلْتُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا وإن صح أن يكون من الأسوة لكونه كلاماً حقاً إلا أنه جعله تابعاً للاستغفار؛ مبالغة في تحقيق الوعد. كأنه قال: أبذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفار لفعلته. ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ كلام مستأنف. التجاء إلى الله بعد إظهار العداوة والتبرء عنهم في كفاية شرهم. أو تعليم من الله للصحابة بعد النهي عن موالاة الكفار، والأمر بالاعتداء إبراهيم عليه السلام؛ تمييزاً للوصية. كقوله: ﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (١).

[٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محل فتنة بأن تسلطهم علينا فيفسدوا علينا ديننا. ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تحقيق بإجابة الدعاء وتحقيق رجاء المتوكلين.

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كرره؛ مبالغة في الحث على الاتساء؛ ولهذا أكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم. وأبدل عن قوله ﴿لكم﴾ ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾؛ إشارة إلى أن (٢) من توقف ليس بمؤمن بالآخرة، وعقبه بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فلا يضره توليه بل ضر نفسه.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ توكيد للأمر بالتصلب، وتهوين عليهم بأن ذلك عن قريب سينقلب مودة وسبباً لسعادة أولئك بدخولهم في

(١) جزء آية من سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) "أن" ساقط من الأصل، والمثبت من (ح) ٥٢٥/ب و (ر) ٤٧٤/ب.

الإيمان، عكس ما كانوا يودونه من كفر المؤمنين. ويظهر أن ﴿حَزَبَ اللَّهُ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١). ولفظ عسى على دأب الملوك في المواعد التي لا يخلفون في إنجازها. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما فرط من موالاتكم سابقاً. ﴿رَحِيمٌ﴾ يجمع بينكم في الإيمان عن قريب.

[٨] ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كالنساء والضعفة ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ بتقدير مضاف أي: مبرة الذين، ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تعاملوهم بالعدل فيما بينكم من الحقوق. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. روى البخاري ومسلم: ((عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: يا رسول الله أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك.^(٢) وأرسل رسول الله ﷺ لعمر حلة من حرير، فكساها أختاً مشركاً له بمكة)).^(٣)

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ سعى بعضهم في الإخراج، وعاون عليه البعض. ﴿أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿الَّذِينَ﴾. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكاملون في الظلم. إذ لا عذر له بعد هذا البيان.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ عن ابن عباس ؓ: كان الامتحان أن تقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ثم تقول: بالله ما

(١) جزء آية من سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر. (رقم: ٢٩٤٦). ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج. (رقم: ١٦٧٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد (رقم: ٨٣٧). ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع (رقم: ٢٠٦٨).

خرجت من بغض زوجها، ولا رغبة^(١) في أرض عن أرض، بل حباً لله ولرسوله، وكان الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢). ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ منكم، وإنما أمركم بالامتحان؛ لإجراء الحكم وعدم اللبس. ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ بالأمارات. أراد الظن، وإطلاق العلم عليه شائع، وفائدته الإمعان في الامتحان. ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ لأن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم شرط في صلح الحديبية أن من جاء مسلماً يرده إليهم، فجاءت نساء مؤمنات وهو بأسفل الحديبية على ما رواه الزهري^(٣) فنزلت^(٤)، فكانت ناسخة للسنة^(١). وقيل: كان ذلك منه

(١) في (ح) ٥٢٦/أ: رغبة.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٣٢٤/٢٣). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١/٤).

(٣) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أبو بكر المدني، الفقيه الحافظ، أحد أعلام التابعين، متفق على جلالته وإتقانه، أعلم الناس بحديث أهل المدينة والحجازيين. توفي سنة ١٢٥ هـ، وقيل: قبلها بـ شغب. انظر: الثقات لابن حبان (٣٤٩/٥). والمعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م] (٣٤٦/١). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٨/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢٦/٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة (رقم: ٢٥٦٤) بلفظ: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخصيت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبي سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم على ذلك، فردَّ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم؛ لما أنزل الله فيهن ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ {جزء آية من سورة الممتحنة، الآية: ١٠} إلى ﴿عَفْوَرٌ رَحِيمٌ﴾ {جزء آية من سورة الممتحنة، الآية: ١٢} قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: قد بايعتك كلاماً يكلمها به والله ما مسَّت يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا بقوله. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم حرائر أهل الشرك دون أهل الكتاب وتحريم المؤمنات على الكفار (رقم: ١٣٧٤٨).

اجتهاداً، واجتهاده الخطأ لا يقرر^(٢). وعن عروة^(٣) والضحاك أن الشرط كان في الرجال خاصة^(٤). ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ أي: الحل مرتفع من الجنين، لا كالكتابية

(١) اختلف العلماء في جواز نسخ السنة بالقرآن. قال الآمدي: ومذهب الجمهور من الفقهاء على أنه يجوز نسخ السنة بالقرآن عقلاً ووقوعه شرعاً. واستدلوا بهذه الآية أن النبي ﷺ صالح أهل مكة عام الحديبية على أن من جاءه مسلماً رده حتى إنه رد أبا جندل وجماعة من الرجال فجاءت امرأة فأنزل الله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ.. الآية﴾ {جزء آية من سورة الممتحنة، الآية: ١٠}. وهذا قرآن نسخ ما صالح عليه رسول الله ﷺ وهو من السنة.

وذهب الشافعي إلى إنكار نسخ السنة بالقرآن، واستدل بقوله تعالى ﴿لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ {جزء آية من سورة النحل، الآية: ٤٤} جعل السنة بياناً فلو نسخت لخرجت عن كونها بياناً، وذلك غير جائز. انظر: الإحكام للآمدي (١٦٢/٣-١٦٣). والإحكام لابن حزم الأندلسي [دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤هـ، ط ١] [٥/٤ (٥٠٥)]. وكنز الوصول إلى معرفة الأصول للبرزوي (٢٢٢).

(٢) اختلفوا في أن النبي عليه السلام هل كان متعبداً بالاجتهاد فيما لا نص فيه؟ فقال أحمد بن حنبل والقاضي أبو يوسف: إنه كان متعبداً به، وقال أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم: إنه لم يكن متعبداً به. وجوز الشافعي في رسالته ذلك من غير قطع، وبه قال بعض أصحاب الشافعي والقاضي عبد الجبار وأبو الحسين البصري. ومن الناس من قال: إنه كان له الاجتهاد في أمور الحروب دون الأحكام الشرعية. والمختار جواز ذلك عقلاً ووقوعه سمعاً.

أما الجواز العقلي: فلأننا لو فرضنا أن الله تعالى تعبه بذلك وقال له حكمي عليك أن تجتهد وتقيس لم يلزم عنه لذاته محال عقلاً، ولا معنى للجواز العقلي سوى ذلك، وأما الوقوع السمعي فيدل عليه قوله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ {جزء آية من سورة الحشر، الآية: ٢} فالاعتبار على العموم لأهل البصائر والنبي عليه السلام أجلهم في ذلك فكان داخلاً في العموم، وأيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ {جزء آية من سورة النساء، الآية: ١٠٥} وهو يعم الحكم بالنص والاستنباط من النصوص. انظر: الإحكام للآمدي (١٧٢/٤).

(٣) هو عروة بن الزبير أبو عبد الله. روى عن أبيه الزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر، وعن خالته عائشة، وعن علي، وغيرهم. وروى عنه بنوه عثمان، وعبد الله، وهشام، ويحيى، ومحمد، والزهرى. قال ابن سعد: كان فقيهاً عالماً كثير الحديث، ثبتاً مأموناً. توفي سنة ٩٣هـ وقيل: ٩٤هـ. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد الذهبي ٢/ ١٨). وتقريب التهذيب لابن حجر (٣٨٩/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٣١/٧).

(٤) قال العيني: قوله: "وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه". أي: من أهل مكة، فإن قلت: خرجت بنت حمزة ومضت معه. قلت: النساء لم يدخلن في العهد والشرط إنما وقع في الرجال فقط. وقد بينه البخاري في كتاب الشروط بعد هذا، وفي بعض طرقه "فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل هو على دينك إلا رددته إلينا"، ولم يذكر

مع المسلم. ﴿وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ ما دفعوا إليهن من المهور. وكان هذا مخصوصاً بتلك الواقعة في المهاجرات، وبعد الفتح لا هجرة فانتهى الحكم بانتفاء سببه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ المهاجرات؛ لوقوع البينونة وعدم حلهن لأزواجهن. ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن؛ لأن المهر أجر البضع^(١). وإنما تعرض له؛ لثلا يظن أن ما أعطى الأزواج بدل ما أنفقوا يغني عن المهر. وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله على أن من أسلمت من الحريات، وتخلف زوجها في دار الحرب وقعت الفرقة ولا عدة^(٢). وأجاب الشافعي رحمه الله بأن عدم التعرض للعدة ليس تعرضاً لعدمها، وعدم العدة يؤدي إلى اختلاط المائتين^(٣). ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعِصْمِ الْكُوفِرِ﴾ اللاتي تخلفن في دار الكفر. جمع عصمة وهي النكاح. يقال: هي في عصمة الزوج، أي: في نكاحه. عن المسور بن مخرمة^(٤) أن عمر طلق يومئذ قريبة بنت أبي أمية^(٥)،

النساء، فصحّ بهذا أن أخذه لابنة حمزة رضي الله تعالى عنهما كان لهذه العلة. انظر: عمدة القاري لمحمود بن أحمد العيني (٢٧٧/١٣).

(١) البضع: يطلق على عقد النكاح والجماع معاً، وعلى الفرج، والمهر يدفع كثمن مقابل الإستمتاع بالمرأة. انظر: النهاية لابن الأثير (١٣٣/١).

(٢) قال العيني: إذا أسلمت المشتركة وهاجرت إلى المسلمين فقد وقعت الفرقة بإسلامها بينها وبين زوجها الكافر عند جماعة الفقهاء، ووجب استراؤها بثلاث حيض ثم تحل للأزواج. هذا قول مالك والليث والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا عدة عليها، وإنما عليها استبراء رحمها بحيضة، واحتج بأن العدة إنما تكون عن طلاق، وإسلامها فسخ وليس بطلاق. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٧٠/٢٠).

(٣) أي: لا يعلم عند ظهور حملها هل الحمل من الزوج الأول الحربي، أو من الزوج الثاني؟.

(٤) هو: المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري صحابي صغير، روى عن عمر، ونخاله عبد الرحمن بن عوف، وروى عنه عروة، وابن أبي مليكة. توفي سنة ٦٤هـ. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٢٦٤/٢). وتقريب التهذيب لابن حجر (٥٣٢/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٠/٣).

(٥) "أبي" ساقط من (ح) ٥٢٦/أ.

(٦) هي: قرية الصغرى بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها عاتكة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهي أخت أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي ﷺ لأبيها، أسلمت وبايعت، وتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فولدت له عبد الله وأم حكيم وحفصة. انظر: الإصابة لابن حجر (٨١/٨). والطبقات الكبرى لابن سعد

فتزوجها [١/٣٢٠] معاوية^(١)، وأم كلثوم بنت عمرو^(٢) فتزوجها أبو جهم^(٣). ﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور المشركات. ﴿وَلَيْسَ أَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهور المهاجرات. أعاده؛ توكيداً لئلا يتهاون به من حيث إنهم مشركون؛ ولذلك أمرهم بالسؤال فإنه حق من حقوقهم. ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ أي: ما ذكر ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ مستأنف أو حال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع.

[١١] ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ راجعة عن الإسلام. كان في صلح الحديبية أن من ذهب إليهم لا يردونه. قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَاءَكُمْ مِنْنا سُحْقاً لَهُ))^(٤)؛ ولذلك نكر الشيء استهانة بالراجعة. وقيل: لزيادة العموم. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ جاءت عقبتكم أي: نوبتكم. ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ عن الزهري أن المؤمنين لما

(١/٢٦٢). وتكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. عبد القيوم عيد ريب النبي [جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٠، ط ١] (٤/٦٢٠).

(١) هو: معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، كان أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، توفي سنة ٦٠هـ. انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [مطبعة السعادة - مصر - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ط ١] (١/١٩٤). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٢/٢٧٥). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/١٨٧).

(٢) هي: أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية، كانت زوج عمر بن الخطاب، وهي والدة عبيد الله بن عمر بالتصغير. وقع ذكرها في البخاري غير مسماة، وأن عمر طلقها لما نزلت ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ {جزء آية من سورة المتحنة، الآية: ١٠}. وسمها الطبراني وقال: تزوجها بعد عمر أبو جهم بن حذافة. انظر: الإصابة لابن حجر (٨/٢٩٢). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/٤٧٦).

(٣) هو: أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله، وأمه بشيرة بنت عبد الله من بني عدي بن كعب، أسلم يوم فتح مكة، ومات بعد مقتل عمر بن الخطاب. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٥١). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٦٢٣). والوافي بالوفيات للصفدي (١٦/٣٢٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية (رقم: ١٧٨٤). وابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الهجرة، ذكر الشرط الثاني الذي كان في كتاب الصلح بين المصطفى ﷺ وبين أهل مكة (رقم: ٤٨٧٠).

سألوا^(١) ما أنفقوا أبي المشركون^(٢)، فكان الحكم أن ما كان يعطى زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنه: "فَعَاقَبْتُمْ" غنتم. أمروا بأن يعطوا زوج الراجعة ما أنفق من الغنيمة^(٤). وهو الوجه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فَإِنَّ الْإِيمَانَ حَامِلٌ عَلَى التَّقْوَى.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ من الأشياء. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ كما كانت الوالدات يفعلن ذلك. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت إحداهن تلتقط لقيطاً وتقول لزوجها ولدته منك. وما^(٥) ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ البطن والفرج. ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ هذا القيد - مع أن أمره لا يكون إلا بمعروف-؛ للدلالة على أن ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))^(٦)، ولو فرض أن يكون أنت. ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ على هذه الشرائط. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: ((خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم شقّ الرجال وأتى النساء، فقرأ عليهن هذه الآية، ثم قال: أنتنّ على ذلك؟ فأجابته واحدة ثم قال: تصدقن. فشرعن يلقين بالخواتم والأقراط في ثوب بلال))^(٧) وعن أم عطية^(٨) لما قال: (("ولا يعصينك في معروف"))

(١) في (ر) ٤٧٤/ب: سئلوا.

(٢) كذا ورد في (ح) ٥٢٦/أ، و(ر) ٤٧٤/ب، وفي (د) ٣٢٠/ب: المشركين.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٧٥/٢٨). والدر المنثور للسيوطي (١٣٦/٨-١٣٧). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٣/٤).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٧٦/٢٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٣/٤).

(٥) في (ح) ٥٢٦/ب بزيادة "هن".

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. (رقم: ٥٥٩). وأحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب وفي مسند علي رضي الله عنه (رقم: ١٠٤١).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن (رقم: ٩٦). ومسلم، كتاب صلاة العيدين (رقم: ٨٨٤).

قالت امرأة: إن فلانة أسعدتني تريد النياحة وإنما أريد أن أحزنها. فذهبت ثم عادت فبايعت)).^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها: ((والله ما مست يده يد امرأة قط، وإنما بايعهن بهذه الآية)).^(٣) ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ سالف ذنوبهن ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ روي أن بعض فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود لعلمهم يصيبوا منهم بعض ثمار^(٤). ﴿قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ لعنادهم نبوة محمد عليه السلام مع علمهم أنه الموعود في التوراة^(٥). ﴿كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من بيان، أي: كما يتس من مات على الكفر من رحمة الله، أو كما يتس الكفار من الموتى لعدم اعتقادهم الحشر.

تمت سورة الامتحان، والله المنّ والإحسان، والصلاة على المبعوث من عدنان، وعلى آله وصحبه إلى انصرام الزمان.

(١) هي: نسيبة بنت الحارث. وقيل: نسيبة بنت كعب، أم عطية الأنصارية، من فقهاء الصحابة، لها عدة أحاديث، وهي التي غسلت بنت النبي ﷺ زينب، حدث عنها محمد بن سيرين وأخته حفصة بنت سيرين وأم شراحيل، وعدة. عاشت إلى حدود سنة سبعين، وهي القائلة: نهيينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا، حديثها مخرج في الكتب الستة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٩/٤). وأسد الغابة لابن الأثير (٣٠٢/٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك (رقم: ٤٥١٣). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب البيعة، باب بيعة النساء (رقم: ٧٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة (رقم: ٢٥١٢).

(٤) أورد السيوطي في الدر المنثور (١٤٤ / ٨): أخرج ابن إسحق وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ {جزء آية من سورة الممتحنة، الآية: ١٣}.

(٥) في (ر) ٤٧٥/ب: المتورات.

سورة الصف

مدنية، وآيها أربع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الاستفهام للإنكار. ولما صار الجار والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف منه الألف. مثله: عَمَّ، وبِمَ. ويوقف عليه بالإسكان، وبهاء السكت. عن مقاتل: تمنوا أحب الأعمال فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾^(١). فلما ولوا يوم أحد عوتبوا بهذه الآية^(٢).

وعن قتادة: كانوا يقولون قتلنا ضربنا، ولم يكونوا فعلوا ذلك^(٣). روي أن صهيباً^(١) قتل كافراً شديداً النكاية في المسلمين، ورآه رسول الله ﷺ، فانتحل آخر قتله، فقال عمر: ذلك

(١) جزء آية من سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٦/٨). والدر المنثور للسيوطي (٤٩٥/٩). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٥٤/١٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن للصنعاني (٢٩٠/٣). وجامع البيان للطبري (٨٤/٢٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٦/٨).

لصهيب فقال إنما قتلته لله^(٢). ويشمل كل قول يخالف الفعل. وبه استدل مالك على أن الوعد ملزم، وحمله الجمهور على أمر الآخرة^(٣).

[٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ بالغ في تهجينه لما في^(٤) كبر من معنى التعجب. المراد منه تعظيم الجناية، وإسناده إلى القول أولاً، ثم تمييزه بالمقت، وتقديمه، وجعله عند الله، مع كون المقت أشد البغض.

(١) هو: صهيب بن سنان النمري، أبو يحيى، وهو الرومي؛ لأن الروم سبوه صغيراً، وأمه مازنية، بدري من السابقين، روى عنه بنوه حمزة، وزباد، وصيفي، وسعد، وسعيد بن المسيب. توفي بالمدينة سنة ٣٨هـ وهو ابن سبعين سنة. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٥٠٥/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢٦/٣). والإصابة لابن حجر (٤٤٩/٣).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٨/٧). ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، [توزيع: مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٣٩٥، ط ١] (٤٨٩/٨).

(٣) اختلف العلماء في مسألة هل الوعد ملزم أم لا؟ فذهب الإمام مالك رحمه الله إلى أنه إذا تعلق بالوعد غُرم على الموعود وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: تزوج ولك عليّ كل يوم كذا، فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك؛ لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضايقة.

وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها أنزلت حين تمنّوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ {جزء آية من سورة النساء، الآية: ٧٧}.

وقال ابن الأزرق: قال النووي: أجمع العلماء أن من وعد بما لا ينهي عنه فينبغي أن يوفي بوعده وجوباً عند عمر بن عبد العزيز وجماعة، واستجاباً عند الشافعي وأبي حنيفة والجمهور، قال: من تركه فاته الفضل وارتكب كراهة شديدة ولكنه لا يأثم.

انظر: بدائع السلك لابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار [وزارة الإعلام - العراق، ط/الأولى] (٤٨١/١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٨/٤). وفتح الباري لابن حجر (٢٩٠/٥).

(٤) "في" ساقطة من (ح) ٥٢٧/أ.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ صافين، فإنه أهيبُ في عين العدو، وأشد تقوية لقلب المقاتل. ﴿كَانَهُمْ بِنْيَانٍ مَرْصُوصٌ﴾ محكم، من الرصاص وهو الأثك. حال من المستكن في الحال.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي﴾ أي: اذكر للمؤمنين ذلك الوقت. ﴿وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ والذنب مع العلم أشد. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صرفها عنه [٣٢/ب] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يوفقهم؛ لأنهم أهل الرين^(١) الذين خلقوا للنار.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لم يقل يا قوم؛ تذكيراً لهم بأنهم أولاد إسرائيل الذي وصى بنيه أن لا يعبدوا إلا الله، لا أنهم ليسوا من قومه لأنه لا نسب له فيهم؛ لدخوله في ذرية إسرائيل كما تقدم في الأنعام. ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: أنا على ما عليه سائر الرسل من تقدم ومن^(٢) تأخر. هذا كقول رسول الله ﷺ ﴿مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣). وانتصاب ﴿مُصَدِّقًا﴾ و﴿مُبَشِّرًا﴾ على الحال، والعامل فيه معنى الرسالة في ﴿رَسُولًا﴾ لا في ﴿إِلَيْكُمْ﴾؛ لأن حروف الجر إذا وقعت صلة ليس فيها معنى الفعل. ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قيل: كذا مكتوباً في الإنجيل. ولعل ذلك؛ لما فيه من الإشارة إلى أنه أكمل الرسل. روى البخاري عن جبير بن مطعم^(٤) عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد))^(١).

(١) "الرين" ورد في (ح) ٥٢٧/أ: الدين.

(٢) "من" ورد في الأصل و (ر) ٤٧٦/أ، وهو ساقط من (ح) ٥٢٧/أ.

(٣) جزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٤) هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي، أبو محمد، وقيل: أبو عدي، المدني، أسلم يوم الفتح، وقيل: عام خير. روى عنه ابنه محمد، ونافع، وابن المسيب، قال عنه الذهبي: ممن حسن إسلامه، سيد، حلیم، وقور، نسابة. توفي سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ بـ المدينة. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٢٨٩/١). والاستيعاب لابن عبد البر (٢٣٢/١).

وعن أبي إسحاق^(٢): ((أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي)).^(٣) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص قالوا: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ما جاء به، أو عيسى؛ مبالغة، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي ﴿سَاحِرٌ﴾، والرسم على الأول.

[٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه إذ لا جناية فوقه، مع عدم العذر وزوال الاشتباه. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكاملين في الظلم.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم اليهود والذين حرفوا الكلم وبدلوا نعته. مثل حالهم بمن يريد إطفاء نور الشمس بنفخ ينفخه في الهواء. والأصل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾^(٤) كما في سورة براءة. وإنما جيء باللام؛ توكيداً للإرادة لما في اللام من معناها.

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (رقم: ٤٥١٧) بلفظ: عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ لِي أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ. ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ (رقم: ٢٣٥٤).

(٢) هو: عمرو بن عبد الله الهمداني، أبو إسحاق السبيعي، مولده سنة تسع وعشرين في خلافة عثمان، رأى علياً وأسامة بن زيد وابن عباس والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وأبا جحيفة وابن أبي أوفى، روى عنه الأعمش ومنصور والثوري، كان مدلساً. مات سنة سبع وعشرين ومائة يوم ظفر الضحاك بن قيس بالكوفة. انظر: الثقات لابن حبان (١٧٧/٥). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١١٤/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٢/٥).

(٣) أخرجه أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي إمامة الباهلي (رقم: ٢١٢٣١) بلفظ: حَدَّثَنَا لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ قَالَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عَيْسَى وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ. والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب (٣٥٦٦). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن حبان في صحيحه، كتاب بدء الخلق، ذكر كتبه الله جل وعلا عنده محمداً ﷺ خاتم النبيين (رقم: ٦٤٠٤). والطبراني في المعجم الكبير، لقمان بن عامر عن أبي أمامة (رقم: ٧٦٣١).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ لا محالة. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر منوناً ناصباً ما بعده. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الساترون نعمة الله.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي لا يتطرقه نسخ ولا تبديل. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ إذ لم يأت أحد بما جاء به. وضع الإصر والأغلال بالحنيفية السمحاء. ولو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا اتباعه. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ عباد الأوثان، واليهود القائلون عزير بن الله، والنصارى المثلثون.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قرأ ابن عامر بتشديد الجيم وهو أبلغ.

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ استئناف. كأنهم قالوا: كيف نعمل قال^(١): تؤمنون. وإيثاره على آمنوا؛ مبالغة في الحث عليه. كأنهم امتثلوا فهو^(٢) يخبر عنهم. وهذا سبيل كل دعاء أتى بصيغة الإخبار. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم. أي: لو علمتم لسعيتم في تحصيله ببذل الأموال والأنفس.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ما بينكم وبينه. جزم جواباً للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر، أو شرط مقدر أي: أن تؤمنوا، أو استفهام أي: هل تتجرون بالإيمان يَغْفِرْ لَكُمْ ﴿وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا يحيط به الوصف.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم النعمة الأخرى الدنية بالنسبة إلى الأولى. وفي الوصف بالحببة بعد الدلالة على أنها دون الأولى نوع تعبير لهم. وفي إيثار الاسم مع العطف

(١) "قال" ورد في (ح) ٥٢٧/ب: قالوا.

(٢) "فهو" ورد في (ر) ٤٧٦/ب: فهم.

على الفعلية وهي ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ دلالة على أن هذه الدنيا أمكن في نفوسهم وهي إليها أميل. ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بدل، أو بيان. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ فتح مكة. وعن الحسن: فارس والروم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى آمنوا، وما في الين ليس بأجنبي، كأنهم قالوا: دلنا يارب على تلك التجارة، فقال: آمنوا وبشر أنت يا محمد. وفيه تنويع الخطاب وإيقاع المظهر موقع المضمّر فهو إملاء فائدة من تقدير " فأبشر يا محمد، وبشر. والعطف على "قل" مقدرًا، والقول بأن ذلك إنما يحسن إذا أعيد حرف النداء لا سند له، ولو سلم فلعدم تعيين المخاطب بدونه وأما إذا تعين فذكره وطيه سيان.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أنصار دينه. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من جندي متوجهاً إلى نصرته دينه. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿أَنْصَارًا﴾ منونًا، والمعنى: كونوا من جملة من ينصر الله، والإضافة أقوى معنى وأخف لفظًا؛ ولذلك اتفقوا عليه في آل عمران. ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ الإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين، والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول، والتشبيه بحسب المعنى. أي: قل لهم كقول عيسى، أو كونوا أيها المؤمنون أنصار الله كالحواريين وقت قول عيسى عليه السلام. كانوا اثني عشر رجلاً قصارين يقصرون الثياب؛ ولذا قيل لهم حواريون. وعنه ﷺ ((لكل نبي [٣٢١/١] حواري، وحواري الزبير^(١))) ﴿فَأَمَّنتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ﴾ بعيسى. ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ على الكافرين. وإيثار لفظ العدو؛ لإشعاره بالتشقي. ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غالين بالسيف والحجة غلبة لا خفاء بها.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التمني، باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده (رقم: ٦٨٣٣) بلفظ: "حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابن المنكر قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، فقال: لكل نبي حواري وحواري الزبير. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (رقم: ٢٤١٥).

تمت السورة. والحمد لمن آلاؤه منثورة، والصلاة على من سيره مشكورة، وآله
وصحبه الذين آثارهم مشهورة.

سورة الجمعة

مدنية، وهي عشر آيات^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ البليغ التنزه عن وصمة النقص والشين. ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الغالب، البالغ حكمته، توطئة لقوله:

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ لفرط احتياجهم إليه؛ لأنهم لا يكتبون ولا يقرؤون ﴿مِنْهُمْ﴾ يعرفون صدقه وأمانته؛ ولكونه أشفق بهم وأرفق. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع كونه أمياً مثلهم، إشارة إلى معجزته الموقوفة نبوته عليها. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من الأخلاق الذميمة، أو عند الله حيث يشهد لهم بالإيمان يوم القيامة. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الشرائع. ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر، يعبدون الحجر ويأكلون الجيف، ويطوفون بالبيت عراة.

[٣] ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ﴾ عطف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ أي: وفي آخرين من الأميين. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد، وسيلحقون؛ لما في ﴿لَمَّا﴾ من معنى التوقع. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: لما نزلت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم^(٢) هؤلاء؟ وفينا سلمان، فوضع يده عليه وقال:

(١) في (د) ٣٢٢/ب، و(ح) ٥٢٨/أ: آية.

(٢) في (ر) ٤٧٧/أ: منهم.

هم قوم هذا. لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء. ^(١) وليس فيه منع الغير، فيتناول كل من يأتي بعد الصحابة رضي الله عنهم إلى آخر الدهر. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في تمكنه من هذا الأمر العظيم واختياره له.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ كونه رسولاً للأولين والآخرين. وفي إثارة اسم الإشارة بلفظ البعيد، وإضافة الفضل إلى كلمة الجلالة؛ إشارة إلى أن كل فضل دونه ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ تفضلاً ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الذي لا يحاط به.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ تعلموها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بها، ولا حملوها على محاملها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كتباً كباراً من كتب العلم. مثل حالهم في حمل التوراة بحال الحمار الحامل لأسفار من الكتب، والجامع: الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع مع الكد والتعب. والجملة في محل النصب على الحال أو الصفة إذ لم يُرد بالحمار معين، وهذا أبلغ ذماً. وإتصاله بما قبله أنهم علموا في التوراة نعت المبعوث في الأميين رسولاً وكنموه. ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مثل الذين كذبوا، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو حذف المخصوص أي: هو والضمير لمثل اليهود، أو ﴿بِئْسَ﴾ مثلاً ﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ على حذف المفسر وهذا قليل. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: اليهود الذين لم يحملوا التوراة.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ هودوا ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم، لأن من علم أن مأواه جنة عدن تمنى الخلاص

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وآخرون منهم لما يلحقوا بهم. (رقم: ٤٥١٨). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس (رقم: ٢٥٤٦).

من دار العناء^(١)، وإنما خوف الإنسان من عدم علمه بحاله. وإنما أتى بـ"أن" مع الزعم؛ إشارة إلى أن الأولى بحال من على طريقتهم الشك والدعوى الباطلة.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وتحريف آيات الله. واختصاص آية البقرة بـ"الن"؛ لأن دعواهم هناك أن اختصاصهم بها أمر مكشوف فبولغ في الرد عليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ظاهراً وباطناً.

[٨] ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ولا تجترئون على تمنيه ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ودخول الفاء في خبر الموصوف بالموصول للسببية باعتبار الوصف، كأنه قيل: إن الفرار الذي تظنون سبب النجاة سبب الملاقات، مبالغة في عدم الفوت. ﴿ثُمَّ تُرْثَوْنَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما نعى على اليهود ما يعمنون به أنفسهم من الأمانى الباطلة أمر المؤمنين بالسعي إلى ما فات اليهود من إدراك فضيلة يوم الجمعة. لما روي البخاري ومسلم أن يوم الجمعة هو اليوم الذي فضل على سائر الأيام، واختلف فيه أهل الكتابين فلم يهتدوا إليه. قال رسول الله ﷺ فهدانا الله تعالى إليه. نحن الآخرون السابقون يوم القيامة^(٢) هو سيد الأيام فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء^(٣). الأصح أنها من وقت خروج الإمام إلى الفراغ من الصلاة، وقيل: بعد العصر، وكانت العرب تسميه يوم العروبة فسماه الله يوم الجمعة. والمراد النداء بين يدي الخطيب، فإن

(١) في (ح) ٥٢٨/ب: الفناء.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة (رقم: ٨٣٦). ومسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. (رقم: ١٤١٣).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، (رقم: ٨٨٣). والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ (رقم: ١٣٥٧). وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة (رقم: ١٠٧٤). وأحمد، كتاب مسند المكين، باب زيادة في حديث أبي لبابة بن عبد المنذر (رقم: ١٤٩٩٤).

الأول شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس. والبيع والشراء وسائر الأشغال حرام اتفاقاً. والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الإسراع لورود النهي عنه. والمراد بذكر الله الخطبة؛ لأنها [٣٢١/ب] موعظة وتذكير. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إيثار "إن" على إذا مع علمهم بذلك؛ تعبيراً لما بدا منهم من الخروج وتركه قائماً؛ لإشعاره بعدم علمهم.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ من رزقه جيراً لما فاتكم. روى ابن أبي حاتم^(١) عن بعض السلف: "أن من باع أو اشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة"^(٢). كَانَ عَرَاكُ بْنُ مَالِكٍ^(٣) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوْقَ عَلَيِّ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ وَأَنْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"^(٤). وقيل: المراد به الطاعة كعبادة المريض، وتشجيع

(١) هو: الإمام الحافظ الناقد، شيخ الإسلام، عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، ولد سنة أربعين، ورحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية. قال الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بجرأ في العلوم ومعرفة الرجال، ثقة، حافظاً، زاهداً، يعد من الأبدال، كان قد كساه الله بهاء ونوراً يسر به من نظر إليه. مات في محرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٤٦/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٢/١٣). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٨٢٩/٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٨/٤).

(٣) هو: عراك بن مالك الغفاري الكنايني المدني، أحد العلماء العاملين، كان يسرد الصوم، روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وزينب بنت أبي سلمة، حدث عنه ولده خثيم ويزيد بن أبي حبيب وبكير بن الأشج ويحيى بن سعيد الأنصاري وجعفر بن ربيعة وعدة. وثقه أبو حاتم وغيره. قال عمر بن عبد العزيز: ما أعلم أحداً أكثر صلاة من عراك بن مالك. توفي سنة ١٠٤ هـ أو قبلها في خلافة يزيد بن عبد الملك. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٣/٥). والثقات لابن حبان (٢٨١/٥). وتقريب التهذيب لابن حجر (٣٨٨/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٨٨/٧).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٥٦/١٠). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٨/٤). والتفسير الكبير للرازي (٣٥٢/١٥).

الجنائز، وزيارة الإخوان في الله^(١). ﴿وَإِذْ كُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في الأحوال كلها. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بمرضاته.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ روى البخاري ومسلم عن جابر^(٢) أن رسول الله ﷺ كان على المنبر يخطب، فقدمت عيرٌ من الشام بميرة، فخرجوا إلّا اثنا عشر رجلاً^(٣). قال مقاتل: العير كانت لدحية^(٤) قبل إسلامه، وكان معها طبل وهو الذي أريد باللهو. والضمير للتجارة؛ لأن الانفضاض إليها إذا كان مذموماً فإلى اللهو أولى. ﴿وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا﴾ فيه غاية التعيير، إذ لو لم يكن إلا تركه على هذه الحالة دون أن يكون

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بلفظ: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) قال: ليس لطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. انظر: جامع البيان للطبري (١٠٣/٢٨). والدر المنثور للسيوطي (١٦٤/٨).

(٢) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال أبو محمد، له ولأبيه صحبة، شهد العقبة، غزا تسع عشرة غزوة، أحد المكثرين عن النبي ﷺ، روى عنه جماعة من الصحابة. وتوفي سنة أربع وسبعين هـ، وقيل: سنة ثمان وسبعين وقيل: سنة سبع وسبعين بالمدينة وهو ابن أربع وتسعين سنة. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٣٤/١). والاستيعاب لابن عبد البر (٢١٩/١). وتقريب التهذيب لابن حجر (١٣٦/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقي جائزة (رقم: ٨٩٤) بلفظ: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا﴾ {جزء آية من سورة الجمعة، الآية: ١١}. ومسلم، كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا﴾ (رقم: ٨٦٣) بلفظ: أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عيرٌ من الشام فالتفت الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا﴾ {جزء آية من سورة الجمعة، الآية: ١١}.

(٤) هو: دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة لم يشهد بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولاً في الهدنة، وذلك في سنة ست من الهجرة، وذكر موسى بن عقبة عن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجرير عليه السلام، بقي إلى خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤٦١/٢). والإصابة لابن حجر (٣٨٤/٢). والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٤٩/٤).

خطيباً كان شنيعاً. ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مدخراً لكم. ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ﴾؛ لكونه
باقياً صفواً بلا كدر. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ هو الرزاق حقيقة، والبواقي وسائل، إليه توجهوا
في طلب الرزق.

تمت السورة، والله المنة، والصلاة على رسوله وآله وصحبه السابقين إلى الجنة.

سورة المنافقين

مدنية، وهي إحدى عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ إنشاء جار مجرى القسم؛ ولذلك أكد بـ "إن" و"اللام" يتضمن ادعاء المواطأة بين القلب واللسان. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ وأن ما قالوه كلام مطابق للواقع قطعاً. ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ في ادعاء المواطأة؛ لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. أو كاذبون في أنفسهم لا يعتقدون صدق مقالتهن ومطابقتها للواقع. وإنما اعترض بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾؛ ليميط رجوع التكذيب إلى قولهم "إنك لرسول الله".

[٢] ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ وقاية. استئناف لبيان فائدة تلك الشهادة التي هي بمثابة اليمين. أو كلام مستقل لعد قبائحهم، وأن من دأبهم الاتقاء بالأيمان الكاذبة كما استحنوا بالشهادة الكاذبة. ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أعرضوا، أو منعوا غيرهم عن سلوكها. ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من النفاق. إنشاء، كأنه قيل: ما أسوأ ما ارتكبوه.

[٣] ﴿ ذَلِكَ ﴾ كله ﴿ بَأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ منع من دخول نور الحق فيها ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ شيئاً من الحق؛ فلذلك جسروا على تلك العظامم. وإنما قال:

﴿آمنوا ثم كفروا﴾ مع أنهم لم يؤمنوا طرفة عين؛ لأنهم نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم. أو نطقوا عند المؤمنين وكفروا بها عند شياطينهم. والحمل على أهل الردة بعيد ناب عنه المقام.

[٥] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ هياكلهم لرواء منظرهم وجسامتهم، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحة كلامهم، وحلاوة ألفاظهم. قيل: كان ابن أبي^(١) رأس المنافقين وبعض أتباعه جساماً وساماً فصحاء بلغاء. والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ إما لرسول الله ﷺ أو عام، والأول أوجه؛ لتقدم ﴿إِذَا جَاءَكَ﴾، ولأنه إذا أعجبتة فغيره أولى. ﴿كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ إلى الحائط لعدم الانتفاع بها بوجه، أو كالأصنام المسندة إلى الحيطان في حسن الصور وبهجة المنظر. قرأ أبو عمرو، وقنبل، والكسائي بإسكان الشين إما مخفف خشب، أو جمع خشباء وهي الخشبة المحوفة. وهذا أخف وأقوى شبيهاً. وناهيك بسفالة النفاق خلة حيث شبه أهله بجماد هذا شأنه، وشبه الكفار بالأنعام. ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ واقعة عليهم. وقيل: كانوا خائفين من أن ينزل فيهم ما يهتك أستارهم ويظهر أسرارهم، ويبيح دماءهم وديارهم. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ لا غير. لأن أعدى العدو من يلقاك بوجه الصديق؛ لوقوفه على أسرارك، وتمكنه من إشاعة أخبارك. وقيل: ﴿عليهم﴾ صلة، و﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني، والتذكير باعتبار الخبر، وليس بوجه. ﴿فَاخْذَرَهُمْ﴾ خذ حذرهم منهم ولا تغتر. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ لعنهم الله. دعاء منه تعالى ينبي عن فرط السخط. أو تعليم للمؤمنين. ﴿أَنْتَى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق. تعجيب عن العدول بعد موجب الإقبال والقبول.

(١) هو: عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، ومن تولى كبر الإفاك في عائشة، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية، وفي غزوة أحد انخزل مع ثلاثمائة رجل فعاد بهم إلى المدينة، ولما مات صلى عليه النبي ﷺ وكفنه بقميصه فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ {سورة التوبة، الآية: ٨٤}. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢٨٦/١). والوافي بالوفيات للصفدي (٣٤٨/٥). والأعلام للزركلي (٦٥/٤).

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ﴾ أمالوها ولم يلقوا السمع إليه. قرأ نافع ﴿لَوَّأَ﴾ مخففاً، وقراءة القوم^(١) أبلغ. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون فضلاً عن الاستماع. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ رافعون أنفسهم فوق حدها. اتفق الثقة على أن السورة [٣٢٢/١] نزلت في ابن سلول، كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أو بني المصطلق، فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد الغفاري^(٢). وكان أجيلاً لعمر بن الخطاب، وسانن بن يزيد^(٣) وكان حليفاً لابن سلول، فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده جمع من الأنصار، فقال: أَوْفَعَلُوهَا وَاللَّهِ مَا مَثَلْنَا وَمِثْلَهُمْ إِلَّا كَمَا قِيلَ: "سمن كلبك يأكلك"^(٤). والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فنقل كلامه زيد بن أرقم^(٥) إلى رسول الله ﷺ، فأرسل

(١) "قراءة القوم" ورد في (ح) ٥٢٩/ب: ألقوا أبلغ، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) هو: جهجاه بن سعيد الغفاري المدني، شهد بيعة الرضوان بالحديبية، روى عن النبي ﷺ، توفي بعد عثمان بن عفان بأقل من سنة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢٦٨/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٢٤٩/٢). والإصابة لابن حجر (٥١٨/١).

(٣) هو: سنان بن تيم الجهني حليف لبني عوف بن الخزرج، ويقال: سنان بن وبرة الجهني، غزا مع رسول الله ﷺ المريسيع، وهو الذي نازع جهجاه الغفاري يومئذ، كان جهجاه يقود فرساً لعمر بن الخطاب، وكان أجيلاً له في تلك الغزاة، فبينما الناس على الماء ازدحم جهجاه وسنان بن تيم الجهني على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول فقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٦٥٦/٢). والإصابة لابن حجر (١٩٠/٣).

(٤) مثل عربي يضرب لمن يسدي المعروف لشخص وهو يقابله بالإساءة. يروى: أن أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني. انظر: البخلاء لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك [دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م] (١٠١/٢). ومجمع الأمثال للميداني (٣٣٣/١ - ٣٣٤). ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٧٠٣/٢).

(٥) هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، مختلف في كنيته، قيل: أبو عمر، وقيل: أبو عامر، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، أنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، نزل الكوفة وسكنها وابتني بها داراً في كندة وبالكوفة كانت وفاته سنة ثمان وستين هجرية. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٨٩/٢). والاستيعاب لابن عبد البر (٥٣٥/٢). وتقريب التهذيب لابن حجر (٢٢٢/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٣٨٥/٣).

رسول الله ﷺ إلى ابن سلول فحلف أنه لم يقل شيئاً من ذلك، فقال عم زيد له: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ومقتك. قال: فبت في شر ليلة، فلما قفل رسول الله ﷺ لقيني في الطريق، ضحك في وجهي وفرك أذني، فلقيني عمر فقال: ماذا قال لك رسول الله؟ قلت: مازاد على أن ضحك في وجهي وفرك أذني. وكذلك سألتني أبو بكر، فلما نزل قرأ عليهم السورة وقال: إن الله قد صدقك يا غلام. ثم أرسل إليهم ليستغفر لهم لوؤا رؤوسهم^(١).

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لا يؤمنون بك، ولا يعتدون باستغفارك. ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾؛ لعلمه بأنهم أهل الدرك الأسفل، ومن الذين ذرأهم لجهنم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ المنهمكين في الكفر والنفاق.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ قاله ابن سلول ذلك اليوم. ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قادر على إغناء محمد وأصحابه عن إنفاق الأنصار. وإنما وفق الأنصار لذلك؛ لينالوا به القربة والزلفى. ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يريد بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مختصة بهم لا حظ لغيرهم فيها، ولا ينافيه ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢)؛ لأن عزة الرسول والمؤمنين عزة الله تعالى. ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ أعاد المظهر؛ لئلا يفارقهم هذا الوصف. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ليسوا من ذوي العلم ليدركوا هذا الأمر الجلي. ولما كان في أمر الرزق نوع خفاء في بادئ الرأي جعل الفاصلة الفقه النبي عن نوع تعمل. وعن قتادة: أن ابنه عبد الله لما بلغه ذلك جاء إلى رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "إذا جاءك المنافقون قالوا" (رقم: ٤٥٢٠). ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (رقم: ٢٧٧٢).

(٢) جزء آية من سورة يونس، الآية: ٦٥.

وقال: إن كنت قاتلاً أبي^(١) فمرني به لأحمل إليك رأسه، ووالله لقد علمت الخزرج أن ليس فيهم أبر بوالديه مني، وأخاف أن يقتله غيري فلا أحتمله فأدخل النار، فقال: لا نقتله، بل نحسن صحبته.^(٢)

وعن عكرمة وابن زيد^(٣) أنه وقف بباب المدينة وسل سيفه، فلما جاء أبوه قال له: ورائك، حتى جاء رسول الله ﷺ وهو حابسه، فشكى إليه، فقال له: نخل سبيله. وقيل: لم يمكنه حتى أقر أنه الأذل ورسول الله هو الأعز، فدعا له رسول الله ﷺ.^(٤)

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما كان اغترار المنافقين بالحطام الفاني، وأنهم إذا لم ينفقوا على المؤمنين يتلاشى أمرهم، ورد الله عليهم بأنه مالك خزائن السموات والأرض، وكان فيه إشارة إلى أنه سيغني المؤمنين، ويفيض عليهم من خزائنه بما ليس في حسابهم، نهامهم عن الاشتغال بما عن ذكر الله قبل وجودها؛ ليوطنوا أنفسهم على ذلك. والمنهي التوجه إليها بحيث يفوت القيام بحق العبادة. ألا يرى إلى قوله في

(١) "أبي" ساقط من (ر) ٤٧٨/ب.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب حق الوالدين، ذكر استحباب بر المرء والده وإن كان مشركاً فيما لا يكون فيه سخط الله جل وعلا (رقم: ٤٢٧). وانظر أيضاً: جامع البيان للطبري (١١٦/٢٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٣/٤).

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، روى عن والده وابن المنكدر، وروى عنه وكيع وابن وهب وقتيبة وخلق، ضعفه أحمد وابن المديني والنسائي وغيرهم. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٦/٥). وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي [مكتب المطبوعات - حلب/بيروت - ١٤١٦هـ، ط: ٥] (٢٢٧). والتاريخ الكبير للبخاري (٢٨٤/٥).

(٤) أخرجه البزار في مسنده، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله [مؤسسة علوم القرآن - بيروت/المدينة - ١٤٠٩هـ، ط ١] مسند أسامة بن زيد (رقم: ٢٥٧٢) بلفظ: عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، قال: فقال عبد الله بن عبد الله: والله لا تدخل حتى تقول إن محمداً العزيز وأنت الأذلّ أو أنت الدليل، قال: فاستأذن عبد الله بن عبد الله في قتل أبيه فقال: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وانظر أيضاً: فتح الباري لابن حجر (٥٦٢/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٣/٤).

معرض المدح: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١). ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالهم الخسيس بالشريف.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ بعض ما رزقناكم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أماراته ومخائله، ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فعلى العاقل المبادرة إلى التصدق، إذ كل لحظة بصدد الموت، ولا يغتر بالصحة إذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش قال:

تَعْجِبِينَ مِنْ سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ^(٢)

وقرأ أبو عمرو "أكون" بالنصب عطفاً على لفظ "فأصدق" وهو الأظهر؛ لاحتياج الجزم إلى التقدير. أي: إن أخرتني أصدق وأكن.

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ انتهاء عمرها. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فاختراروا لنفسكم ما شئتم.

وقرأ أبو بكر بياء الغيبة، نظراً إلى ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾^(٣) والخطاب لقوله^(٤): ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾^(٥)، وهذا أشد تهديداً.

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) البيت لصفي الدين الحلبي من الطويل. انظر: ديوان صفي الدين الحلبي لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي الحلبي [دار صادر - بيروت] (١/٧٤٥). ومعاينة التنقيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [عالم الكتب - بيروت - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م] (١/٨٤). وجه الشاهد فيه: ساق الشاهد هنا؛ ليؤكد سرعة تقلب حال الإنسان من صحة إلى سقم ومن حياة إلى موت.

(٣) جزء آية من سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٤) "لقوله" ورد في (ح) ٥٣٠/أ: كقوله.

(٥) جزء آية من سورة المنافقون، الآية: ٩.

تمت سورة المنافقين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على صفوة المرسلين، وآله
وصحبه أجمعين.

سورة التغابن

قال عطاء مكية، إلا " يا أيها الذين آمنوا.. إلى آخر الثلث. وهي ثلثي عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقدم الكلام في مثله. ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ قدم الظرفان؛ لتأكيد الاختصاص وإزاحة الشبهة رأساً. فإن قلت: إذا اختصت المحامد به فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))^(١). قلت: الكلام في حقيقة الحمد، وأما حمد غيره فلجريان نعمة الله على يده، فهو حمد الله حقيقة. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كامل القدرة لا يقاومها قدرة، ولا يشاركها في التأثير، دليل على الاختصاصين.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ باختياركم لا جبر. فمن رأى خيراً فليحمد الله، ومن رأى شراً فليستغفر الله. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مشاهد، فيجازي عليه.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (رقم: ٤٨١١). والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (رقم: ١٨٧٨). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الهبات، باب شكر المعروف (رقم: ١١٨١٢). وأحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة (رقم: ٧١٩١).

[٣] ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغة مرتباً أسباب معاشكم فيها، ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ فخصكم بأحسن الصور بين المخلوقات، ليس فيها رشاقة^(١) قده، ولا صباحة خده^(٢)، وانظر إن شئت العجب في تركيب بنانه وجواهر أسنانه، وقوس حاجبه ونبال أهدابه، بيدهما أودع من القوى الدراكة؛ ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت. ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ فيسألكم عن النقر والقطمير، فاشكروا نعمه، واحذروا عذابه ونقمه.

[٤] ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بمضمراتها فضلاً عن السر والعلن، فاستعملوا في عبادتكم ظواهركم، وطهروا سرائركم، وأخلصوا ضمائركم لتحمدوا عواقبكم.

[٥] ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ قبلكم. أي: كفار مكة. بل^(٣) قد أتاكم. ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ ووخامة كفرهم في الدنيا بالاستئصال، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

[٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور من عذاب الدارين ﴿ بَأَنَّهُ ﴾ بأن الشأن ﴿ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ ينكرون كون البشر رسولاً مثلكم. يطلق على الواحد والجمع. ﴿ فَكَفَرُوا ﴾ بالرسول ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا ﴿ وَاسْتَعْنَى اللَّهُ ﴾ بليغ الغنى عن كل شيء، فضلاً عن طاعتهم. ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ في ذاته، وصفاته، وأفعاله. ﴿ حَمِيدٌ ﴾ ذاتاً، وصفة، وفعلاً، دلت على ذلك ذرات الكون.

(١) في (ح) ٥٣٠/ب: أشاقة.

(٢) في (ح) ٥٣٠/ب: حده.

(٣) "بل" ورد في (ر) ٤٧٩/أ: بلى، والمثبت من بقية النسخ.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَبَرُوا﴾ أي: كفار مكة، أو هم ومن حملوا على الاعتبار بهم. الزعم بمعنى العلم، و"أن" مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين. ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ تبعثون. ﴿وَرَبِّي لَتَبْعُنَّ ثُمَّ لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالحاسبة والمجازاة. ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ لغناه عن الآلات، ودورانه بين الكاف والنون.

[٨] ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إليكم. ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه منه شيء.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَبِيرٌ﴾^(١)، أو بـ ﴿لَتَنْبُوْنَ﴾ وذلك على الله يَسِيرٌ^(٢) وقوله: ﴿فَأْمِنُوا﴾^(٣) اعتراض. الأول يؤكد القدرة، والثاني ما سبق له الكلام من الحث على الإيمان به وبالقرآن وبمن جاء به ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤) من تنمة الثاني، أو نصب بـ "اذكر". ﴿لِيَوْمِ الْحَمْعِ﴾ ليوم خاص بالجمع، يجمعكم فيه والأولين. اللام للتعليل، كقوله: أعددتك لهذا اليوم. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِينِ﴾ هو أن يغبن التاجر شاريه وبالعكس. استعارة لنيل السعداء، وويل الأشقياء. وكأن لا تغابن إلا ذلك؛ فلذلك عرف وأطلق لكونه علماً له. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. قرأ نافع وابن عامر الفعلين بالنون التفاتاً^(٥)، وهو أبلغ في الترغيب.

(١) جزء آية من سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) جزء آية من سورة التغابن، الآية: ٨.

(٣) جزء آية من سورة التغابن، الآية: ٨.

(٤) جزء آية من سورة التغابن، الآية: ٨.

(٥) في (ر) ٤٧٩/ب: إلفاتا.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ غير الأسلوب إشارة إلى سبق رحمته. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم. الآيتان بيان لوجه التغابن.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتقديره. كقوله ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(١) ويدخل فيها كفر الكافر أولاً، إذ لا مصيبة^(٢) أعظم منها. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يثبته^(٣)، إن ابتلاه صبر، وإن أعطاه شكر، وإن ظلمه أحد غفر. أو من كان قابلاً مستعداً للإيمان يوفقه له ويؤيده. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم من هو أهل للهداية.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ لأن عصيانهما أعظم المصائب. ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الواضح، وقد وفي به الله.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لعلمهم أن لا مؤثر في الكون غيره. وفيه حث لرسول الله والمؤمنين على الصبر لما يصيبهم من أذى الكفار.

[١٤ - ١٥] ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾؛ لأنه يتلوه به عن أمر الدين. كقوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ﴾^(٤) وفي الحديث: ((الولد مجبنة مبخلة))^(٥). ﴿فَاخْذَرُوهُمْ﴾ خذوا حذرهم، ولا تغفلوا^(٦) عن العدو. عن ابن عباس

(١) جزء آية من سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٢) "مصيبة" ساقط من (ر) ٤٧٩/ب.

(٣) في (ح) ٥٣١/أ، و(ر) ٤٧٩/ب: يثبته.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، باب ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ (رقم: ٤٧٧١). وابن ماجه، كتاب الأدب، باب بر الولد والإحسان إلى البنات (رقم: ٣٦٥٦). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الأخ لأخيه (رقم: ٢٠٦٥٢). وأحمد، كتاب مسند الشاميين، باب حديث يعلى بن مرة الثقفي (رقم: ١٦٩٠٤).

(٦) في (ر) ٤٧٩/ب: ولا تغفلوا.

ﷺ: نزلت في أناس أرادوا الهجرة، منعهم نساؤهم وأولادهم، فلما هاجروا بعد برهة وجدوا السابقين قد فقهوا في الدين، تغاضبوا وهموا بالانتقام منهم، فنزلت^(١) ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ العفو: محو الجريمة عن خاطر. والصفح: الإعراض. والغفران: الستر كأن لم يكن. ولما كان الصبر على أذى من أحسنت إليه أشق وأبعث على الانتقام؛ جمع بين الثلاثة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء لينظر هل تؤثرون محبتهم على طاعة الله. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ حث على إثارة طاعته.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ما بلغه جهدكم، [١٧] إذ لا تكليف فوق ذلك. فسرت قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(٢) ﴿وَاسْمِعُوا﴾ لأولي الأمر^(٣). ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامرهم ما لم يكن معصية إذ ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))^(٤). ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ نصب خيراً بـ يكن أي: إن تنفقوا يكن خيراً لكم. أو صفة مصدر. أو بفعل مقدر أي: إيتوا، والقرينة كون السوابق كلها من إتيان الخير. ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طيب نفس خالصاً لوجه الله. والتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تल्प في الطلب ﴿يُضَاعَفْهُ لَكُمْ﴾ بالواحد عشرة إلى سبعمائة، إلى

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل يريد الهجرة فتجبسه امرأته وولده فيقول: إنا والله لئن جمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لأفعلن ولأفعلن، فجمع الله بينهم في دار الهجرة فأنزل الله ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ {جزء آية من سورة التغابن، الآية: ١٤}. انظر: الدر المنثور للسيوطي (١٨٤/٨). وجامع البيان للطبري (٢٨/١٢٤). وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨/٦).

(٢) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) "الأولي" ورد في (ح) ٥٣١/أ، و (ر) ٤٧٩/ب: الأولى، والمثبت من الأصل.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (رقم: ٥٥٩). وأحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب وفي مسند علي ﷺ (رقم: ١٠٤١).

ملا يعلمه غيره. ﴿وَيَعْفِرُ لَكُمْ﴾ ما فرط؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات. ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾
يقابل القليل بالكثير. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقاب.

[١٨] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ على سواء، حث على الإخلاص. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾
الغالب، لا مانع لعطائه. ﴿الْحَكِيمُ﴾ في كل ما دبر.

تمت، والحمد لمن أعطى وشكر، والصلاة على المبعوث من مضر، وآله وصحبه ذوي
العليا والخطر.

سورة الطلاق

مدنية، وآياتها اثنتا عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ناداه أولاً؛ لأنه سيد القوم وإمامهم، وفيه إجلال له، وإشارة إلى أنهم لا يصدرن إلا عن رأيه. والمعنى: إذا أردتم الطلاق كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(١) وله نظائر. تنزيلاً للمشرف على الشيء منزلة المباشرة. والطلاق المأمور به: أن يكون في طهر لم يجامع فيه، أو حامل استبان حملها. واللام للتوقيت. فالذي يقول: إن الأقرء بالأطهار فلا إشكال عنده. والذي يقول: بالحيض يقدر مستقبلات كقولك: جئتك لليلة بقيت في الشهر. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه وقال: مره فليراجعها، فإذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت فليطلقها إن شاء))^(٢). فإن قلت: إذا كان الغرض إيقاع الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في الحديث؟ قلت: أن لا يكون الرجوع للطلاق،

(١) جزء آية من سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب وقال مجاهد: إن ارتبتم. (رقم: ٤٥٢٨) بلفظ: "أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: لِيُرَاجِعَهَا ثُمَّ يُمَسِّكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقَهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". ومسلم، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها (رقم: ١٤٧١).

ولأن طول المدة عسى تؤثر في تبدل الحال، والطلاق أنكر المباحات فاحتيط لذلك، وقوله: ((مره فليراجعها)) دل على وقوع الطلاق في الحيض، وإطلاقه دل على أن الثلاث دفعة لا بدعة فيها، وما روي أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: ((أتلعبون بكتاب الله))^(١) لا أصل له، ولا ذكر الثلاث في كتاب الله في معرض الدم. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واحفظوها. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في التطويل في العدة، والإضرار بالنساء. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ مساكنهن إلى انقضاء العدة. ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أيضاً استقلالاً، وإن أذن الأزواج؛ لأن ذلك حق الشارع ليس لأحد إسقاطه. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ هي الزنا، أو النشوز بأن طلقت وهي ناشزة؛ لأن النشوز يسقط الحق حال الوفاق فأولى أن يسقطه حال الفراق، فالاستثناء راجع إلى الأمرين. أو البذاء^(٢) وإيذاء الزوج، فيرجع إلى الأول. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ الأحكام. ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ عرضها لسخط الله. ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الرغبة في المطلقة، والندم على فراقها. واستدل الإمام أحمد على أن المتوتة، والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها^(٣).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ (رقم: ٥٥٩٤) بلفظ: "عن ابن وهب قال: أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطلقات جميعاً، فقام غضباناً ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم، حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقلته". قال أبو عبد الرحمن: لا أعلم أحداً روى هذا الحديث غير مخزومة.

(٢) "البذاء" ورد في الأصل، و(ر) ٤٨٠/أ: النداء.

(٣) المتوفى عنها زوجها إن كانت حائلاً فلا سكنى لها ولا نفقة في مدة العدة؛ لأن النكاح قد زال بالموت، وإن كانت حاملاً ففيها روايتان. إحداهما: لها السكنى والنفقة؛ لأنها حامل من زوجها فكانت لها السكنى والنفقة كالمفارقة في الحياة. والثانية: لا سكنى لها ولا نفقة؛ لأنه قد صار للورثة، ونفقة الحامل وسكانها إنما هو للحمل، أو من أجله، ولا يلزم ذلك الورثة؛ لأنه إن كان للميت ميراث فنفقة الحمل من نصيبه، وإن لم يكن له ميراث لم يلزم وارث الميت الإنفاق على حمل امرأته كما بعد الولادة. قال القاضي: وهذه الرواية أصح. انظر: الشرح الكبير لابن قدامة (١٨١/٧) - (٢٤٥/٩). والمغني لابن قدامة (١٢٤/١٤).

[٢ - ٣] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ شارفن آخر العدة، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ راجعوهن إن شئتم. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن عشرة؛ لثلا يؤدي إلى فراق آخر. ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء حق، وانتفاء ضرر بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً للعدة. ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ عند الفراق والرجعة؛ لأنه أبعد عن الريبة وأقطع للنزاع. أمر ندب، وعن الشافعي رحمه الله قول بالوجوب في الرجعة^(١). ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أدوها من غير ميل ولا غرض أيها الشهود. ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من إيقاع الطلاق على وجه السنة، وإحصاء العدة، والكف عن الإخراج، وإقامة الشهادة. وقيل: إشارة إلى الأخير. والأول أوجه؛ لقوله: ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ سيما إذا جعل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ اعتراضاً مؤكداً لتلك الأمور، وإن كان الأوجه أن يكون استطراداً دالاً على أن التقوى ملاك الأمر، به نيظ سعادة الدارين، ويتناول أمر الزوجين أول تناول. عن ابن إسحاق^(٢) أن عوف بن مالك الأشجعي^(٣) أسر^(١) ابنه، فشكى إلى رسول الله ﷺ الفاقة، فأمره

(١) اختلف العلماء في حكم الشهادة على الرجعة. قال في المغني: "وأما الشهادة ففيها روايتان. إحداهما: تجب، وهذا أحد قولي الشافعي؛ لأن الله تعالى قال ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ {جزء آية من سورة الطلاق، الآية: ٢}، وظاهر الأمر الوجوب؛ ولأنه استباحة بضع مقصود فوجبت الشهادة فيه كالنكاح. والرواية الثانية: لا تجب الشهادة، وهي اختيار أبي بكر وقول مالك وأبي حنيفة؛ لأنها لا تفتقر إلى قبول فلم تفتقر إلى شهادة كسائر حقوق الزوج، ولأن ما لا يشترط فيه الولي لا يشترط فيه الإشهاد كالبيع، وعند ذلك يحمل الأمر على الاستحباب. انظر: المغني لابن قدامة (٤٠٣/٧). ونيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني [دار الجليل - بيروت - ١٩٧٣م] (٤٤/٧).

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن يسار، القرشي المطلبي مولاهم، صاحب المغازي، أحد الأئمة، روى عن أبيه وجعفر الصادق والزهري وعطاء ونافع ومكحول وخلق، وعنه شعبة ويحيى الأنصاري وهما شيوخه وشريك والحمادان والسفيانان وآخرون، وثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، وقال أحمد: حسن الحديث، وأكثر ما عيب به التدليس. توفي سنة ١٥٠ أو ١٥١ هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٨٢). والثقات لابن حبان (٣٨٠/٧). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٧٢/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣/٧).

(٣) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، مختلف في كنيته، قيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد، وقيل: غير ذلك. قال الواقدي: أسلم عام خيبر، ونزل حمص. وقال غيره: شهد الفتح وكانت معه راية أشجع، وشهد حنيناً،

بالصبر وكثرة قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يفتحاً أبويه إلا وهو بالباب يناديهما ومعه سرح القوم قد استاقها، فنزلت^(٣). ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ الذي يريده ولا يفوته. قرأ حفص بالإضافة. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرًا وتوقيتًا لا يتقدمه ولا يتجاوزُه. وفي الحديث ((يستجاب لأحدكم ما لم يتعجل ويقول دعوت فلم يجب لي))^(٣). [٣١٣/ب]

[٤] ﴿وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ روى ابن جرير^(٤) عن أبي بن كعب^(٥) أنه سأل رسول الله ﷺ عن عِدِّدِ النِّسَاءِ لم تذكر في الكتاب فنزلت^(٦). والآيسة: هي التي انقطع دمها لكبير السن. واختلاف القراء في اللائي تقدم في الأحزاب. ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾

وسكن دمشق. توفي سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٧٤٢/٤). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠٠/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٢٢٦/٣).

(١) "أسر" ساقط من (ر) ٤٨٠/ب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الطلاق (رقم: ٣٨٢٠). وانظر أيضاً: جامع البيان للطبري (١٣٨/٢٨). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٥٩/١٠). والدر المنثور للسيوطي (١٩٦/٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (رقم: ٥٨٦٥). ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي (٢٧٣٥).

(٤) هو: الإمام محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري البغدادي، أحد الأعلام، وصاحب التفسير والتاريخ والتصانيف، ولد بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، ورحل لطلب العلم وله عشرون سنة، كان إماماً في فنون كثيرة منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً. توفي ببغداد سنة ٣١٦هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٣٢٥/١). والوافي بالوفيات للصفدي (٢٦٦/١). ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (١٩١/٤).

(٥) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، ويقال: أبو الطفيل المدني، سيد القراء، من كبار الصحابة، من أهل بدر. توفي بالمدينة سنة ١٩هـ، وقيل: ٣٢هـ، وقيل: غير ذلك. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٧/١). والطبقات لابن سعد (٤٩٨/٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٦٥/١).

(٦) انظر: جامع البيان للطبري (١٤١/٢٨). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٦٠/١٠). والدر المنثور للسيوطي (٢٠١/٨).

جهلتم وشككتكم في عدنن، ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ من الصغر ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ طلقت، أو توفي عنها زوجها. ﴿أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ﴾ ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما إلى أن عدة المتوفى عنها^(١) زوجها أبعد الأجلين من^(٢) أربعة أشهر وعشر ومدة الحمل؛ للتعارض من غير علم بتأخر إحداها. وذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن هذه الآية ناسخة لآية البقرة في قدر ما تناولته من الحوامل، وقال: من شاء باهلته أن سورة النساء القصص^(٣) بعد التي في البقرة. والعام المتأخر، ناسخ للخاص المتقدم، فأولى إذا كان العموم من وجه. ويؤيد قول ابن مسعود رضي الله عنه ما روى البخاري ومسلم^(٤) أن سبيعة الأسلمية^(٥) كانت تحت سعد بن خولة^(٦). توفي زوجها وهي حامل، فوضعت بعده بأربعين يوماً، فأنكحها

(١) "عنها" مثبت من (ح) ٥٢٣/أ، وساقط من بقية النسخ.

(٢) "من" ساقط من (ح) ٥٣٢/أ.

(٣) هي "سورة الطلاق"، السورة الخامسة والستون من كتاب الله. وسموها "القصص"؛ لتسميتهم السورة الرابعة من القرآن: "سورة النساء الطولى". انظر: جامع البيان للطبري (٣١/٥).

(٤) "مسلم" ساقط من (ح) ٥٣٢/ب.

(٥) هي: سبيعة بنت الحارث الأسلمية، كانت امرأة سعد بن خولة فتوفي عنها بمكة، فقال لها أبو السنابل بن بعكك: إن أجلك أربعة أشهر وعشر، وقد كانت وضعت بعد وفاة زوجها بليال. قيل: خمس وعشرون ليلة، وقيل: أقل من ذلك. فلما قال لها أبو السنابل ذلك أتت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال لها: قد حللت فانكحي من شئت. وبعضهم يروي إذا أتاك من ترضين فتزوجي. روى عنها فقهاء أهل المدينة وفقهاء أهل الكوفة من التابعين حديثها هذا. لم أقف على تاريخ وقاتها. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٥٩/٤). والإصابة لابن حجر (٦٩٠/٧). والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٨٧/٨).

(٦) هو: سعد بن خولة القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، هاجر إلى الحبشة، شهد بدرًا، توفي في حجة الوداع. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٩٧ / ١٥). والاستيعاب لابن عبد البر (٥٨٦/٢). والإصابة لابن حجر (٥٣/٣). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠٨/٣).

رسول الله ﷺ^(١). وأما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض، وكون الحكم معللاً مما لا يعد مرجحاً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ يسهل عليه أمره.

[٥] ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ لتعملوا بموجبه. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُعْظِمِ لَهُ أَجْرًا﴾ يوم الجزاء. ولقد بالغ في أمر النساء بالحث على التقوى مراراً؛ وذلك لضعفهن ونقصان عقولهن، وما يبدو منهن^(٢) مما يوجب النفرة والغضب. وفي آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ: استوصوا بالنساء خيراً، خلقن^(٣) من ضلع أعوج إن ذهبت تقيمه كسرته.^(٤)

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ ما تقدرن عليه. الوجد: الوسع^(٥) ﴿وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ فيحتجن إلى الخروج. ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ تعميم الإسكان وتخصيص الإنفاق بأولات الأحمال، دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على أن المبانة لا نفقة لها. وللحنفية أن هذا مفهوم لا يعارض ما روى عثمان وعمران أن رسول الله ﷺ قال: لها السكنى والنفقة.^(٦) وفائدة التقييد: دفع وهم من ذهب إلى أن المدة إذا زادت عن أربعة أشهر وعشر لا يستحق الزيادة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم (رقم: ٥٠٤١). ومسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل (رقم: ١٤٨٤).

(٢) "منهن" ورد في (ح) ٥٣٢/ب و (ر) ٤٨٠/ب: وما يبدوهن.

(٣) "خلقن" ورد في (ح) ٥٣٢/ب: خلقهن.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته من صلصال من حمأ مسنون (رقم: ٣١٥٣). ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (رقم: ٢٦٧١).

(٥) "الوسع" ورد في (ح) ٥٢٣/ب: الواسع، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) أخرجه الدارقطني، كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره (٥٩) بلفظ: جابر عن النبي ﷺ قال المطلقة ثلاثاً لها السكنى والنفقة. والدارمي، كتاب الطلاق، باب في المطلقة ثلاثاً لها السكنى والنفقة أم لا؟ (رقم: ٢٢٧٤).

لَكُمْ ﴿ بعد انقطاع النكاح، ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع. مقيد بغير اللبأ^(١) الذي به البقاء غالباً. ﴿وَأُتْمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أنفقوا على أمر الولد بلا مشاققة. ﴿وَلَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾^(٢). ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ﴾ ثم تضايقتن، ﴿فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ امرأة. وفيه معاتبه للأُم وحث على المساهلة.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ كل من الموسر والمعسر على قدر حاله. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ من المال. ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وعد للفقراء بأن الحال^(٣) يتبدل كقوله ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤) وحث على الإنفاق بقدر الطاقة.

[٨] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فحل بهم بأس الله تعالى. فخذوا حذرکم. بعد بيان جمل من الأحكام أشار إلى أن أهل قرى كثيرة عاندوا، واشتغلوا عن امتثال أوامره. قرأ ابن كثير^(٥) "كاء" على وزن فاع. ﴿فَحَاسِبُنَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أهلكتناهم؛ لقوله ﷺ ((من نوقش في الحساب هلك))^(٦) ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ كالخسف والغرق. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ وخامة الأمر الذي خالفته، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيه.

(١) اللبأ بكسر الفاء وفتح العين: أول اللبن في التاج. قال أبو زيد: أول الألبان اللبأ عند الولادة، وأكثر ما يكون ثلاث حلبات، وأقله حلبية. وقال الليث: اللبأ مهموز مقصور أول حلب عند وضع الملىء. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "لبأ" (١/١٥٠). والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة "لبأ" (١/٦٥).

(٢) جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٣) سورة الإنشراح، الآية: ٦.

(٤) "الحال" ساقط من (ح) ٥٣٢/ب.

(٥) "كثير" ساقط من (ح) ٥٣٢/ب.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب فسوف يحاسب حسابا يسيراً (رقم: ٤٥٥٨) بلفظ: ((من نوقش الحساب هلك)). ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (رقم: ٢٨٧٦).

[٩ - ١١] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يوم القيامة. وقيل: الحساب والعذاب يوم القيامة. والتعبير بالماضي كقوله ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(١)؛ لأن المترقب من وعده ووعيده كالكائن. وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرر للوعيد. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعد هذا البيان ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ العقول الخالصة. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾ الذكر: القرآن، و﴿رَسُولًا﴾ بدل منه بدل اشتمال، والمراد به جبرائيل. أو الشرف فبدل كل. ويجوز أن يراد محمد عليه السلام. أو نصبه بـ "أرسل" مقدرًا دل عليه الإنزال. وهذا هو المتبادر، ويدل عليه قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾؛ لأن تلاوة جبرائيل عليهم تجوز. وجعل الخطاب شاملاً له وللمؤمنين تكلف. ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ليخرجكم. والإتيان بالظاهر؛ للإشارة إلى فائدة الإرسال. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ قرأ نافع وابن عامر بالنون، وهو أبلغ في الوعد. ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ أي: رزق فيه تعجيب.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ [١٣٦٤] مِثْلَهُنَّ﴾ سبع أرضين أيضاً. روى البخاري عن سعيد^(٢) بن زيد^(٣) أن رسول الله ﷺ قال^(٤): من غصب شراً من

(١) جزء آية من سورة الأعراف: ٤٤.

(٢) "سعيد" ورد في (ح) ٥٣٣/أ: سعد.

(٣) هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، القرشي، العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم عمر بن الخطاب وصهره على أخته فاطمة، أسلم هو وزوجته فاطمة قبل أخيها عمر بن الخطاب. توفي بـ المدينة سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (١٠٣/٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٦١٤/٢). والطبقات الكبرى لابن سعد (٣٧٩/٣).

(٤) "قال" ساقط من (ح) ٥٣٣/أ، و (ر) ٤٨١/أ، والمثبت من الأصل.

الأرض طوقه من سبع أرضين^(١). وفي الحديث: ((ما السموات السبع، والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة في^(٢) فلاة))^(٣) وحملها على الأقاليم باطل. ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: قضاء الله بالإماتة والإحياء، وسائر أحكامه. ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. علة لخلق، أو ليتنزل، أو لمقدر يعمهما. فإن كل واحد يدل على كمال القدرة.

تمت سورة الطلاق. والحمد لله الملك الخلاق. والصلاة على الكامل بالاتفاق، وآله وصحبه إلى يوم التلاق.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب. باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض (رقم: ١٥٥٩) بلفظ: "مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئاً طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ". ومسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (رقم: ١٦١٠).

(٢) "في" ساقط من (ح) ٥٣٣/أ.

(٣) أخرجه ابن حبان في حديث طويل، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص من العقى بشيء منها (رقم: ٣٦١) بلفظ: ((يا رسول الله فأبي ما أنزل الله عليك أعظم قال: آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة...)). والعظمة لعبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري [دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨هـ، ط١] (٥٧٠/٢). والعرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد الحمود [مكتبة المعلا - الكويت - ١٤٠٦هـ، ط١] (٧٧/١). ولم أجد في جميع المصادر التي رجعت إليها لفظ "الأرضون السبع".

سورة التحريم

مدنية، اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ اضطربت الرواية في سبب نزولها، وما الذي أوجب تحريم ما أحل الله، وما المحرم. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل على زينب^(١) فشرب عندها عسلاً، فتواطعتُ أنا وحفصة^(٢) على أن أيتنا دخل عليها نقول: نجد منك ريح مغاير - وكان يكره الرائحة الكريهة - فدخل على حفصة فقالت له ذلك. فقال: شربت عسلاً عند زينب، وقد حلفت لا أعود إليه فلا تخبري أحداً.^(٣)

(١) هي: زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر الأسدية أم المؤمنين، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس، ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وفيها نزلت ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ {جزء آية من سورة الأحزاب، الآية: ٣٧} توفيت سنة ٢٠ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٦٦٧/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٤٩/٤). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٥٠٨/٢).

(٢) هي: حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، أم المؤمنين، أمها زينب بنت مظعون أخت قدامة بن مظعون، كانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة، وكان ممن شهد بدرًا، وتوفي بالمدينة، فلما انقضت عدتها تزوجها النبي ﷺ. توفي سنة ٤٥ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٨١/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨١١/٤). والطبقات الكبرى لابن سعد (٨١/٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك. (رقم: ٤٥٣١). ومسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (رقم: ١٤٧٤).

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أيضاً: أن التي سقته هي حفصة، وعائشة وسودة^(١) رضي الله عنهما هما اللتان تواطأتا^(٢). وروى النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ أصاب مارية^(٣) في يوم حفصة في بيتها. فقالت أي رسول الله ﷺ في يومي وفي بيتي؟! فقال: قد حرمتها فلا تقولي لأحد فذكرته لعائشة^(٤). ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ حال أو تفسير يفيد زيادة تمجيد، أو استئناف كأنه قيل: ما وجه العتاب وقد تقدمه في ذلك الأنبياء كقوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٥)؟ فقيل: يحل مثله عن طلب مرضات النساء في ترك ما أباحه الله. فالمنكر هو الباعث لا التحريم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ غفر لك ما تقدم وما تأخر ﴿رَحِيمٌ﴾ أعطاك ما لم يعط أحداً من العالمين.

(١) هي: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية، أمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار، كان تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ، وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة. توفيت سنة ٥٤هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٧/٧٢٠). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٨٦٧). والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك (رقم: ٤٨٦٣). ومسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (رقم: ١٤٧٤).

(٣) هي: مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية سنة ٧هـ. اتخذها رسول الله ﷺ سرية، فولدت له إبراهيم، توفيت في خلافة عمر سنة ١٦هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٨/١١١). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٩١٢).

(٤) أخرجه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغرة. (رقم: ٣٨٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الخلع والطلاق، باب من قال مالي علي حرام لا يريد جواريه (رقم: ١٤٨٥٤). والدارقطني، كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره (رقم: ١٢٢).

(٥) جزء آية من سورة آل عمران: ٩٣.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ بينها لكم بشرعية الكفارة، ((فإذا حلف أحدكم على فعل ورأى غيره خيراً فليأته وليكفر))^(١). أو شرع استثناء اليمين بأن يقول في حلفه: إن شاء الله. واستدل به الإمام أحمد على أن من حرّم شيئاً ثم فعله يلزمه الكفارة^(٢). وليس فيه دليل لما في رواية البخاري حلفت^(٣). ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ متولي أموركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المتقن في أحكامه. فبادروا إلى ما أمرتم به.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حفصة أو سودة. ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم العسل، أو مارية. وما قيل: من أن الخلافة بعدي لأبي بكر وعمر منكر^(٤). ﴿فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ﴾

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، باب نذب من حلف يمينا فرأى غيرها خيراً منها (٣١١٨). وابن حبان، كتاب الأيمان، ذكر البيان بأن الحالف إنما أمر بترك يمينه إذا رأى ذلك خيراً له مع الكفارة (رقم: ٤٣٤٧).

(٢) قال ابن قدامة الحنبلي: إذا قال: هذا حرام علي إن فعلت وفعل، أو قال: ما أحل الله علي حرام إن فعلت ثم فعل، فهو مخير إن شاء ترك ما حرّمه على نفسه، وإن شاء كفر. وإن قال: هذا الطعام حرام علي فهو كالحلف على تركه. ويروى نحو هذا عن ابن مسعود والحسن وجابر بن زيد وقتادة وإسحاق وأهل العراق. وقال سعيد بن جبير فيمن قال الحل علي حرام: يمين من الأيمان يكفرها. وقال مالك والشافعي: ليس بيمين ولا شيء عليه؛ لأنه قصد تغيير المشروع فلغا ما قصده.

ولنا قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ {جزء آية من سورة التحريم، الآية: ١} إلى قوله ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ {جزء آية من سورة التحريم، الآية: ٢} سمي تحريم ما أحل الله يمينا وفرض له تحلة وهي الكفارة. انظر: المغني لابن قدامة (٤٠١/٩).

(٣) رواية البخاري التي أشار إليها هي عن زهدهم قال: لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحي من حرم وإنما لجُلوس عنده وهو يتعدى دجاجاً، وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء فقال: إني رأيتك يأكل شيئاً فقدرتُهُ فقال: هلّم فإني رأيت النبي ﷺ يأكله فقال: إني حلفت لا أكله فقال: هلّم أخبرك عن يمينك إنا أتينا النبي ﷺ نفر من الأشعرين فاستحملناه فأبى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا ثم لم يلبث النبي ﷺ أن أتى بنهب إبل فأمر لنا بخمس ذود فلما قبضناها قلنا تعفلنا النبي ﷺ يمينه لا نفلح بعدها أبداً فأتيتهُ فقلت يا رسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا قال أحل ولكن لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها. كتاب المغازي، باب قدم الأشعرين وأهل اليمن (رقم: ٤٠٣٤).

(٤) أخرجه الدارقطني، كتاب الوصايا، (رقم: ١٥) بلفظ: "عن ابن عباس في قوله عز وجل (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) قال: اطلعت حفصة على النبي ﷺ مع أم إبراهيم عليه السلام فقال: لا تخبري عائشة، وقال لها: إن أباك

وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿﴾ أطلعه على إفشائه، ﴿﴾ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ﴿﴾ عرف مقدار ما علمت اطلاعه وأعرض عن الاستقصاء. على ما هو دأب الكرام. وقرأ الكسائي عرف مخففاً. أي: جازاها على البعض؛ إطلاقاً للسبب على المسبب كقوله: ﴿﴾ وَمَا تَفَعَّلُوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴿﴾ (١). ﴿﴾ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴿﴾ تعجبياً لبناء الأمر على الكتمان بينهما. ﴿﴾ قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ ﴿﴾ بالأشياء. ﴿﴾ الْخَيْرُ ﴿﴾ ببواطنها.

[٤] ﴿﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴿﴾. عائشة وحفصة أو سودة. ﴿﴾ فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمَا ﴿﴾ أي: حق لكما التوبة؛ لوجود موجبه وهو ميل قلوبكما إلى مخالفة الرسول. والتفت إليهما مكافحاً؛ زيادة توبيخ. ﴿﴾ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴿﴾ مرة أخرى. وقرأ الكوفيون بالتخفيف بحذف إحدى التائين. ﴿﴾ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾ أي: فلن يعدم مظاهراً من هذا نعته وهو الله، ورئيس الكرويين الذي يياشر عقاب المخالف، الذين هم أعوانه وأتباعه ﴿﴾ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿﴾ "ظهير" عطف على قوله: "إن الله مولاه" وما عطف عليه. وفي ﴿﴾ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿﴾ دلالة على أن وجوه نصره الله له، وإن تنوعت أقواها نصره الملائكة وفيهم جبرائيل، لأن إفراده بالذكر أولاً؛ لعلو شأنه.

[٥] ﴿﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴿﴾ عن أنس ؓ أن عمر ؓ قال: اجتمعت نساء النبي ﷺ في الغيرة. قلت: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا

وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة، فانطلقت حفصة فأحبرت عائشة، فأظهره الله عليه فعرف بعضه وأعرض عن بعض. قال: أعرض عن قوله إن أباك وأباها يكونان بعدي كره رسول الله ﷺ أن ينشر ذلك في الناس فأعرض عنه". والطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني [دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥هـ] باب من اسمه إبراهيم (رقم: ٢٣١٦).

(١) جزء آية من سورة البقرة: ١٩٧.

خَيْرًا مِنْكُمْ" فنزلت^(١). وقرأ نافع وأبو عمرو ﴿أَنْ يُدْلَهُ﴾ بالتخفيف، والتشديد أبلغ ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ منقادات لأوامره^(٢). ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ بأن مخالفته عصيان. ﴿فَاتِنَاتٍ﴾ طائعات. ﴿تَائِبَاتٍ﴾ عن الذنوب. ﴿عَابِدَاتٍ﴾ مذلات الأخلاق. ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات. لما في الحديث: ((سياحة أمي الصيام)).^(٣) وقيل مهاجرات. ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أدخل الواو هنا دون سائر الصفات؛ لأنهما متنافيان، فلا بد من العاطف.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي. ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ أيضاً بأن تأمروهم بالطاعات، وتنهوهم عن المعاصي. وفي الحديث: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))^(٤). ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ حجر الكبريت [٣٧٤/ب] تتقد بهما^(٥) كما يتقد غيرها بالحطب. ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ الزبانية. تسعة عشر. ﴿غُلَظٌ﴾ الأخلاق ﴿شِدَادٌ﴾ القوى لا يأخذهم في تعذيب أعداء الله رافة. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ في المستقبل. أو يقبلون الأوامر ويأتون بموجباتها.

[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ﴾ يقال لهم حين يساق بهم إلى النار إذ لا عذر لهم، أو لأنه لا يقبل الاعتذار. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جزاؤه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُدْلَهُ أَوْ جَاءَ... الآية﴾ {جزء آية من سورة التحريم آية: ٥} (رقم: ٤٦٣٢). ومسلم في حديث طويل، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ... الآية﴾ {جزء آية من سورة التحريم آية: ٤} (رقم: ١٤٧٩).

(٢) ورد في جميع النسخ: منقادات أوامره. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري بلفظ: "عن عائشة قالت: سياحة هذه الأمة الصيام" (٣٩/١١). وانظر أيضاً: الدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن. (رقم: ٨٤٤). ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (رقم: ١٨٢٩).

(٥) "تتقد بهما" غير واضح في الأصل.

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالإقلاع عن الذنب، والندم على الماضي. ﴿تُوبَةٌ نَصُوحًا﴾ النصح لغة: خلوص كل شيء. يقال: غسل ناصح: صاف. والنصوح صيغة مبالغة منه أي: بالغة في الصفاء عن شوب الذنوب. ويجوز أن يكون من النصح بفتح النون: إصلاح الثوب بعد الخرق. وفي الحديث: ((من اغتاب خرقاً ومن استغفر رفاً^(١)))^(٢)، فهي تنصح صاحبها أو تدعو غيره إلى التوبة؛ لظهور آثارها، على الإسناد المجازي. وفسرها حبر الأمة^(٣): باليقين بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالجوارح، والاستمرار على الترك^(٤). وقرأ أبو بكر بضم النون مصدراً بمعنى: ذات خلوص. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أردف التوبة النصوح بـ ﴿عَسَىٰ﴾ على دأب الملوك؛ وإشعاراً بأن لا وجوب بل تفضل منه. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ظرف ليدخلكم، ومعنى المعية: الاجتماع في الإيمان لا في الزمان. ﴿ثَوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ استئناف؛ للتعريض بمن ناوأهم. وقيل: خير ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليس بوجه. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إذا رأوا نور المنافقين قد انطفئ يعترتهم الخوف على ما هو مقتضى البشرية، وإن كانوا جازمين بالإتمام والنجاة. أو هو قول من يكون نوره ضعيفاً، فإن الأنوار على قدر الأعمال، فيسألون إمامه تفضلاً. أو يقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ كسائر الأذكار في الجنة. يؤيده قوله: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إذ إعطاء النور إنما هو بعد الغفران.

(١) "رفاً" ورد في (ح) ٥٣٤/أ؛ وفاء، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) لم أجده في مصادر الحديث الشريف، وإنما وجدته في الصحاح للجوهري ينسبه إلى النبي ﷺ، مادة "نصح".

(٣) أي: عبد الله بن عباس ؓ.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة [دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ، ط١] [٥٤٨/١]. والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ص ٩٥).

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالحجة والسيف لأن الرفق قد بلغ مدهاه. ﴿وَمَا أُوَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ﴾ مثل الله حال الكفار^(١) في عدم الانتفاع بما لهم مع الأنبياء والمؤمنين من العلائق صهراً^(٢) و نسباً بحال المرأتين. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ ممتازين عن سائر العباد بالصلاح والزلفى. ﴿فَنَخَاتَاهُمَا﴾ في الدين لا في الفجور؛ لأنها فراش النبي، ولا عار عليه في كفرها. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يسيراً من الإغناء. ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ الذين لا علاقة بينهم وبين الأنبياء. وفيه تهديد للتين تظاهرا على رسول الله ﷺ، لاسيما التي أفشت سره كامرأة لوط حين دلت على أضيافه، وإشارة إلى شرف صحبته إنما تفيد زيادة الكرامة إذا نصحت لله ولرسوله.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ﴾ أعدى عدو الله. هي: آسية بنت مزاحم^(٣). ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ ومعنى ﴿عِنْدَكَ﴾ مرتفع الدرجة كقوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾^(٤). ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ من عذابه والابتلاء بعمله. قيل: لما علم بإيمانها هدها لترجع فأبت، وتَد لها أوتاداً فربطها، وأرسل عليها الحيات. ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هم القبط أتباع فرعون.

(١) "حال الكفار" ورد في الأصل: حالهم للكفار، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) "صهراً" ورد في (ح) ٥٣٤/أ: صهر.

(٣) كما ورد في الحديث (أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون). ولم أجد من ترجم لها في كتب الطبقات والتراجم.

(٤) جزء آية من سورة القمر الآية: ٥٥.

[١٢] ﴿وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عطف على "امرأة فرعون"، جمع في المثل بين ذات الزوج والتي لا زوج لها؛ تسلياً للأرامل، وحثاً لمن على المحافظة وتحصين الفروج. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في الفرج. هو نفخ جبرائيل، والإسناد إليه؛ للشرف. ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ مخلوق بلا واسطة. ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بأحكامه. أو الصحف المنزلة، عبر بها عنها؛ لقصرها. ﴿وَكُتِبَ﴾ وقرأ غير أبي عمرو وحفص: ﴿كِتَابُهُ﴾ مفرداً على إرادة الجنس. أو الإنجيل، والمؤمن به حقاً مؤمن بسائر الكتب. ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ﴾ من جملة العابدين. غلب التذكير؛ إشارة إلى أن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكُمَّل. ويجوز أن يكون "من" ابتدائية؛ لأنها كانت من أعقاب هارون، فيكون مدحاً لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحساب.

روى مسلم والبخاري رحمهما الله، أن رسول الله ﷺ قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد. وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام^(١). وفيه دليل ظاهر على أن عائشة أفضل النساء^(٢) على الإطلاق. ولأن الرفعة وعلو الشأن إنما هو بالعلم، ولم يدانها كثير من الرجال، فضلاً عن النساء.

تمت سورة التحريم، والحمد لمن فضله عظيم، والصلاة على النبي الكريم، وآله وصحبه ذوي الفضل الجسيم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا..﴾ الآية ﴿جزء آية من سورة التحريم، الآية: ١١﴾ (رقم: ٣١٥٩). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين (رقم: ٤٤٥٩).

(٢) "كفضل الثريد على سائر الطعام، وفيه دليل ظاهر على أن عائشة أفضل النساء" ساقط من (ر) ٤٨٢/ب.

سورة الملك

مكية، وهي ثلاثون آية، وتسمى الواقية والمنجية [١/٣٢٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تعالى وكثر خيره، ودام من في قبضته الملك المطلق. ذكر اليد معه مثل لاستغنائه عن الكل وافتقار الكل إليه. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ما يصح أن يكون، كان أو لم يكن، مما يطلق عليه اسم الشيء كالدليل على تلك الإحاطة، والاستغناء والافتقار.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قدرهما، أو أوجد الحياة وأعدمها. قدم الموت؛ لأنه أقوى شيء دعا إلى العمل. وفي الحديث: ((كَفَى بِالْمَوْتِ وَاِعْظَاءً))^(١) وفيه: ((أكثروا ذكر هادم اللذات))^(٢) ﴿لِيَلْبِسَكُمْ أِيكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ليعاملكم معاملة من يلبس ويختبر أيكم

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في الستر على أصحاب القروف، بلفظ: "عن عمار بن ياسر قال: كان النبي ﷺ يقول: كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً" (رقم: ١٠٥٥٦). ومحمد بن سلامة أبو عبد الله القضاعي في مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط٢] الباب الثالث عشر كفى بالموت واعظاً (رقم: ١٤١٠). والهيثمي في مجمع الزوائد، [دار الريان للتراث - القاهرة/بيروت - ١٤٠٧هـ] كتاب الزهد، باب ذكر الموت (٣٠٨/١٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء في ذكر الموت (رقم: ٢٢٢٩). والنسائي، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت (رقم: ١٨٠١). وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد (رقم: ٤٢٤٨).

أحسن عملاً. الجملة في محل نصب مفعول ثانٍ للبلوى المتضمن معنى العلم، وليس من باب التعليق؛ لأنه مشروط بإيقاع الجملة موقع المفعولين، وقد تقدم المفعول الأول الاستفهام فانتهى الشرط. روي مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: ((أحسن عملاً: أتم عقلاً عن الله، وأورع عن محارمه، وأسرع في طاعته))^(١) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَفُورُ﴾ للذنوب. ترهيب وترغيب للعاصي في التوبة.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، مصدر طابق النعل، أو حصف بعضها فوق بعض ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ أي: في خلقهن. صفة مقوية لـ "طباقاً". وإنما أقام الظاهر مقام المضمرة؛ تعظيماً ودلالة على أن سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة، وإشارة إلى أن كونها مُبدعة على تلك الصفة، كما دل على كمال الاقتدار، تحته من جلائل النعم مالا يحصى. وقرأ حمزة والكسائي "من تفوتت". عن سيويه وأبي زيد: أهما بمعنى كتعاهد وتعهد ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ثانياً؛ لأن النظرة الأولى حمقاء. ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ من شقوق، جمع فطر كبدر وبدور.

[٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ ثم بعد النظرة الثانية داوم على النظر متفحصاً أحوالها، ملتماً خلافاً. التثنية للتكرير مثل لبيك. ﴿يُنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ بعيداً^(٢) كالمطروود عن وجدان الخلل، كليلاً ذا تعب في الطلب.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هذا أدل على كمال الاقتدار من كونها ملساء مستوية. والمصابيح: النجوم المضيئة في السقف المرفوع، كالسرج في سقوف البيت. والدنو بالنسبة إلى من في الأرض، وكونها زينة لها لا تقتضي أن تكون مركوزة فيها.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/١٢). وانظر أيضاً: الدر المنثور للسيوطي (٣٦١/٥). ومسند الحارث (زوائد الهيثمي) للحارث بن أبي أسامة / نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري [مركز خدمة السنة - المدينة المنورة - ١٤١٣هـ، ط١] كتاب الأدب، باب ماجاء في العقل (رقم: ٨٣١).

(٢) في (ر) ٤٨٢/أ: بعيد.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ بانفصال الشهب منها كالنار المقتبسة، وعليه يحمل انقضاض الكوكب في الحديث^(١). وأشعار العرب؛ لأن كونها زينة السماء يقتضي استمرارها. وقيل: جعلناها رجوماً أي: ظنونا لشياطين الإنس أي: سبب ظنهم التي يرمون بها الغيب. جمع رَجَم بالفتح مصدر سمي به^(٢) ما يرحم به. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة. مستطرد لذكر الشياطين.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ بعد هذه الدلائل^(٣) النيرة. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم أو عذابه.

[٧] ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ صوتاً كصوت الحمار، إما منها، أو ممن تقدمهم. ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ فوارن الرجل.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ تمثيل لشدة اشتعالها وامتلائها بالنار. أو يخلق الله فيها إدراكاً، كما^(٤) عليه ظواهر النصوص. ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ينذركم عذاب اليوم. سؤال توبيخ.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ النذير ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ قطل. ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ كلام الكفار للنذير؛ لأنه مصدر وصف به الجمع مبالغة في

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة (رقم: ٣٢٣) وفيه: ((أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟...)). وابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر عرض الله جل وعلا الأمم على المصطفى ﷺ (رقم: ٦٤٣٠).

(٢) "به" ساقط من (ح) ٥٣٥/أ.

(٣) "بل" ورد في (ح) ٥٣٥/أ زائداً.

(٤) "يدل" ورد في (ح) ٥٣٥/أ، و (ر) ٤٨٣/أ زائداً.

إنذارهم، كرجل عدل. أو يقدر مضاف أي: أهل إنذار. أو من كلام الخزنة على طريق
حكاية ما كانوا عليه. أو الضلال الهلاك، أو سمي عقابه باسمه.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرسل سماع تفهم وتدبر. ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ نتأمل
آيات الآفاق والأنفس، ونستدل بها على أن الإنسان لم يخلق سدى^(١). ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ في جملتهم.

[١١] ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ حين لا ينفع الاعتراف. ﴿فَسُحِقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ بعداً
لهم. أي: أسحقهم الله إسحاقاً، حذف منه الزائد كأثبت نباتاً. وقرأ الكسائي بضم الحاء على
أنها لغة.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ذكر الكفار كان بالعرض؛ لأن الذي سيق له
الكلام بيان حال من هو أحسن عملاً كأن قيل: ماذا حال من سيق له الكلام؟ فأثبت لهم
كمال العلم الذي أشير إليه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) وكمال التقوى
بقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بالغائب عنهم، أو غائبين عنه، أو بالغائب المخفي وهو القلب. ﴿لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ﴾ لما فرط منهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ لا يسعه تصورهم.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ خطاب عام كما في ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾^(٣) أي: اتقوه
في السر والعلن؛ لاستوائهما في علمه. حث للخاشي على الاستدامة والترقي إلى حق الخشية،
وللغافل المغتر على الإنابة. ويجوز أن يكون التفاتاً إلى أصحاب السعير؛ لما روي أن المشركين

(١) في (ح) ٥٣٥/أ: سدا.

(٢) جزء آية من سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) جزء آية من سورة الملك، الآية: ٢.

كانوا يقولون: "أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فيخبره" (١) ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
بضمائها. فضلاً عن الصادر (٢) عنها سرّاً وجهرّاً.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلم السر والجره من خلق الأشياء كلها؟! ﴿وَهُوَ
اللَّطِيفُ﴾ الدقيق في [٣٢٥/ب] صنعه، دقت حكمته في كل شيء. ﴿النَّخِيرُ﴾ بيواطن الأشياء.
وحذف المفعول من "خلق" للتعميم (٣)، ولا يجوز أن يكون من قبيل يعطي ويمنع؛ لارتباطه بما
تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول. يجوز (٤) أن يكون "من" مفعولاً، وفي
"يعلم" ضمير الرب أي: ألا يعلم الله مخلوقه وهذا شأنه. والأول أوجه؛ لإقامة الظاهر مقام
المضمر، ولكونه أدل على المحذوف، ولعموم المقدر المتناول له تناولاً أولاً.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ لينة يسهل عليكم سلوكها. ﴿فَامْشُوا فِي
مَنَاكِبِهَا﴾ في جوانبها. مثل في فرط التذلل؛ لأن منكب البعير (٥) أرق شيء فيه، وأنباه عن
وطئ الراكب بقدمه، فإذا ذلل ذلك فقد بلغ التذليل غايته. وقيل: مناكبها جبالها، فالاستعارة
في لفظ المنكب. ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ ما أخرج منها أقواتاً وثماراً. ﴿وَالِيَهُ النُّشُورُ﴾ فاجتهدوا
في الشكر فإنه يسألكم عنها.

[١٦] ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ملكوته وسلطانه. أو نفسه على زعم جهلة العرب.
وقيل: الملك الموكل للعذاب وليس برصين. ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ كما خسف بقارون.

(١) أورده الرازي عن ابن عباس: أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فيخبر الله بها رسوله ﷺ فيقولون:
أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فبئس الله على جهلهم. انظر: التفسير الكبير للرازي (٤١٢/١٥). وأنوار التنزيل
وأسرار التأويل للبيضاوي (٣٠٩/٥).

(٢) ورد في (ح) ٥٣٥/ب، و (ر) ٤٨٣/ب: الصاد.

(٣) "للتعميم" ورد في (ح) ٥٣٥/ب: للتعميم.

(٤) "يجوز" ورد في (ر) ٤٨٣/ب: ويجوز.

(٥) في (ح) ٥٣٥/ب: التعبير.

مقابل لقوله ﴿فَامْشُوا﴾^(١) بدل اشتغال من "من". ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تضرب في ذهاب
ومجيء من هيبه الله وشدة غضبه.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريجاً فيه الحصباء
والأحجار كقوم لوط، مقابل لقوله: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٢) لقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾^(٣)
﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ إذا شاهدتم المنذر به.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قبل قريش. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ إنكاري
بالانتقام، وقد شاهدوا آثاره وتواتر عندهم خبر ما لم يشاهدوه.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن في الجو، فإنها إذا
بسطت الأجنحة صفت القوادم. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ لم يقل قابضات؛ لأن الطيران كالسباحة الأصل
فيه المد والقبض تارة وتارة، والفعل دال على التجدد والحدوث. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾
بليغ الرحمة، بأن خلقها على وضع وهيئة يتمكن بها من الطيران، بأن جعل لها القوادم تشق بها
الريح، والحوافي تشدها والأذنان تقيمها كما في السفن. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ عليم عياناً
لا يخفى عليه شيء مما يدهش الفطن. وفي ذكره عقيب الخسف وإرسال الحاصب؛ إشارة إلى
أن من هذا شأنه ذاك أهون شيء عنده، وإيماء إلى أن دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته
وتكامل أسبابه منهم إنما هو تلك الرحمة البالغة التي أمسكت الطير في الهواء.

[٢٠] ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرِكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ متعلق بحديث
الخسف؛ لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾^(٤) اعتراض يشد من عضد التحذير، وكذا قوله: ﴿أَوَلَمْ

(١) جزء آية من سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) جزء آية من سورة الملك، الآية: ١٥.

(٣) جزء آية من سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٤) جزء آية من سورة الملك، الآية: ١٨.

يُرَوُّ^(١) تصوير لقدرته الباهرة. والمعنى: "أم" الذي يقال فيه هذا الذي هو جند لكم أمنكم من عذاب الله؟ على أن "أم" منقطعة والاستفهام تهكم. والمشار إليه إما فوج مقدر، أو أصنامهم. "من" مبتدأ، و"هذا" خبره، والموصول صفة "هذا"، و"يَنْصُرُكُمْ" وصف لـ "جند" محمول^(٢) على اللفظ. ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ مستغرقون في الغفلة.

[٢١] ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: أم الذي يقال فيه هذا الذي يرزقكم؟ ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي: الله تعالى بإمساكه أسبابه، من المطر والإنبات. متعلق بإرسال الحاصب. ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ﴾ تبادوا في العناد. ﴿وَتُفُورٍ﴾ وإعراض. وهذا أدل على إغراقهم في الكفر من قوله: ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾. كما أن توهم الرزق من الأصنام، أو من فوج مقدر أبعد من تخيل النصر منها.

[٢٢] ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ يقال: كبيته فأكب، وعدوه من النوادر؛ لأن القياس كون المجرد مطاوعاً للمزيد. وقيل: ليس من ذلك بل المعنى: صار ذا كبّ كأغذّ البعير^(٣)، ومعنى مشيه مكباً على وجهه يقع تارة ويقوم أخرى؛ لكونه ماشياً في غير الطريق، أو لكونه أعمى لا يبصر. ﴿أَمْنَ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن، فإن الكافر في ظلمات الشبه والشكوك كمن لا يرى جهة قصده، أو يسلك مكاناً وعرأ، فهو بين قيام وسقوط، والمؤمن في نور إيمانه كمن يرى مواطئ قدميه، أو كمن سلك طريقاً جادة سهلة السلوك. وإن شئت شبهت الدينين بالمسلكين.

(١) جزء آية من سورة الملك، الآية: ١٩.

(٢) "محمول" ساقط من (د) ٣٢٦/أ.

(٣) أغذّ البعير أي: صار ذا غدة. انظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (٥٢/١).

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ من تراب، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ آلات الإدراك. وأي بعد أبعد ما بين التراب وهذه الأمور. ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ جدًا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ بصرفها إلى ما خلقت له، فلا سمعتم سماع تفهم، ولا نظرتم نظر اعتبار، ولا تدبرتم في دلائل الأنفس والآفاق.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بثكم فيها متمكين من أي تصرف شئتم. ﴿وَالِيهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء، فشمروا له.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي: الحشر. أو العذاب كالخسف وإرسال الحاصب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الخطاب له ولمن آمن به.

[٢٦-٢٧] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلم ذلك غيره. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ فلما رأوه زلفة ﴿الضمير للموعود، وعبر عنه بالماضي؛ لتحقيق وقوعه.﴾ ﴿سَيِّئٌ وَجُوهٌ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ساءها رؤية العذاب وغشيها القفرة. ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ تستعجلون، من الدعاء. الباء صلة. أو تدعون أن لا بعث، من الدعوى. فالباء سببية.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ أماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير الآجال، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ كانوا يتمنون هلاكه. كما قال الله تعالى: ﴿تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾^(١) أي: إن أهلكنا الله كما تمنون أنتم، أو رحمنا بالنصر عليكم كما نرجو نحن، لا يجير^(٢) لكم من عذاب الله. أو نحن هداتكم ودعاتكم^(٣) إلى النجاة، فإن أهلك الله هداتكم كما تمنون، أو رحمهم عكس ما تمنون فمن يجيركم. أو نحن مؤمنون

(١) جزء آية من سورة الطور، الآية: ٥٢.

(٢) في (ر) ٤٨٤/ب: لا يجير.

(٣) في (ح) ٥٣٦/ب: دعا ربكم.

وحالنا دائرة بين الإهلاك بالذنب والرحمة بالإيمان، فماذا حالكم مع كفركم ؟! . وعلى الوجوه من إيقاع المظهر موضع المضمهر.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ﴾ فيجيرنا من عذابه، ولم نكفر مثلكم. ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لا على العدد والعدد مثلكم. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ منا ومنكم. من كلام المنصف. وقرأ الكسائي بياء الغيبة.

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض^(١)، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جار أو سهل المآخذ. فإن لم تعبدوه للحياة الباقية فاعبدوه للغانية، فالكل منه وإليه. ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٢).

تمت سورة الملك، والحمد لله لمن بيده البقاء والهلك، والصلاة والسلام على خير الأنام وآله وصحبه إلى يوم القيام.

(١) "غائراً في الأرض" ساقط من (ح) ٥٣٦/ب.

(٢) جزء آية من سورة هود، الآية: ١٢٣.

سورة نون

مكية، وآياتها ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ن﴾ اسم السورة، أو من حروف الهجاء كما تقدم في^(١) نظائره. وقيل: اسم الحوت الذي عليه الأرض المسمى بالبهמות^(٢). وقيل: اسم اللوح الذي كتب فيه القلم ما هو كائن^(٣). وقيل: اسم الدواة^(٤). وفي الكل بعد، إذ الوجه إعرابه على أن ذكر الحوت مع القلم كذكر الضب مع النون. فإن قلت: إذا كان اسم السورة فلا تنكر سكون آخره، فليكن كذلك إذا جعل اسم الدواة أو اللوح. قلت: قد سبق أن الحكاية في هذه الحروف إنما يصح إذا كانت أسماء للصور للمح معانيها الأصلية؛ إيقاظاً لمن تحدى بها. وأقرب الوجوه أن يكون

(١) "في" ساقط من (ر) ٤٨٤/ب، و (ح) ٥٣٦/ب.

(٢) قال البيضاوي: ﴿ن﴾ قيل: اسم الحوت، والمراد به: الجنس أو البهמות وهو الذي عليه الأرض أو الدواة، فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سواداً من النفس، يكتب به. انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣٦٨/٥). وتفسير القرطبي (٢٢٤/١٨). وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣١١/١٠).

(٣) أخرج ابن جرير عن معاوية بن قرّة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ {جزء آية من سورة القلم، الآية: ١} قال: لوح من نور، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة. انظر: جامع البيان للطبري (١٦/٢٩). والدر المنثور للسيوطي (٢٤١/٨). وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣١١/١٠).

(٤) أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ قال: ن الدواة والقلم والقلم. انظر: جامع البيان للطبري (١٥٦/٢٥). والدر المنثور للسيوطي (٢٤١/٨). وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣١١/١٠).

اسماً للدواة التي كتب منها القلم الكائنات، وسكونه؛ إجراء للوصول بحرى الوقف. ﴿وَالْقَلَمِ﴾ هو الذي خلقه الله أول، أو جنسه^(١). أقسم به؛ لشرفه لأنه آلة لكتابة وحيه وحكمه. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما يكتبه من كتب من المعارف. أو الحفظة من الأعمال. ويجوز أن يكون "ما" مصدرية، وأن يراد بالقلم أصحابه وهم كتاب وحيه وحملة شرائعه. أقسم بهم وبمسطوراهم، أو بسطرهم وكتابتهم.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم، والمعنى: ما أنت بمجنون منعماً عليك بما أنعم من رزاة الرأي وحصافة العقل، على أن الجار والمجرور حال من المستكن في ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ وهو العامل فيه، والباء فيه زائدة، فلا يمنع العمل فيما قبله.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾^(٢)، أو خالياً عن^(٣) المنة. والمعنى: أن لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة على أجر صبرك على أذاهم ما لا يستحق الأجر أن يمن به عليك. وقيل: ممنون من الناس؛ لأنه من عطاء ربك.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ و به استوجبت تلك الرتبة العظمى. وعن قتادة رحمه الله، قلت لعائشة رضي الله عنها: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))^(٤). وكذا عن سعد^(٥) بن هشام^(١) رحمه الله تعالى. أشارت إلى قوله ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(١) "أو" ساقط من (ر) ٤٨٤/ب.

(٢) جزء آية من سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٣) في (ح) ٥٣٦/أ: من.

(٤) أخرجه أحمد، باقي مسند الأنصار، كتاب حديث السيدة عائشة (رقم: ٢٣٤٦٠). وأخرجه مسلم بلفظ: ". فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن" كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنها أو مرض (رقم: ١٢٣٣).

(٥) "سعد" ورد في الأصل، و(ر) ٤٨٤/ب: سعيد، والمثبت من (ح) ٥٣٧/أ. هذه الرواية أخرجه الحاكم في مستدرکه عن سعد بن هشام بن عامر في قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ {سورة القلم، الآية: ٤} قال: ((سألت

وَأْمُرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضٌ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢١﴾. وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ((أن نعته في التوراة محمد عبدي سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا يجازي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر))^(٣). وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه^(٤).

عائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقالت: إن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٥٤١ ح ٣٨٤٢). وأحمد في مسنده، مسند البصريين، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (رقم: ٢٤٦٤٥). وابن خزيمة في صحيحه، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠هـ] كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة التطوع بالليل، باب ذكر خبر نسخ فرض قيام الليل بعد ما كان فرضاً واجباً (رقم: ١١٢٧). وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل (رقم: ١٣٤٢).

(١) هو: سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك، من التابعين، يروي عن عائشة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب، روى عنه الحسن وزرارة بن أبي أوفى، قتل بأرض مكران غازياً. انظر: الثقات لابن حبان (٢٩٤/٤). وتقريب التهذيب لابن حجر (ص ٢٣٢). وتهذيب الكمال للمزي (٣٠٧/١٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (رقم: ١٩٨١) بلفظ: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ قَالَ أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَحَرِّزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّبِيئَةِ السَّبِيئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى من المشورة فقال وشاورهم في الأمر (رقم: ١٣٠٧٩). وأحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر (رقم: ٦٦٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم (رقم: ٣٣٧١). والقرطبي في الاستذكار ليوسف بن عبد الله القرطبي، كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣١/٨). وابن أبي شيبة في المصنف لعبد الله بن أبي شيبة، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم (رقم: ٣١٨٠٥).

[٥-٦] ﴿فَسْتَبْصِرْ وَيُصِرُونَ﴾ بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿﴾ أي: أيكم الذي محن بالجنون. الباء زائدة، أو المفتون مصدر كالمعقول، أو الباء بمعنى في. أي: في أي^(١) فريق منكم يوجد من يستحق هذا الاسم. والخطاب وإن كان معه، إلا أن أمته داخلة تبعاً، وهذا أوجه الأوجه؛ لاشتماله على التعريض مع سلامته عن استعمال النادر.

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: بالجانين. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ العقلاء. أشار إلى أن الجنون والعقل بهذا الاعتبار، لا بما توهموه، فهم^(٢) في هذا الرعم مجانين. ويجوز أن يكون وعيداً ووعداً أي: أعلم بجزاء الفريقين.

[٨] ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ [٣٦/٣٦] الْمُكذِّبِينَ ﴿﴾ كانوا يدعونهم إلى عبادة الأصنام وقتاً؛ ليدعوه من غوائلهم، أو يعبد ما يعبدوه وقتاً.

[٩] ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلينون لك. الفاء للعطف، أي: ودوا إدهانك فيدهنوا بعد إدهانك. أو السببية، أي: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حيثئذ، أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعاً فيه.

[١٠] ﴿وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف، وفي جعله فاتحة المثالب وإمام القبائح؛ دلالة على أنه شر الخصال؛ وذلك لأنه يدل على عدم استشعار عظمتة تعالى. ﴿مُهِينٍ﴾ حقير.

[١١] ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب. من الهمز: وهو الكسر. ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ النميم والنميمة: نقل الحديث لإيقاع الفتنة، وإفساد ذات البين.

(١) "في أي" ساقط من (ح) ٥٣٧/أ.

(٢) "فهم" ساقط من (ح) ٥٣٧/أ.

[١٢] ﴿مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ شديد البخل. والخير: المال، أو أهله من الخير: وهو الإيمان. ذكر الممنوع منه دون الممنوع عكس الوجه الأول؛ لأن عدم ذكر الممنوع منه هناك أوقع ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متجاوز الحد. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.

[١٣] ﴿عُتْلٌ﴾ جاف غليظ. من عتله: إذا قاده بعنف. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ بعدما ذكر من المثالب دعوي. لا نسب له، وهذا كما إذا عدت مثالب إنسان، ثم تقول: وبعد ذلك لا يجب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. والزنيم: شاة لها^(١) زغمة وهي ما يقطع من أذنها من غير فصل فيتدلى. قيل: هو الوليد بن المغيرة^(٢) استلحقه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده، وقيل: بغت أمه فولدته من الزنا. وقيل: هو الأحنس بن شريق^(٣) كان من ثقيف وعداده في زهرة، وليس بصواب؛ لأنه أسلم، معدود في الصحابة.

[١٤-١٥] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿ متعلق بقوله ﴿وَلَا تُطْعَمُ﴾ أي: لا تطعه بعد هذه المثالب لكونه ذا يسار وحظ من الدنيا. أو بما دل عليه ما بعد من معنى التكذيب، لا بـ "قال"؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، أي: كذب بآياتنا؛ لأنه كان مستظهماً بالمال والبنين مغروراً بها. قيل: كان له عشرة من البنين، وله مال وافر، ويقول: "من آمن بمحمد منعت رفدي".^(٤)

(١) ورد في جميع النسخ: له. والصواب ما أثبتناه؛ لأنه أنسب للسياق.

(٢) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد شمس، كان أشد عظماء قريش عداء لرسول الله ﷺ، توفي بمكة بعد الهجرة بثلاثة أشهر. انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (١/٥٩٢).

(٣) هو: الأحنس بن شريق الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة، لقب الأحنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخير أن أبا سفيان نجح بالعرير، فقيل: حنس الأحنس ببني زهرة، فسمي بذلك. أسلم الأحنس فكان من المؤلفين، وشهد حينئذ، توفي في أول خلافة عمر. انظر: الإصابة لابن حجر (١/٣٨).

(٤) قال الزمخشري في الكشاف (٤/٥٩٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ {جزء آية من سورة القلم، الآية: ١٢}: بجحيل، والخير: المال، أو مَناع أهله الخير وهو: الإسلام، فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال: مَناع من الخير. قيل:

وقرأ حمزة وأبو بكر بالاستفهام؛ إنكاراً لطاعته له لكونه ذا مال، وكذا ابن عامر. إلا أنه سهل الثانية بزيادة ألف بينهما. لهشام ولا بن ذكوان بين بين.

[١٦] ﴿سَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ الوجه أشرف الأعضاء، وأشرف أجزائه الأنف. والعرب على أن الشرف يظهر في الأنف، يقولون: "فلان به شمم" و"القوم شمم العرائن"، وفي وصفه ﷺ: "أشم العرين"^(١)، فالكي على الأنف إهانة وإذلال. يجوز أن يكون حقيقة. أو كناية عن الإذلال، والتعبير عنه بالخرطوم زيادة تشويه؛ لأنه لا يستعمل إلا في الفيل أو الخنزير. وما قيل: أنه خطم يوم بدر فبقي سمة على خرطومه سهو؛ لأن الوليد مات قبل بدر، وأبعد منه ما نقل عن النضر بن شميل^(٢) أن الخرطوم هو الخمر، ومعناه: سنحده على شربها.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: إنا اختبرنا أهل مكة بإرسال محمد نعمة عليهم، فلما كفروا به سلطنا عليهم القحط، كما اختبرنا أصحاب الجنة. عن سعيد بن جبیر^(٣) أن هؤلاء كانوا من قرية يقال لها: صروان من قرى صنعاء، وكان أبوهم ذا

هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسراً، وكان له عشرة من البنين، فكان يقول لهم وللحمته: من أسلم منكم منعتة رفدي.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الرء (رقم: ٦٦١) من حديث طويل وفيه: "ألا فأنظروا رجلاً منكم وسيطاً، عظاماً، جساماً، أبيض بضيء، أوطف الاهداب، سهل الخدين، أشم العرين..".

(٢) هو: النضر بن شميل، أبو الحسن المازني، البصري، النحوي، شيخ مرو ومحدثها، روى عن حميد، وهشام، بن عروة، وروى عنه ابن معين، وإسحاق، والدارمي، ثقة، إمام، صاحب سنة. توفي سنة ٢٠٣هـ. انظر: الكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٣٢٠/٢). والثقات لابن حبان (٢١٢/٩). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣١٤/١).

(٣) هو: سعيد بن جبیر بن هشام مولى بني والبة بن الحارث، أبو عبد الله، يروي عن ابن عمر وابن عباس وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، روى عنه عمرو بن دينار وأيوب والناس. كان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً. خرج مع ابن الأشعث في جملة القراء، فلما هزم بن الأشعث بدير الجماجم هرب سعيد بن جبیر إلى مكة، فأخذه خالد بن عبد الله القسري بعد مدة، وبعث به إلى الحجاج فقتله سنة ٩٥هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٢٧٥/٤). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٧٦/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢١/٤). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٣٨/١).

بر وإحسان على الفقراء، كان يأخذ من غلة بستانه هذه قوت سنة، ويصرف الباقي على الفقراء والمحاويج، فقال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذو عيال^(١).

[١٨] ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح^(٢) قبل أن يعلم بذلك الفقراء. ﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ في أيمانهم. لم يقولوا إن شاء الله، بل بتوا القول وجزموا به. وإنما سمي الشرط استثناء؛ لأنه يؤدي مؤداه في الإخراج.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ على الجنة ﴿طَائِفٌ﴾ بلاء من الطوفان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ مرسل من عند الله ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ لا علم لهم بذلك.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالمحدود ثماره. من الصرم وهو: القطع^(٣). أو كالليل المظلم محترقاً، أو الليل الأبيض المقمر. فإن الصريم من الأضداد. أو^(٤) كالرمل المنصرم. أو كالتى أصابها الصرام^(٥) وهي: الداهية.

[٢١] ﴿فَتَنَادَوْا﴾ نادى بعضهم بعضاً ﴿مُصْبِحِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أن مفسرة، واستعمال الغدوّ بـ ﴿عَلَىٰ﴾؛ لتضمينه معنى الإقبال^(١)، أو لأن الغدو للصرام استيلاء، وهو والاستعلاء من واد واحد. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ على الوجه الذي عزمتم عليه.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٠٧). والدر المنثور للسيوطي (٨/٢٥٠-٢٥١).

(٢) "في الصباح" ساقط من (ح) ٥٣٧/ب.

(٣) "هو" ساقط من الأصل. الصرّم: القطع البائن للحبل والعذق، ونحو ذلك الصرام. انظر: تهذيب اللغة للأزهري

(٤/٢٠٦). والمخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده [دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨م] (٣/١٣٦). ولسان

العرب لابن منظور مادة "صرم" (١٢/٣٣٤).

(٤) "أو" ساقط من (ح) ٥٣٧/ب.

(٥) في (ر) ٤٨٥/ب: للصرام.

[٢٣] ﴿فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ يتكاثمون الحديث.

[٢٤] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ أن مفسرة، والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه كقولك: لا أريتك هنا.

[٢٥] ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ الحرد: المنع، يقال: حاردت السنة إذا منعت المطر، والإبل إذا انجلت بالدر^(٢). أي: غدوا عازمين على المنع حال كونهم قادرين على الخير. أو غدوا على محاردة جنتهم ومنع خيرها بدل^(٣) كونهم قادرين على إصابة خيرها. وقيل الحرد: السرعة. [١/٣٢٧] يقال: قطعاً حراد أي: سراع. أي: اذهبوا على وجه السرعة لئلا يدركهم المساكين. وقيل: الحرد: القصد. أي: غدوا قاصدين الصرام، قادرين على ذلك من عند أنفسهم حال مقدرة. وقيل: الحرد اسم بستانهم.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ على تلك الحالة: ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ طريق جنتنا. قالوه قبل، فلما تيقنوا الأمر قالوا:

[٢٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرمانا خير جنتنا لجنايتنا على أنفسنا.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم رأياً^(٤) ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تستنون؛ لتلاقي الاستثناء والتسبيح في التعظيم، فاستعمل مكانه. وعن الحسن لولا تصلون

(١) "لأن الغدوّ بـ"على" لتضمينه معنى الإقبال" مكرر في (د) ٣٢٧/أ.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٣٣/٢٩). وزاد المسير لابن الجوزي (٥٩/٦).

(٣) في (ح) ٥٣٨/أ: يدل.

(٤) "رأياً" ساقط من (ح) ٥٢٨/ب.

فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء^(١). أولولا تذكرون الله وتوبون إليه. كأنه نصحهم على خبث نيتهم، فلم يطيعوه.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في القصد إلى حرمان المساكين. قالوه بعد خراب البصرة و اتساع الخرق على الراقع^(٢).

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ﴾ كل منهم يقول للآخر أنت السبب. أو لأن بعضهم قال، وبعضهم رضي به، وبعضهم كف فلم يطيعوه.

[٣١] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ فلذلك أصابنا البلاء.

[٣٢] ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ كما هو شأنه مع التائبين. ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ في العفو ومحو الجريمة، وإفاضة الخير. والظاهر أن الله تعالى قبل توبتهم لوقوعها في أوامها.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل ما بلوناه أهل مكة، وأصحاب الجنة. العذاب الواقع في الدنيا. وقد أدمج في التمثيل بأصحاب الجنة أن أهل مكة أولى بالبوار والنكال؛ لأن القصد إلى حرمان المساكين إذا أفضى بهم إلى ما ذكر، فكيف بمن عاند الحق وكذب أشرف الرسل، وقطع الرحم التي أوصى الله تعالى بصلتها؟ ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك، ولأخذوا حذرهم.

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٤٥٣/١٥). والكشاف للزمخشري (١٢١/٧).

(٢) أصل المثل عجز بيت منسوب لرجل من بني سليم يقال له: أنس بن العباس وتمامه:

لَا نَسَبَ الْيَوْمِ وَلَا خُلَّةَ أَتْسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

وهو مثل يضرب في الأمر الذي لم يعد بالإمكان إصلاحه. انظر: الكتاب لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون [دار الجليل - بيروت، ط ١] (١٢/٢). وجمهرة الأمثال للعسكري (١٦٠/١). ولسان العرب لابن منظور (١١٥/٥). وتاج العروس للزبيدي (٢٣٥/٢٥).

[٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في جوار قدسه ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ جنات ليس فيها إلا النعيم. تعريض بجنات الدنيا، فإن الغالب فيها التعب والنكد، وحسن موقعه بعد ذكر أصحاب الجنة المذكورة وذكر حالها.

[٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ قال مقاتل: كانوا يقولون إن لم نكن في الآخرة أحسن حالاً من المسلمين، فلا أقل من المساواة^(١)، قياساً على حظوظ الدنيا.

[٣٦-٣٧] ﴿مَا لَكُمْ﴾ ما حصل لكم من الخلل. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الذي لا يصدر عن ذي مسكة؟ وفي الاستفهام مبالغة في التعجب من سفاهتهم. ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ لكم^(٢) بما فيه علم تام.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ تختارونه وتشتهونه. وكان الظاهر فتح ﴿إِنَّ﴾؛ لأنه مدروس، وإنما كسر؛ لوجود اللام، أو هو على الحكاية. كقوله: ﴿وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ﴾^(٣). ولا يقدر في هذا تكرار ﴿فيه﴾؛ لكونه على منوال "قرأت"^(٤) الكشاف إن في الكشاف لفوائد. وتخير الشيء واختاره: أخذه خيرة.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ يقال: لفلان عليّ يمين إذا حلفت له على أمر تضمنه له. ﴿بِالْعَهْدِ﴾ متناهية في التعليل. جمع اليمين وأكده؛ لفرط اعتمادهم. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ غاية للثبوت المقدر في الظرف. أي: ثابتة إلى ذلك اليوم، كالأجل للدين، فإذا وفينا بالمقسم عليه

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣٢١/١٠). وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣١٥/٥). والجواهر الحسان في تفسير القرآن للنعالي (١٢٥/٤).

(٢) "لكم" ساقط من (ر) ٤٨٦/أ.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٧٨، وجزء آية من سورة الصافات، الآية: ٧٩.

(٤) "قرأت" في الأصل ٣٢٤/ب: قراءة، والمثبت من بقية النسخ.

خرجنا عن عهدتها^(١). أو مبالغة على معنى أنها مستمرة إلى ذلك اليوم، لا تنحل منها يمينا، ولم تبطل حتى يحصل المقسم عليه. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم؛ لأن معنى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ أم أقسمنا لكم.

[٤٠-٤١] ﴿سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ كافل بإثبات ما ذكر. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ في هذه العقيدة. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم. ومعلوم أنه لا يوافقهم عاقل، فقد انحسم مادة الشبه عقلاً ونقلاً.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ منصوب بـ ﴿فَلْيَأْتُوا﴾^(٢)، أو بـ "اذكر"، أو بمقدر، أي: يكون كيت وكيت الكشف عن الساق والتشمر عنها. جرى مجرى المثل عن شدة الأمر، واستعمله البلغاء حيث لا يتصور ساق. قال جرير^(٣):

أَلَا رَبُّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرًا^(٤)

وأصل هذا؛ أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم شمر عن ساقه. ولا ينافي هذا ما رواه البخاري عن أبي سعيد^(١) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل

(١) في (ح) ٥٣٨/ب: عهدتنا.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤١.

(٣) هو: جرير بن عطية بن الخطفي التميمي، أبو حزره، شاعر مشهور من فحول شعراء الإسلام، كان بينه وبين الفرزق مهاجاة ونقائض، مدح يزيد بن معاوية وخلقاء بني أمية، وشعره مدون. عن عثمان التيمي قال: رأيت جريراً وما تضم شفاته من التسييح قلت: هذا حالك وتقذف المحصنات، فقال: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ {جزء آية من سورة هود، الآية: ١١٤} وعد من الله حق. توفي سنة ١٠٠هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٢١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٩٠).

(٤) البيت لجرير من الطويل. انظر: ديوان جرير (٢٣٠). ووجه الاستشهاد فيه: أن الشاعر جعل للحرب ساقاً وأنها شمّرت عنها حيث لا يتصور وجود ساق للحرب، وإنما أشار إلى اشتداد الحرب.

مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان في الدنيا يسجد رياء فيذهب ليسجد^(٢)، فيعود ظهره طبقاً^(٣).
 إذ^(٤) عند الاشتداد والفرع الأكبر يتجلى للمؤمنين بصفة الجمال، وهذا إنما يكون بعد ذهاب
 أهل النار ولم يبق إلا المؤمنون، وبينهم المنافقون فأرادوا النفاق كما في الدنيا فافتضحوا. وهذا
 معنى قوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لأن هناك دعاء صريحاً، وتكليفاً.

[٤٣] ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم. ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
 وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ من العوائق.

[٤٤] ﴿فَدَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: كله إليّ فأنا أكفيك.
 ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه استدراج، بأن يفيض عليهم الرزق [٣٧٧/ب]
 والعافية فيحسبونه إثارة لهم وتفضيلاً على المؤمنين، فيتمادون في الضلالة. والاستدراج:
 استئزال الشخص درجة بعد درجة حتى يتورط^(٥) في الهلاك.

[٤٥] ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ أي: أطيل لهم المدة ليزدادوا إثماً. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ قوي. وإنما
 سمي إحسانه استدراجاً وكيداً؛ لأنه في صورته.

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر، والأبيجر هو خدرة بن عوف بن الحارث بن
 الخزرج. أبو سعيد الخدري، هو مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، غزا مع رسول الله ﷺ اثني عشرة غزوة، كان من
 نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، وكان ممن حفظ عن الرسول ﷺ سنناً كثيرة، وروي عنه علماً حملاً. توفي سنة
 ٩٤هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٦٠٢). والإصابة لابن حجر (٣/٨٧).

(٢) في (ح) ٥٣٨/ب، و(ر) ٤٨٦/ب: يسجد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق (رقم: ٤٦٣٥). والحاكم في المستدرک، كتاب
 التفسير، تفسير سورة مريم (رقم: ٣٤٢٤). وابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الأخبار عن
 وصف من يشفع في القيامة ومن يشفع له (رقم: ٧٣٧٧).

(٤) في (ح) ٥٣٨/ب: أو.

(٥) "يتورط" ورد في الأصل ٣٢٨/أ: يتوزط، ولعله خطأ من الناسخ. والصواب ما أثبتناه. والمثبت من بقية النسخ.

[٤٦] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ متصل بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾، وما في البين اعتراض؛ ترغيباً للسامعين في البدار قبل فوت الوقت. ﴿فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقُلُونَ﴾ فلذلك يعرضون.

[٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح الذي هو خزائن المغيبات، ﴿فَهُمْ يَكْتُوبُونَ﴾ منه، يستغنون به عنك و عما جئت به.

[٤٨] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم إلى وقت معلوم، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس بن متى^(١). ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ في بطن الحوت. ﴿أَنْ لَأِ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) والمعنى: لا تكن مكظوماً أي: مملوءاً غيظاً على عدم إيمان قومك مثله. فالمنهي عنه مشابته إياه في الكظم. ولما كان موهماً بنوع انخطاطه، قال: ((لا تفضلوني على يونس بن متى))^(٣) إذ كان غضبه لله، وإن لم يكن من عزم الأمور.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ رحمة منه، أو توفيقه إياه للتوبة. ﴿لَتَبَدَّ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: امتنع نبذه بالعراء مذموماً؛ لوجود التدارك، فالمتعمد في الجواب ﴿لَوْلَا﴾ هو الحال، لا النبذ؛ لوجوده. العراء: الفضاء الذي لا ساتر له.

[٥٠] ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بعد الإنابة، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من عداد الأنبياء. وقيل: استنباه، وهو خطأ فاحش، وكذا القول بنزول الآية حين أراد أن يدعو على المؤمنين الذين اهزموا يوم أحد؛ لأن السورة من أوائل ما نزل بمكة.

(١) هو: يونس بن متى، من ولد بنيامين بن يعقوب، وكان قبل النبوة من عباد بني إسرائيل، هرب بدينه فنزل شاطئ دجلة، فبعثه الله نبياً إلى أهل نينوى من أرض الموصل. انظر: المنتظم لابن الجوزي (٣٩٥/١). ولقطة العجلان لمحمد صديق حسن خان، [دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥-١٩٨٥، ط ١] (٩١/١).

(٢) جزء آية من سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: وهل أتاك حديث موسى (رقم: ٣١٤٤) بلفظ: "لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى". ومسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام (رقم: ٢٣٧٧).

[٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ زلقه وأزلقه بمعنى: أزاله عن مكانه. وصفهم بالمبالغة في العداوة كأنها سرت من القلب والجوارح إلى النظر فصار يعمل عملها. وإليه أشار من قال:

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يُزيلُ مواطئ الأقدام^(١)

وقيل: العين. كان في بني أسد، وكان يتجوع منهم رجل ثلاثة أيام، فلا يمر به شيء يقول: لم أر كالיום مثله إلا عانه، فأرادوا فعله برسول الله ﷺ، فواقاه الله بعنايته^(٢). وعن الحسن أن هذه الآية رقية العين، من خاف من إصابة العين فليقرأها. وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس ؓ: ((وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ))^(٣) والأخبار في حقية العين متواترة المعنى^(٤)، ومن شاهد تأثير المغناطيس في جذب الحديد لم يستبعد تأثير العين. وقرأ نافع ﴿يُزْلِقُونَكَ﴾ بفتح الياء. وهي لغة، والضم أشهر. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن الذي هو شرف لهم. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ ولذلك خالف كلامه أساليب كلام العرب.

(١) البيت أنشده القتيبي، ولا يعرف قائله. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٥/١٠). وتاج العروس للزبيدي (٢٠/١٩). وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٧/٨). ووجه الاستشهاد بالبيت أنه جعل النظر من شدة العداوة والبغضاء والشر يكاد يزيل عدوه من الوجود.

(٢) بحث عنه ولم أجده.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقى (رقم: ٤٠٥٨). والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها (رقم: ٢٠٦٢). وابن ماجه، كتاب الطب، باب من استرقى من العين (رقم: ٣٥١٠). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الطب، با وضوء العائن (رقم: ٧٦٢٠).

(٤) أي: أن الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ في أحقية العين وصلت إلى درجة التواتر المعنوي.

[٥٢] ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة لكل ذي عقل من الملائكة والثقلين. أو شرف لمن حفظه وعمل بما فيه كائناً من كان، وهذا أبلغ من قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١).

تمت سورة نون، والحمد لمن أجره غير ممنون، والصلاة والسلام على خيرة الخلق إلى يوم يبعثون.

(١) جزء آية من سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

سورة الحاقة

مكية، وآيها إحدى وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة، أي: الساعة الثابتة التي لا ريب في ثبوتها، أو التي فيها ثوابت الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي، وكذا إن فسرت بما يحق فيها [من] ^(١) الأمور، وتعرف على الحقيقة.

[٢] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ما حقيقتها؟. الجملة خبر الأول، والأصل ما هي؟ تعظيم وتهويل لها. وفي وضع المظهر مقام المضمرة زيادة ومبالغة. وأكد ذلك بقوله:

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أي: لم تحط علماً بكنهها، وكل شيء قدرته في نفسك، فهي أفظع من ذلك. و"ما" الاستفهامية علق عنها الفعل. ولما هوّل أمرها بما لا مزيد عليه، أردفه بذكر المكذبين بما وما حلّ بهم، وادخر لهم في الآخرة؛ تحذيراً لأهل مكة.

[٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ من أسمائها؛ لأنها تفرع الناس بالإفزع ^(١) والأهوال، والجبال بالدكّ، والسماء بالانفطار، والأرض بالزلزال. وهذا تهويل آخر، حيث لم يعبر عنها بالضمير، ولا بالمظهر المذكور.

(١) "من" ساقط من جميع النسخ. ولعل الصواب ما أثبتناه.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المتجاوزة عن الحدِّ في الفظاعة، وهي الصاعقة، لقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ﴾^(٢). ويجوز أن يكون معها الصيحة والرجفة، كالحاصب مع الخسف في قوم لوط. وقيل: مصدر كالعاقبة، ولا يلائم قوله:

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ﴾؛ لأنَّ الآية من قبيل الجمع والتفريق، والحدث لا يناسب العين. ﴿صَرْصَرٍ﴾ شديدة^(٣) الصوت، لها صرصرة في هبوها، أو من الصرّ وهو: البرد، كأنها التي كرّر فيها البرد. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ على قوم عاد، فلم يقدروا على دفعها. [٣٢٨] وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: عتت على خزائنها، فخرجت بغير حساب^(٤).

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَلْطَهَا﴾. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ استئناف لبيان الكمية بعد الكيف؛ ليتكامل الهول. ﴿حُسُومًا﴾ حاسمات كل خير. جمع حاسم، كشهود جمع شاهد. والحسم: إزالة أثر الشيء، ومنه الحسم للكي المستأصل للداء. أو متابعة هبوب الريح حتى استأصلتهم، كأن كلَّ هبة كية. ويجوز أن يكون مصدر الفعل مقدرًا، أي: يحسم حسومًا، أي: يفرق بينهم تفريقاً شديداً لا اجتماع بعده؛ لكمال النحوسة. ﴿فَقَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾ في مهابها ﴿صَرَغَى﴾ ملقى على الأرض كالأخشاب اليابسة. قيل: كانت من صبيحة الأربعاء إلى غروب الأربعاء، وسميت أيام العجوز؛ لأنَّ عجوزاً توارت في سرب فوجدها الريح في اليوم الثامن^(٥). وقيل: أيام العجز، وهي آخر الشتاء. وأسمائها: الضنن، والضبر، والأمير، والمؤتمر، والمعلل، ومطفئ الجمر. ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أصول نخلٍ متآكلة الأجواف.

(١) "بالإفراع" ورد في الأصل: بالإفراع.

(٢) جزء آية من سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٣) "شديدة" ورد في الأصل ٣٢٨/أ: شديد، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤١٣). وجامع البيان للطبري (٤٩/٢٩). والدر المنثور للسيوطي (٢٦٤/٨).

(٥) انظر: التفسير الكبير للرازي (٩٢/٣٠). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤١٣).

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ بَقِيَّة، أو نفس باقية، أو بقاء.

[٩] ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ قبل فرعون. وقرأ أبو عمرو والكسائي: قبله بكسر القاف أي: أتباعه، والأول أبلغ وأشمل، إذ ذكر فرعون دلّ على أتباعه. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قرى قوم لوط، والإسناد مجاز ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالخطأ، أو بالفعل ذات الخطأ، أو بالأفعال الخاطئة. مجاز في الحكم.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ كلّ منهم رسوله ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ شديدة لعظم جرمهم. من ربا الشيء: زاد.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ على الخزان يوم الطوفان، أو جاوز الحدّ. ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ في السفينة. وذكرها باسم الجارية؛ تصوير لإظهار القدرة، إذ لم يكن لها بحر ولا نوتي، بل كان باسم الله مجراها ومرساها.

[١٢] ﴿لَتَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ تلك الفعل موعظة. ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ من شأها الوعي. يقال: وعيته إذا حفظته في نفسك، وأوعيته إذا حفظته في وعاءٍ آخر. والتكثير؛ للدلالة على قلة الأذن الموصوفة، وإن^(١) واحدة منها إذا وجدت كانت بمثابة السواد الأعظم. وقرأ نافع: بسكون الذال. وعن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: ((سألت الله أن يجعل أذنك واعية قال: فما نسيت بعد ذلك شيئاً، وما كان لي أن أنسى))^(٢).

[١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وهي النفخة الأولى نفخة الفرع، ويعقبها نفخة الصعق، وبعدها نفخة القيام وابتداء خراب العالم.

(١) "إن" ساقط من (ح) ٥٤٠/أ.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ {جزء آية من سورة الحاقة، الآية: ١٢}. انظر: جامع البيان للطبري (٥٥/٢٩). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٧٠/١٠). وتفسير القرطبي (٣٦٤/١٨). والتفسير الكبير للرازي (٩٤/٣٠).

[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ضربت أحدهما على الأخرى بالقدرة الكاملة، فصارتا كثيباً مهيلاً، كما تضرب أنت إحدى البيضتين على الأخرى.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية.

[١٧] ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ حبس الملك على أطرافها. جمع رجا مقصور. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ فإن الحملة اليوم أربعة، فإذا كان ذلك اليوم امتدوا بأربعة أخرى. وقيل: ثمانية صفوف، لا يعلم عددهم إلا الله. وروى أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال: ((أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه سبعمائة عام))^(١). وإذا نطق القرآن بأمر ممكن وواقفه الحديث، فلا وجه للتأويل والعدول عن الظاهر.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ العرض إنما يكون بعد النفخة الأخيرة، والكلام في النفخة الأولى؛ لأن اليوم أريد به الزمان المتسع. روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان جدال ومعاذير، والثالثة تطير فيها الصحف))^(٢).

(١) في الأصل "ص".

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية. (رقم: ٤٧٢٧). والطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم (رقم: ١٧٠٩). والدليمي في الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسوي زغلول [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ] (رقم: ١٦٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في العرض (رقم: ٢٣٤٩) بلفظ: يُعرضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ فَأَمَّا عَرَضَاتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ وَأَمَّا الْعَرَضَةُ الثَّلَاثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تُطَيَّرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي فَأَخَذَ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِشِمَالِهِ. وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر البعث (رقم: ٤٢٧٧). وأحمد في المسند، أول مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري (رقم: ١٩٧٣٠).

﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة. والمراد من العرض إظهار المعدلة وإخزاء الجاحدين على رؤوس الأشهاد. وقرأ حمزة والكسائي بالياء، وحسن؛ لوجود الفصل.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعرض. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يدي الله المؤمن يوم القيامة، فيقرّره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك يقول له: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطي كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر ﴿فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١))).^(٢) ﴿فَيَقُولُ هَؤُلُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ يقوله لكل من رآه فرحاً. و"هاؤم" جمع "هاء" بألف بعده همزة، تصرف تصريف الكاف، ومعناه: خذ، اسم فعل. تنازع "هاؤم" و"اقرؤوا" فأعمل الثاني؛ لقربه على ما اختاره البصريون، وإلا لقييل: اقرؤوه.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ أيقنت، وإنما عبر عنه بالظن؛ دلالة على أن هواجس^(٣) النفس وخطراتها مما لا تنفك^(٤) عنه العلوم النظرية لا يقدر في الاعتقاد.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ذات رضاء، كلابن وتامر، فإن النسبة كما تكون في الحرف تكون بالصيغة، أو راض صاحبها، على المجاز في الإسناد.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ فوق السماء السابع، سقفها عرش الرحمان، أو عالية قصورها وأشجارها، بدل من عيشة، أو خير بعد خبر.

(١) جزء آية من سورة هود، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (رقم: ٢٣٠٩). ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (رقم: ٢٧٦٨).

(٣) في (ح) ٥٤٠/ب: أن هو أحسن.

(٤) في (ح) ٥٤٠/ب، و (ر) ق: أن ينفك.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف بالكسر من القطف وهو: تقارب الخطى في سرعة، فإنها تجتنى من غير تعب ﴿دَانِيَةٌ﴾ يتناولها القاعد والمضطجع.

[٢٤] ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا﴾ على تقدير القول ﴿هَنِئَاءً﴾ أكلاً وشراباً هنيئاً، أو هنتم هنيئاً. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ من الأعمال ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥-٢٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿لَمَّا يَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ﴾ ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ الموتة الأولى ﴿كَأَنْتِ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة فلم أبعث بعدها، أو ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ دامت. يرى من الشدة ما يعد^(١) مرارة الموت حلاوة عندها. ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ﴾ شيئاً من الأشياء، أو أي شيء أغنى، على أن "ما" استفهامية إنكاراً.

[٢٩] ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ﴾ ملكي وتسلطي على الأموال والحشم. قرأ حمزة في الوصل بدون "هاء" في الموضعين، وهذا هو الأصل؛ لأنها هاء السكت ولا سكت في الوصل، ومن أثبتها أجرى الوصل مجرى الوقف اتباعاً للرسم.

[٣٠] ﴿خُذُوهُ﴾ أمرٌ من الله للخزنة. ﴿فَعَلُّوهُ﴾ اجعلوه في الغل.

[٣١] ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ﴾ وهي النار العظمى. ﴿صَلُّوهُ﴾ لا غيرها. يقال: صليته النار: أدخلته إياها.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ المراد منه الكثرة كقوله: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾^(٢). ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: لاتسلكوه إلا في السلسلة الموصوفة. ومعنى سلكه فيها: أن تُلَفَّ عليه مع ذلك الطول المفرط؛ مبالغة في التضييق عليه. و"ثم" في الموضعين للفتاوت بين ما دخله وما تقدمه.

(١) في (ح) ٥٤٠/ب: بعد.

(٢) جزء آية من سورة التوبة، الآية: ٨٠.

[٣٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ تعليل على طريقة الاستئناف. ﴿العظيم﴾ أي: ذلك العظيم من العذاب؛ لكفره بالعظيم.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ فيه مبالغتان. ذكره قرين الكفر، وترك الحض دون منع الطعام؛ ليعلم من باب الأولى، وفيه إشارة إلى أن شر الخصال بعد الكفر البخل وقسوة القلب.

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب يحميه، وقد فر كل امرئ من أخيه وأبيه.

[٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ غسالة أهل النار من دم وصديد. فعلين من الغسل.

[٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ العامدون للإثم. من الخطأ^(١) بكسر الخاء، ومن الخطأ^(٢) بفتحها ضد العمد الذي ذكره الفقهاء.

[٣٨-٣٩] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: بجميع^(٣) الكائنات التي هي آثار الصنع. و"لا" مزيدة. أو لا أقسم بهذه الأشياء لظهور الأمر.

[٤٠-٤١] ﴿إِنَّهُ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ مبلغ عن الله. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون. ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ لفرط عنادكم.

[٤٢] ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ القلة في الموضعين بمعنى العدم. ولما كان عدم التباس القرآن بالشعر بيننا؛ جعل الفاصلة عدم الإيمان عناداً، بخلاف الكهانة، فإنها تتوقف

(١) في (ر) ٤٩٩/ب: الخطاء.

(٢) في (ر) ٤٩٩/ب: الخطاء.

(٣) في (ح) ٥٤٠/ب: جميع.

على سير أحوال القاتل من الصدق والصلاح، فذكر معها التذکر. وقرأ ابن كثير وهشام: "يؤمنون" و"يذكرون" بياء الغيبة مسنداً إلى ضمير "الخاطئون". ولا بن ذكوان وجهان.

[٤٣] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رفع لتوهم أن يكون كلام الرسول حقيقة؛ لإسناد القول إليه. والمراد بالرسول: محمد لا جبرائيل عليهما السلام، إذ لم ينسبوا إليه شعراً ولا كهانة. ويجوز أن يكون جبرائيل عليه السلام^(١)، كأنه قيل: إنه لقول جبرائيل^(٢) الرسول الكريم، وليس من تلقاء محمد كما تزعمون أنه شاعر أو كاهن. والأول أوجه.

[٤٤-٤٥] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ أي: لو نسب إلينا قولاً لم نقله، من التقوّل وهو: نسبة القول إلى من لم يقله تكلفاً. وتسمى الأقوال المنقولة: أقاويل تحقيراً كالأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: يمينه.

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ كما يفعله الملوك بمن يكذب عليهم. وصور القتل في أشنع صورة، وهو أن يأخذ الجلاذ يمين المصور ليرى السيف في يده، بخلاف ما إذا أخذه بيساره. والوتين: نياط القلب، وفي ذكره؛ إشارة إلى محلّ الجناية، كاليد للسارق، فإن اللسان ترجمان لا مؤاخذة عليه.

[٤٧-٤٨] ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ عن القتل أو المقتول. أحد استعمل جمعاً، والخطاب للناس كلهم. ﴿وَإِنَّهُ لَتَذَكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، لأنهم المنتفعون به.

[٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ لما نقوله من تزكية الرسول، وكون القرآن ليس بشعر ولا كهانة.

(١) في الأصل "ع. م".

(٢) "عليهما السلام، إذ لم ينسبوا إليه شعراً، ولا كهانة. ويجوز أن يكون جبرائيل عليه السلام، كأنه قيل: إنه لقول جبرائيل" ساقط من (ح) ٥٤١/أ.

[٥٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: التكذيب، أو القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب

المؤمنين.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إنه اليقين حقّ اليقين. وحاصله: عين اليقين كقولك:

عين الشيء ونفسه.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: نزهه بذكر اسمه [٣٢٩/١] العظيم الدال على

تقدّسه عن إمكان القول عليه، وشكراً لما أولاك وأوحى إليك.

تمت، والحمد لمن آلاؤه جلّت، والصلاة على من به الرسالة تمت.

سورة المعارج

مكية، وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ السائل هو النضر بن الحارث^(١) الذي^(٢) قال: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء"^(٣). وقيل: رسول الله ﷺ قال: ((اللهم عليك بقريش))^(٤) ويؤيد الأول قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ وقرأ نافع وابن عامر: "سال" بالألف، إما مبدلة من الهمزة تخفيفاً، أو أجوف واوي، كخاف يخاف. قال أبو زيد

(١) هو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى أبا قائد، وكان أشد قريش في تكذيب النبي ﷺ والأذى له ولأصحابه، أسر يوم بدر وقتل فيها صبياً بأمر رسول الله ﷺ. وقد نقل ابن حجر إنكار ابن الأثير على من ترجم للنضير بن الحارث حيث ذكر أن النضر قتل كافراً بإجماع أهل السير، وعقب عليه: باحتمال أن يكون له أخ سمي باسمه، وأيد رأيه بما نقله عن موسى بن عقبة والبلاذري عن الهيثم بن عدي قال: هاجر النضير بن الحارث إلى الحبشة، ثم قدم مكة، فارتد ثم أسلم يوم الفتح أو بعده واستشهد باليرموك. انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (٥٩٤/١). والاستيعاب لابن عبد البر (١٥٢٦/٤). والإصابة لابن حجر (٤٣٠/٦).

(٢) "الذي" ساقط من (ح) ٥٤١/أ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (رقم: ٤٢٨٢). ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ.. الآية﴾ (رقم: ٢٧٩٦).

(٤) أخرجه البخاري، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (رقم: ٢٧١٧). ومسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (رقم: ١٧٩٤).

سمعت من يقول: هما يتساولان؛ فهزمة "سائل" بدل عن الواو، كهزمة "كأين". وعلى الوجهين يتعدى إلى المفعولين بنفسه، وتعديته بالباء؛ لتضمين معنى الاستعجال. أو من سال يسيل، أجوف يائي، كباع يبيع. والمعنى: سال سائل^(١) أي جرى وادٍ ذو سيل بعذاب واقع. ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه: سال سيل^(٢).

[٢-٣] ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ صفة ﴿عَذَابٍ وَّاقِعٍ﴾^(٣) أي: كائن، أو يتعلق بالفعل أي: سال للكافرين، أو بـ "واقع" أي: نازل لأجلهم. وعن قتادة: سأل سائل على من ينزل عذاب الله؟ فعلى هذا قوله: "للكافرين" جواب لذاك السائل. والباء؛ لتضمن سأل معنى اهتم. ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ﴾ جملة مؤكدة على قول قتادة، صفة أخرى لعذاب على الأول. وعلى الوجهين: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ إما متعلق بـ "واقع" أي: من جهته، أو بـ "دافع" أي: لأتمته ولا من غيره. ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد. جمع معراج، أو مَعْرَجٍ يصعد فيها الأعمال الصالحة، أو المؤمنون في سلوكهم، أو دار ثوابهم.

[٤] ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بيان وتفصيل لتلك المعارج؛ إظهار لعز شأنه وملكوته. والروح: جبرائيل، وإفراده؛ لمزيتته، وقيل: خلق آخر موكلون بالملائكة كالملائكة بنا. واليوم: يوم القيامة، وصف بغاية الطول إما كناية عن شدته، أو حقيقة على ما قيل: إن فيه خمسين موطناً يقف الخلق في كل موطن ألف سنة. ويؤيد الأول ما رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد، أنه قيل لرسول الله ﷺ: ((ما أطول هذا اليوم؟ قال: "والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من

(١) "سائل" ورد في (ح) ٥٤١/أ: سأل.

(٢) جزء آية من سورة المعارج، الآية: ٢.

(٣) في (ح) ٥٤١/أ: يسيل.

صلاة مكتوبة" (١). وقيل: من أسفل الأرض إلى عرش الرحمن مسافة خمسين ألف سنة لو قطعها الإنسان. وهذا إن صحَّ لا تعلق له بتفسير الآية؛ لأنَّ الغرض هو تهويل يوم القيامة. وقرأ الكسائي: يعرج بياء الغيبة.

[٥-٦] ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع العذاب على أعدائك. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ عن إمكان الوقوع.

[٧] ﴿وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾ منه (٢)؛ لكمال قدرتنا. والضمير للعذاب، أو لليوم. فإن قلت: السائل سواء كان رسول الله ﷺ أو غيره، لم يسأل إلا عذاب الدنيا كما نزل بسائر الأمم، والسياق يدل على وقوع العذاب يوم القيامة، فكيف طابق السؤال؟

قلت: هو من قبيل قوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (٣) كأنه قيل: العذاب المستعجل به ليس بعذاب حقيقة، بل العذاب هو المعد لهم، وهم ينكرونه ويدعون إحالته، ثم هُوّل شأنه بما فصله.

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ منصوب بـ"قريباً"، أو يقع مقدرًا؛ لدلالة "واقع" عليه، وبديل عن محل في "يوم" إن علق بـ"واقع"، أو ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ تكون كيت وكيت. والمهل: دُرْدِي (٤) الزيت، وعن ابن مسعود ﷺ: الفضة المذابة (٥)

(١) أخرجه أحمد، مسند باقي المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري (رقم: ١١٢٩٢). وابن حبان، كتاب بدء الخلق، ذكر الاخبار عن وصف ما يخفف به طول يوم القيامة على المؤمنين (رقم: ٧٣٣٤). وأبو يعلى في مسنده، من مسند أبي سعيد الخدري (رقم: ١٣٩٠).

(٢) "منه" ساقط من (ح) ٥٤١/ب.

(٣) جزء آية سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٤) دُرْدِي الزَيْت: ما يبقى في أسفله. انظر: الصحاح في اللغة مادة "درد".

(٥) انظر: تفسير القرآن للصنعاني (٤٠٢/٢). وجامع البيان للطبري (٢٣٩/١٥). والدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٥).

[٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف الملون؛ لاختلاف ألوان الجبال: بيض، وحمرة، وغرايب سود، فإذا طارت في الهواء اختلطت ألوانها.

[١٠] ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ كيف حالك؟. لكل شأن يغنيه ويشغله عن غيره.

[١١] ﴿يُصِرُّونَهُمْ﴾ استئناف جواب: لم لا يسأل كأنه لا يراه، أو حال. وجمع الضمير؛ لأن المعنى على العموم، والأصل: يبصرون بهم. يقال: بصرته بالشيء إذا أوضحت له، وكأنه ضمن معنى التعريف، أو حذفت الصلة، وأوصل الفعل. ﴿يُؤَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍئِذٍ﴾ حال من أحد الضميرين، أو استئناف يدل على أن الأمر أهم من الاشتغال بالسؤال عن حال أحد. ﴿بَيْنِهِ﴾ الذين هم أعز من الروح.

[١٢] ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ التي يختار ذهاب مهجته دونها غيره. ﴿وَأَخِيهِ﴾ الذي هو شقيقه.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته الذين فصل منهم ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ تضمه في النسب وعند الشدائد.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ كائناً من كان ﴿ثُمَّ يُنَجِّهِ﴾ عطف على ﴿يفتدي﴾^(١) استبعاد لما يتمناه. هيهات.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن ارتكاب ما لا نفع فيه ﴿إِنَّهَا لَطْيٌ﴾ الضمير للنار دل عليه ذكر العذاب. أو مبهم فسره الخير وهو: "لطى"، أو ضمير القصة. و"لطى": علم النار. منقول من اللظى وهي: اللهب، ويجوز أن يراد بها نفس اللهب مبالغة كأن كلها لهب خالص.

[١٦] ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ [٣١٩/ب] خير بعد خير لـ ﴿إِنَّ﴾، أو خير ﴿لَطْيٌ﴾ إن كان الضمير للقصة، ويجوز أن يكون صفة إن أريد باللظى اللهب؛ لأن علم الجنس كالمعروف

(١) جزء آية من سورة المعارج، الآية: ١١.

بلامه في إجرائه مجرى النكرة وإن لم يجعل علم الجنس، فحذف التنوين؛ لإجراء الوصل مجرى الوقف. وقرأ حفص: نزاعة بالنصب على الاختصاص. كأنه قيل: تتلظى^(١) نزاعة. والشوى جمع شواة: جلدة الرأس، أو أطراف الإنسان^(٢) وكل ما ليس بمقتل، يقال للرامي إذا لم يصب المقتل: أشوى.

[١٧-١٨] ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ مجاز عن جذبها^(٣) وإحضارها، من أدبر عن الحق وتولى عن الطاعة، أو تدعوهم بلسان المقال: ياكافر، يامنافق، وهذا أبلغ. ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ليلخه وحرصه وحفظه في الوعاء، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩-٢١] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الهلع: شدة الجزع عند مسّ المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير. وقد فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ فإن "جزوعاً" و"منوعاً". وصف كاشف لـ"هلوعاً".

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ استثناء منقطع. لما وصف من أدبر وتولى بالهلع قال: لكن المصلين في مقابلة أولئك. أو متصل أي: إن الإنسان خلق هلوعاً واستمر ذلك عليه ولم يفارقه إلا المصلين الموصوفين بالصفات الآتية، فإنهم خلعوا ربة الهلع عن أعناقهم. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: ((شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع))^(٤).

(١) "بالنصب على الاختصاص كأنه قيل تتلظى" ساقط من الأصل.

(٢) "الإنسان" ورد في الأصل: الأسنان.

(٣) في (ر) ٤٨٩/ب: حزها.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الجرأة والجرين (رقم: ٢١٥٠). وأحمد بن حنبل في مسنده، مسند باقي المكثرين، مسند أبي هريرة (رقم: ٧٦٦٨). وابن حبان، باب الوعيد لمانع الزكاة، ذكر الزجر عن استعمال الشح في فرائض الله والجرين في قتال أعداء الله ﷺ (رقم: ٣٢٥٠). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب الشجاعة والجرين (رقم: ١٨٣٤٢).

[٢٣] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ لا يتركونها في أوقات الأعدار والضرورات.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ مقدار معلوم هو الزكاة؛ لأنَّ وجوبه كان بمكة. وتقدير نصبه مفصلاً بالمدينة.

[٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ﴾ الذي يسأل، ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل يعتنون بحاله ويفتشون عليه.

[٢٦-٢٧] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أخره؛ اهتماماً بالصلاة والزكاة. وقيل: يصدقونه بالأعمال، بالأبدان والأموال؛ ولذلك ذكره بيوم الدين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراض دلّ على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن وإن كان على قدم راسخ في الطاعة.

[٢٩-٣١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿دلّ على أن المباح لا يمدح عليه. ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ حافظون. وقرأ ابن كثير: "أمانتهم" على التوحيد؛ لإرادة الجنس.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ إحياء للحقوق وهي من الأمانة، أفردتها؛ دلالة على زيادة فضلها. وقرأ حفص: بالجمع مناسبة للمضاف إليه، أو لاختلاف أنواعها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ على شرائطها وأركانها وواجباتها
وسننها وآدابها، وكفاها شرفاً حيث ابتدأ بها في عدد المحاسن وختم بها.

[٣٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات. ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ بأنواع الإكرام.

[٣٦] ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكِ﴾ حولك^(١) ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادي أعناقهم.

[٣٧] ﴿عَنِ الِّيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فرقاً شتى. جمع عزة أصلها عزوة، قلبت
الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها، ثم حذفت الياء^(٢) و عوض عنها التاء. كانوا خمسة أرهط، كل
واحدة تعتزي إلى غير ما تعتزي إليه الأخرى.

[٣٨] ﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون استهزاء: نحن
أولى بالجنة من محمد وأتباعه.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن هذا الاعتقاد. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ استدل على
إمكان البعث بخلقهم أولاً، والقدرة على خلق مثلهم ثانياً، وأشار إلى أن استحقاق دخول
الجنة إنما هو بالأعمال الزاكية وإلا فأصل نشأتهم من ماء مهين بين المياه يستحيى من ذكره
صريحاً؛ ولذلك أهم بقوله ﴿مَّا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠-٤١] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ على أن نبدل خيراً
منهم﴾ بأن نذهبهم ونأتي بقوم آخرين، أو نوفق لمحمد طائفة خيراً من أهل مكة وهم الأوس

(١) "حولك" ساقط من الأصل.

(٢) "الياء" ورد في (ح) ٥٤٢/ب: التاء.

والخزرج^(١). وفي المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على تحقيق المقسم عليه. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين على ذلك.

[٤٢] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ في أباطيلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ كالصبيان ﴿حَتَّىٰ يَلْأَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ إضافة اليوم إليهم؛ لمزيد الاختصاص.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي: مسرعين سراعاً يشبه^(٢) الإسراع الذي كانوا يسرعونه إلى الحجر الذي كان علماً لذبح النسائك. وعن الحسن: كانوا يتدرون عند طلوع الشمس إلى أصنامهم لا يلوي أحدهم على الآخر. وقرأ ابن عامر وحفص: نُصْبٍ بضم النون والصاد، جمع نصب كسقف جمع سقف^(٣)، أو مفرد أنصاب. والباقون بفتح [١/٣٣] النون، وإسكان الصاد. و﴿سِرَاعًا﴾ و﴿كَانَهُمْ﴾ حالان من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ وكذا^(٤)

[٤٤] ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، ويجوز أن يكون أحوالاً متداخلة. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ﴾ الموصوف ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل.

تمت سورة المعارج، والحمد لمن لكل همّ فارح، والصلاة على المختار عدد رمل عاج.

(١) الأوس والخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس، وأمهم قيلة، من بلد كهلان بن سبأ، بطننا الأنصار فيقال للأنصار: أبناء قيلة. انظر: الأنساب للسمعي (١/٦١). والبدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي (٤/١٢٠).

(٢) "يشبه" ورد في الأصل: شبه.

(٣) "جمع سقف" ساقط من (ح) ٥٤٢/ب.

(٤) "وكذا" ساقط من (ح) ٥٤٢/ب.

سورة نوح

مكية، وثمان أو تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ بأن أنذر، حذف الجار وأوصل الفعل، أو أن مفسرة؛ لاشتغال معنى الإرسال على القول. ﴿قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الطوفان، أو عذاب يوم القيامة، والأول أوجه. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾؛ لاقتران قولي بالمعجزة.

[٥-٣] ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بأن اعبدوا الله. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾^(١) وَأَطِيعُوا يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ما كان لكم من الذنوب أو بعضها. وهي التي تقدمت الإيمان، ((فإن الإسلام يجب ما قبله))^(٢). ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو آخر الآجال. ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ والتوفيق بينه وبين تأخير الأجل أن القضاء معلق ومبرم، فالتأخير بالنظر إلى الأول، وعدمه بالنظر إلى الثاني. أي: لو آمنوا عاشوا كذا، وإن لم يؤمنوا فكذا، وهذا معنى زيادة

(١) ورد في (ح) ٥٤٣/أ زائداً: الله.

(٢) أخرجه أحمد في حديث طويل، مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ، حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (رقم: ١٧١٠٩) وفيه: "... فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ". والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب ترك أخذ المشركين بما أصابوا (رقم: ١٨٠٦٩). ومسنَد الحارث (زوائد الهيثمي) للحارث بن أبي أسامة، كتاب المناقب، باب إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد (رقم: ١٠٢٩).

الصدقة والصلة في العمر، وما في علمه تعالى لا يبدل. ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جعلهم جاهلين بذلك لعدم^(١) جريهم على موجب العلم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً.

[٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان. وإسناد الزيادة إلى الدعاء، إسناد إلى السبب.

[٧] ﴿وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المسبب الذي هو حظهم؛ ليكون أدل على قبح إعراضهم. ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا كلامي. المفعول في الآذان رؤوس الأنامل، وإطلاق الأصابع مجاز مبالغة. ﴿وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ تغطوا بها لئلا يروني، كراهة منهم لرؤيتي، أو لئلا أعرفهم فأدعوهم إلى الإيمان. والإتيان بصيغة الطلب للمبالغة، كأنهم طلبوا من الثياب أن تغشاهم. ﴿وَأَصْرُوا﴾ على الكفر، من أصر الحمار على الأتان أذنيه يطردها للسفاد، وكفى بهذا التشبيه مزجرة. ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتباع الحق. ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ مفرطاً.

[٨-٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ هذا دأب الناصح الشفوق^(٢)، ينصح سرّاً، وإن لم ينجح يعلن بنصحه؛ لكي يساعده من له وعي، ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر. ونصب "جهاراً" على المصدر من غير فعله، أو على الحال.

[١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ تفسير لدعائه، وكأنهم كانوا يتعللون بما أسرفوا من الذنوب، فوعدهم المغفرة إن أتوا بما يجبها من الإيمان.

(١) في (ح) ٥٤٣/أ: لعد.

(٢) "الشفوق" ورد في (ر) ٤٩٠/ب: المشفوق.

[١١] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ قيل: حبس الله عنهم المطر أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم، فوعدهم بإعادة الخصب إن تابوا^(١). والسماء: المظلة أو السحاب، وإرسالها: إرسال المطر منها؛ دلالة على كثرته، أو المطر كقوله:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ^(٢)

والمدرار: اسم فاعل كثير الدور^(٣) كالمضرب، يستوي فيه المذكر والمؤنث^(٤).

(١) قال السمعاني في تفسير الآية: قال قتادة: علم أن القوم أصحاب دنيا فحرَّكهم بها ليؤمنوا. وعن بعضهم أن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، وحبس عنهم المطر أربعين سنة. فهو معنى قول نورقم: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ {سورة نوح، الآية: ١١-١٢} أي: بساتين وأنهاراً تجري فيما بينها. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٥٦/٦).

(٢) هذا صدر بيت لمعاوية بن مالك بن كلاب العامري، الملقب معوّد الحكماء. والبيت من قصيدة مطلعها:

أَجَدَّ الْقَلْبُ مِنْ سَلَمَى اجْتِنَابًا وَأَقْصَرَ بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا

وتمام البيت:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا.

انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد [عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م] (ص ٢٠٣). وأدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، السكوفي، المروزي، الدينوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [مكتبة السعادة - مصر - ١٩٦٣، ط ٤] (٧٧/١). وخزانة الأدب للبغدادي (١٤٥/٤). ومعاهدة التنصيب للعباسي (٢٦٠/٢). ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون [دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط ٢] (٩٨/٣). وجه الشاهد فيه: قوله (...نزل السماء...) أي: المطر. عبر بالمكان الذي ينزل منه المطر مجازاً.

(٣) في (ح) ٥٤٣/أ: الدور.

(٤) مدراراً: من الدرّ، وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث، ومفعال لا تلحقه التاء إلا نادراً، فيشترك فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل محداب ومطراب، وامرأة محداب ومطراب. انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣٤٦/١٠).

[١٢] ﴿وَيُؤْمِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جمع لهم في الوعد بين منافع الدارين. روي أن رجلاً اشتكى إلى الحسن الجذب، فأمره بالاستغفار، والآخر الفقر، فأمره به، والآخر قلة ريع أرضه فقال: استغفر. فقال الربيع بن صبيح^(١): شكوا إليك أبواباً وسألوك، والجواب واحد؟ فتلا عليه الآية^(٢). ولما استسقى عمر في خلافته لم يزد على الاستغفار، فقيل له في ذلك؟ فقال: "لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر"^(٣).

[١٣] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: ما حصل لكم من الصارف حتى لا تكونوا على حالة ترجون من الله تعظيماً؟ و"الله" بيان. كأنه قيل: لمن التعظيم إيانا؟ فقيل: لله. ولو أحرر لكان صلة الوقار، ولا يتوهم ذلك مع التقديم؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه في الأكثر. والحث على الرجاء كناية عن الحث على الإيمان؛ لانعقاد أسبابه، أو لا تخافون لله عظمة، أو حلماً؛ لأن الوقور معظم في النفوس، والحلم لا يفارقه. وتفسيره بالعاقبة كما نقل

(١) هو: الربيع بن صبيح السعدي البصري، كان عبداً مجاهداً، حدث عنه الثوري وابن المبارك ووكيع، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم، كان يشبه بيته بالليل بالنحل، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته فكان يهيم كثيراً. قال الراهرمزي: هو أول من صنّف الكتب بالبصرة. قال يحيى بن معين: كانت وقعة بارنل بالسند سنة ١٦٠هـ وفيها مات الربيع بين صبيح رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٧/٧). وتقريب التهذيب لابن حجر (٢٠٦/١). وتاريخ أسماء الثقات لعمر بن أحمد الواعظ، تحقيق: صبحي السامرائي [الدار السلفية- الكويت- ١٤٠٤هـ، ط ١] (٨٥/١).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣٠/ ١٢٢). والتسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي [دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ، ط: الرابعة] (١٥٠/٤).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء (رقم: ٦٢١٧). وسعيد بن منصور في سننه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي [الدار السلفية- الهند- ١٤٠٣هـ، ط ١] كتاب التفسير، تفسير سورة هود (رقم: ١٠٩٥). وابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الدعاء، باب ما يدعى به في الاستسقاء (رقم: ٢٩٤٨٥).

عن ابن عباس رضي الله عنهما مأخوذ من الوقار بمعنى: الثبات؛ لأن العاقبة حال استقرار الثواب والعقاب. ثم نبههم^(١) على النظر في أنفسهم؛ لأنها أقرب منظور بقوله:

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ على طريقة الحال. أي: خلقكم تراباً^(٢) ثم نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم لحماً، ثم عظاماً^(٣)، ثم خلقاً آخر على النظر في الآفاق على وجه التعجيب^(٤) من تغافلهم بقوله:

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ علم ذلك بإخبار القرآن المعجز، أو بالأرصاد. والطباق وهو كون بعضها ب/٣٣ فوق بعض لا يقتضي المماسية.

[١٦-١٧] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي: في السماء الدنيا، نُسِبَ إلى الكل؛ للملاسة بينهما. ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ كالسراج في إزاحة ظلمة الليل كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٥).

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أنشأكم، استعار الإنبات له؛ لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض. والأصل: أنبتكم فنبتم نباتاً كقولك: كسرته فانكسر. أو نصب بأنبتكم؛ لأن الفعل والانفعال واحد حقيقة، والاختلاف بالنسبة إلى القابل^(١) والفاعل.

(١) في (ح) ٥٤٣/ب: نبهتهم.

(٢) "تراباً" ساقط من (ح) ٥٤٣/ب.

(٣) يبدو أن المؤلف قد اختلط عليه ترتيب مراحل الخلق، حيث قدم خلق اللحم على العظام خلافاً لما ورد في سورة المؤمنون التي تبين أن الله خلق العظام ثم كساها لحماً بعد ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ {سورة المؤمنون، الآية: ١٢ - ١٤}. انظر: جامع البيان للطبري (١٦/١٩).

(٤) "التعجيب" ورد في (ح) ٥٤٣/ب: التعجب.

(٥) جزء آية من سورة يونس، الآية: ٥.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ لا محالة؛ ولذلك أكده بالمصدر كالأول؛ إشارة إلى اتحاد الرتبة، وكونهما في قرن.

[٢٠-١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ ميسوطة تتقلبون عليها تقلب (٢) الرجل على فراشه ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ طرقاً واسعة، و"من"؛ لتضمن الفعل معنى الاتخاذ.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ في الأمر بعبادة الله واتقائه بعدما تلوت عليهم آيات الآفاق والأنفس. وصرح باسم نوح؛ لطول الفصل، ولم يعطفه؛ لأنه تفصيل لقوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ (٣) ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: رؤسائهم المتقدمين بالأموال والأولاد. وأشار إلى أن ذلك - وإن كان في الظاهر سبباً للتقدم - في الحقيقة ليس سبباً إلا للبوارج.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة والكسائي "وُلْدَهُ" جمع ولد، كأَسَدٍ وأَسَدٍ.

[٢٢] ﴿وَمَكْرُوا﴾ عطف على ﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ﴾ (٤)، والجمع باعتبار معنى "من". ﴿مَكْرًا كِبَارًا﴾ غاية في الكبر، بأنواع الأذى، وتسليط (٥) السفهاء عليه، أبلغ من الكُبار مخففاً، وهو من الكبير أبلغ.

(١) "القابل" ورد في (ر) ٤٩١/أ: القائل.

(٢) "تقلب" ساقط من (ح) ٥٤٣/ب.

(٣) سورة نوح، الآية: ٦.

(٤) جزء آية من سورة نوح، الآية: ٢١.

(٥) "وتسليط" ورد في (ح) ٥٤٣/ب: وتسليط.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْثُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(١) أفردتها بالذكر كأنها كانت كبار آلهتهم وأشرفها. أسماء رجال صالحين، فلما هلكوا وسوس الشيطان إلى قومهم أن صوروا صورهم حتى يتبركوا بها ويبقى تذكرة^(٢)، فلما انقرضوا^(٣) أولئك وسوس إلى أولادهم أن آباءكم كانوا يعبدونها، فعبدوها من دون الله. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ((أن هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام انتقلت إلى العرب، أما وِدٌّ كَانَتْ بَدْوَمَةَ الْجَنْدَلِ^(٤) لكلب^(٥) و سُوعٌ كَانَتْ لِهَذِيلِ

(١) في (د) ٣٣١/أ زيادة "حصر هذه".

(٢) في (ر) ٤٩١/أ: مذكرة.

(٣) كذا جاء في جميع النسخ. وهو جازر في لغة أكلوني البراغيث. وأصحاب هذه اللغة يلحقون الفعل المسند إلى ظاهر، مثنى أو مجموع علامة كضميره فيقولون: قاما الزيدان، وقاموا الزيدون، وقمن الهندات. فالألف والواو والنون في ذلك حروف لا ضمائر؛ لإسناد الفعل إلى الاسم الظاهر. وهي عندهم كناء التأنيث في نحو: قامت هند. ومن شواهد هذه اللغة في الواو، قول الشاعر:

بَنِي الْأَرْضِ قَدْ كَانُوا بَنِيَّ، فَعَزَّيْ
عَلَيْهِمْ لِإِخْتِلَالِ الْمَنَايَا كِتَابَهَا

أنشده ابن مالك. قال: وقد تكلم النبي ﷺ بهذه اللغة. قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار. والقياس: "فلما انقرض أولئك". انظر: الجني الداني في حروف المعاني لحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: طه محسن [مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - ١٣٩٠هـ] [٢٨/١].

(٤) دومة الجندل - بضم الدال وفتحها - موضع بين برك العماد ومكة. وقيل: إنما ما بين الحجاز والشام، والمعنى واحد، وهي على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق واثني عشرة من مصر، وكان افتتاحها صلحاً. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٨٧/٢). ومعجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا [عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ، ط ٣] [٥٦٤/٢].

(٥) كلب - بفتح الكاف وسكون اللام وفي آخرها باء موحدة - هذه النسبة إلى قبائل منها: كلب من اليمن منها زيد وجبله ابنا شراحيل بن كعب، ومنها كلب بن وبرة بن قضاة. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (١٠٤/٣).

(١) و يَعُوثُ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ^(٢) بِالْجُرْفِ^(٣) وَيَعُوقُ لِهَمْدَانَ^(٤) وَنَسْرٌ لِحَمِيرٍ لَالِ الْكَلَاعِ^(٥) (٦).

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾^(٧) الضمير للرؤساء أو للأصنام. كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّنَّ كَثِيرًا﴾^(١). ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ اللام للعهد. وهم أولئك الذين آيس من

(١) هذيل - بضم الهاء وفتح الذال المعجمة - : قبيلة عربية تنسب إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تفرقت في البلاد، وأهل النخلة وهي قرية على ستة فراسخ من مكة على طريق الحاج أكثر أهلها من الهذيل، وجماعة منها نزلوا البصرة. انظر: الأنساب للسمعاني (٦٣١/٥).

(٢) ورد في الأصل و(ر) ٤٩١/أ، و (ح) ٥٤٤/أ: عطف. والصواب ما أثبتناه كما ورد في الحديث البخاري (رقم: ٤٥٣٩)، وَهُوَ: غُطَيْفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ مُرَادٍ. انظر: فتح الباري لابن حجر (٦٦٨/٨). وعمدة القاري للعيبي (٢٦٣/١٩).

(٣) بني غطيف: نسبة إلى غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد، وهو بطن من مراد ينسب إليه خلق كثير منهم: فروة بن مسيك الغطيفي المرادي، له صحبة، روى عنه يحيى بن هانئ، وسعيد بن أبيض وغيرهما. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (٣٨٧/٢).

(٤) همدان - بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون - : قبيلة عربية نسبة إلى همدان واسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة. ينسب إليها خلق كثير من الشعراء والفرسان والعلماء، منهم أبو عامر مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي سُرق وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقاً، رأى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم، وحديثه مشهور. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (٣٩١/٣).

(٥) آل كلاع: نسبة إلى الكلاع وهي قبيلة كبيرة نزلت حمص من الشام، ينسب إليها خلق عظيم، منهم أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (١٢٣/٣).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَلَا تَذَرْنُ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ﴾ (رقم: ٤٥٣٩) بلفظ: صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بَدْوَمَةَ الْجَنْدَلِ، وَأَمَا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَا يَعُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرْفِ عِنْدَ سَبَا، وَأَمَا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لَالِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَافُكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ.

(٧) "الضمير للرؤساء أو للأصنام. كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّنَّ كَثِيرًا﴾" ساقط من الأصل ٣٣١/أ.

إيمانهم. والرضاء بكفر العدو مع اسقباحه قصداً إلى زيادة عذابه لا غرو^(٢) فيه. ألا يُرى قول موسى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ﴾^(٣). وقيل: أراد في ترويح مكرهم، أو الضياع، والهلاك. كقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾^(٤).

[٢٥] ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي: لأجل خطيئاتهم. و"ما" مزيدة للتوكيد. ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان، وقرأ أبو عمرو: خطاياهم، وهذا أحسن؛ لأنه جمع الكثرة، والأولى تحتاج إلى التأويل. ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: تعقب الغرق دخول النار من غير تراخ. والمراد: عذاب القبر؛ لأنها روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران. والتنكير؛ للتعظيم أو النوع ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ دون عذابه ﴿أَنْصَارًا﴾ كما كانوا يزعمون النصر من الآلهة.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ "دياراً" من الألفاظ المستعملة في النفي العام. يقال: "ما في الدار ديار"^(٥) أي: أحد من الدور، أو من الدار. فيعال قلبت واوه ياء، وأدغمت الأولى، ولو كان فعلاً^(٦) لكان دوّاراً.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال ذلك بعد ما أوحى الله تعالى إليه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(١)، وأيضاً جرهم ألف سنة إلا

(١) جزء آية من سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

(٢) لا غرّو أي: لا عجب. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة "غرا". ولسان العرب لابن منظور مادة "غرا".

(٣) جزء آية من سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٢.

(٥) قال محمد الغرناطي الكلبي: دياراً من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي: ما فيها أحد، ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقال ديوار؛ لأنه مشتق من الدور أو من الدار. وروي أن نوحاً عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يمس من إيمانهم، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (١٥١/٤).

(٦) "فعلاً" ورد في (ر) ٤٩١/ب: فعلاً.

خمسين عاماً، وكانوا يتواصون بعدم الإيمان ويقولون لذريتهم: إياكم وهذا الشيخ، ومضى على هذا جيل بعد جيل. والفاجر الكفار للمولود باعتبار المال. كقوله: ((من قتل قتيلاً))^(٢).

[٢٧] ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ كان أبوه ملك^(٣) بن متوشلخ^(٤)، وأمه شمخاء^(٥) بنت أنوش^(٦). ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ أو مسجدي، أو سفيني. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ من مضى منهم، ومن هو آت. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكاً وبواراً.

تمت سورة نوح، والحمد لمن بيده الخيرات والفتوح، والصلاة على السيد^(٧) النصوح^(١)، وآله وصحبه كل مساء وصبوح.

(١) جزء آية من سورة هود، الآسفة: ٣٦.

(٢) ورد في جزء حديث أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه (رقم: ٢٩٠٩)، وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابْتَدَأْتُم مَدِيرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ إِلَيْ قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (رقم: ٣٩٧٨). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتل (رقم: ١٧٥١).

(٣) في (ر) ٤٩١/ب: ملك بن متوشلخ

(٤) هو: ملك بن متوشلخ بن بن أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم بن برد، وهو بارد الذي عملت الاصنام في زمانه ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث وهو هبة الله بن آدم عليه السلام. انظر: تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم [دار سويدان - بيروت] (٣١/٢). وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٤٤/٦٢). وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحيي [دار صادر - بيروت] (٣٨٧/١).

(٥) "شمخاء" ورد في الأصل: شحماء، والمثبت من بقية النسخ

(٦) قال المطهر المقدسي: نوح النبي يقال: هو آدم الأخير، واسمه سكن؛ لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم، وإنما سمي نوحاً؛ لكثرة نوحه على نفسه وقومه، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأمه قينوش بنت براكيل بن محويل بن قين بن آدم. انظر: البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي (١٦/٣). والكامل في التاريخ للشيباني (٥٢/١).

(٧) "السيد" ورد في الأصل: سيد.

سورة الجن

مكية، ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ النفر^(٢) ما بين الثلاثة إلى العشرة. والجن: أحد الثقلين، بُعث إليهم رسول الله ﷺ كما بعث إلى الإنس، فدعاهم إلى الله، منهم من آمن، ومنهم من كفر. وهؤلاء النفر هم الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلي الصبح ببطن نخلة^(٣) كما تقدم في آخر الأحقاف^(٤). ولا دلالة فيه على أنه لم ير الجن^(١). وليلة

(١) في (ر) ٤٩١/ب: الفصح.

(٢) "النفر" ساقط من (ح) ٥٤٤/أ.

(٣) بطن نخل جمع نخلة هو: موضع بين مكة والطائف. قال يعقوب: هي قرية بواد يقال له: شذخ لفزارة وأشجع وأمار وقريش والأنصار. وقال ابن حبيب: هي لبني فزارة بن عوف على ليلتين من المدينة. وقال السكوني: ماء بين القصة والثالمية. قال أبو دهبيل:... النخل موضع على ليلة من مكة وهي التي ينسب إليها بطن نخلة، وهي التي ورد فيها الحديث ليلة الجن. انظر: معجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٤/١٣٠٣). ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤٤٩/١).

(٤) قال الطنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ {جزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٢٩} قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس من أهلها النصرة، ويدعوهم إلى الإيمان، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبون ويضحكون به، فانصرف ﷺ عنهم، حتى إذا كان ببطن نخلة قام يصلي من الليل، فمر به نفر من جن نصيبين - وهو موضع قرب الشام - فاستمعوا إليه وقالوا: أنصتوا.

وقال الطبري: عن الضحاك في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ {جزء آية من سورة الجن، الآية: ١} وقول الله ﷻ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ {جزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٢٩} لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد، فلما بعث الله محمداً ﷺ حرس السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجن فتفرقت في الأرض لتأتيه بحجر ما حدث، وكان أول من بعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض

الجن رواها ابن مسعود رضي الله عنه (٢). وروى [٣٣١] جابر أن رسول الله ﷺ قال: ((قرأت عليهم سورة الرحمن، فكانوا أحسن مردوداً منكم)) (٣). والقول بأنها أرواح مجردة، أو نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها، لا يجوز تفسير كلام الله بها، ولم يذهب إليه أحد من أهل الحق، مخالف

باليمن، وهم أشرف الجن، وسادهم، فبعثهم إلى هامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك نفر، فأتوا على الوادي وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبي الله ﷺ يصلي صلاة الغداة فسمعه يتلو القرآن، فلما حضره قالوا: أنصتوا، فلما قضى يعني: فرغ من الصلاة، وكووا إلى قومهم مندرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبي الله ﷺ ولم يشعر أنه صُرف إليه، حتى أنزل الله عليه: (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ).

وهناك روايات أخرى كثيرة في عدد هؤلاء الجن، وفي الأماكن التي التقوا فيها مع النبي ﷺ عليهم، وفيمن كان مع النبي ﷺ خلال التقائه بهم. ويبدو لنا من مجموع هذه الروايات أن لقاء النبي ﷺ بالجن قد تعدد، وأن هذه الآيات تحكي لقاء معيناً، وسورة الجن تحكي لقاء آخر. انظر: جامع البيان للطبري (٦٤٨/٢٣). و الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- وآخرون [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥هـ، ط ١] [٣٨٧٤/١].

(١) أخرجها مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (رقم: ٤٤٩) بلفظ: "ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ...". والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الجن (رقم: ٣٨٥٧). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة الجن (رقم: ١١٦٢٥).

(٢) أخرجها الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الجن (رقم: ٣٨٥٨). بلفظ: "عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة: من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل، فلم يحضر منهم أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطب لي برجله خطأ ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انطلقوا وطفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقيت منهم رهط، وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر وانطلق فبرز، ثم أتاني فقال: ما فعل الرهط فقلت: هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظماً وروثاً فأعطاهم إياه زادا، ثم هني أن يستطيب أحد بعظم أو بروث.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن، (٣٢١٣). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن (رقم: ٣٧٦٦). والبيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، ذكر المفصل (رقم: ٢٤٩٣).

للمصوص^(١) ﴿فَقَالُوا﴾ بعدما انصرفوا إلى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ في أسلوبه ومعناه. وصفه بالمصدر مبالغة.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إلى الحق. ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ بما فيه من التوحيد. ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ولا دلالة فيه على أنهم كانوا مشركين، بل كانوا يهوداً؛ لقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾^(٢).

[٣] ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته من جدِّ فلان: عظم، أو غناه، مستعار من الجد بمعنى البخت^(٣). والغرض وصفه بالتعالي عن صاحبة والولد، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لذلك. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص: "أَنَّ" المسبوقة بالواو بفتح الهمزة في اثني عشر موضعاً متواليه، والباقون بكسرها. ووافقهم على الفتح^(٤) في: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾^(٥) ابن كثير، وأبو عمرو. واتفق الكل على فتح: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(١)

(١) قال البيضاوي عن الجن في معرض تفسيره لهم: الجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية. وقيل: نوع من الأرواح المجردة. وقيل: نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها. وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم، وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله.

قال ابن حجر: الجن أجسام هوائية أو نارية، أي: يغلب عليهم ذلك، فهم مركبون من العناصر الأربعة كالملائكة على قول، وقيل: أرواح مجردة، وقيل: نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها، وعلى كلِّ فلهم عقل وفهم يقدر على التشكل بأشكال مختلفة وعلى الأعمال الشاقة في أسرع زمن، وصحَّ خير أنهم ثلاثة أصناف: ذو أجنحة يطيرون بها، وحيات، وآخرون يجلون ويرحلون. انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣٩٨/٥). والتفسير الكبير للرازي (٧٣/١). ومطالب أولى النهي في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحباني [المكتب الإسلامي - دمشق - ١٩٦١م] (٦٤٢/١).

(٢) جزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (١٧٦/٥). وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي [دار إحياء التراث العربي - بيروت] (٣٩١/٦).

(٤) "الفتح" ساقط من (ح) ٥٤٤/ب.

(٥) جزء آية من سورة الجن، الآية: ١٩.

والوجه في الفتح: العطف على الهاء في ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ من غير إعادة الجارّ على المذهب الكوفي، أو على محل الجارّ والمجرور، أو الإيصال بعد الحذف، أو إضمار الجارّ.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليس، أو مردة الجن. ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط، وصف بالمصدر مبالغة. والشطط: تجاوز الحدّ.

[٥] ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ نصب على المصدر؛ لأنّ الكذب نوع من القول. ولا دلالة فيه على أنهم إلى حين سماع القرآن كانوا مشركين.

[٦] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كان الرجل من العرب إذا نزل بأرض نازحة يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه^(٢). ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ فزاد الإنس الجن^(٣) تكبيراً وعتواً باستعاذتهم بهم، أو بالعكس؛ لزيادة إغوائهم الإنس بالاستعاذة. والرهق: غشيان المحارم^(٤). وإطلاق الرجل على ذكر الجن؛ للمشاكلة.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ القائل: الجن بعضهم لبعض. والضمير في "أنهم" للإنس، والعكس لا معنى له؛ لأنّ السياق في حكاية كلام الجن. وقيل: الآية والتي قبلها من كلام الله جار مجرى الاعتراض، يؤكد ما حدث منهم من تماديهم في الكفر. وقراءة الفتح يؤيد الأول. ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ سادّ مسدّ مفعولي ﴿ظَنُّوا﴾.

[٨] ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ اللمس: المس مجاز عن الطلب؛ لأنّ اللامس طالب متعرف. والمعنى: طلبنا خبر السماء على ما كنا نفعله قديماً. ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَصِقًا﴾

(١) جزء آية من سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٠٨/٢٩). والدر المنثور للسيوطي (٣٠١/٨). والتفسير الكبير للرازي (١٣٨/٣٠).

(٣) "فزاد الإنس الجن" ورد في (ج) ٥٤٤/ب: فزاد الإنس والجن.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٦٥٦/٢٣). والكشاف للزمخشري (١٥٢/٧).

حُرَّاساً اسم جمع، كخدم في خدام. ﴿شَدِيداً﴾ أقوىاء، أفردته باعتبار اللفظ ﴿وَشُهْباً﴾ جمع شهاب، وهو الشعلة من النار.

[٩] ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَاعِدَ﴾ خالية عن الحُرَّاسِ ﴿لِلسَّمْعِ﴾ للاستماع ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾ هو كالحرس، اسم جمع أي: ذوي شهاب راصدين للرجم وهم الملائكة، ويجوز أن يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب. كانت الشياطين تسترق السمع قبل بعثة رسول الله ﷺ فترجم بالشهب^(١)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٢) ولما روى ابن عباس ؓ: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون^(٣) في هذا في الجاهلية؟ قلنا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم^(٤). وفي لفظ: "مُلَّتْ" و"مقاعد"؛ إشارة إلى أن ذلك قبل البعثة كان قليلاً، وأما الآن فلا مجال.

(١) "فترجم بالشهب" ورد في (ح) ٥٥٥/أ: يرحم بالشهاب.

(٢) جزء آية من سورة الملك، الآية: ٥.

(٣) في (ح) ٥٥٥/أ: يقولون.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (رقم: ٢٢٢٩) بلفظ: عن عبد الله بن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ فرمى بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا قالوا: الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بما لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش: لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون. وابن حبان في صحيحه، كتاب النجوم والأنواء، ذكر الاخبار عما يجب على المرء من مجانبه القضايا والاحكام بالنجوم (رقم: ٦١٢٩). والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة سبأ (رقم: ٣١٤٨). وأحمد، من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس (رقم: ١٧٨٥)

[١٠] ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بخراب السماء. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أمراً ذا رشد^(١).

[١١] ﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ﴾ الأبرار المتقون. ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم المقتصدون. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ ذوي مذاهب متفرقة، جمع قدة كقطع وقطعة. وعن أبي معاوية^(٢) قال: سمعت الأعمش^(٣) يقول: قلت لجني: فيكم الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: كيف حال الرافضة؟ قال: هم شرنا^(٤).

[١٢] ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ كائنين في الأرض أينما كنا. ﴿وَكِنْ نُعْجِزُهُ هَرَبًا﴾ هارين منها إلى السماء، أو إن طلبنا في الأرض لم نُفْتَهُ، وإن هربنا منه لم نُنْجُ. والظن بمعنى اليقين؛ لكونه كلام الموقنين.

(١) "ذا رشد" ورد في (ر) ٤٩٢/أ: شد.

(٢) هو: محمد بن خازم التميمي السعدي، أبو معاوية الضرير الكوفي، مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، ولد في عام ٢١٣ هـ، من صغار أتباع التابعين، كان حافظاً متقناً ولكنه كان مرجئاً، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهيم في حديث غيره. توفي سنة ١٩٥ هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٤٤١/٧). والتاريخ الكبير للبخاري (٧٤/١). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (١٦٧/٢). وطبقات الحفاظ للسيوطي (١٢٨/١).

(٣) هو: سليمان بن مهران، أبو محمد الكاهلي الأعمش، الحافظ، أحد الأعلام، أخذ عن ابن أبي أوفى وزر وأبي وائل، وعنه شعبة ووكيع، قال ابن المديني: له ألف وثلاثمائة حديث، عاش ثمان وثمانين سنة، قال أبو نعيم: مات في ربيع الأول ١٤٨ هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٣٠٢/٤). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٤٦٤/١). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٥٤/١).

(٤) قال ابن كثير في معرض تفسيره لهذه الآية: حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: ((تروِّحَ إلينا جني فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز قال فأتيناهم به ف جعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً، فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. فقلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا)). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣١/٤). والبلدانيات للحافظ السخاوي، تحقيق: حسام بن محمد القطان [دار العطاء - السعودية - ١٤٢٢ هـ، ط: الأولى] (ص ١٧٧)، واللفظ عند السخاوي: تزوج إلينا جني.

[١٣] ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن. كانوا كاملي المعرفة حيث جعلوا القرآن نفس الهدى ﴿أَمَّنَّا بِهِ﴾ من غير توقف ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف، آثره على لا يَخَفُ^(١)؛ لإفادة التقوى والاختصاص كأنه قيل: فهو^(٢) ناج لا محالة ومختص بذلك. ﴿بِخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس: النقص، والرهق: القرب من الشيء، ومنه الصبي المراهق. والمعنى: أن المؤمن لا يجتنبه البخس وظلم الناس لا يخاف جزاءهما. وكان أصل الكلام: ومن لا يبخس أحداً ولا يرهق ظلمه، فوضع قوله: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ﴾ موضعه؛ إشارة إلى أن حق المؤمن وشأنه أن يكون كذلك، [٣٣١/ب] أو المعنى: أن المؤمن لا يخاف نقصان جزائه، ولا أن ترهقه ذلة، وغير المؤمن كل ما فيه عين البخس، لا يخس حق.

[١٤] ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحق ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ وأي رشد.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الإنس.

[١٦] ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ عطف على ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾^(٣) من كلام الله الموحى إليه. و"أن" مخففة، حذف منها ضمير الشأن. والضمير للإنس، أو للجن، أو لهما. والطريقة: التوحيد والإسلام. ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ لوسعنا عليهم الرزق. وتخصيص الماء؛ لعزة وجوده في أرض العرب، ولأنه أصل سائر الأقوات^(٤) والثمار. والغدق: الكثير.

[١٧] ﴿لَنُفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبليهم في ذلك التوسيع أيشكرون أم يكفرون. وقيل: لو استقاموا على ما كانوا عليه ولم يؤمنوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجاً. ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ

(١) "لا يَخَفُ" ورد في (ر) ٤٩٢/ب: لا يخاف.

(٢) "فهو" ساقط من (ح) ٥٥٥/أ.

(٣) جزء آية من سورة الجن، الآية: ١.

(٤) "سائر الأقوات" ورد في (ر) ٤٩٢/ب: سائر الأوقات.

ذِكْرِ رَبِّهِ ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهَا ذِكْرَ الْمَعْبُودِ ﴿يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أَي: فِي عَذَابِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(١)، أَوْ ضَمَّنَ مَعْنَى يُدْخِلُهُ. وَالصَّعْدُ: مَصْدَرٌ صَعَدَ. وَصَفَ بِهِ؛ مِبَالِغَةً فِي عُلُوِّهِ عَلَى الْمَعْذِبِ. كَقَوْلِهِ: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾^(٢) وَقَرَأَ غَيْرَ الْكُوفِيِّينَ بِالنُّونِ؛ مِبَالِغَةً أَي: ^(٣) مُوَافِقَةً ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ﴾^(٤).

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ مِنَ الْمَوْحَى إِلَيْهِ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْجَنِيِّ. ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ خُطَابٌ لِلْجَنِيِّ. كَأَنَّهُ قِيلَ: قَلْ لِمَشْرُكِي مَكَّةَ أَوْحِيَ إِلَيَّ^(٥) كَذَا وَأَنْ أَقُولُ لِلْجَنِّ كَذَا، وَفِي ضَمَنِ الْحِكَايَةِ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَشْرُكِينَ أَيْضًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخُطَابُ لِلْمَشْرُكِينَ، أَوْ عَامًّا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَعَنْ سَيُوبِ بْنِ الْخَلِيلِ: "وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ"^(٦) ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَالْوَجْهَ فِيهِ: أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَطَرِدًّا عَقِيبَ وَعِيدِ الْمَعْرِضِ. وَعَنْ الْحَسَنِ: الْمَسَاجِدُ: الْأَرْضُ كُلُّهَا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا))^(٧). وَقِيلَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ؛ لِأَنَّهُ قِبْلَةٌ

(١) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٢) جزء آية من سورة الهمزة، الآية: ٧.

(٣) "مبالغة أي" ساقط من الأصل، و(ح) ٥٤٥/ب، والمثبت من (ر) ٤٩٢/ب.

(٤) جزء آية من سورة الجن، الآية: ١٦.

(٥) "أوحى إلي" ورد في (د) ٣٣٢/أ، و (ر) ٤٩٢/أ: أوحى إليه، والمثبت من (ح) ٥٥٥/ب.

(٦) قال الخليل معنى الآية: "لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا" أي: لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن الغرناطي الكلبي (١٥٤/٤).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (رقم: ٤٢٧). بلفظ: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة. والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ (رقم: ٣٥٨٧). وابن الجارود في المنتقى لعبد الله بن علي بن الجارود، تحقيق: عبد الله عمر البارودي [مؤسسة الكتاب - بيروت - ١٤٠٨هـ، ط ١] (رقم: ١٢٣).

المساجد، فالجمع للتعظيم. وقيل: أعضاء السجود^(١) وهي سبعة: الرجلان، والركبتان، واليدين، والجبهة، والأنف. وهذا أوجه؛ لأن فيه تذكيراً لكونه المنعم بها، وأن الحكمة في خلقها خدمة المعبود، والتعبير بالمساجد لله؛ إشارة إلى ما خلقت له.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: لما سمع الجن تلاوة رسول الله ﷺ بنخلة، كاد أن يدخل بعضهم في بعض من الازدحام عليه؛ حرصاً على السماع منه كل شيء. ألصقته إلى آخر فقد لبده، أو قال الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾^(٢) كاد أصحابه أن يكونوا عليه لبداً من شدة طواعيتهم. وعن الحسن: "كادت العرب تلبّد عليه لما قال: لا إله إلا الله"^(٣). وعن قتادة: "كادت الإنس والجن تلبّد عليه وعلى إطفاء نوره"^(٤). ثم الوجه على قراءة الكسر: أن يكون استئنافاً ابتداءً قصة لبيان حال الرسول مع المشركين، كأنه قال له: قل أوحى إليّ من حال الجن، وإيمان بعضهم وكفر آخرين. وفي ذلك حثٌ للسامعين على الإيمان ولطف بهم، ثم ابتداءً^(٥) بقوله: أنه لما قام عبد الله يدعو ويوحده، كاد الفريقان يكونون عليه لبداً عناداً، أو رَوْماً لإطفاء نوره، مع ما تلا عليهم من الآيات الباهرة والدلائل النيرة. والظاهر لما قمت^(٦) تدعوه، فالعدول إلى المظهر وإثارة عبد الله على الرسول والنبى؛ لأنه واقع في كلامه، فيؤديه على ما يقتضيه التواضع. أو أشار تعالى إلى أن

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن الغرناطي الكلبي (١٥٤/٤). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٢/٤).

(٢) "الله" ساقط من (ح) ٥٤٥/ب.

(٣) قال السيوطي في تفسير الآية: وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ {جزء آية من سورة الجن، الآية: ١٩} قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبّد عليه جميعاً. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣٠٨/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٤).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١١٨/٢٩). والدر المنثور للسيوطي (٣٠٨/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٤).

(٥) "ابتداءً" ورد في (ر) ٤٩٣/أ: ابتداء.

(٦) "لما قمت" ورد في (ح) ٥٤٥/ب: قامت.

العبادة من العبد لا تستبعد، فما لهم ينكرون ذلك؟؛ فنقل^(١) كلامه تعالى؛ إخفاء لنفسه عن
العين، إذ لا اعتداد بالأثر بعد العين. وقرأ هشام في وجه "لُبدًا" بضم اللام؛ جمع لُبْدَةٍ كقِرْبَةٍ
وَقُرْبٍ، والكسر جمع لُبْدٍ أَخْفٌ.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ فما للإنكار وجه على من يعبد ربه.
وقرأ عاصم وحمة: "قال" على منوال "قام"^(٢)، وعليه رسم الإمام، وهذا أبلغ في مدحه؛ لقيامه
بالجواب من غير تعلم.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: نفعًا، أو غيًّا ولا رشدًا. عبر عن
أحدهما باسمه، وعن الآخر باسم سببه، أو مسببه؛ إشعارًا بالمعنيين.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ جملة معترضة؛ لبيان عجزه، وتأکید نفي
الاستطاعة، فكيف يقدر من هذا شأنه على نفع أحدٍ أو ضره. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾
ملاذًا وملتجأً، من اللحد وهو الميل.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ كائناً منه. استثناء متصل. أي: قل: لا أملك شيئاً إلا
بلاغاً، وإن فسّر بـ "لا أملك أن أقسركم"^(٣) على الغي والرشد" كان منقطعاً، أو من باب
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ^(٤).

(١) "فنقل" ورد في (ح) ٥٤٥/ب: فيعقل.

(٢) "قام" ورد في (ح) ٥٤٦/أ: قال.

(٣) "أقسركم" ورد في الأصل: أضركم.

(٤) هذا شطر بيت للناطقة الديباني من الطويل، وتمامه:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾ عطف على "بلاغاً" بتقدير مضمرة، أي: بلاغ رسالاته. والأصل: إلا بلاغ رسالات الله، والعدول إلى المنزل بذكر البلاغ مرتين مبالغة؛ لأن كونه من الله، وكونه بلاغ رسالاته مما يقتضي^(١) التشمر له ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ولم يطع أمرهما بالتوحيد. ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ لا محالة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمعه على اعتبار الجمع في "من".

[٢٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية لقلوه "يكونون عليه لبدأ" إن فسّر بالتلبد على العداوة، وإلا [٣٣٢/١] فلمقدّر^(٢) أي: لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون عدده، حتى إذا رأوا يوم بدرٍ أو يوم القيامة تبين لهم من المستضعف. دلّ عليه جواب "إذا" و"ما" قبله؛ لأنّ السورة من فاتحتها تعريض بمشركي مكة، وتعير لهم؛ لقصور نظرهم عن الجن، وفرط تمردهم، حيث بادهاوا بالتكذيب بدل مبادهة الجن بالتصديق. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ هو، أو هم.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ جواب قولهم: متى يكون هذا الوعد^(٣). ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أي: هو كائن لا محالة، ولا علم لي بوقته. والأمد: يطلق على القريب والبعيد، وأريد به الثاني بقرينة المقام كأنه قال: لا أدري أيقع في الحال وعن قريب، أو ضرب له أمد بعيد؟.

والمعنى: لا عيب فيهم؛ لأن من هذا عيبهم فلا عيب فيهم. كما تقول: لا عيب له إلا في كماله. انظر: الكامل للمبرد (٩٢/١). وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون [دار الجليل - بيروت - ١٤١٥هـ، ط١] [٣٤/١]. والحماسة المغربية للجرّاوي (١٢٥/١). وجه الشاهد فيه: أن الآية الكريمة جرت على أسلوب القصر الذي يفيد المبالغة في المعنى من جهة، ومن جهة أخرى أراد معنىً بلاغياً وهو: إظهار المدح في سياق الذم.

(١) "يقتضي" ساقط من (ح) ٥٤٦/أ.

(٢) "فلمقدّر" ورد في الأصل: فالمقدر.

(٣) ورد في أكثر من سورة سؤال المشركين عن الوعد بيوم القيامة قال تعالى خكأية عنهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {سورة يس، الآية: ٤٨}.

[٢٦] ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي: هو عالم الغيوب كلها، ولا يطلع على غيبه المختص به، وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وأفعاله.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ ملكي أو بشري، فإنه يطلعه على ما يشاء من ذلك. ولا دلالة في هذا على أن غير ذلك المختص لا يطلع عليه غير الرسول، ولا يجوز حمله على العموم؛ لاستلزامه أن يكون "رسول" مطلعاً على جميع المغيبات. ولا دلالة في الآية على بطلان الكهانة والتنجيم، ولا أن كرامات الأولياء يكون تلقياً من الملائكة، ولا تخصيص الرسول بالملك. على أن قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمَن خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ أي: ملائكة يحفظونه من تخاليط الشياطين ظاهر في أن المراد بالغيب: ما هو بطريق الوحي.

[٢٨] ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ علة لقوله: ﴿يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمَن خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ أي: ليتعلق علمه تعالى بإبلاغ الرسل ما أوحى إليهم؛ صانهم عن تخاليط الشياطين، أو ليعلم الرسول أن قد أبلغ جبرائيل والملائكة النازلون. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ لدى الرسل من الشرائع والأحكام ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ كل ما دخل في الوجود في أي عالم كان. ومن هذا شأنه كيف يخفى عليه خافية؟ وكيف لا يحيط بما لدى الرسل؟.

تمت سورة الجان، والحمد للمنان، والصلاة على خلاصة الإنسان، وآله وصحبه إلى انصرام الزمان.

سورة المزمل

مكية، وهي عشرة آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي: المتزمل وهو المتلفف في ثيابه. أدغمت التاء في الزاء. روى أبو بكر البزار^(١) عن جابر: أن مشركي مكة لما اختلفوا، شاعر أو ساحر أو كاهن أو مجنون، تزمّل في ثيابه في بيته حزينا. فأتاه جبرائيل وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾^(٢) أمراً له بأن ينهض إلى القيام في عبادة ربه في أشرف الأوقات، وهو الليل الخالي عن الشواغل. وفيه من لطيف العتاب الممزوج بالرأفة؛ لينشط ويستعدّ لتلقي ما يأتي من قوله: ﴿إِنَّا سُنَلِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٣). وما قيل: "إنه كان متزماً في مرط لعائشة نصفه عليه، ونصف آخر على عائشة

(١) هو: الحافظ أبو بكر البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير، روى عن هذبة بن خالد وأقرانه، وحدث في آخر عمره بأصبهان والعراق والشام. قال الدارقطني: ثقة يخطئ ويتكل على حفظه. وقال في المغني: أحمد بن عمرو البزار الحافظ صاحب المسند صدوق. وقال أبو أحمد الحاكم: يخطئ في الإسناد والمتن. توفي في ربيع الأول بالرملة سنة ٢٩٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٥٤/١٣). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٢٨٩/١). وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢٠٩/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم (رقم: ٢٠٩٦). والهيتمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة المزمل (١٣٠/٧).

(٣) سورة المزمل، الآية: ٥.

رضي الله عنها" (١) لا وجه له، إذ السورة من أوائل القرآن نزولاً، وعائشة لم تكن موجودة فضلاً عن كونها عنده. وكذا القول: بأنه أول ما أتاه جبرائيل أتي خديجة وقال: "زملوني" فبينما هو كذلك إذ ناداه جبرائيل فناده: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (٢) بل كان هذا بعد فترة الوحي، (لما رأى جبرائيل قاعداً على كرسي بين السماء والأرض، فرجع إلى خديجة فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (٣)) (٤).

[٢] ﴿قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ﴾ بدل من الليل، و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منه، أي: قم أقل من النصف على البتّ.

[٣-٤] ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أو زِدْ عَلَيْهِ﴾ أنقص النصف أو زد، على التخيير. ولما كان الأقل هو الأصل كرر، كقولك: أكرم زيداً، أو إما زيداً وإما عمراً. فإن قلت: إذا كان التخيير بين الأقل من النصف على البتّ، وبين أحد الأمرين النقصان على النصف والزيادة عليه، فقد خرج النصف عن الأقسام، وقراءة الكوفيين وابن كثير: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ

(١) أشار إلى هذا الزمخشري فقال: وقيل: كان متمزلاً في مرط لعائشة يصلي، فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها، وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه، وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطاً طوله أربع عشرة ذراعاً، نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه عليه وهو يصلي، فسئلت ما كان؟ قالت: والله ما كان خزاً ولا قرأً ولا مرعزي، ولا إبريسماً ولا صوفاً، كان سداه شعراً ولحمته وبراً. انظر: الكشف للزمخشري (٦٣٧/٤). وعمدة القاري للعيني (١٨٨/٧).

(٢) ذكر الزمخشري في الكشف: وقيل: دخل على خديجة، وقد جئت فرقاً أول ما أتاه جبريل وبوداره ترعد فقال: زملوني زملوني، وحسب أنه عرض له، فبينما هو على ذلك إذ ناداه جبريل يا أيها المزمّل. انظر: الكشف للزمخشري (٦٣٧/٤).

(٣) سورة المدثر، الآية: ١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ٤). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ١٦١).

أَدَّتِي مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ^(١) بنصبه تدلّ على أنه كان يقوم تارة نصف الليل. قلت: الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾ للنصف، وإذا جاز له الزيادة على النصف فقد جاز له النصف، لا أنه إذا جاز له الأقل جاز له النصف ليلزم استدراك ذكر الزيادة. أو ﴿نِصْفَهُ﴾ بدل من ﴿قَلِيلاً﴾ فالتخيير بين أمور ثلاثة: قيام النصف بتمامه، وقيام الناقص منه، وقيام الزائد عليه. وعلى هذا وصف النصف بالقلة بالنظر إلى الكل. وفيه إشارة إلى أن النصف المعمور بالعبادة وذكر الله تعالى جلّ الليل، والنصف الخالي عنه نزر قليل وإن ساواه كمّاً. ويجوز أن يكون الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾ للأقلّ من النصف كالثلث، والتخيير بينه وبين الأقلّ منه^(٢) كالربع، والزائد عليه كالنصف. وعن الأَخْفَش^(٣): "﴿نِصْفَهُ﴾ عطف على ﴿اللَّيْلِ﴾ بمقدّر أي: قم الليل إلا قليلاً، أو قم نصفه، أو ثلثه، أو ثلثيه". فالتخيير بين أربعة أمور. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: ((أنّ قيام [٣٣٢/ت] الليل كان فرضاً بأول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، واصفرت وجوههم، فنسخه آخر السورة فصار تطوعاً))^(٤). وعن ابن جبير: نسخ بعد عشر سنين^(٥). وقيل: نسخ عن الأمة

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) "وبين الأقلّ منه" ورد في الأصل: وبين الأقلّ من النصف منه.

(٣) هو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع، إمام النحو، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. قال ابن النجار: كان أجلع وهو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه، وقد روى عن هشام بن عروة والكلبي وعمرو بن عبيد، وصنّف كتباً في النحو لم يتمّها. قال الرياشي: سمعته يقول: كنت أجالس سيبويه وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه. توفي سنة نيف عشرة ومتمتين، وقيل: سنة عشر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٦/١٠).

(٤) أخرجه مسلم في حديث طويل، كتاب المسافرين، باب جامع صلاة اللّيلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ (١/٥١٢ رقم: ٧٤٦). وابن حبان في صحيحه، فصل في قيام الليل (رقم: ٢٥٥١). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب قيام الليل (رقم: ١٢٩٤) وابن خزيمة في صحيحه، جامع أبواب ذكر الوتر وما فيه من السنن، جامع أبواب صلاة التطوع بالليل (رقم: ١٠٦٤).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (١٢٥/٢٩). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٧٩/١٠). والدر المنثور للسيوطي (٣١٢/٨).

فقط^(١). ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ اقرأه على مهل وتؤدة لتمكن من التأمل والتدبر في دقائقه وحكمه، فيكون قيامك في الليل الذي [هو] أشرف الأوقات على أكمل الأحوال. شبه القراءة المتصلة بالثغر^(٢) المرتل، وهو المُفَلِّجُ الشبيه بالأقْحُوَان^(٣).

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ اعتراض دل به على أن قيام الليل من التكليف الشاقة التي ورد بها القرآن؛ لأن الليل محل الراحة، فإحياءه بالعبادة مضاد للطبع، وفيه إيقاظ له على التمشر لتحمله، وتوطين النفس على المكابدة في تبليغه وتحميله. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ((رأيت في اليوم الشديد البرد ينزل عليه الوحي، وإن جبينه ليتصفد عرقاً))^(٤). وقيل: ثقيل في الميزان^(٥)، أو على الكفار، أو على المتأمل؛ لافتقاره إلى إتياب القريحة في استنباط معانيه، أو ثقيل تلاوته على الوجه المنزل؛ ولذلك خفف عن هذه الأمة

(١) اختلف العلماء في حكم التهجد في حق النبي ﷺ على قولين:

القول الأول: إنه واجب في حق النبي ﷺ، وهو مذهب ابن عباس واختاره ابن جرير. واستدلوا بأن الله تعالى أمره بالتهجد بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {سورة المزمل، الآية: ١-٢} ولم يجئ ما ينسخه عنه وقوله ﷺ ((ثلاث هن عليّ فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل)).

القول الثاني: إنه غير واجب عليه ﷺ، قال النووي: اختلفوا في نسخه في حقه والأصح عندنا نسخه، وهو اختيار الشوكاني في فتح القدير حيث قال: والأولى القول بنسخ القيام على العموم في حقه ﷺ، وفي حق أمته وليس في قوله تعالى ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ {جزء آية من سورة المزمل، الآية: ٢٠} ما يدل على بقاء شيء من الوجوب. انظر: التهجد وقيام الليل لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: مصلح بن جزاء الحارثي [مكتبة الرشد - السعودية - ١٤١٨هـ، ط ١] (٩٥).

(٢) "شبه القراءة المتصلة بالثغر المرتل" ورد في (ح) ٥٤٧/أ: شبه القراءة بالسعر المرتل.

(٣) الأقْحُوَان: البَابُوتُج، أو القَرَّاص، واحده أّقْحوانة، وهو نبتٌ طيّبُ الريح، حوالبه ورقٌ أبيض، ووسطه أصفر. انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي "فحو" (١/٢٢٤). والصحاح في اللغة للجوهري "فحا" (٢/٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (رقم: ٢). ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي (رقم: ٢٣٣٣).

(٥) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/٣٣٧).

بالقراءة على سبعة أحرف، أو على الراسخين؛ لاشتماله على المحكم، والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ. وعلى الأوجه: الجملة تعليل للأمر بقيام الليل؛ لأنه يعد للنفس ما به يعالج ذلك الثقل.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قيامه، مصدر نشأ، قام بالحشية^(١). وقيل: ساعاته؛ لأنها تحدث واحدة إثر أخرى^(٢). وقيل: النفس التي تنشأ عن المضجع وترتفع، من نشأت السحابة، ارتفعت^(٣). عن ابن عباس رضي الله عنه: "أول الليل"^(٤). وعن ابن عمر رضي الله عنه: "من العشاء إلى الصبح، أي وقت كان"^(٥). وعن علي، والحسن رضي الله عنهما: "بين العشاءين"^(٦). وعن عائشة ومجاهد رضي الله عنهما: "الصلاة بعد النوم"^(٧) وهو الأصوب؛ لمدامه رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بعد النوم، ولقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: موافقة للحواس مع القلب على التوجه لعدم الشاغل. وعن الفراء: "أشق وأكثر علاجاً لترك الراحة"^(٨). وعن الأخفش: "أثبت قياماً"^(٩). وقرأ

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/٢٩). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٨٠/١٠). والدر المنثور للسيوطي (٣١٦/٨).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/٢٩). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٦/٤).

(٣) قال الزمخشري: ﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشر: إذا نهض. انظر: الكشاف للزمخشري (٦٣٩/٤).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٩). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب من فتر عن قيام الليل فصل ما بين المغرب والعشاء (رقم: ٤٥٢٨).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/٢٩). والدر المنثور للسيوطي (٣١٧/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٦/٤).

(٦) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣١٧/٨). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب من فتر عن قيام الليل فصل ما بين المغرب والعشاء (رقم: ٤٥٢٩). وابن أبي شيبه في مصنفه، باب في الصلاة بين المغرب والعشاء (رقم: ٥٩٢٦).

(٧) قال القرطبي: وقالت عائشة وابن عباس أيضاً ومجاهد: إنما الناشئة: القيام بالليل بعد النوم. انظر: تفسير القرطبي (٤٠/١٩).

(٨) قال البيهقي في تفسير الآية: قال الفراء: أثبت قياماً أي: أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار؛ لأن النهار خلق لتصرف العبادة والليل للخلو فبالعبادة فيه أسهل. انظر: معالم التنزيل للبيهقي (٤٠٩/٤).

الكوفيون ونافع وابن كثير "وَطْئًا" بفتح الواو وسكون الطاء من وطأهم وطئاً: ثقل عليهم، ومن قوله ﷺ: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر))^(٢)، والمد أحسن وأوفق بقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أي: أصح قراءة؛ لهدوء الأصوات، وعدم الخواطر والالتفاتات.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ فراغاً، أو منقلباً في معاشك، فتوفر بالليل من عبادة ربك، مستعار من سبح الفرس وهو: مد اليدين في الجري، والطول ترشيح^(٣).

[٨] ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ دم على ذكره في كل الأوقات، واستغرق في ملاحظة المذكور؛ لتحظى بالزلفى والقرب عنده. ﴿وَتَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وانفصل بالكلية عن الدنيا، أو عن وجودك؛ لتبقى بوجوده الباقي. ولما كان المطاوع والمطاوع واحداً في الخارج ذكر التبتيل موضع التبتيل^(٤)؛ مراعاة للفاصلة، وقيل: لأن معنى تبتل: بتل نفسك.

[٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر، أو خبر مبتدأ محذوف، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر آخر. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة ﴿رَبُّ﴾ بالجرّ بدلاً من ﴿رَبِّكَ﴾. وعن ابن عباس ؓ جرّ بإضمار حرف القسم جوابه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد (رقم: ٧٧١). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة (رقم: ٦٧٥).

(٣) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ {سورة المزمل، الآية: ٧} قراءة العامة بالحاء غير معجمة أي: تصرفاً في حوائجك، إقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً. والسيرقم: الجري والدوران، ومنه السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابرقم: شديد الجري... والطول ترشيح؛ لاستعارة السبح للعمل في النهار. انظر: تفسير القرطبي (٤٢/١٩٠). والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور [مكتبة العلوم والحكم] (٣٨٢/١٥).

(٤) "التبتل" ساقط من (ح) ٥٤٧/ب.

(٥) التقدير: [و] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بجرّ ربّ، جرّه حرف القسم الواو.

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ متفرع على التوحيد. أي: إذا انفرد بالألوهية فاجعل أمورك موكولة إليه، أو اجعله كفيلاً ينصرك.

[١٠] ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك وفيما أنزل إليك. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ أعرض عنهم وجانب من غير مقابلة ولا مقاتلة، نسخت بآية السيف.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ فأنا كافيك أمرهم. كلام من يكون واثقاً بالوفاء، متمكناً منه أقصى التمكن؛ ولذلك أبرزه في صورة المنع عن الاستكفاء. ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ التنعم^(١)، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة. يريد المترفين من صنديد قريش، المترين بالحطام، المانعين أتباعهم عن الدخول في الإسلام. ﴿وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ إمهالاً قليلاً، أو زماناً قليلاً.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ جمع نكل: القيد الثقيل ﴿وَجَحِيمًا﴾ ناراً شديدة الحر والانتقاد.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ آخذ بالحلق، بشيع لا يسوغ ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ نوعاً آخر لا يعرف كنهه إلا الله.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ تضطرب وتترزل. منصوب بما في ﴿لَدَيْنَا﴾ من معنى الفعل ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾ رملاً مجتمعاً من غير مقدار ومقياس، من هلت الدقيق: إذا أرسلته من غير كيل.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ الخطاب للمكذبين. التفات حسن الموقع ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ أي: عصيتموه كما عصاه فرعون ولم يسمه؛ لأن الغرض عصيان الرسول كائناً من كان.

(١) "التنعم" ساقط من الأصل.

[١٦] ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أعاده معرفة؛ لتقدم ذكره. [٣٣٣/١] ولا يخفى أن تشبيه عصيائهم بعصيان فرعون ينبي عن فرط عتو، وزاد لهذا الرسول كونه شاهداً عليهم؛ ليكون عصيانه أبلغ في الذم، وأشار به إلى أنهم لو آمنوا به كان شاهداً لهم لا عليهم. ﴿فَأَخَذْنَا فِي الدُّنْيَا﴾ في الدنيا. ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ثقيلًا، ومنه الوايل للمطر العظيم القطر، أصله^(١) الوخامة يقال: مرعى وبيل.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ مفعول به. أي: هب أنكم لا تؤاخذون في الدنيا أخذة فرعون، فكيف تتقون أنفسكم هول يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ كناية عن شدته، إذ عند تفاقم المصائب يسرع الشيب. قال أبو الطيب:

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ^(٢).

أو عن طوله. وفي إثارة ﴿إِنْ﴾ مع القطع بوجود الكفر واستمراره منهم؛ إشارة إلى أن وجود الكفر مع هذا الرسول الذي هو النور المبين ينبغي أن يكون على الفرض والتقدير. أو المعنى: فكيف تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات الوقت؟ ففيه حث على الإقلاع قبل أن لا ينفع الندم. أو فكيف يرجى منكم التقوى وأنتم جاحدون ذلك اليوم والمجازاة^(٣) فيه.

[١٨] ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾ منشق. والتذكير باعتبار السقف. ﴿به﴾ أي: بذلك اليوم؛ لشدته وهوله. ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ لا محالة. الضمير لله، أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول.

(١) "أصله" ساقط من (ح) ٥٤٧/ب.

(٢) البيت للمتنبي من الكامل. انظر: بئمة الدهر للثعالبي (١/٦٣). وخزانة الأدب للبغدادي (١/١٩٣). الشاهد فيه: التأكيد على ما جاء في الآية الكريمة من أن المصائب والهوم مما يُسرَّع في الشيب.

(٣) في (ر) ٤٩٥/أ: المجازات.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات. ﴿تَذَكِّرَةٌ﴾ موعظة؛ لجلائها. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ موصلاً إليه.

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ لما نزل أول السورة كان الرجل يجتاط في تقدير الأوقات، ولا يدري متى الثلث والنصف والثلاثان، فشق ذلك عليهم فنزلت^(١). واستعار الأدنى وهو الأقرب^(٢) للأقل؛ لأن المسافة بين الشيعين إذا قربت قلت الأحيان. وقرأ الكوفيون^(٣) "نصفه وثلثه" بالنصب عطفاً على "أدنى"، وهو المختار؛ لدلالته على أنهم قاموا بأفضل ما وقع فيه التخيير، وهو الأجدر بجلالة منصبه - على ذاته أفضل الصلاة-. وقرأ هشام بإسكان لام ﴿ثُلُثَهُ﴾ تخفيفاً. ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ من أصحابك. ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لا يعلم تقدير ساعاتهما وضبط مقدارها غيره. ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أي: تقدير الأوقات؛ لاختصاص ذلك به تعالى. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رفع عنكم ما كان تركه معصية. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في صلاة الليل، أو أي وقت كان. أمر ندب. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ استئناف لبيان حكمة أخرى أقوى من الأولى، يقتضي الترخيص؛ ولذلك كرر الحكم مرتباً عليه. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الضرب في الأرض لابتغاء فضل الله: المسافرة للتجارة. ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إخبار عما يكون مستقبلاً بالإعجاز؛ لأن الآية مكية. وتسويته بين الضارب في الأرض للتجارة، والمجاهدة في سبيل الله دلت على أن طلب الرزق إذا قرن بالنية الصالحة له مكان عند الله، كيف وقد قدمه على المجاهدة؟!؛ ولذلك روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (١٥٩/٤).

(٢) "وهو الأقرب" ورد في (ر) ٤٩٥/أ؛ وهو أقرب.

(٣) قال أحمد الدمياطي: واختلف في ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ فابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بنصب الفاء والثناء وضم الهائين عطفاً على أدنى المنصوب ظرفاً بتقوم. انظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٦١/١).

شعبي رحل أضرب في الأرض ابتغاء فضل الله" (١). ﴿فَافْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة. فرضت ليلة الإسراء بمكة، بعد خمس من البعثة على الأصح. ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ قدراً من المال كان فرضاً بمكة، وتقرر المقادير بالمدينة. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أنفقوا في سبيله على وجه الإخلاص. يتناول المفروض والمسنون، بل سائر أعمال البر، بدنية ومالية. ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من تأخير إلى حين الموت والوصية به؛ لقوله ﷺ: ((الصدقة) (٢) أن تصدق وأنت صحيح صحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر، ولا تدع أن يبلغ الحلقوم ثم تقول: لفلان كذا لفلان كذا)) (٣). وعن الرزاق: "خيراً من متاع الدنيا" (٤) ويرده: ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾. ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ لما فرط منكم؛ لأن الاستقامة متعذرة، أو متعسرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب. ﴿رَحِيمٌ﴾ يجعل مكافئها الحسنات.

تمت سورة المزمل، والحمد للرحيم المتفضل، والصلاة على الكامل المكمّل.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/٦٤٤). وتفسير القرطبي (١٩/٥٦). ومصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣هـ، ط ٢] باب الرزق ومبايعة النبي ﷺ (رقم: ٢١٠١٨).

(٢) "الصدقة" ساقط من (ح) ٥٤٨/ب.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح (رقم: ١٣٥٣). ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (رقم: ١٠٣٢).

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٦/١٢٦). و أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/٤٠٩).

سورة المدثر

مكية، ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ما يلي الجلد من الثياب يسمى شعاراً، وما فوقه دثاراً. ومنه قوله ﷺ: ((النَّاسُ دِثَارٌ وَالْأَنْصَارُ شِعَارٌ))^(١). وأول هذه السورة أول ما نزل بعد فترة الوحي؛ لما روى مسلم والبخاري عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي: ((فَبَيْنَا أَنَا آمُشِي سَمِعْتُ صَوْتًا فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمَلُونِي))^(٢) فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فَمَّا نَذَرَ ﴿..... فَاهْجُرْ﴾^(٣) [٣٣١/ب] ولم يقع ذكر حراء في بعض الروايات^(٤)، فظن أنها أول^(٥) سورة نزلت. وفي رواية عن ابن

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (رقم: ٣٩٨٥) بلفظ: ((الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ)).

ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام (رقم: ١٠٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم: ٢٩٩٩)، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يُقَالُ الرَّجْزُ وَالرُّجْسُ الْعَذَابُ (رقم: ٤٥٤٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ١٦١).

(٣) سورة المدثر، الآية: (١-٥).

(٤) "المرويات" ورد في (ح) ٥٤٨/ب و (ر) ٤٩٥/ب: رؤيا.

(٥) "أول" ساقط من (ر) ٤٩٥/ب.

عباس عليه السلام: "أن قريشاً لما قالت في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر، وقال بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزيناً فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(١) ولا منافاة بينهما؛ لإمكان وقوع الأمرين معاً، فأول ﴿اقرأ﴾ كان نبوة، وأول هذه كان إرسالاً.

[٢] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي: قومك؛ لقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، أو افعل الإنذار، وهذا أبلغ.

[٣] ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ صفة بالكبرياء وحده. وقيل: لما نزلت كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرت خديجة وأيقنت أنه الوحي، إذ الشيطان لا يأمر بالتكبير، وحمله على تكبير الصلاة بعيد.

[٤] ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَطَهِّرْ﴾ قصرها، وهذا أول ما أمر به من مخالفة قومه، فإنهم كانوا يجرون الثياب على الأرض خيلاء، أو طهرها من النجاسة؛ لأنه الواجب في الصلاة والأحب في غيرها، أو أخلاقك عما يندسها من الرذائل.

[٥] ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ هو العذاب؛ لقوله: ﴿لَنْ كَشَفْتَعْنَا الرُّجْزَ﴾^(٣) أريد به ما يؤدي إليه أي: دم على ترك الأوثان، وهجران الآثام. والفاءات أجوبة للشرط كأنه قيل: ومهما يكن^(٤) فكذا. وقرأ حفص بضم الراء، وهما لغتان، والكسر أشهر.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم (رقم: ٢٠٩٦). والهيتمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة المزمل (١٣٠/٧).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.

(٤) "يكن" ورد في (ر) ٥٩٥/ب: تكن.

[٦] ﴿وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْتَرُونَ﴾ لا تعطي شيئاً حال كونك تعدّه كثيراً؛ لاحتقار متاع الدنيا وإن جلّ. وقيل: لا تعط مستغزراً أي: طامعاً أن تُعَوِّضَ أكثر مما بذلت. وهو من خواصه؛ لقوله عليه السلام: ((المستغزر يثاب ^(١) من هبته)) ^(٢). أو نهي تنزيهه.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ لوجهه، وانقياداً لأمره. استعمل الصبر في مشاق التبليغ، وأذى الكفار.

[٨] ﴿فَإِذَا تُقِرَّ فِي النَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، سمي ناقوراً؛ لما روي ^(٣): أن فيه بعدد كل روح نقرة ^(٤). بناء مبالغة كالكابوس، والفاء للسببية أي: اصبر على أذاهم إلى زمان تلقى فيه عاقبة صبرك، ويلقون ^(٥) فيه عاقبة ضرهم. والعامل في "إذا" ما دلّ عليه قوله:

[٩-١٠] ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و"يَوْمٌ عَسِيرٌ" خبره، و"يَوْمٌ عَسِيرٌ" ظرف أي: فذلك الوقوع وقوع يوم، فالزمان ليس مظروف الزمان. ويجوز أن يكون "يَوْمٌ عَسِيرٌ" مرفوع المحل من "ذلك". ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فائدته التعريض بحال المؤمنين، وأنها

(١) "ثياب" ورد في (ح) ٥٤٨/ب: ثيابك.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب في الرجل يهب الهبة فيريد أن يرجع فيها (رقم: ٢١٧٠٦) بلفظ: عن شريح قال: من أعطى في صلة أو قرابة أو معروف أو حق فعطيته جائزة، والجانب المستعذب يثاب من هبته أو ترد عليه. وقد ورد بألفاظ كثيرة منها: المستعزز والمستغزر.

(٣) في (ر) ٥٩٥/ب: أووي.

(٤) النقرة: الفتحة والتقب والحفرة، جمعه النقر: وهي الوهدة المستديرة في الأرض، أو الحفرة صغيرة ليست بكبيرة. قال الرازي: ونقر في الناقور أي: نفخ في الصور. انظر: مختار الصحاح للرازي مادة "نقر" (ص ٢٨١). وجامع البيان للطبري (٥٢/٢).

(٥) "ويلقون" ورد في (ح) ٥٤٩/أ: تلقون.

تضاد حال الكفرة، كما في قوله: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾^(١) وفي ذلك زيادة غيظ لهم. أو ﴿عَسِيرٌ﴾ حالاً ومالاً، بخلاف عسر الدنيا فإنه سريع التبديل.

[١١] ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أطبقوا على أنه وليد بن المغيرة المخزومي. حال من الفاعل أي: دعني وحدي معه في الانتقام ففي كفاية إذ خلقتني وحدي لم يشاركني أحد في خلقه. والأحسن جعله حالاً من المفعول أي: خلقتني منفرداً عن المال؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢)، ولقوله:

[١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ مبسوطاً من كل نوع. كان صاحب الضرع والزرع والذرع^(٣). قيل: كان له بستان في الطائف لا ينقطع ثماره صيفاً وشتاءً، وكان يملك ألف ألف.

[١٣-١٤] ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾^{*} معه المجالس والمحافل، وله بهم أهمة ورونق، أو شهوداً عنده لعدم تردادهم في أسباب المعاش استغناء بالخدم، فهو يتمتع بهم ليلاً ونهاراً. قيل: كانوا عشرة، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة. ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا﴾ من سائر أسباب الرئاسة والجاه العريض.

[١٥-١٦] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾^{*} له. كان يقول^(٤): "إن كان محمد صادقاً، فالجنة لي"^(٥). أو يطلب أن أزيد له في الدنيا فوق ما هو فيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع له، وعالله بقوله: ﴿إِنَّهُ

(١) سورة الواقعة، الآية: ٤٤.

(٢) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٣) "والذرع" ساقط من (ح) ٥٤٩/أ.

(٤) "كان يقول" ورد في الأصل: أريد بقوله إن كان محمد.

(٥) كان الوليد يقول: إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي، فقال الله تعالى رداً عليه وتكديماً له: "كلا" أي:

لست أزيده، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك. انظر: تفسير القرطبي (٧٢/١٩).

كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿﴾ كافراً مكابراً من غير شبهة، وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعله سبب الزيادة؟. قيل: بعد نزول هذه الآية لم يزل في نقصان حتى ذهب إلى سقر. قيل: أسلم من أولاده خالد، وعمارة^(١)، والوليد^(٢)، ولم يصح إلا إسلام خالد، أما عمارة قتل يوم بدر، أو قتله النجاشي لما أرسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر؛ لخيانة نسبت إليه، والوليد مختلف فيه.

[١٧] ﴿سَأْرَهُقَهُ صَعُودًا﴾ أكلفه مشقاً عليه طلوعه في جبل من النار طوله سبعون خريفاً، إذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو حجرة في جهنم^(٤) وقيل: هو مثل لما يلقى في الشدة.

[١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ بدل، أو بيان لقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾^(٥)، أو تعليل لإرهاقه صعوداً؛ لإبعاده في التفكير^(١)، وعوضه على نيل ما يقدر به في كلام رب العزة.

(١) "عمارة" ورد في (ر) ٤٩٦/أ: عثمان.

وهو: عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أخو خالد بن الوليد، توفي لما بعثته قريش إلى النجاشي، كان ممن دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط سلى الجزور على ظهره وهو يصلي. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٨٣/٥).

(٢) هو: الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أخو خالد بن الوليد، حضر بدرًا مع المشركين فأسر فافتداه أخواه هشام وخالد، فلما افتدي أسلم، ولما أسلم حبسه أخواله، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت، ثم أفلت من أسرهم ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء، ويقال: إنه مشى على رجله لما هرب وطلبوه فلم يدركوه، ويقال: إنه مات يبشر أبي عتبة قبل أن يدخل المدينة. انظر: الإصابة لابن حجر (٦١٩/٦). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٥٥٨). والطبقات الكبرى لابن سعد (١٣١/٤).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٢٢/٢٣). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٨٣/١٠). والدر المنثور للسيوطي (٣٣٠/٨).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكليبي (٤/١٦١). وتفسير القرآن للصنعاني (٣/٣٣١). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٨٣/١٠).

(٥) سورة المدثر، الآية: ١٦.

[١٩] ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجب من فساد تقديره. كقوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢)، أو ثناء عليه هكماً نحو: "قاتله الله ما أشجعه"^(٣)، أو حكاية ما قالوه لما سمعوا كلمته الحمقاء.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجب أبغ من الأول؛ لأنه صدر عن رؤية، بخلاف الأول فإنه نشأ عن النظرة الأولى وهي حمقاء. وفي هذا الترقي غاية تهكم به وبمن اغتر بما تفوه به.

[٢١-٢٣] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في أمر القرآن، أو في وجوه الناس. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب وجهه لما لم يجد طعناً شافياً. ﴿وَبَسَرَ﴾ وكلح، من البسور وهو: الكلوح، من توابع عبس، أو من بسر الرجل: طلب الحاجة في غير موضعها حيرة. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [١٨٣٤] عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن اتباعه.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ يروى ويتعلم. والفاء؛ للدلالة على أنه لما ظفر بها لم يتمالك.

[٢٥] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ من أساطير الأولين. لم يدخل العاطف؛ لأنه تأكيد للأول أو بيان. عن ابن عباس رضي الله عنه: لما سمع الوليد القرآن، قيل: سمع "حم السجدة" يتلوه رسول الله قال: "إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه

(١) "التفكير" ورد في (ح) ٥٤٩/أ: تفكير.

(٢) جزء آية من سورة المنافقين، الآية: ٤.

(٣) قال العسكري في الأمثال: ويقال عقرى وحلقى عند الأمر يتعجب منه، وهو على مذهب قولهم: قاتله الله ما أعلمه، ولعنه الله ما أشجعه. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٥٩/٢). وجمع الأمثال للميداني (٢٨٠/٢).

ليعلو ولا يعلى". فلما سمعوه قالوا لابن أخيه أبي جهل^(١) صبأ^(٢) الوليد، فجاء وجلس إليه ولامه على ما بدا منه، فقال: فماذا أقول؟!.. والله ما منكم أعلم بالأشعار مني^(٣)، أعلم رجزه، وقصيده، وأعلم أشعار الجن، ولا يشبه شيئاً من ذلك، فقال: لا يرضى قومك حتى تقول فيه، ففكر وقدر ﴿فَقَالَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٤) (٥).

[٢٦-٢٨] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل من "سأرهقه صعوداً". ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ لا تَبْقَى ﴿سَالماً﴾ ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ ولا تدعه بعد إحراقه وإعدامه. أو لا تبقى شيئاً من الأشياء ولا تذر كهذه النيران، بل تهلك كل رطب ويابس. وهذا أوجه وألصق بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ المسوق للتحويل.

[٢٩] ﴿لَوْ آحَ لَلْبَشَرِ﴾ مسوِّدة أعالي الجلد كالليل البهيم. من لوحتة الشمس: غيرته وسففته^(٦). وعن الحسن لواحة للبشر شديدة الظهور^(٧). كقوله: ﴿لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٨).

(١) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم أذى له ولأصحابه. كان يكنى أبا الحكم فكانه رسول الله ﷺ أبا جهل، قُتل يوم بدر، قتله ابن عمرو بن الجموح وابن عفراء الأنصاريان، وكانا شابين. انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (١/٥٩٤). والأعلام للزركلي (٥/٨٧). وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/٨٤).

(٢) صبأ الرجل صبوءاً، إذا خرج من دين إلى دين. قال أبو عبيدة: صبأ من دينه إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أي: تخرج من مطالعها. انظر: مختار الصحاح للرازي مادة "صبأ" (١/٣٧٧).

(٣) "معي" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: من.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٢٤.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (رقم: ٣٨٧٢). والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في الإشارة إلى معرفة الله ﷻ (رقم: ١٣٤).

(٦) "وسففته" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: شففته.

(٧) "الظهور" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: الطهر و (ر) ٤٩٦/ب: الظهر.

(٨) جزء آية من سورة التكاثر، الآية: ٧.

[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يلي أمرها تسعة عشر ملكاً. وقيل: صنفاً^(١)، أو صنفاً^(٢)، أو نقيباً.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾؛ لأنهم خلاف جنس المعذب من الجن والإنس، فلا تأخذهم رأفة؛ لعدم رقة الجنسية، ولأنهم أطوع خلق الله لتنفيذ أوامره وأشد غضباً له، وأقواهم. عن عمرو^(٣) بن دينار^(٤) رضي الله عنه: "إِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَدْفَعُ بِالْدَفْعَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ". وروي مرفوعاً: "إِنَّ لِأَحَدِهِمْ قُوَّةَ الثَّقَلَيْنِ يَسُوقُ أُمَّةً إِلَى النَّارِ عَلَى عَاتِقِهِ جَبَلٌ، فَإِذَا أَلْقَاهُمْ فِي النَّارِ أَلْقَى الْجَبَلَ وَرَأَاهُمْ"^(٥). ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما سمع أبو جهل تسعة عشر قال: "تكلتكم أمهاتكم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطش بواحد منهم؟!". فقال أبو الأشد كلدة بن أشد بن خلف^(٦): "أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين". وكان بلغ من قوته أنه يقف على جلد البقر، ويجذبه عشرة، فيتمزق الجلد تحت رجله، ولا يقدر على إخراج^(٧). قال السهيلي^(١): دعا رسول الله ﷺ إلى

(١) "صنفا" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: ضفا.

(٢) "صفا" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: ضفا.

(٣) "عمرو" ورد في (ح) ٥٤٩/ب: عمر.

(٤) هو: عمرو بن دينار المكي، الجمحي، أبو محمد الأثرم، مولى موسى بن باذم، ثقة ثبت، إمام، روى عن بن عباس، وابن عمر، وجابر، وروى عنه شعبة والسفيانان. توفي سنة ١٢٦ هـ. انظر: الثقات لابن حبان (١٦٧/٥). والكاشف لحمد بن أحمد الذهبي (٧٥/٢). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١١٣/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠٠/٥).

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٥٢/٤).

(٦) هو: أبو الأشد بن كلدة بن أسد بن خلف الجمحي، كنيته أبو الأعور، قتل كافراً. انظر: نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري [مكتبة الرشد - الرياض - ١٩٨٩م] (٢٥١/٢).

(٧) أورد هذه الحادثة عدد من المفسرين منهم الرازي والسمعاني. انظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٩/٣٠). وتفسير القرآن للسمعاني (٩٥/٦).

المصارعة وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه مراراً، فلم يؤمن^(٢). والمعنى: ما جعلنا عدتهم إلا العدد المخصوص الذي اقتضى فتنهم واستهزاءهم^(٣). ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لتوافق الكتابين في هذا العدد. على حذف العاطف أي: وليستين، أو عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالأثر وهو فتنة للذين كفروا؛ إشارة إلى أن هذا الأثر من لوازم ذلك المؤثر. ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ إذا صدقوا بذلك، وإذا رأوا تسليم أهل الكتاب لهذا العدد. ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ تصريح بما علم ضمناً؛ توكيداً. ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نفاق. إخبار بالغيب عما يكون؛ لأن السورة مكية، والنفاق إنما نجم بالمدينة. أو الشك والارتياب، وكان أكثر المشركين كذلك. ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ غير المنافقين أو الشاكين. وإنما عطف قول المنافقين والكافرين على الاستيقان، مع كون المعطوف عليه غرضاً دون المعطوف؛ لأن اللام للعلة، والعلة لا يلزم أن تكون^(٤) غرضاً كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر. ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز أو حال. استعاروا لعدد الخزنة لفظ "المثل" من المثل المضروب؛ لكونه غريباً عندهم بديعاً. ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الكاف في محل نصب. أي: مثل ذلك الإضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لفرط الكثرة، فليس تخصص الخزنة بهذا العدد إلا لحكمة اقتضته، كعدد السماوات والأرضين وحمله العرش. ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ متصل

(١) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب السهيلي، ولد عام ٥٠٨ هـ. له كتاب "الروض الأنف" شرح للسيرة النبوية لابن هشام، وكتاب "الإعلام فيما أهم في القرآن من الأسماء والأعلام" وكتاب "نتائج الفكر" و"مسألة في الفرائض" و"مسألة في سر كون الدجال أعور"، كان إماماً في لسان العرب يتوقد ذكاءً، وقد استدعي من مالقة الى مراكش ليأخذوا عنه، سمع منه أبو الخطاب بن دحية وجماعة. قال ابن دحية: كان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نعى خبره الى صاحب مراكش فطلبه وأحسن إليه وأقبل عليه، وأقام بها نحواً من ثلاثة أعوام. توفي سنة ٥٨١ هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١٨/١٢). وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٤٨/٤). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٤٨١/١).

(٢) أورد هذا الأثر ابن كثير في تفسيره. انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٤٥/٤).

(٣) "استهزاءهم" ورد في (ر) ٤٩٦/ب: استهزاءؤهم.

(٤) "أن تكون" ورد في (ح) ٥٥٠/أ و (ر) ٤٩٦/ب: أن يكون.

بوصف سقر، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(١) أي: وما هي. اعتراض يؤكد بعضه بعضاً؛ زيادة في تهويل^(٢) جهنم. أي: وما سقر، أو وما صفتها، أو وما الآيات المذكورة فيها إلا تذكرة لهم.

[٣٢-٣٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع لتذكرهم أي: وإن^(٣) جعل^(٤) تذكرة فهم لا يتذكرون، أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر. ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ تولى. قال الزجاج: تقول قريش: قبل الشتاء ودبر: جاء وذهب، ومنه أمس الدابر وغيرهم أقبل وأدبر^(٥). وعن يونس^(٦): أدبر: تولى، ودبر: انقضى. وقرأ نافع وحمة وحفص "إذ" بسكون الذال، و"أدبر" بهمز القطع، والرسم لا يختلف؛ لوجود صورة الألف في القراءتين، والمختار "إذا"؛ للغة قريش، ولقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أضاء.

[٣٥] ﴿إِنَّهَا لِيَأْخُذِي الْكُبْرِ﴾ جواب القسم، أو تعليل لـ "كلا"، والقسم معترض. والضمير لسقر. و"الكبر" جمع كبرى، والفعل ليس من أبنية جمع فُعَلَى، بل فُعَلَة، كزمره وزمر. [٣٣٤/ب] إلا أن الألف ألحقت بالتاء، كالقواصع في جمع قاصعاء؛ لإلحاق ألفها بتاء

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) "تهويل" ورد في (ر) ٤٩٧/أ: تهويله.

(٣) "إن" ساقط من (ح) ٥٥٠/أ.

(٤) "جعل" ورد في (ح) ٥٥٠/أ و(ر) ٤٩٧/أ: جعلت.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (١٦٢/٢٩). ولسان العرب لابن منظور (٢٧٠/٤).

(٦) هو: يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي مولاها، البصري النحوي، إمام نخاة البصرة في عصره، أخذ عنه سيبويه، والكسائي، والفراء، وغيرهم من الأئمة. توفي بعد ١٨٢هـ. وقال القاضي: سنة ١٨٥ هـ. وله ٨٨ سنة. وقيل: مولده سنة ثمانين وأنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وستين، وقيل: عاش ثمانياً وتسعين سنة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٤٨٥/١). وأخبار النحويين لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر المقرئ، تحقيق: مجدي فتحي السيد [دار الصحابة للتراث - طنطا - ١٤١٠هـ، ط ١] (٤/١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٢/٩). ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٢٤٤/٧).

قاصعة. والمعنى: إن^(١) سقر من إحدى البلايا التي لا توجد لها نظيرة. كقولك: هند إحدى النساء في العفاف، وعليّ أحد الرجال في العلم.

[٣٦] ﴿تَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ تمييز من النسبة أي: إحدى الكبر إنذاراً، أو حال عما دلت عليه الجملة أي: كبرت منذرة.

[٣٧] ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدل من ﴿لِلْبَشَرِ﴾^(٢)، و﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾، أو مبتدأ خبره ﴿لَمَنْ شَاءَ﴾ أي: التقدم والتأخر ممكنان لمن شاء. كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣).

[٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مصدر كالتشيمة والشريطة، ولو كان وصفاً لجرد عن التاء.

[٣٩-٤١] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإهم فكوا رقابهم بالأعمال الصالحة. وقيل: هم الملائكة، أو الأطفال. ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ حال من "أصحاب اليمين"، والتنكير للتعظيم. ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن الْمُجْرِمِينَ يسأل بعضهم بعضاً، أو يسألون غيرهم.

[٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ مع جوابه، حكاية لما جرى بين المسؤل^(٤) عنهم وبين المجرمين، فاختصر الكلام؛ لعدم اللبس. والسؤال عن حالهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ مع كونه معلوماً؛ لقصد التوبيخ، وليحكي في الكتاب لطفاً بالسامعين. ومن فسر أصحاب اليمين بالأطفال أيده بهذه السؤال؛ لأن الأطفال لا يعلمون موجب ذلك.

(١) "من" ورد في (ر) ٤٩٧/أ زائداً.

(٢) جزء آية من سورة المدثر، الآية: ٢٦.

(٣) جزء آية من سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٤) "عنهم، وبين المجرمين، فاختصر الكلام لعدم اللبس والسؤال" ساقط من (ر) ٤٩٧/أ.

[٤٣-٤٤] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ الداخلين في عدادهم. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ المحتاج. أي: لم نعظم^(١) أمر الله، ولم نشفق على خلق الله. وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع^(٢).

[٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ نشرع في الباطل مع كل مبطل، ونغوى مع كل غاو.

[٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وبعد ذلك كله كنا نكذب بيوم الجزاء. كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣).

[٤٧] ﴿حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ﴾ الموت؛ لقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٤).

[٤٨] ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ لو فرض شفاعتهم، إذ لا يشفعون إلا لمن ارتضى.

[٤٩] ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من المجرور كقولك: مالك قائماً. والتذكرة: القرآن، أو هو وسائر المواعظ^(٥).

(١) "م نعظم" ورد في (ح) ٥٥٠/ب: نعظم و (ر) ٤٩٧/أ: نعظم.

(٢) مسألة أصولية: هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة أم لا؟. اختلف أهل العلم في هذه المسألة، قال الإمام النووي: اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، هذا قول المحققين والأكثرين، وقيل: ليسوا مخاطبين بها، وقيل: مخاطبون بالمنهي دون المأمور، والله أعلم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف النووي (١/١٩٨). وحاشية الطحاوي على مراقي الفلاح لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي [المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٣١٨هـ، ط ٣] (١/٤٢٢). والمجموع للنووي (٦/٢٤٩).

(٣) جزء آية من سورة البلد، الآية: ١٧.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٥) "المواعظ" ورد في الأصل: المواضع.

[٥٠-٥١] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٢﴾ حمر الوحش. مثل في النفار من أدنى شيء. والقسورة: الأسد. وعن ابن عباس: "الصائد". وابن جبير: "الرامي". فوعلة من القسر، كالحيدرة فيعلة من الحذر، وكلاهما ملحق بالفعللة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكوفيون "مستنفرة"^(١) بكسر الفاء. يقال: نفر واستنفر مثل: عجب واستعجب.

[٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً ﴿١﴾ تنشر وتقرأ ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ ﴿٢﴾ حَتَّى تُنزلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴿٣﴾﴾

[٥٣] ﴿كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الآخِرَةَ ﴿١﴾ ولذلك يتعتون ويعاندون. ولم يريدوا بقولهم ﴿حَتَّى تُنزلَ عَلَيْنَا كِتَابًا ﴿٢﴾﴾ إلا عناداً. ﴿وَلَوْ نزلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾﴾

[٥٤-٥٥] ﴿كَلَّا ﴿١﴾ حَقًّا. ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٢﴾﴾ وإن أعرضوا. والأول ردع عن اقتراحهم الآيات، وهذا عن الإعراض. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٣﴾﴾ من الذُّكْر بضم الذال، فعل القلب.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿١﴾﴾ مشيئتهم؛ لقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٥﴾﴾، أو ذكْرهم. وقرأ نافع "تذكرون"^(١) بالخطاب على الالتفات، أو قل لهم. ﴿هُوَ

(١) قال ابن الجزري: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ بفتح الفاء، والباقون بكسرها. انظر: تحيير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة [دار الفرقان - الأردن / عمان - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط ١] (ص ٥٧٩).

(٢) ورد في جمع النسخ هكذا. وقد اختلط على المؤلف الآية. والصواب ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ {جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٩٠}، ﴿حَتَّى تُنزلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ {جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٩٣}.

(٣) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿﴾ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّقَى؛ لَعَلَّوْا شَأْنَهُ، وَجَدِيرٌ بِالْمَغْفِرَةِ؛ لِسَعَةِ غَفْرَانِهِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَلَاهَا قَالَ: (٢) أَنَا أَهْلٌ أَنْ أَتَّقَى مِمَّنْ أَتَّقَى، فَمَنْ أَتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِيَ إِلَهًا، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أُغْفَرَ لَهُ)) (٣)

تمت بحمد الله، والصلاة على أفضل خلق الله.

(١) قال ابن الجزري: قرأ أبو عمرو وهشام وروح ﴿يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والباقون بالياء أي: أن نافع رحمه الله على قراءة التاء. انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري (ص ٥٩٠).

(٢) "أي" ورد في جمع النسخ زائداً، والمثبت من نص الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب وَمِنْ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ (رقم: ٣٢٥١). وأحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ﷺ (ح/١١٩٨٩). وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (رقم: ٤٢٩٩).

سورة القيامة

مكية، وهي تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ "لا" صلة، تزداد لتأكيد القسم، مثلها في ﴿لئلا يعلم﴾^(١)؛ لتأكيد العلم. وقيل: هذا إنما يكون إذا وقعت في خلال الكلام كقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾^(٢)، وأما إذا وقعت في صدر الكلام كما في هذه السورة وسورة البلد فهي للنفي. والمعنى: نفي أن يقسم بيوم القيامة؛ لأن الإقسام بالشيء إعظام له؛ ليتوسل به إلى تأكيد المقسم عليه. وحاصله: أن يوم القيامة في نفسه أعظم من أن يعظم بالقسم. ويجوز أن يكون "لا" رداً لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾^(٣). والمعنى: أقسم باليوم لا النفس اللوامة. وقرأ ابن كثير ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ على أن اللام جواب القسم.

[٢] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ هي: المتقية التي تلوم النفوس^(٤) المقصرة يوم القيامة على التقصير، أو نفس السالك التي تلوم نفسها إذا ترفت إلى مقام أعلى، فهي أبداً في اللوم،

(١) جزء آية من سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٢) جزء آية من سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) جزء آية من سورة النحل، الآية: ١٠١.

(٤) "النفوس" ورد في الأصل و (ر) ٤٩٧/ب: النفس.

أو نفس آدم؛ لأنها بعد الجنابة داومت على اللوم. والحمل على الجنس استدلالاً بقوله ﷺ: "مَا مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَفَاجِرَةٍ إِلَّا تَلُومُ نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١) لا يلائم الإعظام بالقسم، وقيل: النفس المطمئنة؛ لأنها تلوم الأمانة أي: في حال الاطمئنان تلوم نفسها على ما فرط منها. وجواب القسم محذوف أي: لتبعثن، دل عليه قوله:

[٣] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد تفرقها. قيل: نزلت في عدي بن ربيعة^(٢) ختن^(٣) الأحنس بن شريق سأل رسول الله ﷺ عن أمر الساعة فأخبره فقال: "والله لو عاينت ذلك لم أو من بك"^(٤).

[٤-٥] ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ مع صغر العظام فكيف بكبارها؟، وإذا قدرنا على الألف الأبعد عن العادة فعلى الغير أقدر. ومآله إلى عدم التفاوت بين الإعادة والبدء. وقيل: معنى تسوية بنانه جعلها كخف البعير؛ دلالة على كمال القدرة. والظاهر: أن تخصيص البنان بالذكر؛ لأنه أعجب شيء في الإنسان، وأخص به من بين الحيوانات. ثم في تصدير الكلام بالقسم بيوم البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على أسلوب: "وثناياك إنها

(١) أورده السمرقندي في تفسيره موقوفاً حيث قال: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ {سورة القيامة، الآية: ٢} يعني: أقسم بخالق النفس اللوامة وهي نفس ابن آدم يلوم نفسه، كما روي عن ابن عباس وعن عمر (ما من نفس برة وفاجرة إلا تلوم نفسها إن كانت محسنة تقول: يا ليتني زدت إحساناً، وإن كانت سيئة تقول: يا ليتني تركت. انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٤٩٨/٣).

(٢) هو: عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، قال ابن عبد البر: ذكروه في مسلمة الفتح. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٧٤/٤).

(٣) الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ. وقال ابن الأعرابي: الختن: أبو امرأة الرجل وأخو امرأته. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "ختن" (١٣٨/١٣). ومختار الصحاح للرازي مادة "ختن" (٨٣/١). والمحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي [دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، ط ١] (٣٢٣/٢).

(٤) بحث عنه ولم أجده.

أغريض^(١)، ثم إيثار الحسبان وهمزة الإنكار مسند إلى الجنس، والإتيان بحرف الإيجاب، وإيقاع "قادرين" حالاً بعده، من المبالغات في تحقيق المطلوب وتهجين حال المعرض عن الاستعداد له^(٢) ما يبهر عجائبه، وزاده رونقاً وحسناً بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ عطفاً على "أيجسب". ترق في الإنكار؛ لدلالته على أن ذلك الحسبان مجرد إرادة الفجور، أو إضراب عن الإنكار عن حاله بما هو أدخل في اللوم كأنه قيل: دع الإنكار عليه، أنى يرتدع بالإنكار وهو يريد الدوام على الفجور؟. وعلى الوجهين فيه إيماء إلى أنه عالم بوقوع البعث إلا أنه يتغابي.

[٦] ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تعنت لما تقدم من إنكاره.

[٧-٨] ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ تحيّر فزعاً، كأنه نظر البرق فدهش بصره. وقرأ نافع بَرَقَ بفتح الراء أي: لمع، من البريق. وعن الفراء هما لغتان والكسر أفصح. ﴿وَوَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ بذهاب ضوءه.

[٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في الطلوع من المغرب، أو في النار يعذب بهما من عبدهما. وتذكير الفعل؛ لأنه أحد الجائزين. ولموافقة "خسف" ومقارنة "القمر" حسن.

(١) صدر بيت من الحفيف لأبي تمام، وتماه:

وَتَنَابَيْكَ إِنَّهَا إِغْرِيسُ
وَأَلَّ تَوْمٌ وَبَرَقٌ وَمِيسُ

انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٢/١٤٠). والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [دار الجليل - بيروت - ١٤٠١هـ، ط ١] (٩٦/١). والأشبه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلين والخضرمين لسعيد ومحمد ابنا هاشم الخالديان، تحقيق: محمد يوسف [لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٨م] (٤١/١). الإغريض: الطلع والبرد ويقال: كل أبيض طري. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "غرض" (١٩٦/٧). وجه الاستشهاد فيه: تصدير الكلام بالقسم وتعظيم المقسم به؛ لاستعظامه في نفسه تحقيقاً لكلامه.

(٢) "له" ساقط من (ر) ٤٩٧/أ.

[١٠-١١] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤَمِّدُ أَيْنَ الْمَفْرُوعِ﴾ أي: الفرار، وبكسر الفاء اسم مكان ﴿كَلًّا﴾ زجر عن طلب المفرِّ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، أصله الجبل؛ لأنه يلجأ إليه في الغارات.

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة. ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ لا ملجأ غيره، أو إلى حكمه ترجع أمور العباد، أو إلى مشيئته استقرار فريق في الجنة وفريق السعير.

[١٣] ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما قدم من ماله فتصدق، وبما خلفه، أو بما قدم من الأعمال وأخر لم يعمل، أو بما أخر من سنة حسنة أو سيئة، أو بأول عمله وآخره.

[١٤] ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ حجة واضحة، فلا يحتاج معها إلى أن ينبأ؛ لأنه الذي ينبأ بما قدم وأخر حين تنطق جوارحه.

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: لو أتى بكل معذرة لا تقبل؛ لأن الشاهد من نفسه لا يقبل الجرح. وعن مجاهد: "المعاذير: الستور"^(١). والمعنى: ولو ألقى الستور عليه حين عصيانه لا يغني عنه شيئاً؛ لأن عليه من نفسه بصيرة. لاحظ قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾^(٢) والمعاذير: اسم جمع كالمناكير؛ لأن قياس جمع المعذرة بدون التاء، وجمع معذار على تفسير مجاهد.

[١٦] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ أي: بالقرآن عند أخذه من جبرائيل. ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾ تحفظ مخافة أن يشذ عنك شيء.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣٣٨/٥). وجامع البيان للطبري (١٨٦/٢٩).

(٢) جزء آية من سورة فصلت، الآية: ٢٢.

[١٧-١٨] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك. ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ وقراءته على لسانك. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ قرأه جبرائيل، والإسناد إليه؛ لأنه سفيره^(١). ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قراءته. أي: اقرأه بعد ذلك.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بيان ما أشكل عليك من معانيه. وعن ابن عباس: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فاستمع لقراءته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢) قراءته على لسانك. كان يستعجل الأخذ من جبرائيل مخافة أن يفوته منه شيء، فنهى عنه^(٣).

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ ردع له عما كان عليه. واستطراذه بين حبي العاجلة المدلول عليه بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، وقوله: ﴿بَلْ تُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾؛ للدلالة على أن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء؟. وفي ﴿تُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ تغليب للمخاطب، كأنه قال: وأنتم يا بني آدم عادتكم العجلة في كل شيء؛ جلبتكم على ذلك. ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٤). فإن قلت: إذا كانت العجلة جبلة في الإنسان، فما معنى الردع في "كلا"؟. قلت: وإن كانت من مقتضى الطبع إلا أنها قابلة للعلاج كسائر الملكات الرديئة. ومن كان^(٥) في أعلى منصب الرسالة لا ينبغي له إلا استئصال شأفة تلك الملكات. وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر تحبون.

(١) "سفيره" ورد في (ح) ٥٥١/ب: سفره.

(٢) "بيان ما أشكل عليك من معانيه. وعن ابن عباس: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فاستمع لقراءته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾" ساقط (ح) ٥٥١/ب.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٢٩/١٩٠-١٩١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٥٠).

(٤) جزء آية من سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٥) "ومن كان" ورد في (ح) ٥٥١/ب: ومن كانت.

[٢١] ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ بالتاء^(١)، وهو أبلغ؛ لأن فيه التفاتاً وإخراجاً له عن صريح الخطاب بحب^(٢) العاجلة، مع الرمز اللطيف اللائق بشأنه ﷺ.

[٢٢-٢٣] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بهيئة عليها أثر السرور. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قصداً، لا إلى غيره، كالمطالب رؤية الهلال، أو إن النظر إلى غيره تعالى كـ "لا نظر" كما تقدم في ذلك الكتاب، أو التقدم^(٣)؛ للاهتمام ورعاية الفاصلة. والحمل على الانتظار موت أكرم كناية عن الرجاء لا يلائم^(٤). روى الترمذي والإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ قال: "أكرم الخلق على الله تعالى من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ الآية" [٣٢٥/ب].

(٥)

(١) "التاء" ورد في الأصل، و(ر) ٤٩٨/ب: بالياء، والمثبت من (ح) ٥٥١/ب.

(٢) "حب" ورد في (ح) ٥٥١/ب: بحسب.

(٣) "التقدم" ورد في (ح) ٥٥٢/أ: التقديس إسقاط (م)، وفي (ر) ٤٩٨/ب: تقدم.

(٤) إيحاء بالرد على المعتزلة في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة حيث خالفوا أهل السنة والجماعة بمقتضى ما فهموه من قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ {جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١٠٣}، وهو مخصص بما ثبت من الأدلة في رؤية المؤمنين لله تعالى في الدار الآخرة، أما من الكتاب قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣} وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ {سورة المطففين، الآية: ١٥}. قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحبون عنه تبارك وتعالى. وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٢/٢).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب منه، (رقم: ٢٤٧٦). وكتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة القيامة (رقم: ٣٢٥٣). وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما (رقم: ٥٠٦٥) بلفظ: عن نوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنته وأزواجه ونعيمه وخدمته وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {سورة القيامة،

[٢٤-٢٥] ﴿وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ عابسة شديدة الكلوح. ﴿تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ الداهية الشديدة، كأنها تكسر فقار الظهر. وإيثار الظن؛ لأنها أنا فأنا تتوقع وترقب أشد مما هي فيه.

[٢٦] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن حب العاجلة، وإيثار الدنيا على الآخرة بذكر ما هو أوعظ شيء للإنسان وهو الموت وأهواله. ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي﴾ الضمير للنفس، وإن لم تتقدم؛ لأن قرينتها "أظهر من نار على علم" (١). ألا ترى أن حاتماً (٢) من بلغاء العرب، وهو الذي لا يشق غباره في قوى الأرواح بحكمة، كما حاز قصب السبق (٣) في مضمار قرى الأشباح بنعمة سلك هذه الطريقة:

الآية: ٢٢-٢٣. وعبد بن حميد بن نصر في مسنده، تحقيق: صبحي البدرى السامرائي - محمود محمد خليل الصعيدي [مكتبة السنة - القاهرة - ١٤٠٨هـ، ط ١] أحاديث ابن عمر (رقم: ٨١٩).

(١) مثل سائر يأتي غالباً مثل: "أوضح من نار على علم" كما جاء في الشعر

كَمْ ذَا تُمُوهُ بِالشَّعْبَيْنِ وَالْعَلَمِ
وَالأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ

أو "أشهر من نار على علم"، ويطلق على الأمر الواضح الذي لا يحتاج إلى دليل. انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر - بيروت - ١٩٩٧م] [٢/٢٠٣-٤/٥٣٢].
وصبح الأعشى للقلقشندي (١١/٣٦٠). وخزانة الأدب للبغدادي (٢/٤٢٤).

(٢) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي - وابنه عدي بن حاتم الطائي الصحابي الجليل - من أهل نجد، شاعر جاهلي، فارس جواد، يضرب المثل بجوده، زار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) سنة ٤٦ ق. هـ/٥٧٧م. انظر: آل الجرباء في التاريخ والأدب لابن عقيل الظاهري (١/٢٤). والأعلام للزركلي (٢/١٥١).

(٣) كانت العرب تخاطر على سباق خيلها، وتسمي ما تجعله للسوابق خصلاً، ورهاناً، وتضعه في طرف الغاية التي تجري إليها، على رأس قصب من قصب الرماح. وهو قولهم في المثل: حاز قصب السبق. والآن يضرب هذا المثل أن توضع قصبه في نهاية السباق، فمن سبق إليها يقال له: "حاز قصب السبق". انظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري [مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - ١٩٩٧م] [١/٣٢]. ولسان العرب لابن منظور

أماويُّ ما يُغني الثراء من الفتي... إذا حَشْرَجَتْ^(١) يوماً وَضاقَ بِها الصَدْرُ^(٢)

ويخاطب ماوية بنت عقر^(٣) وكانت ملكة تحت حاتم. والتراقي: العظام المتداخلة عن يمين النحر وشماله.

[٢٧-٢٨] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ القائل الأحباب والخلان بعضهم لبعض من يرقيه منكم لعل أن يكون ببركة الرقية نجاة. وهذا إنما يقال عند اليأس وعجز الأطباء. وقرأ حفص بسكتة لطيفة على "من"؛ للدلالة على أن الإدغام فيه غير لازم، وخلاصاً من ثقل التقارب. ﴿وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: ظن الحاضر أنه الفراق الحقيقي.

(١/٦٧٧). و النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٤/٦٧). وأصبح يقال لكل من تقدم وبرع في شيء "حاز قصب السبق في كذا".

(١) في (ح) ٥٥٢/أ: إذا خرجت.

(٢) البيت لحاتم الطائي من الطويل، وفي الأصل (نفس) بدلاً من (يوماً).

أماويُّ ما يُغني الثراء من الفتي إذا حَشْرَجَتْ نفسٌ وَضاقَ بِها الصَدْرُ

الحشرجة: تردد صوت النفس، وهو الغرغرة في الصدر. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٢/١٠٣٤). ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/٦٦٤). والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥م] (٢/٨٦).

وقد ساق المؤلف الشاهد؛ ليستدل به على ما جاء في الآية الكريمة.... من جواز حذف القرينة، إذ الضمير في "حشرجت" للنفس وإن لم تتقدم، وقرينتها معنوية؛ لأننا ندرك أنه لا يُحَشْرَجُ إلا النفس ولا يبلغ التراقي أيضاً إلا النفس.

(٣) هي: ماوية بنت عقر، كانت ملكة لا تتزوج إلا من أرادت، فبعثت غلماناً لها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة فجاؤوها بجاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش. فقال: لا، حتى يحضر صاحبان لي، ثم فرّ عنها حاتم ولم يقرها، وبعد فترة من الزمن جاءها فخطبها وتزوجها وأنجبت له عدياً. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ص ١٤٦). وجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [دار المعرفة - بيروت] (ص ٣٣٢).

[٢٩] ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ من شدة الألم وسقوط القوى مع خوف المال. بعض المشايخ جزع جزعاً شديداً عند الموت. قال^(١) بعض أصحابه على ما هذا الجزع قال: "يا رب باب^(٢) أدقه^(٣) سبعين سنة الآن يفتح ولا أدري ما وراءه"^(٤).

[٣٠] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ لا إلى غيره وهو عليم بذات الصدور. وقد علمتم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة فكيف تؤثرن الحياة الدنيا على الآخرة؟.

[٣١-٣٢] ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ أي: الإنسان الحاسب ﴿أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^(٥) لا صدق بقلب، ولا أتى بالأعمال المصدقة لعقد القلب. وعبر عنها بالصلاة؛ لأنها رئيسة العبادات^(٦). أو لا يصدق بما له يقال^(٧) صدقاً إذا أعطى الصدقة. ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الطاعة.

(١) "قال" (ح) ٥٥٢/أ و (ر) ٤٩٨/ب: قاله.

(٢) "باب" ساقط من الأصل ٣٣٦/أ و (ح) ٥٥٢/أ.

(٣) "أدقه" ورد في (ح) ٥٥٢/أ: أدقه.

(٤) أورد أبو بكر الكلاباذي البخاري نحوه ونصه: سمعت منصور يقول: كنت عند أحمد بن حنبل وقد احتضر، فتقدم بعض تلاميذه فسأله عن مسألة، ففتح عينيه وهما تذرغان بالدموع فقال: يا بني باب كنت أدقه منذ خمسة وتسعين سنة الآن يفتح لي، فلا أدري أبشّر بالسعادة أم بالشقاوة؟، ثم التفت عن يمينه ويساره فإذا غرماؤه جلوس، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنك جعلت الرهائن توثقة لأرباب الأموال في الدنيا وأنا رهن بين أظهرهم، فإن كنت تريد أخذ الرهن منهم فأدّ إليهم حقوقهم. فإذا داق يدق الباب ففتحوا فإذا رجل على بغلة ومعه جراب، فنزل فدخل وقال: أين غرماؤ أحمد؟ فقالوا: نحن. فأدى إلينا ما كان عليه، وخرج. انظر: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار لأبي بكر الكلاباذي البخاري [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٠هـ، ط: الأولى] (٥٨/١).

(٥) جزء آية من سورة القيامة، الآية: ٣.

(٦) "العبادات" ورد في (ر) ٤٩٩/أ: العباد.

(٧) "بما له يقال" ورد في (ح) ٥٥٢/أ: بما له يعال.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمَاطِي﴾ يتبختر ذاهباً إلى أهله مفتخراً بما فعل من التكذيب والتولي، من غاية جهله يعتقد أن أشنع المثالب أرفع المناقب.

[٣٥-٣٤] ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ أي: أولاك ما تكرهه فأولاك مرة بعد أخرى. واللام مثل اللام في ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾^(١). وقيل: أفعل من الويل بعد القلب. ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ أبلغ فأبلغ.

[٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملًا لا جزاء ولا حساب. أي: لا يكون ما حسب؛ لأن فيه بطلان الحكمة.

[٣٧-٣٩] ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ قرأ حفص بالتذكير. والضمير للمني. ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فقدّره وعدله ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين الذكْرَ وَالْأُنْثَى.

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ الصانع. روى أبو داود عن موسى بن أبي عائشة^(٢) أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: "سبحانك بلى"^(٣).

(١) جزء آية من سورة النمل، الآية: ٧٢.

(٢) هو: موسى بن أبي عائشة الهمداني، أبو الحسن الكوفي، مولى آل جعدة بن هبيرة المخزومي، من صغار التابعين، أحد العلماء العابدين، حدث عن سعيد بن جبير وعبد الله بن شداد وعدة، وعنه شعبة وسفيان وزائدة وآخرون، وثقه ابن عيينة، وقال جرير بن عبد الحميد: كنت إذا رأيتك ذكرت الله، وقال القطان: كان يحسن سفيان الثناء عليه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٠/٦). وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (٣٩١/١). والتاريخ الكبير للبخاري (٢٨٩/٧).

(٣) أخرجه أبو دود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (رقم: ٧٥٠) بلفظ: عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ {سورة القيامة، الآية: ٤٠} قَالَ: سُبْحَانَكَ فَبَكَى، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب الرجل يدعو ويسمي في دعائه (٤٠٥١).

تمت، والحمد لله على إنعامه، والصلاة على محمد، وآله وصحبه.

سورة الإنسان

مكية، وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ هل بمعنى قد مع الاستفهام أي: أقد. كقوله:

أَهْلَ رَأُونَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ^(١)

والمعنى: على التقرير والتقريب. ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة من الزمن الممتد غير المحدود. ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾^(٢) شيئاً يعتد به ويُذكر، بل متقلّباً في الأطوار: نطفة وعلقة ومضغة. والمراد به بنوا آدم؛ لقوله تعالى:

(١) البيت لزيد الخليل الطائي من البسيط، وصدوره:

سَائِلِ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدَّتِنَا
أَهْلَ رَأُونَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ

الأكمة: تلّ من قفّ، وهو من حجر واحد، ويربوع: اسم لقبيلة باليمامة. انظر: خزانة الأدب للبغدادي (١/٤٦٠) - (١٧٢/٤). ومغني اللبيب عن كتب الأعراب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله [دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥، ط ٦] (١/٤٦٠). وهم الهوامع للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي [المكتبة التوفيقية - مصر] (٢/٦٠٩). والشاهد فيه: خروج الاستفهام إلى معنى التوكيد والتقريب، أي: قد أتى...

(٢) هذه الجملة من الآية تحتمل المعنى وضده: إذ يحتمل أنه لم يكن شيئاً، ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً. انظر: البحر المحیط لأبي حيان (٨/٣٩٣). ومعاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني [مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة - ١٤٠٨هـ، ط ١] (٣/٢١٣).

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ فالمعرفة عين الأولى، وفي إثثار المظهر فضل تقرير. وقيل: الأول: آدم، والثاني: بنوه. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ جمع مشيخ، كأيتام في يتيم. لأن ماء الرجل والمرأة كل منهما مختلف الأجزاء رقة وقواماً وخواصاً، وما يصلح مادة جزء منه لا يصلح لآخر. وعن أبي مسعود^(١) رضي الله عنه: "عروق النطفة". وعن قتادة: "أمشاج: ألوان وأطوار". وقيل: لفظه جمع ومعناه مفرد كـ(بُرْمَةٌ أعشار^(٢) و بُرْدٌ أكباش^(٣)). ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ حال مقدرة. أي: مقدرين ومريدين ابتلاءه، أو ناقلين له من حال إلى حال، فالابتلاء مستعار؛ لأن في كل طور يظهر ظهوراً آخر كظهور المتحن، وقيل: على التقديم والتأخير أي: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ نبتليه، وفيه تكلف؛ لوجود الفاء. وتخصيص السمع والبصر؛ لأنهما أعظم الحواس، وبهما يتلقى الأوامر ويشاهد المعجزات.

(١) "أبي مسعود" ورد في (ح) ٥٥٢/ب: ابن مسعود. أبو مسعود هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري، من بني الحارث بن الخزرج، مشهور بكنيته ويعرف بأبي مسعود البديري؛ لأنه رضي الله عنه كان يسكن بديراً. قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: إنه لم يشهد بديراً، وهو قول ابن إسحاق. توفي سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. قيل: مات أيام علي رضي الله عنهما، وقيل: بل كانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٠٧٥/٣). والإصابة لابن حجر (٥٢٤/٤). والطبقات لابن خياط (ص ٩٦).

(٢) تطلق هذه العبارة على القصة إذا كانت مكسرة. انظر: خزنة الأدب للبغدادي (٢٣٣/١). وديوان المعاني للعسكري (٢٢٢/١). وقد ورد في عجز بيت لجرير يهجو به الفرزدق. قال جرير:
بكي صداه إذا تهرمَ مرجلٌ أو إن تفلق برمة أعشارُ.

انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير الكاتب (٢٨٦/١-٣٨٢/٢). ومنتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك أبو غالب بن ميمون، تحقيق: محمد نبيل طريقي [دار صادر- لبنان- ١٩٩٩م] (١٨٨/١). والمزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي (١٠٨/٢). والخصائص لابن جني (٤٨٢/٢).

(٣) هو: نوع من البرود اليمانية رديفة النسج. انظر: المزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي (١٠٨/٢). والخصائص لابن جني (٤٨٢/٢). والشاهد فيه "أعشار" و"أكباش" لفظ جمع بمعنى المفرد.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ بإنزال الآيات ونصب الأدلة. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا﴾ حال من الهاء. أي: هديناه في حاله؛ لثلا يكون للكفر حجة. ومقابلة الشاكر بالكفور؛ إشارة إلى غلبة الكفران على الإنسان.

[٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تأخر الكفور؛ لأن الإنذار أهم، ﴿٣٣/١﴾ وليكون فتح الكلام وختمه مع المؤمنين. قرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام: "سلاسلًا" منوناً؛ ليناسب "أغلالاً". وحمزة وقنبل: بإسكان اللام في الوقف، وكذا حفص وابن ذكوان والبري في وجه؛ لمنعها من الصرف.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ جمع برّ، كأرباب جمع ربّ. ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ هو الزجاج مادام فيه الخمر، ويطلق على الخمر وهو المراد؛ لقوله: ﴿كَانَ مَزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: ماء كافور وهو عين في الجنة، وقيل: نخلق فيه رائحة الكافور وبرده، وقيل: يمزج خمرهم بالكافور.

[٦] ﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾^(١) على الأول، وعلى الآخرين من محلّ ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾^(٢) على تقدير مضاف كأنه قيل: يشربون خمرًا خمر عين، أو نصب على الاختصاص. ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ المقربون. أي: يمزجون الخمر بمائها. كقوله: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾^(٣). هذا إن جعل "كَافُورًا" اسم عين. والألف والباء مزيدة. ﴿يَفْجَرُونَهَا﴾ حيث شاؤا من منازلهم. ﴿تَفْجِيرًا﴾ سهلاً بلا تعب.

(١) جزء آية من سورة الإنسان، الآية: ٥.

(٢) جزء آية من سورة الإنسان، الآية: ٥.

(٣) جزء آية من سورة المطففين، الآية: ٢٧.

[٧] ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ استئناف لما عسى أن يسأل: لماذا كان ذلك الإكرام؟. وتبه بذكر النذر على أنهم في واجبات الله أسعى وأوفى. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا أقصى ما يمكن من الانتشار. من استطار الفجر.

[٨] ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: حب الطعام والاحتياج؛ لقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١)، وقيل: على حب الله. وفي قوله: "لوجه الله" غنية عن هذا. ﴿مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ مدح لهم على اختيار موضع الصدقة، فإنها كالبذر لا تنبت إلا في أرض طيبة. ويدخل في الأسير: المسلم والكافر والغريم والمملوك. وفي الحديث: ((غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك))^(٢). وكان يؤتى بالأسير إلى رسول الله فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول: ((أحسن إليه))^(٣)

[٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ يقولونه بلسان الحال، أو بلسان المقال؛ منعاً لمن أحسنوا إليه عن المكافآت والثناء. ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ تأكيد للأولى.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا﴾ عذاب يوم. أي: إنما أردنا بالإطعام وجه الله؛ لأننا نخاف جزاء ذلك اليوم، ومن خاف ذلك لازم الإخلاص، أو لم نرد منكم على الصدقة مكافأة^(٤)؛ خوفاً من عقاب الله على طلب المكافأة^(١). ﴿عَبُوسًا قَمَطِرًا﴾ شديد العبوس. من

(١) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) وجدته بهذا اللفظ في كتب التفسير فقط. انظر: الكشاف للزخشري (١٩٨/٧). وتفسير أبي السعود (٤٢١/٦)، وأخرجه أبو داود، كتاب الأفضية، باب الحبس في الدين وغيره، (رقم: ٣١٤٥) بلفظ: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِغَرِيمٍ لِي فَقَالَ لِي: الزَّمَهُ ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِأَسِيرِكَ)). وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب الحبس في الدين والملازمة (رقم: ٢٤١٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور [المكتب الإسلامي - بيروت/عمان - ١٤٠٥هـ، ط ١] باب من اسمه حسين (رقم: ٤٠٩). بلفظ: "عن أبي عزيز بن عمير بن أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول ﷺ: استوصوا بالأسارى خيراً...". والمعجم الكبير للطبراني (رقم: ٩٧٧).

(٤) "المكافأة" ورد في (ر) ٤٩٩/ب: مكافآت.

القطر والميم مزيدة يقال: "جمع فلان قطرته إذا اشتد تغيره مغضباً". إما مجاز حكيم وصف* بوصف أهله؛ لما في الحديث: ((إِنَّ الْكَافِرَ يَعْبَسُ^(٢) حَتَّى يَسِيلَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ شِبْهُ^(٣) الْقَطْرَانِ))^(٤)، أو استعارة بالكناية، شُبِّهَ بِالْأَسَدِ الْعَبُوسِ فِي ضِرَاوَتِهِ.

[١١] ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ لما قدموا له من البر. ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ بهجة في وجوههم. ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلبهم.

[١٢] ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ لِيَأْكُلُوا الْهَنِيءَ^(٥)، ويلبسوا البهي. وما نقلوه عن علي لا يصح؛ لأن السورة مكية^(٦).

[١٣] ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على هيئة^(٧) المترفين. نصب على الحال. ﴿وَلَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لا حر ولا برد؛ لاعتدال الهواء. وعن ثعلب^(٨) الزمهرير: القمر بلغة طي^(٩). وأنشد:

(١) "المكافأة" ورد في (ر) ٤٩٩/ب: مكافآت.

(٢) "يعبس" ورد في (ح) ٥٥٣/أ: يعثر.

(٣) "شبه" ساقط من (ح) ٥٥٣/أ.

(٤) قال ابن جرير: عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ {سورة الإنسان، الآية: ١٠} قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. انظر: جامع البيان للطبري (٢٩/٢١١). وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٦).

(٥) "الهناء" ورد في (ح) ٥٥٣/أ: الهنيء به.

(٦) خالف أغلب المفسرين المصنف، ومنهم الطبري والزمخشري إذ جزما بمدنية سورة الإنسان. انظر: جامع البيان للطبري (٢٩/٢٠١). والكشاف للزمخشري (٤/٦٦٦).

(٧) "هيئة" في (ح) ٥٥٣/أ: هيأته.

(٨) هو: العلامة المحدث، شيخ اللغة العربية، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني ثعلب مولاها، البغدادي، صاحب الفصيح وغيره. قال الخطيب: كان ثعلب حجة ديناً وصالحاً مشهوراً بالحفظ. توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين

قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ^(٢) وَكَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَرَ

والمعنى: لا احتياج إلى الشمس والقمر؛ لضياء الهواء.

[١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ عطف على الجملة الحالية؛ لأنها في تأويل المفرد، والواو؛ للدلالة على اجتماع الأمرين لهم. كأنه قيل: جامعين في الجنة بين البعد عن الحرِّ، ودنو الظلال عليهم. ويجوز أن يجعل "متكئين" وما بعده صفات لـ "جنة" على مذهب من لا يوجب إبراز الضمير في صفة جرت على غير من هي له؛ لكون "متكئين" كذلك، أو عطف على "جنة" على أنهم وعدوا جنتين كقوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٣) ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ أي: لا تمتنع على القطاف، بل يقطفون كما شاءوا. عطف على دانية. وإيثار الفعلية لقصد التجدد؛ لأن القطوف بحسب الحاجة. أو صفة مثلها، أو حال من ضميرها.

[١٥-١٦] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أباريق بلا عرى. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ القارورة: ما يكون من الزجاج، استعيرت لما كان من فضة بجامع الصفاء والشفيف فجاءت حسنة بديعة. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص:

من المهجرة. انظر: الوفيات لمحمد بن رافع السلامي أبو المعالي، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٢، ط ١] (٦/١). وطبقات الحفاظ للسيوطي (٥٧/١). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٦٦٦/٢).

(١) ذكر هذا الزمخشري بقوله: وقيل: الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد:

وَكَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَرَ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ

المعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس أو قمر. انظر: الكشاف للزمخشري (٦٧١/٤).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي (١١٦/١). وتفسير القرطبي (١٣٨/١٩). ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٨/١). الشاهد فيه قوله: (... والزمهرير ما زهر) أي: القمر ما ظهر، مستدلاً بلغة طيء على أن الزمهرير هو القمر، وبذلك يكون معنى الآية عند ثعلب: لا يرون فيها شمساً ولا قمرًا.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

قواريرا. الأول غير منون، ووقف عليه حمزة بدون ألف، وهم مع ابن كثير الثاني أيضاً، ووقفوا بلا ألف سوى هشام. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ صفة قوارير. أي: جاءت على مقدار صورها في أنفسهم، أو قدروها بأعمالهم الصالحة، أو الضمير للطائعين، والمعنى: قدروا الشراب الذي فيها على قدر الرِّيِّ^(١) وهو ألد للشارب.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾؛ لأنَّ العرب تستلذ طعمه. قال الأَعشى^(٢):

كَأَنَّ الْقَرْنُفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ... بَأْتِنَا^(٣) بِهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا^(٤)

(١) "الرِّيِّ" ورد في (ر) ٥٠٠/أ: الرأي.

(٢) هو: ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، ولقب بالأعشى؛ لضعف بصره. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، كان يُعْتَبَرُ بشعره فسَمِّيَ "صناجة العرب، عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، وفد إلى مكة يريد النبي ﷺ ومدحه بقصيدته التي أولها:

أَلَمْ تَعْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

فلقيه أبو سفيان بن حرب فجمع له مائة من الإبل ورده، فلما صار بقم منفوحة رمى به بعيره فقتله في السنة السابعة من الهجرة (٦٢٨م). انظر: معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: عبد الستار فراج [دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- ١٩٦٠م] (١/١٠١). والإكمال لابن ماكولا (١/٣٢٠).

(٣) "بأتنا" هكذا ورد في الأصل، وورد في (ح) ٥٥٣/ب: بانيا، و (ر) ٥٠٠/ب: جانبا.

(٤) هذا البيت للأعشى، من المتقارب. ورد باختلاف في اللفظ:

كَأَنَّ الْقَرْنُفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا

انظر: الحب والمحجوب والمشموم والمشروب للسري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء، تحقيق: مصباح غلاونجي [مجمع اللغة العربية- دمشق] (١/٩٥). والعين للخليل بن أحمد (٢/١٠). والمخصص لابن سيده (٣/٤٤٧). أتى بالشاهد هنا؛ ليؤكد على أن الشراب المزوج بالزنجبيل مما تستسيغه النفوس وتتلذذ به.

وعن قتادة: يمزج [٢٢٦/ت] لهم تارة بالكافور البارد، وأخرى بالزنجبيل الحار؛ ليعتدل الأمر.

[١٨] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ بدل من زنجبيل. وقيل: يخلق الله تعالى طعمه فيها. وقيل: يمزج بالزنجبيل. وعلى الوجهين "عيناً" بدل من "كأس". والسلسيل كالسلسل والسلسال: سهل الانحدار، أي: وإن كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذعه^(١). ولإرادة المبالغة جيء به خماسياً. وقيل: أصله سل سبيلاً سمي به؛ لأنه لا يشرب منها إلا من يسأل السبيل إليها بالعمل الصالح، وفيه تكلف وفوات المبالغة بالوصف.

[١٩-٢٠] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ في الحسن وصفاء اللون، والتفرق في المجالس، وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض، أو كأنهم لؤلؤ نثر من صدفة طرياً. من تشبيه المفرد.

[٢١] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ لم يقدر له مفعول. والمعنى: إذا كنت ذا بصر هناك. ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً، حيث وقع بصرك. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أدنى أهل الجنة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه))^(٢). وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ((إن آخر أهل الجنة دخولاً، له مثل الدنيا عشر مرات))^(٣).

(١) ورد في جميع النسخ: لذغه بالغين المعجمة. ولعل الصواب ما أثبتناه. ذكر نحو هذا الرازي بقوله: قال الزجاج: السلسيل في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. والفائدة في ذكر السلسيل هو أن ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل، وليس فيه لذعة؛ لأن نقيض اللذع هو السلاسة. انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٢١/٣٠).

(٢) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمر، (٤٣٩٥). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب تفسير سورة القيامة (رقم: ٣٨٨٠). وأبو يعلى في مسنده، تابع مسند ابن عمر (رقم: ٥٧٢٩).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري بلفظ: "إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار رجلٌ يخرج حبواً فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ذلك ثلاث مرات فكل ذلك يُعيد عليه

[٢١] ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ "عاليهم" نصب على الحال، إما من الجرور في "عاليهم" أو المنصوب في "حسبتهم"، أو "لقاهم" أو "جزاهم". وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على أنه مبتدأ مفرد في معنى الجمع. كـ "دائر القوم" و ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾^(١). و"ثياب سندس" خبره ﴿خُضْرٌ﴾ بالجر صفة "سندس". وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص بالرفع صفة "ثياب"، و﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجر عطف على^(٢) "سُنْدُسٍ". ورفع نافع، وابن كثير، وعاصم عطفاً على "ثِيَابٌ". والسندس: ما رقّ من الحرير. والاستبرق: ما غلظ، معرّب استبرك. عن ابن عباس رضي الله عنه: "كما ترى الرجل يكون عليه الثياب يعلوها الأفضل". ويجوز أن يكون الاستبرق: بطانة؛ لقوله: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(٣) ﴿وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ولا ينافيه قوله: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(٤)؛ لاحتمال الجمع والمعاقبة. وقيل: الفضة للأبرار، والذهب للمقربين^(٥). ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ طهر باطنهم عن الغل والحسد، كما زين ظاهرهم بالثياب والحلي. وقيل: هذا نوع آخر فوق الأول؛ ولذلك أسنده إلى ذاته ووصفه بالطهور، فإنه يذهب عن خاطرهم، سوى الاستغراق بمطالعة جماله. وهذا نهاية درجاتهم؛ ولذلك ختم به حديث السؤال.

الْحِجَّةُ مَلَأَى فَيَقُولُ إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَارٍ" كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، (رقم: ٦٩٥٧). ومسلم، كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا (ج: ١٨٦).

(١) جزء آية من سورة المؤمنين، الآية: ٦٧.

(٢) "على" ساقط (ح) ٥٥٣/ب.

(٣) جزء آية من سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

(٤) جزء آية من سورة الكهف، الآية: ٣١، جزء آية من سورة الحج، الآية: ٢٣، جزء آية من سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٥) قال الكلبي في تفسيره: فإن قيل: كيف قال: أساور من فضة، وفي موضع آخر أساور من ذهب؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة. قال رسول الله ﷺ: ((جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما)) فلعل الذهب للمقربين والفضة لأهل اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٤/١٦٩).

[٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ على أعمالكم. والمشار إليه الثواب المذكور. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ مجاز عن الاعتداد به. وفائدة هذا القول: إبراز الفضل في صورة الأجر المستحق، إخراجاً له عن صورة الممنون به.

[٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ كرر الضمير، وأكد به ﴿إِنَّا﴾ مع إيثار التنزيل الدال على التفريق الذي هو مقتضى الحكمة؛ ليدل^(١) على أن قوله:

[٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ صادر عن حكمة بالغة، وأن تأخير نصره لما فيه من الحكم الخفية. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: كل واحد منهما؛ ولذلك آثر "أو" لثلا يتوهم الجمع. وهم وإن كانوا كلهم كفرة إلا أن منهم من كان يدعو إلى الإثم، ومنهم من يدعو إلى الكفر. وقيل الآثم: عتبه^(٢)، والكفور: الوليد؛ لأن ذلك كان غالباً في الفسوق، وهذا في الكفر.

[٢٥] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ طرفي النهار؛ لتنال^(٣) به حلاوة تذهب عنك مرارة الصبر. وخصّ طرفي النهار؛ لشرفهما. وقيل: داوم على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإن الأصيل يتناولهما.

[٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعض الليل. ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ فإنه وقت الاقتراب إليه؛ لدنو رحمته، وخلو الوقت للمناجاة. وقيل: صلاتي المغرب والعشاء. ويؤيده: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أي: نزهه، أو صلّ له تطوعاً.

(١) "ليدل" ورد في (ح) ٥٥٣/ب: لتدل.

(٢) بحث عنه ولم أجد ترجمته.

(٣) "لتنال" ورد في (ح) ٥٥٣/ب: لينال.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعار له الثقل من

الجملة، والمراد: شدته.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسر: الربط الوثيق بالأسار. والمراد:

توصيل عظامهم بعضها مع بعض^(١)، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أهلكتناهم وأنشأناهم نشأة أخرى. فالتبديل في الصفات؛ لأن المعاد هو المبتدأ. أو بدلنا مكانهم قوماً آخرين كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾^(٢). و"إذا" مع أن ذلك أمر فرضي؛ للدلالة على تمام الاقتدار.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ السورة والآيات القرية. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

موصلاً إليه تقرب بالطاعة إليه^(٣).

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئكم؛ لأن المفعول المحذوف وهو ما دل

عليه المذكور كقولك: لو شئت لقتلت زيداً أي: ولو شئت قتله. وفي إثبات المشيئتين بطلان الجبر^(٤) والاعتزال^(١) ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ﴾ [٣٠٧/١] الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ^(٢). وقرأ نافع

(١) "بعض" ساقط من (ح) ٥٥٤/أ.

(٢) جزء آية من سورة النساء، الآية: ١٣٣.

(٣) "إليه" ساقط من (ح) ٥٥٤/أ.

(٤) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية: غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار ولا فعل، كالريشة في مهب الرياح، وإنما تستند الأفعال إليه مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق، كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الرياح، ونزل المطر، فأنهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، وأنهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألساء ما يحكمون. انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ١٤١٣هـ، ط ١] (ص ٣١٢). والملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني [دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤] (١/١)

والكوفيون: ﴿تَشَاءُونَ﴾ بالخطاب. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكنه الأشياء ﴿حَكِيمًا﴾ لا يشاء إلا ما اقتضته الحكمة.

[٣١] ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ نصب "الظالمين" على شريطة التفسير بما يلائم المفسر. نحو: أوعد وكافأ.

تمت سورة الإنسان، والحمد للواحد المنان، والصلاة على صفوة الإنسان، وآله وصحبه إلى آخر الزمان.

٨٥). واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢] (ص ٦٨).

(١) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الذي خالف في حكم الفاسق من أمة محمد ﷺ فجعله في منزلة بين المنزلتين، فلما سمع الحسن البصري بدعته، طرده من مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري المسجد، وانضم إليه قرينه في الضلال عمرو بن عبيد فقال الناس: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، فسموا معتزلة ثم صاروا فرقة كثيرة، ويجمعها في بدعتها أمور منها: ١- القول بنفي صفات الباري، ٢- القول بخلق القرآن، ٣- القول بالقدر، ٤- القول بالمنزلة بين المنزلتين. انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور [دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧، ط ٢] (١٥- ٧٨ - ١٣٧). والملل والنحل للشهرستاني (١/٤٣ - ٧٨). والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: بسام علي سلامة العموش [مكتبة المنار- الأردن- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط ١] (٤٩ - ٦٣).

(٢) جزء آية من سورة الأحزاب، الآية: ٤.

سورة المرسلات

مكية، وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ أقسم بطوائف من الملائكة^(١) أرسلهنّ لإمضاء أوامره، حال كونها كعرف الفرس في الاجتماع والتتابع.

[٢] ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يعصفن عصف الرياح مبادرة إلى امتثال أمره. أو العرف ضدّ النكرة، مفعول له أي: المرسلة لإنقاذ الأنبياء وإهلاك الكفار، نعمة لأولئك ونقمة لهؤلاء.

[٣-٤] ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ نشرن أجنحتهن في الجوّ نازلين بالوحي، أو ناشرين الشرائع، أو النفوس الموتى بأفة الجهل. ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾ بين الحقّ والباطل.

[٥] ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ وحيّاً إلى الأنبياء. فإن قلت: الإلقاء مقدّم على الفرق^(٢) فما وجه العطف بالفاء؟ قلت: الإلقاء^(٣) مقدّم على العلم بالفرق لا عليه. وقيل: على تقدير الإرادة. أو أقسم برياح أرسلت للعذاب متتابعة عاصفات، وبأخرى^(٤) نشرن السحاب في

(١) "الملائكة" ساقط من (ر) ٥٠٠/ب.

(٢) "على الفرق" ورد في ٥٠١/أ: على علم الفرق (بزيادة كلمة علم).

(٣) "الإلقاء مقدم فما وجه العطف بالفاء؟ قلت: الإلقاء" ساقط من (ر) ٥٠٠/ب.

(٤) "وبأخرى" ورد في الأصل و (ح) ٥٥٤/ب: وما جرى، والمثبت من (ر) ٥٠٠/ب.

الجوّ ففرقن بينه كقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾^(١). أو نشرن الموتى ففرقن بين المؤمن القائل: مطرنا بفضل الله تعالى، والكافر القائل: بالأنواء"^(٢). وإلقاء الذكر منها؛ لكونها سبباً له إذا شكرت النعمة.

[٦] ﴿عُذْرًا﴾ مصدر عذّر: محى الإساءة. ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ اسم مصدر هو الإنذار، أو مصدر نذّر بمعنى أُنذِر. أو جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير. وانتصاهما^(٣) على العلية، أي: ﴿عُذْرًا﴾ للمحققين، أو ﴿نُذْرًا﴾ للمبطلين^(٤). و﴿أَوْ﴾ للتنويع لا الترديد، أو البديل^(٥) من "ذِكْرًا". و يجوز أن يكونا بمعنى العاذر والمنذر فالنصب على الحال. وقرأ أبو عمرو، وحمزة والكسائي، وحفص: "نذراً" بالتخفيف.

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة، وهو قيام الساعة.

[٨-١٠] ﴿فَإِذَا تُجُومُ طُمِسَتْ﴾ محيت وأعدمت، أو أُذْهِبَ نورُها. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ فُتِحَتْ، فكانت أبواباً. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ نسف الحبّ والرمل، فكانت كثيباً مهيلاً. وأصله القلع بسرعة.

[١١] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَّتْ﴾ بلغت وقتها الموعود وهو وقت الحضور للشهادة على الأمم. وقرأ أبو عمرو بالواو وهو الأصل؛ لأنه من الوقت إلا أنّ الرسم على الهمزة؛ لأنه وإن كان أثقل من الواو، إلا أنّ الضمّ عليه أخفّ منه على الواو.

(١) جزء آية من سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (رقم: ٨٠١). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (رقم: ٧١).

(٣) "انتصاهما" ورد في الأصل ٣٣٧/ب: وانتصاهما، والمنتب من (ح) ٥٥٤/ب، و (ر) ٥٠١/أ.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣٥٨/٥).

(٥) "البديل من ذكراً" ورد في (ح) ٥٥٤/ب: أول من ذكراً.

[١٢-١٣] ﴿لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ الرسل ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بيان ليوم التأجيل.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بالغ في تهويله بإهمامه أولاً، ثم بيانه بأنه يوم الحكم والقضاء، ثم هوّل شأنه بأنك لم تحط علماً بكنه ذلك.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الويل: الهلاك. أصله النصب على المصدر لغير فعله؛ لعدم استعماله، والعدول إلى الرفع؛ لكونه أبلغ في الدعاء؛ لدلالته على الدوام.

[١٦-١٨] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ من تقدّم كفار مكة من الأمم المكذبة. ﴿ثُمَّ تُبْعَهُمُ الْآخِرِينَ﴾ نحن نتبع أولئك في الإهلاك أهل مكة. ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكلّ مجرم في كلّ عصر.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: يوم إهلاكهم فليس فيه تكرير؛ لأنّ الأول لعذاب الآخرة، وهذا لعذاب الدنيا. مع أنّ التكرير للتهويل له موقع حسن.

[٢٠-٢٢] ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ هي النطفة القدرة ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم، تفصيل لكيفية الخلق ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ له تعالى وهو وقت الولادة^(١).

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك^(٢) ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن على الإعادة. وقرأ نافع والكسائي: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد. إلى ذلك المولود شقياً أو سعيداً، إلى غير ذلك من حال النطفة علقه، ومضغة، وعظاماً. و﴿فَقَدَرْنَا﴾ بمعنى مقدرّون. من قدرّت الشيء أقدره. قال الشاعر:

(١) "الولادة" ورد في الأصل: الولاد، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) "على ذلك" ساقط من (ر) ٥٠١/أ.

وقد قدر الرحمن ما هو قادر^(١)

وهذا أوفق؛ لقوله: ﴿مَنْ نُطِفَةَ خَلْقَهُ فَقَدَرَهُ﴾^(٢)، ولأنَّ حديث القدرة قد تم في قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾^(٣)؛ لكون الاستفهام للتقرير.

[٢٤-٢٥] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿ اسم لما يكفت أي: يجمع، كضمَام^(٤) اسم لما يضم، أو مصدر نعت به، لا جمع كافت، كصيَام في صائم؛ لإسناده إلى ضمير الأرض.

[٢٦] ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ نكَّرهما؛ لأنَّ أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات. ولا ينافيه التفخيم؛ لدلالته على كثرة لا تحصى. وانتصاهما على المفعولية أو الحالية من مفعوله المحذوف.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ جبلاً ثوابت طوالاً. والتنكير للتعظيم، أو التبعية؛ لكون بعض الجبال في السماء لقوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾^(١). ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ عذباً و أيّ عذب.

(١) عجز بيت لإياس بن مالك بن عبد الله الطائي، تمامه:

كَلَّا تَقْلِينَا طَامِعٍ فِي غَنِيمَةٍ وَقَدَّ قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ

أي مُقَدَّرٌ. انظر: الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري (١/٦١). وديوان الحماسة للتبريزي [دار القلم - بيروت] (١/٢٣٥). والصحاح في اللغة للجوهري مادة "قدر". والشاهد فيه (قدر... قادر). بمعنى مُقَدَّرٌ. وجه الشاهد: أتى به المؤلف؛ ليستدل على أن قوله فقدرنا بالتخفيف من التقدير الذي لا يدل عليه إلا قَدَرْنَا بالتشديد، ولكن العرب قد تجمع بين اللغتين. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "قدر" (٥/٧٨).

(٢) جزء آية من سورة عبس، الآية: ١٩.

(٣) سورة الرسالات، الآية: ٢٠.

(٤) "كضمَام" ورد في الأصل و (ح) ٥٥٤/ب: كالضمَام، والمثبت من (ر) ٥٠١/أ.

[٢٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بامثال هذه النعم.

[٢٩] ﴿انْطَلِقُوا﴾ على تقدير القول ﴿إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب.

[٣٠] ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ من حرِّ الشمس ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ يحيط بهم من فوقهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم^(٢).

[٣١] ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ [ب/٣٣٧] تهكم بهم، وردّ لما أوهم لفظ الظلّ. ﴿وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ وغير مغنٍ من الحرِّ كقوله: ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾^(٣)، وهذا الظل: هو الدخان الذي هو سرادق النار. ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٤) يقفون فيه إلى الفراغ من الحساب، بدل وقوف المؤمنين في ظلّ عرش الله.

[٣٢-٣٣] ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ في العظم ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ جمع جمال، أو "جمالة" جمع حمل. شبهت أولاً بالقصور ثم بالجمال، فإنّ العرب تشبه الإبل بالقصور. قال:

كما طَيَّنَتْ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا^(٥)

(١) جزء آية من سورة النور، الآية: ٤٣.

(٢) "وعن شمائلهم" ورد في ٥٠١/ب: ومن شمائلهم.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٤٤.

(٤) جزء آية من سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٥) عجز بيت للقطامي يصف فيه ناقته، وصدرة:

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا كما بَطَّنَتْ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا

ورد "طَيَّنَتْ" و"بَطَّنَتْ". الفَدَنُ هو: القَصْرُ. المِسْبَعَةُ كَمِئْسَةٍ: خَشْبَةٌ مُمْلَسَةٌ يُطَيَّنُ بِهَا، تكونُ مع حُدَاقِ الطِّيَانِينَ. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٧٨/١). ومعاهدة التنصيص للعباسي (١٧٩/١). ولسان العرب لابن منظور "سبع"

شبه الشرر حين ينقص من النار بالقصر في العظم، حين يأخذ في الارتفاع، والانشقاق عن أعداد غير محصورة^(١) مع الحركات السريعة في الجهات بالجمال. وعن ابن عباس: ((كنا نرفع خشبة للشتاء طولها ثلاثة أذرع أو أقل، فنُسَمِّيهِ الْقَصْرَ))^(٢). وعنه: ((الجماليات: حِبَالُ السُّفْنِ تُجْمَعُ^(٣) حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرَّجَالِ))^(٤). والأول هو الوجه. وقد روي عنه أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص: "جمالة"، و﴿جماليات﴾ أبلغ، وأوفق بالمقام.

[٣٤-٣٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿بِذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ ﴿هَذَا﴾ أي: الذي قصّ عليكم. ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ يوم القيامة ذو مواطن، ينطقون في موطن دون آخر. ولا ينطقون بما يحق أن يسمى نطقاً؛ لعرائه عن الفائدة.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على "يؤذن" أي: لا إذن ولا اعتذار مطلقاً. ولو جعل جواباً للدّلّ على أنّ عدم الاعتذار لعدم الإذن. وأوهم أنّ لهم عذراً يعتدّ به، لكن لم يؤذن لهم فيه.

(١/١٧٠). والقاموس المحيط للفيروزآبادي مادة "سيع" (١/٩٤٥). وجه الاستشهاد فيه أنه شبه ناقته الكثيرة الشحم بالقصر المطين. وهو دليل على أن العرب تشبه الإبل بالقصور.

(١) "غير محصورة" ورد في (ح) ٥٥٥/أ: غير محصورات في الحركات.

(٢) جزء حديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ (رقم: ٤٥٥٢) بلفظ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبَّاسٍ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ {جزء آية من سورة المرسلات، الآية: ٣٢} قَالَ: كُنَّا نَعْمِدُ إِلَى الْخَشَبَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَنَرَفَعُهُ لِلشَّتَاءِ فَنُسَمِّيهِ الْقَصْرَ ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ {جزء آية من سورة المرسلات، الآية: ٣٣} حِبَالُ السُّفْنِ تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرَّجَالِ. والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة المرسلات (رقم: ٣٨٨٨).

(٣) "تجمع" ورد في (ح) ٥٥٥/أ: تجتمع.

(٤) جزء حديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ (رقم: ٤٥٥٢). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة المرسلات (رقم: ٣٨٨٨).

[٣٧-٣٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ لَكُمْ﴾ للحكم

بين الحقّ والمبطل.

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ توبيخ لهم على ما كانوا يكيّدون به المؤمنين،

وتسجيلٌ عليهم بالاستكانة.

[٤٠-٤٢] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ مِنَ الشَّرْكِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَقَابَلَةِ

"المكذّبين". ﴿فِي ظِلَالٍ ﴿٤٢﴾ مَتْرَاكِمَةٍ. ﴿وَعُيُونَ ﴿٤٣﴾ جَارِيَةٍ. ﴿وَفَوَآكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ كثيرة الأنواع.

[٤٣] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ على تقدير القول ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من

الصلحاحات.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المخلصين.

[٤٥-٤٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ﴾ تذكير لما

كان يقال لهم في الدنيا، وتخسير^(١) لهم بإيثار الحقير على الخطير.

[٤٧-٤٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ بِهِ. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾

متصل بقوله: "للمكذّبين" كأنه قيل: ويل يَوْمَئِذٍ للذين كذبوا، والذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون. ويجوز اتصاله بالجرمين كأنه قيل: هم أحقّاء بأن يقال لهم: كلوا وتمتعوا؛ لكونهم مجرمين، ولكونهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يركعون.

(١) "وتخسير" هكذا ورد في الأصل، و(ح) ٥٥٥/أ، وورد في (ر) ٥٠١/ب: و تخير.

[٤٩-٥٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ به. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعد القرآن، فإنه لا حديث يدانيه فضلاً أن يساويه. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((من قرأ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل))^(١).
تمت الرسائل، والحمد لوهاب البركات، وعلى المختار أفضل الصلوات.

(١) في الأصل "ص" ولا يكتب الصلاة كاملة.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود (رقم: ٧٥٣). والبيهقي في السنن الصغرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي [مكتبة الدار- المدينة المنورة- ١٤١٠هـ، ط١] كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود والاعتدال (رقم: ٤٣٨). و أيضاً في السنن الكبرى، جماع أبواب الخشوع في الصلاة والإقبال عليها، باب الوقوف عند آية الرحمة وآية العذاب وآية التسييح (رقم: ٣٥٠٨).

سورة النبأ

مكية، وآيها أربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصله "عن ما" فاتصلت في الخط وحذف الألف^(١)؛ فرقاً بينها وبين الخبرية، وإيداناً بشدة الاتصال وكثرة الدوران. وقرأ ابن كثير في رواية البزي: "عمه" بهاء السكت في الوقف؛ ليكون حيراناً عن الذهاب وهو أحد حرفي الثنائي. كان مشركو مكة يسأل بعضهم بعضاً عن أمر القيامة، أو رسول الله ﷺ والمؤمنين استهزاء. على أن التساؤل بمعنى السؤال، كالتداعي والتراخي بمعنى: الدعوة والرؤية. والمراد: تفخيم شأن المسؤل عنه مجرداً عن الاستفهام؛ لوقوعه في كلام من لا يخفى عليه خافية.

[٢-٣] ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ بيان لشأن المفخم، أو متعلق بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ و﴿عَمَّ﴾^(٢) بما فسره ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ منهم المنكر له ومنهم الشاك. والضمير للفريقين، المؤمنون يسألون لزيادة^(٣) الاستيقان^(٤) والاستعداد له، والكفار استهزاءً وعناداً.

(١) "الألف" ورد في (ح) ٥٥٥/ب: الأول.

(٢) جزء آية من سورة النبأ، الآية: ١.

(٣) "الزيادة" ورد في (ح) ٥٥٥/ب: زيادة.

(٤) "الاستيقان" ورد في (ح) ٥٥٥/ب: الاستيفادة.

[٤] ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع للمتسائلين هزواً، ووعيد.

[٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ كرّره مبالغة، وآثر ﴿ثُمَّ﴾؛ دلالة على أنّ الثاني أشدّ من الأول، وكما فخم شأن البعث فخم ما يقع بعده. وقيل: الأول عند النزوع والثاني في القيامة، أو الأول للبعث، والثاني للجزاء.

[٦-٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَنْكُرُونَ ﴿٨﴾﴾ شيئاً من ذلك، فإنكار البعث لماذا؟ وهل ذلك إلا على منوال هذا؟. أو من أبداع هذه الأشياء إنما أبداعها لحكمة لا عبثاً، فلا بد من البعث والجزاء. ﴿وَوَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ذَكَرًا وَأُنْثَى﴾.

[٩-١٠] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَمَوْتًا ﴿١٠﴾ مِنَ السَّبْتِ ﴿١٠﴾﴾ وهو: القطع. والنوم أحد الموتين. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ ساتراً عن العيون يمكن (٣) إخفاء ما لا يراد إظهاره من بيات العدو، أو الفرار منه إلى أمور شتى.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ وقت معاشكم تتقلبون فيه لحوائجكم. استدل بخلقهم ذكراً وأنثى، واستوفى أحوالهم مفترقين ومقترنين.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾﴾ أي: الشمس النير الأعظم، من وهجت النار: التهبت أو أضاءت.

(١) "تتكرون" ورد في (ح) ٥٥٦/أ: ينكرون.

(٢) "السبت" ورد في (ح) ٥٥٦/أ: السبب.

(٣) "يمكن" ورد في الأصل ٣٣٨/أ: يكن، والمثبت من بقية النسخ.

[١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [١/٣٢٨] من السحاب التي شارفت أن يعصرها الرياح للمطر. من أعصرت الجارية: قاربت عصر الحيض، أو من الرياح التي حان لها عصر السحاب. وعن الحسن وقتادة رضي الله عنهما: من السموات؛ لأن^(١) الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأن السموات يعصرون أي: يُمكن من العصر. ﴿مَاءً تُجَاجًا﴾ منصّبًا بكثرة، يُقال: ثَجَّ، وثَجَّ بنفسه. وفي الحديث: ((الحجُّ عَجٌّ وثَجٌّ))^(٢) أي: رفع الصوت بالتلبية والذكر، وكثرة دماء القرابين.

[١٥-١٦] ﴿لُنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ للإنسان. ﴿وَتَبَاتًا﴾ للدواب ﴿وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا﴾ ملتفة، جمع لُفٍّ كخُفٍّ وخُفَافٍ، أو جمع لفيف كشريف، أو لَفَاءٍ كخضراء. أو ملتفٌ بجذف الزوائد. وفيه أن هذا لا نظير له؛ لأن تصغير الترخيم ثابت دون تكسيره.

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ في علم الله. والميقات: ما يؤقَّت به الشيء، والمراد به: حدّ الدنيا ونهايته، أو حدّ الخلاق وما ينتهون إليه.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدل أو بيان ليوم الفصل. ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ جماعات ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٣). والحديث المروي: ((أن أمتة النبي ﷺ تحشر عشرة أصناف))^(٤) موضوع مختلف.

(١) "لأن" ورد في (ح) ٥٥٦/أ: وأن.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر (رقم: ٧٥٧) بلفظ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُمِّلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ قَالَ: الْعَجُّ وَالْتَجُّ". والحاكم في المستدرک، أول كتاب المناسك (رقم: ١٦٥٥). وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج (رقم: ٢٨٩٦).

(٣) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٤) أورده القرطبي في تفسير هذه الآية قال: روي من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رسول الله! أرايت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ {سورة النبا، الآية: ١٨} فقال النبي ﷺ: (يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم) ثم أرسل عينيه باكيًا، ثم قال: (يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتًا قد ميّزهم الله تعالى من جماعات المسلمين،

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ عطف على "فتأتون"، وإيثار الماضي؛ لكونه محقق الوقوع، أو حال أي: فتأتون والحال أنها قد فتحت، والمراد: كثرة الطرق والشقوق، كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾^(١). وقرأ الكوفيون مخففاً.

[٢٠] ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ﴾ في الهواء تمرُّ مرَّ السحاب. ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: كالسراب يحسب ماء ولا ماء؛ لأنَّ شأن الجبل الثبات والقرار.

[٢١-٢٢] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ مكاناً يرصد فيه خزنة النار الكفار، أو خزان الجنة المؤمنين يجرسونهم إذا مروا عليها. ﴿لِلطَّاغِينَ مَأْتَابًا﴾ مرجعاً ومأوى.

[٢٣-٢٥] ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً الأحقاب جمع حقب وهي ثمانون سنة. وقيل: دهر طويل كقوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(١)

وبدل صورهم، فمنهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صمّ بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فهي مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعباً، يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد تنناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جلابيب سابعة من القطران لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس - يعني النمام - وأما الذين على صورة الخنازير، فأهل السحت والحرام والمكس. وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا، والعمي: من يجور في الحكم، والصمّ البكم: الذين يعجبون بأعمالهم. والذين يمضغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم. والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران. والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد تنناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم. والذين يلبسون الجلابيب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء. انظر: تفسير القرطبي (١٧٥/١٩). والدر المنثور للسيوطي (٣٩٣/٨). والفتح السماوي للمناوي، تحقيق: أحمد مجتبي [دار العاصمة - الرياض] (١٠٧٦/٣). وتخريج الأحاديث والآثار لعبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد [دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، ط ١] (١٤٤/٤).

(١) جزء آية من سورة القمر: ١٢.

والمعنى: يلبثون أحقاباً كثيرة لا يذوقون فيها إلا الماء الحار وغسالة أهل النار وصديدهم، ثم ينقلون إلى نوع آخر من العذاب. وإن جعل ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ استثناءً فالمراد بأحقاب: دهوراً غير متناهية كلما مضى حقب تبعه آخر، ألا يرى كيف وقع وهم الانقطاع بقوله: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾. وقرأ حمزة: ﴿لَابِثِينَ﴾ مقصوراً، وهو أقوى وعليه الرسم، وحمزة والكسائي وحفص: ﴿غَسَاقًا﴾ مشدداً.

[٢٦] ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: جوزوا جزاءً ذا وفاق؛ لأعمالهم أو وصف بالمصدر.

[٢٧-٢٨] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ يقال: كذَّبَ : تكذَّباً وكذَّاباً. قال سيويه: الأصل كذَّاباً والتاء عوض عن التضعيف، والياء عن الألف.

[٢٩] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ نصب على المصدر، أي: إحصاء، أو أحصيناه بمعنى: كتبنا؛ لتلاقي الإحصاء والكتابة في الضبط، أو على الحال أي: مكتوباً في اللوح أو في صحف الحفظة.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: العذاب. التفت إليهم في مقام السخط؛ زيادة في العذاب. ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ استثناء من الأعم أي: شيئاً من الأشياء. وعن أبي برزة الأسلمي^(٢): ((سألت رسول الله ﷺ عن أشد آية في كتاب الله على الكفار فتلاها))^(٣)

(١) جزء آية من سورة الكهف: ٦٠.

(٢) هو: نضلة بن عبيد بن الحارث، وقيل: عبد الله بن نضلة أبو برزة الأسلمي. مختلف في اسمه، أورده ابن شاهين في هذا الباب، وروى عن الواقدي أن ولده يقولون: اسمه عبد الله بن نضلة قال: ولده أعلم به. نزل البصرة وله بها دار، وسار إلى خراسان فنزل مرو، وعاد إلى البصرة. وتوفي بها سنة ستين قبل موت معاوية. وقيل: مات سنة أربع وستين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١/٦٧٩). والإصابة لابن حجر (٦/٤٣٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٤٩٥).

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة عم يتساءلون (٧/١٣٣) بلفظ: عن الحسن، عن أبي برزة، وسأله عن أشد آية على أهل النار فقال: سألتها رسول الله ﷺ، فقال: « هذه الآية فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز من الجنة كما أن جهنم للطاغين مثاباً، ثم فسره

بقوله:

[٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة وهي: روضة ذات أشجار وقيل: روضة أحاط بها

حائط. ﴿وَأَعْنَابًا﴾ أفردتها؛ لقلّة وجودها في أرض العرب.

[٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب ناهدة الثدي. ﴿أَثْرَابًا﴾ لدات.

[٣٤-٣٥] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مترعة، من أدهقت الحوض فهو داهق ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾

فيها لغواً ولا كذاباً أي: لا يتأذون من سماع اللغو وتكذيب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي: "كذاباً" مخففاً إما مصدر كاذب، أو كذب نحو: كتبت كتاباً، كقول الأعشى:

فَصَدَّقَهَا وَكَذَّبْتُهُ
وَالرُّءُ يُنْفَعُهُ كَذَابُهُ^(١)

أي: لا يصدر منهم كذب حتى يسمعه السامع.

[٣٦] ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ. ﴿عَطَاءً﴾ بدل من جزاء، أو مفعول به،

له أو لخاصبه المحذوف ﴿حِسَابًا﴾ صفة بمعنى كافياً، من أحسبه الشيء إذا كفاه، حتى قال: حسبي، وقيل: على حسب أعمالهم.

وقال: رواه الطبراني وفيه شعيب بن بيان وهو ضعيف. وانظر أيضاً: الدر المنثور للسيوطي (٣٩٧/٨). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٥/٤).

(١) البيت للأعشى، وقد ورد بلفظ:

فَصَدَّقَهَا وَكَذَّبْتُهُ
وَالرُّءُ يُنْفَعُهُ كَذَابُهُ

انظر: المخصص لابن سيده (٢٤٤/١-٣٦٨/٣). ولسان العرب لابن منظور (١٩٣/١٠). وتاج العروس لمحمد بن عبد الرزاق الزبيدي (٦٤١٨/١). والشاهد فيه: أن لفظ "الكذاب" مخففاً ورد في لغة العرب.

[٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من ربك، ورفع نافع وابن كثير وأبو عمرو على أنه مبتدأ خبره ﴿الرَّحْمَنِ﴾، أو هو بدل خبره " ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ وقرأ "الرحمن" بالجر ابن عامر وعاصم على البدل. ومن جرّ الأول ورفع الثاني أبدل الأول وجعل الثاني مبتدأ خبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو خبر محذوف. ﴿مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: من الله، والمعنى: لا يملكون من جهته شيئاً من الخطاب؛ لأن المملوك لا يملك شيئاً على مالكة. وهذا لا ينافي الشفاعة بعد الإذن.

[٣٨-٣٩] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ ظرف لـ "يملكون"، أو لما بعده. والروح: جبريل، وإفراده؛ لشرفه. وقيل: نوع آخر من المخلوقات. وقيل: ملك لم يخلق الله بعد العرش أعظم منه. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: من تكلم من هؤلاء الأشراف إنما يتكلم بشرط [٣٨/٣٨] الإذن. وقيل: الصواب. ففيه تقرير وتوكيد لقوله: "لا يملكون منه خطاباً" ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ منزلاً ومأوى بالإيمان والعمل الصالح.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ إذ كل آت قريب. ولأنّ ابتداءه من الموت. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: كل امرئ ينظر عمله خيراً كان أو شراً؛ لقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^(١) وقيل: المرء هو: الكافر؛ لقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ وضع موضع المضمر^(٢). وعن قتادة: هو المؤمن؛ لقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ والأول هو الوجه؛ لقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ﴾^(٣)، ولقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾^(٤) ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

(١) جزء آية من سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) "وضع موضع المضمر" ورد في ٥٥٧/أ: وضع المضمر موضع المظهر.

(٣) جزء آية من سورة النبأ، الآية: ١٧.

(٤) جزء آية من سورة النبأ، الآية: ٣٩.

ثُرَابًا ﴿ في الدنيا لم أخلق، أو في هذا اليوم؛ لما يرى سائر الحيوانات والوحوش تصير تراباً بعد جريان القصاص بينهما.

تمت، والحمد لله على الدوام، والصلاة على خير الأنام، وآله وصحبه يوم القيام.

سورة النازعات

مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٥-١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أقسم بالملائكة الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذ أمره. فالنازعات: هم ملك الموت وأعوانه الذين ينزعون أرواح الكفار من أعماق أبدانهم. والغرق: اسم الإغراق، كالسلام اسم التسليم، أو مصدر يجذف الزوائد. والناشطات: الذين ينشطون أرواح المؤمنين برفق، من نشط الدلو: أخرجها من البئر. ونشط الحبل: حله برفق. ويسبحون أي: يسرعون فيما أمروا به، فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمر ثوابها وعقابها، أو النجوم تنزع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها: قطع الفلك بتمامه إلى أن تغرب بأن تنشط من برج إلى آخر. من نشط الثور: إذا خرج من بلد إلى آخر. فتسرع في السير، فيسبق بعضها بعضاً، فتدبر ما نيظ بها من الفوائد. أو خيول الغزاة تنزع في أعنتها إغراقاً؛ لطول أعناقها؛ لأنها عراب، فيخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر، فيسبح في جريها فيسبق بعضها بعضاً، فتدبر أمر الظفر على الجاز. أو نفوس السالكين تنزع عن الشهوات رأساً، وتنشط إلى عالم الملكوت، فتسبح في بحر المعارف، فيسبق بعضها بعضاً بقدر القابليات، فتدبر سائر النفوس بالإرشاد والتكميل. والمقسم عليه محذوف دل عليه ذكر القيامة بعد. أي: لتبعثن.

[٦-٧] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ نصب بذلك المحذوف. الراجفة: الواقعة، وصفت بما يحدث بحدوثها من رجف الأرض والجبال مبالغته، وهي: النفخة الأولى. وإنما صح أن يكون وقتها ظرفاً للبعث مع أنه لا يكون بعد الثانية؛ لاتساع الوقت على أن: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وهي: النفخة الثانية حال منها، فلا بد من الامتداد إلى وجودها. وقيل: الراجفة الأرض والجبال، والرادفة السماء والكواكب.

[٨-٩] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب. الوجيف والوجيب أخوان. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ خير قلوب؛ لأنها نكرة موصوفة، كقوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ^(١)، أو خير بعد خير؛ لأن تنكير التنويع قائم مقام الوصف.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يريدون الحياة الدنيا بعد الموت، والحالة التي كانوا عليها في الدنيا؛ إنكاراً للمعاد^(٢). والحافرة: الطريقة التي حفرها، وأثر فيها بمشيه. والقياس محفورة، فإما على تقدير ذات حفر، أو على الإسناد مجازاً نحو ﴿عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾^(٣). وعن ابن السكيت^(٤) حافرة الشيء: أوله. واستشهد بما أنشده ابن الأعرابي^(٥):

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.

(٢) "للمعاد" ساقط من (ر).

(٣) جزء آية من سورة الحاقة، الآية: ٢١.

(٤) هو: شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي النحوي المؤدب، مؤلف كتاب "إصلاح المنطق"، دين، خير، حجة في العربية، أخذ عن أبي عمرو الشيباني وطائفة، روى عنه أبو عكرمة الضبي وأحمد بن فرح المفسر وجماعة، كان أبوه مؤدباً فتعلم يعقوب وبرع في النحو واللغة، وأدب أولاد الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر، ثم ارتفع محله وأدب ولد المتوكل، وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً. توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/١٢). والعبر في خير من غير لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد [مطبوعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، ط ٢] (١/٨٤).

(٥) هو: إمام اللغة أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي، الهاشمي مولاهم، الأحول، النسابة، يروي عن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن وأبي الحسن الكسائي، وعنه إبراهيم الحربي وعثمان الدارمي وثلعب وأبو شعيب الخزازي وشمر

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ... مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ^(١)

[١١] ﴿أَتَذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ أنى يكون ذلك. والنخرة: البالية، من النخر^(٢) وهو صوت الريح، والعظم إذا بلي نخر فيه الريح؛ لصيرورته أجوف. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: بالمد، والقصر أبلغ. وإذا منصوب بمقدر أي: تُرَدُّ وتُبَعَثُ.

[١٢] ﴿قَالُوا تَلَكْ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: رجعة^(٣) ذات خسران، أو خاسر صاحبها إن صحَّ ما يقوله محمد^(٤). قالوه استهزاء.

[١٣] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ لا استبعاد ولا استصعاب، بل هي في غاية السهولة على الله. لا توقف لها إلا على^(٥) صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية.

بن حمدويه وآخرون، ولد بالكوفة سنة خمسين ومئة، وتوفي بسامرا في سنة إحدى وثلاثين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٨٧/١٠). والوافي بالوفيات للصفدي (٢٥٦/٣).

(١) البيت ورد في جميع المصادر بلفظ:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ؟ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ

ورد في اللسان أن البيت لابن الأعرابي، وفي الأماي أنه لابن الأنباري. الشاهد فيه قوله: (أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ...). يؤيد فيه ابن السكيت بأن معنى الحافرة أول شيء. ومعنى البيت: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي وأمري الأول من العَزَلِ والصَّبَا بعدما شَبْتُ وُصِّلْتُ؟ انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "حفر" (٢٠٤/٤). والأماي لأبي علي القاسي (١٣/١). وجمهرة الأمثال للعسكري (٢٠١/١). وجامع البيان للطبري (١٩٤/٣٤).

(٢) "النخر" ورد في (ر) ٥٠٣/ب: النخير.

(٣) "رجعة" ورد في جميع النسخ: رجفة، والمثبت من كتب اللغة والتفاسير؛ لأن الكرة هي: الرجوع، أما الرجفة فهي: الزلزلة. انظر: الصحاح في اللغة للجوهري "كرر" (١١٢/٢). ولسان العرب لابن منظور "كرر" (١٣٥/٥). وجامع البيان للطبري (١٩٦/٣٤).

(٤) أي: رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران، والمعنى: أنهم قالوا: إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد. انظر: فتح القدير للشوكاني (٤٠٨/٧).

(٥) "على" ساقط من (ح) ٥٥٧/ب.

[١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أحياء، كقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١) والساهرة: الأرض البيضاء المستوية؛ لأنَّ السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة أي: جارية، أو على المجاز؛ لأنَّ ساكنها لا ينام خوفاً. وعن قتادة: اسم جهنم. ولما كان الكلام من مفتتح السورة إلى هنا مسوقاً للتهديد، مدججاً فيه تسلياً رسوله، عقبه بقصة موسى وفرعون؛ لعراقتها في هذا الباب.

[١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أي: أليس قد أتاك حديثه^(٢) المشتمل على نصره وقهر عدوّه؟، ففيه ما يسليك. ثمَّ فصله بقوله:

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ الذي قُدِّس؛ لأنه مهبط الوحي ﴿طُوًى﴾ عطفُ بيان أو بدل. ونوَّته الكوفيون وابن عامر بتأويل المكان^(٣).

[١٧-١٨] ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ على إرادة القول: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ [١٧/٣٣٩] إِلَى أَنْ تَزْكَى﴾ أي: هل لك رغبة في أن تتطهر من رجس الكفر والطغيان. أرشده إلى طريق الدعوة بألفظ طريق، وذلك أن يعرض عليه ليؤامر^(٤) نفسه ويرى رأيه، كما تقول للضيف: ألا تنزل بنا؟ وهذا فحوى قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾^(٥) وقرأ نافع وابن كثير: تزكى بتشديد الزاي^(٦) على إدغام إحدى التائين في الزاي^(٧). وحذفها الآخرون تخفيفاً.

(١) جزء آية من سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) "حديثه" (ح) ٥٥٧/ب: حديث.

(٣) "﴿طُوًى﴾ عطفُ بيان أو بدل، ونوَّته الكوفيون وابن عامر بتأويل المكان" ساقط من (ر) ٥٠٣/ب.

(٤) "ليؤامر" ورد في جميع النسخ: ليؤامر، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) جزء آية من سورة طه، الآية: ٤٤.

(٦) في جميع النسخ "الزاء" ولعل الصواب الذي أثبتناه.

(٧) نفس الملاحظة السابقة.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى معرفته. ﴿فَتَخَشَى﴾ لأن الخشية على قدر المعرفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وروى الترمذي عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية)).^(٢)

[٢٠] ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ أي: فذهب إليه فدعاه فأبى، فأراه المعجزة العظمى من معجزاته وهي: قلب العصا ثعباناً، أو كل معجزاته؛ لأنها كالواحدة في الدلالة.

[٢١-٢٢] ﴿فَكَذَّبَ﴾، موسى ﴿وَعَصَى﴾ ربه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ أي: أقبل يسعى في دفع موسى بمكائده، من قولهم: أقبل يفعل كذا، وعبر عنه بالإدبار؛ إشارة^(٣) إلى أن ذلك الإقبال كان إدباراً و عليه دماراً، أو أدبر هارباً لما انقلبت^(٤) العصا ثعباناً.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ أي: حشر السحرة، أو جنوده. فنَادَى بنفسه، أو من أمره به^(٥) على أنه إسناد إلى السبب.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ أي: أعلى من كل رب. لما تقدّم في الأعراف أنه كان أمر قومه باتخاذ الأصنام يتقربون بها إليه.

(١) جزء آية من سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة الأولي والحوض، (٢٣٧٤). والحاكم في المستدرک، کتاب الرقاق (رقم: ٧٨٥١).

(٣) "إشارة" ساقط من ٥٥٨/أ.

(٤) "لما انقلبت" ورد في جميع النسخ: لما انقلب، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) "به" ساقط من (ح) ٥٥٨/أ.

[٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النكال: كالسلام اسم للتكيل أي: نكل الله به في الدنيا بالإغراق، وفي الآخرة بالإحراق. وعن ابن عباس ؓ: نكال كلمته الأولى، هي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(١) والأخرى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٢)

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما حكي عنه وعن ماله ﴿لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ لمن^(٣) كان من شأنه الخشية.

[٢٧] ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الخطاب لمشركي مكة. ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ ولا شك أن الثاني أصعب. ثم شرع بين كيفية إيجادها من غير آلة ومعين؛ ليدل به على أن إنكار البعث إما عناد أو تعامٍ أو تصامٍ^(٤). ﴿بَنَاهَا﴾ خلقها على صورة القبة المبنية.

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ أي: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديداً رفيعاً مقدار خمسمائة عام. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعلها مستوية الأجزاء مزينة بالكواكب على ما اقتضته الحكمة.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه. يقال: غطش الليل وأغطشه الله كظلم وأظلمه. ويقال: أغطش الليل أيضاً^(٥) لازماً. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها. وإنما أضاف الليل والشمس إلى السماء؛ لأن الليل ظلّ السماء في المرأى، وإن كان ظلّ الأرض حقيقة، أو لأنهما يحصلان بغروب الشمس وطلوعها.

(١) جزء آية من سورة قصص، الآية: ٣٨.

(٢) جزء آية من سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٣) "لمن" ساقط من (ر) ٥٠٤/أ.

(٤) "تعام أو تصام" هكذا ورد في الأصل ٣٣٩/أ و ٥٥٨/أ، وورد في (ر) ٥٠٤/أ: تعام أو نسام.

(٥) "أيضاً" ورد في (ر) ٥٠٤/أ: أيظا.

[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها. وقد سبق الكلام في سبق خلق الأرض في أوائل البقرة في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١) بما لا مزيد عليه.

[٣١] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أي: رعيها تفسير للدحو بما لا بد؛ لتأتي السكنى منه من المأكل^(٢) والمشرب، أو حال يا ضمير "قد". ودلّ بالماء والمرعى على كل ما يرتفق به من أمر المعاش.

[٣٢-٣٣] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها كالأوتاد لتستقر الأرض ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ لسائر الحيوانات، ففيه تغليب.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الداهية العظمى التي تطمّ على سائر الدواهي. من طمّ الشيء: علاه. وعليه فالوصف للتأكيد والمراد: النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق الفريقان إلى دار الخلود^(٣).

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ بدل من "إذا جاءت". أي: يتذكر أعماله السيئة إذا رأى الكتاب منشوراً، وأنى له الذكرى. و"ما" موصولة، أو مصدرية.

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ لكل راء لا يخفى على أحد.

[٣٧-٣٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ و﴿وَأَنزَلَ الْغِيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ إما مع جوابه جواب ﴿إذا جاءت﴾، أي: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(١). فالطاغي مأواه الجحيم، أو جواب "إذا" محذوف أي: كان كيت وكيت، والمذكور بعد "أمّا" تفصيل له.

(١) جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) "المأكل" ورد في الأصل ٣٣٩/ب: المأكل.

(٣) "الخلود" ورد في (ر) ٥٠٤/أ: الخلد.

[٤٠-٤٢] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: بين يديه للحساب. ﴿وَوَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ لعلمه بأنه بجانب الهدى ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ هي مأواه لا غير.

[٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ تعنتاً ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي: أقامها، من أرسيت الشيء: أثبتته، أو متى استقرارها؟ كما أن مرسى السفينة استقرارها وانتهاءها.

[٤٣-٤٤] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ أي: في أي شيء أنت من ذكر الساعة لهم؟ فإن علمها من أممات الغيوب لا ينفد فيه إلا علمه تعالى، أو ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم، و﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ابتداء كلام. والمعنى: في أي شيء هم من سؤال الساعة، أنت من علاماتها فإنك بعثت في نسيم الساعة، واسمك نبي آخر الزمان فقد دنت الساعة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ انتهاء علمها.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ ما أنت إلا منذر. ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾ من يخاف هولها. ولست مبعوثاً لتعليمهم بوقت الساعة. وعن أبي عمرو: ﴿مُنذِرٌ﴾ بالتنوين.

[٤٦] ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا﴾ في الدنيا، أو في القبور. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ عشية يوم أو ضحاه كقوله: ﴿لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ [٣٣٩/ت] من نهار^(٢)؛ ولذلك أضاف الضحى، ولو قطع لاحتمل عشية يوم وضحى آخر، فيتوهم الاستمرار في ذلك الزمان إلى مثله من اليوم الآخر. واحتمل أيضاً أن يراد بالعشية أو الضحى كل اليوم؛ تجوزاً.

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٤.

(٢) جزء آية من سورة يونس، الآية: ٤٥، وجزء آية من سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

سورة عبس

مكية، وهي إحدى وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ اتفقوا على أنها نزلت في ابن^(١) أم مكتوم^(٢) مؤذن^(٣) رسول الله، واسمه عمرو بن قيس أو عبد الله بن عمرو، واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية^(٤)، جاء إلى رسول الله ﷺ وعنده صنديد قريش^(٥) يدعوهم إلى الله باهتمام، وقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول: يا رسول الله علمني ما علمك الله ولم يعلم

(١) "ابن" ساقط من (ح) ٥٥٨/ب، و (ر) ٥٠٤/ب.

(٢) هو: عبد الله بن أم مكتوم الأعشى القرشي العامري. مختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري، وأما أهل العراق، فسمّوه عمراً. كان مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال، هاجر بعد وقعة بدر بيسير، قاله ابن سعد. وقد كان النبي ﷺ يحترمه، ويستخلفه على المدينة، فيصلي ببقايا الناس. قال قتادة: استخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم مرتين على المدينة وكان أعمى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣٦٠). والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٣٠٦، ٢٧٢). والإصابة لابن حجر (٢/١٦٤، ١١٢٨).

(٣) "مؤذن" ورد في (ح) ٥٥٨/ب: مأذون.

(٤) هي: عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٠٦). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣٦٠). والإصابة لابن حجر (٤/٦٠١).

(٥) هم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، والعباس بن عبد المطلب، وأمّية بن خلف، والوليد بن المغيرة. انظر: تفسير القرطبي (١٩/٢١٢). ومعالم التنزيل للبغوي (٨/٣٣٢).

تشاغله، فعبس في وجهه وأعرض عنه^(١). والمعنى: عبس لأن جاءه، وأعرض لذلك على تنازع الفعلين^(٢). وفي الوصف بالأعمى دون اسمه، أو وصف آخر توكيد للعتاب؛ فإن ذلك يناسب الإقبال والتعطف دون العبوس والإعراض، وإيماء إلى أن كل ضعيف في معناه. كقوله: ((لَا يَقْضِي الْقَاضِي [بَيْنَ اثْنَيْنِ] وَهُوَ غَضْبَانٌ))^(٣). فكان بعد ذلك يكرمه ويقول: ((مرحبا بمن عاتبني فيه ربّي))^(٤).

[٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلُّهُ يَزَكِّي﴾ بما يسمعه منك من أضرار الآثام. والمراد: نفي درايته^(٥) بما هو مترقب. والرجاء إما راجع إلى الأعمى، أو إلى الرسول ﷺ. وإيثاره؛ للدلالة على أن رجاء التزكي كافٍ في منع العبوس والإعراض، كيف وهو في نفسه زكي حقيقة؟. وقيل: الضمير للكافر أي: وما يدريك أن ما طمعت فيه من تزكية كائن حتى تهتم به، فالترجي لرسول الله ﷺ.

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذُّكْرَى﴾ أو يتعظ فتنتفعه موعظتك. وقرأ^(٦) عاصم بالنصب جواب "لعل" المحمول على التمني، وهذا يؤيد رجوع الضمير إلى الكافر، إلا أن يحمل في

(١) أورد هذه الحادثة عدد من المفسرين. انظر: جامع البيان للطبري (٢١٧/٣٤). والكشاف للزمخشري (٢٣٣/٧).

والتفسير الكبير للرازي (٣٥٢/١٦).

(٢) كأن معنى الكلام عنده: أن جاءه الأعمى عبس وتولى؟. انظر: جامع البيان للطبري (٢١٧/٢٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان؟ (رقم: ٦٧٣٩). ومسلم، كتاب الأفضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان (رقم: ١٧١٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢١٣/١٩). ومعالم التنزيل للبخاري (٣٣٢/٨). وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٢/٦).

والتفسير الكبير للزمخشري (٢٣٣/٧).

(٥) "درايته" ورد في (ح) ٥٥٨/ب: درأ لله.

(٦) "حمزة" ورد (ح) ٥٥٨/ب: زائداً.

الوجه الأول على المبالغة. أي: كأن الأعمى جديراً بالإقبال لضعفه وإن كان بعيداً حصول تركزته.

[٥-٦] ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى ﴿﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿﴾ تتعرض بالإقبال إليه.

[٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴿﴾ أي: وليس عليك عتب في أن لا يزكى بالإسلام، إن عليك إلا البلاغ. هذا وأمثاله وإن كان عتاباً في الظاهر، لكن فيه كمال مدح له؛ لاهتمامه بشأن ما أرسل به وبذل جهده.

[٨-٩] ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿﴾ يسرع إلى تعلم شرائع الإسلام. ﴿وَهُوَ يَخْشَى ﴿﴾ يخاف الله بقلبه.

[١٠] ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿﴾ وهو التشاغل، من لهي يلهى. وقدم الضمير في الموضعين؛ للتقوى. ويجوز التخصيص على معنى أن التصدي والتلهي إنما ينكر منه دون غيره؛ لعلو مقامه.

[١١-١٢] ﴿كَلَّا ﴿﴾ ردع عن المعاتب عليه والعود إلى مثله ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿﴾ الضمير للقرآن، والتأنيث باعتبار الخبر؛ ولذا ذكره ثانياً. والمعنى: أن القرآن موعظة، فمن شاء حفظها، فلا حاجة في الموعظة إلى المبالغة. وفيه توكيد لما تقدم.

[١٣] ﴿فِي صُحُفٍ ﴿﴾ مكتوبة فيها. خبر ثان، أو خبر محذوف، أو صفة لـ "تذكرة". ﴿مُكْرَمَةً ﴿﴾ عند الله؛ لأنها أوعية كلامه.

[١٤] ﴿مَرْفُوعَةٍ ﴿﴾ في السماء، أو مرفوعة المقدار. ﴿مُطَهَّرَةٍ ﴿﴾ عن أيدي الشياطين.

[١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿﴾ كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ، جمع سافر: وهو الكاتب، أو من السفر: وهو الكشف؛ لإظهاره المكتوب. منه السفر؛ لأنه يكشف عن الأخلاق.

[١٦] ﴿كِرَامٍ﴾ عند الله. ﴿بِرَّةٍ﴾ أتقياء، روى البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبِرَّةِ))^(١)

[١٧] ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ القتل أعظم ما يخافه الإنسان من الشدائد. وعابه^(٢) على الإنسان المرتكب أعظم القبائح. والدعاء منه تعالى؛ إظهار لغاية السخط.

[١٨-١٩] ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ تحقيراً له؛ ولذلك فسره بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ ولا أقدر منه. ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ فسوّاه مهيباً معداً بالقوى والآلات لمصالح التكليف.

[٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه بأن فتح له فم الرحم وألمه بأن يتكس، فإنه في البطن جالس وجهه إلى ظهر أمه فإذا حان وقت خروجه قدم رأسه وأخرّ رجله على صفة الغواص^(٣)، أو ذلّل له سبيل الخير ولم يكلفه ما لا طاقة له به. وفي هذا إشارة إلى أن الدنيا طريق الآخرة كسبيل المارة. وانتصاب السبيل بما يفسره الظاهر.

[٢١-٢٢] ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ عدّ الموت من النعم؛ لأنه وسيلة إلى النعيم في الجملة^(٤). يقال: قبرت الرجل: إذا دفنته، وأقبرته: إذا مكنته من أن يقبر. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ للجزاء.

[٢٣-٢٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو عليه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ الله به من الإيمان به بعد^(١) هذه النعم. وعن مجاهد: لم يقض أحد من لدن آدم إلى هذا الأوان ما أمره الله

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة عبس وتولى (رقم: ٤٦٥٣). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (رقم: ١٣٢٩).

(٢) في (ر) ٥٠٥/أ: وعى به.

(٣) في وصف ملا الكوراني لوضعية الجنين في بطن أمه إفادة إلى أن الطبّ في زمن المؤلف كان قد توصل إلى معرفة الهيئة التي يكون عليها الجنين خلال فترة الحمل.

(٤) "والإقبار تشريف له؛ لئلا يلقي كسائر الجيف" ورد في (ح) ٥٥٩/أ و (ر) ٥٠٥/أ زائداً.

به إذ لم يخل أحد من نوع تفريط. ووجه ذلك أن الضمير عائد إلى مطلق الإنسان المذكور في ضمن المقيد؛ ولذلك أعاد ذكر الإنسان في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾؛ لأن المذكور بعده يعم الكل.

[٢٥] ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ استئناف؛ لبيان كيفية إيجاد الطعام. وقرأ الكوفيون: أنا بفتح الألف بدل اشتمال.

[٢٦-٣٧] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ بالنبات أو الحراث [١٨٠] وأسندته إلى ذاته؛ لأنه السبب. ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ جنس الحبوب.

[٢٨] ﴿وَعَنْبًا وَقَضْبًا﴾ مصدر قضب: قطع، سمي به الرطبة وهي المسمى بالقت؛ لأنها تقطع في عام مراراً. وعن الحسن: كل علف يقطع^(٢).

[٢٩-٣٠] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وَحَدَائِقِ غُلْبًا متكاثة الأوراق والعروق. مستعار من وصف الرقاب بغلظ الأوداج وانتفاخ الأعصاب مع تداخل بعضها في بعض.

[٣١-٣٢] ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ هو للدواب كالفاكهة للإنسان، وعن ابن عباس ؓ كل مرعى للدواب أب. وروى أبو عبيد^(٣) القاسم بن سلام^(٤) أن الصديق ؓ سئل عن الأب

(١) "بعد" ساقط من (ح) ٥٥٩/أ.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٢١/١٩).

(٣) "أبو عبيد" ورد في (ح) ٥٥٩/ب: أبو عبيد.

(٤) هو: القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد، ذو الفنون والتصانيف المفيدة، ولد بـ"هراة" سنة ١٥٧هـ، تولى قضاء طرسوس، وصنف كتباً كثيرة، منها: "الأموال"، و"الغريب"، و"فضائل القرآن"، و"الناسخ والمنسوخ"، تتلمذ على الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وسفيان بن عيينة وغيرهم. توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١). والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢٤١/٢). وغاية النهاية لابن الجزري (١٨/٢).

فقال. لا أقول في كتاب الله ما لا أعلم^(١). وعن أنس أن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية فلما وصل إلى قوله: ﴿وَأَبَا﴾ قال: ما الأبُّ، ثم حاد وقال: لعمر ك يا عمر إن هذا هو التكلف^(٢). وهذا يدل على أنهم كانوا طالبين لمقاصد^(٣) كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما علموا ولهم عن طلب اللغات شغل شاغل وقد علموا أن الآية مسوقة للامتنان على الإنسان، فهم كانوا ساعين في القيام بشكر تلك النعم ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أي: المذكورات.

[٣٣] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّائِحَةُ﴾ أي: النفخة الثانية يقال: صحَّ للحديث وأصاخ: إذا استمع له. وصفت^(٤) النفخة به مجازاً؛ لأنَّ الناس يصحَّون عندها.

[٣٤-٣٦] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ لاشتغاله بحاله، أو خوفاً من مطالبتهم إياه بما قصر فيه من حقوقهم. ويؤيد الأول قوله:

[٣٧] ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وقول الرسل نفسي نفسي. وتأخير الأحب فالأحب؛ للترقي كأنه قيل: يفرُّ من أخيه من أبويه من صاحبتة من بنيه.

[٣٨] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة، من أسفر الصبح: أضاء؛ لسرور القلوب، وقيل: من الصلاة بالليل فإن من تهجد استنار وجهه. وقيل: من آثار الوضوء. وقيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله.

[٣٩-٤٠] ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ بما نالت من الريح والفوز. ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ برحمة الله ورضوانه ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ﴾ غبار وكدورة.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٢٢/١٩). والكشاف للزمخشري (٢٣٦/٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٢٩/٢٤). وتفسير القرطبي (٢٢٢/١٩).

(٣) "لمقاصد" ورد في (ر) ٥٠٥/أ: لمقاصدهم.

(٤) "وصفت" ورد في (ر) ٥٠٥/ب: وصحت.

[٤١] ﴿تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾ يعلوها سواد كالدخان، ولا ترى أبيض من سواد الوجه إذا علاه

الغبار.

[٤٢] ﴿أَوْلَيْكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ أي: الموصوفون باغترار الوجوه واسودادها هم

الذين ضموا إلى الكفر الفجور، فالجزاء على وفق العمل.

تمت سورة عبس، والحمد لمن عن كل مكروب نفس، والصلاة على رسوله بالليل

عسعس، وآله وصحبه ما^(١) الصبح تنفس.

(١) "ما" ساقط من (ر) ٥٠٥/ب.

سورة التكوير

مكية، وهي سبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ روى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١) أن رسول الله ﷺ^(٢) قال: ((من سرّه أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٣) و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٤)).^(٥) والتكوير من كورت العمامة إذا لفتها، والمراد: إذهاب ضوئها أو عينها؛ لأنّ الثوب إذا أريد دفعه لفّ

(١) "عنهما" ورد في (ح) ٥٥٩/ب: عنه.

(٢) "رسول الله ﷺ" ساقط من (ر) ٥٠٥/ب.

(٣) سورة الإنفطار، الآية: ١.

(٤) سورة الإنشقاق، الآية: ١.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا الشمس كورت (رقم: ٣٢٥٦). وأحمد، مسند

المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر (رقم: ٤٥٧٥). والحاكم في المستدرک، کتاب الأحوال (رقم: ٨٧١٩).

وطوي. أو من طعنه فكوره أي: ألقاه؛ لما روي ((أن الشمس والقمر يكوران في جهنم))^(١)؛ لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٢)

[٢] ﴿وَإِذَا التُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٣) انتثرت؛ لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾^(٣) وقيل: أظلمت من كدرت الماء فانكدر، وهو تفسير باللازم. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض تمرّ مرّ السحاب.

[٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أهملت. جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، ويقى هذا الاسم بعد حملها أيضاً؛ ولذلك فسّر تعطيلها بعدم^(٤) الحلب. وقيل: هي السحاب عطّلت عن المطر.

[٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ من كلّ أوبٍ كما يحشر الإنس والجن.

[٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ملئت بأن يفجر بعضها إلى بعض حتى تصير بحراً واحداً، أو أحميت، من سجرت التنور. عن ابن عباس رضي الله عنه: أوقدت فصارت نيراناً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو "سجرت" مخففاً، والتشديد أبلغ وأوفق بقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٥)

(١) أورده في معاصر المختصر لأبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي [مكتبة عالم الكتب - بيروت/القاهرة] [٢٤٨/٢].
والتخويف من النار لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي [مكتبة دار البيان - دمشق - ١٣٩٩هـ، ط ١] الباب السادس عشر في ذكر حجارها (٩٨/١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٦/٤).

(٢) جزء آية من سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الأنفطار، الآية: ٢.

(٤) "بعدم" ورد في (ح) ٥٦٠/أ و ٥٠٥/ب: بعد.

(٥) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

[٧] ﴿وَإِذَا التُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ كل نفس بشكلها في الموقف الأنبياء ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الأمثل فالأمثل، أو زوجت بأعمالها. وقيل: نفوس المؤمنين بالخور والكفار بالشياطين.

[٨-٩] ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ الوأد^(١): دفن الحي في القبر. والغرض من سؤالها تبيكيت الوائد على فعله. وليس في الآية دليل على أنها في الجنة، ولكن دلت الأحاديث على أن أطفال المشركين في الجنة، فهي من باب الأولى، فإن قلت: روى سلمة بن يزيد^(٢) أنه سأل رسول الله ﷺ أن أمه قد وأدت أختاً له في الجاهلية فقال: ((الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ))^(٣). قلت: مُعَارِضاً بِمَا رَوَتْ خَنَسَاءُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ^(٤) أَنَّ عَمَّهَا أَخْبَرَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((الْمَوْءُودَةُ فِي الْجَنَّةِ))^(٥)، ويحمل قوله: ((الْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ)) على أن تلك المعينة كانت بالغة فإنهم كانوا يدفنون إذا صار قامتها ستة أشبار.

(١) "الوأد" ورد في الأصل و(ح) ٥٦٠/أ: الوؤد، وفي (ر) ٥٠٥: الوعد، والصواب ما أثبتناه.

(٢) هو: سلمة بن يزيد الجعفي، ويقال: يزيد بن سلمة، والأول أصح. صحابي وفد على النبي ﷺ وكان شريفاً، نزل الكوفة، روى عنه علقمة بن قيس، وعلقمة بن وائل بن حجر، وي زيد بن مرة الجعفي. انظر: الإصابة لابن حجر (١٥٦/٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٦٤٤/٢). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٤٢/٤).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين (رقم: ٤٠٩٤). وابن حبان في صحيحه، صفة الجنة وأهلها، ذكر خير قد يوهم غير المتبحر في صناعة الحديث أن الموءودة لا محالة في النار (رقم: ٧٤٨٠). وأحمد، مسند المكين، حديث سلمة بن يزيد الجعفي (رقم: ١٥٣٥٨).

(٤) هي: حسناء بنت معاوية بن سليم الصرمية، ويقال: خنساء. روت عن عمها - يقال: اسم عمها أسلم بن سليم-، روى عنها عوف الاعرابي حديث قال: قلت للنبي، صلى الله عليه وسلم: من في الجنة؟ قال: النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والموءودة في الجنة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٦٠/١٢). والطبقات الكبرى لابن سعد (٨٤/٧).

(٥) أخرجه أبو داود عن حسناء بنت معاوية الصرمية قالت: حَدَّثَنَا عَمِّي قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: "النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَوْءُودُ فِي الْجَنَّةِ وَالْوَائِدُ فِي الْجَنَّةِ" كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، (رقم: ٢١٥٩). وأحمد، أول مسند البصريين، حديث رجال من الأنصار (رقم: ١٩٦٧٤). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه (رقم: ١٩٥٠٣).

[١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ عند الحساب فإنها تطوى بعد الموت. وقيل: هي غير صحف الأعمال بل صحف تطير من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في الجنة، وصحيفة الكافر في يده في النار. وقرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: نُشِرَتْ مشدداً؛ لكثرة الصحف، أو لشدة التطاير.

[١١-١٢] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كما يكشط الجلد من السلوخ ﴿وَإِذَا الْحَجِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت إيقاداً شديداً. وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين، والأبلغية فيه كما في سجرت.

[١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قَرَّبَتْ من المؤمنين كقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(١) هذه اثنتا عشر خصلة ستُّ منها في الدنيا، وستُّ في الآخرة.

[١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ جواب ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٢) وما عطف عليه، وهو العامل فيها. والمعنى: علمت كل نفس؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾^(٣)، وإنما نكره؛ لأن الكلام صادر عن مقام الكبرياء إشارة إلى أن من يَكُوِّرُ يعتبر هذه الأجرام العظام فعله يستقلُّ النفوس الإنسانية في جنب قدرته، فهي كنفس واحدة.

[١٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ هي الكواكب؛ لأنها تخنس أي: تتأخر في المغيب، أو تختفي، ومنه سُمِّيَ الشيطان خناساً؛ لأنه يتأخر إذا ذكر الله. وقيل: هي السيارة دون الثوابت. وقال الفراء: "هي الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد"^(٤).

(١) جزء آية من سورة ق، الآية: ٣١.

(٢) سورة التكوير، الآية: ١.

(٣) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٣٧/١٩). والدر المنثور للسيوطي (٤٣١/٨).

[١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ التي تكنس أي: تستتر، من كنس الظبي: دخل في كناسه، وقيل: تظهر بالليل بعد الخنس بالنهار.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّعَ﴾ أدبر؛ لقول العجاج^(١):

حتى إذا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا... وَأُنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّعَسَا^(٢)

وقيل: أقبل، وهو من الأضداد. وكلا المعنيين حسن.

[١٨] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ النهار بغشيان الليل يصير كالمكروب، فجعل تخلصه منه بانكشاف الليل عنه كتنفس^(٣) المكروب بعد زوال الكرب، أو جعل نسيم الصباح؛ لاشتماله على الروح كالتنفس المفرج عن القلب.

[١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن. ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ عند الله، وهو جبرائيل. وكون القرآن قوله؛ لملازمة التبليغ.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: قوة كقوله: ﴿شَدِيدِ الْقُوَى﴾^(٤) ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ذي مكانة وعز.

(١) هو: عبد الله بن روبة بن لييد التميمي السعدي، يكنى أبا الشعثاء، ويعرف بالعجاج، الراجز المشهور، وكان يقال له: عبد الله الطويل، وهو والد روبة بن العجاج الراجز المشهور، عاش إلى خلافة الوليد بن عبد الملك. قال المرزباني: هو أول من رفع الرجز وجعل له أوائل وشبهه بالقصيدة. انظر: الإصابة لابن حجر (٨٧/٥). والثقات لابن حبان (٢٨٧/٥). ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٢٢/٢).

(٢) لم أجد البيت في مراجع كتب الشعر، ونسبه الطبري والقرطبي لعقمة بن قرط. انظر: جامع البيان للطبري (٧٩/٣٠). وتفسير القرطبي (٢٣٨/١٩). واستشهد المؤلف بهذا البيت على أن معنى عسعس أدبر.

(٣) "كتنفس" ورد في الأصل: كنفس.

(٤) جزء آية من سورة النجم، الآية: ٥.

[٢١] ﴿مُطَاعٌ﴾ بين الملائة الأعلى والكروبيين. ﴿ثُمَّ أَمِينٌ﴾ أي: عند الله موصوف بالأمانة على وحي الله وتنفيذ أوامره.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبِكُمْ﴾ أي: رسول الله ﷺ. ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعمون. وليس الكلام مسوقاً للموازنة والمفاضلة بين جبرائيل ورسول الله عليهما السلام حتى يستدل بتلك الأوصاف الفاضلة على أفضليته على المرسل إليه، بل مسوق؛ لبيان حقية المنزل. ولا شك أن وصف الآتي به بتلك الصفات الكوامل يشد من أعضاده أبلغ شد، ألا يرى إلى مقام الحث على اتباعه كيف جعله سراجاً منيراً ورحمة للعالمين.

[٢٣-٢٤] ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾. عطلع الشمس الأعلى. ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: محمد في إخباره عن المغيبات. ﴿بِضُنَيْنٍ﴾. تمتهم؛ ولذلك تعدى إلى مفعول واحد، أي: ولا يتهم فيما يوحى إليه بنقص أو زيادة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: بالضاد وعليه الرسم، أي: ليس بيخيل في تبليغ ما أوحى إليه. والأول أوفق بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ وقوله: ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾^(١) ونظائرها.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مطرود. تصريح بما علم ضمناً ونفي للكهانة والتنجيم، ولتقابل به ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٢).

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ شبه عدوهم عن الحق واتباعه بالعدول عن الجادة والذهاب عنها إلى المهالك من الفياقي والمفاوز.

[٢٧-٢٨] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من الثقلين. ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بدل من ﴿الْعَالَمِينَ﴾^(١)؛ لأنهم المنتفعون بالتذكير.

(١) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(٢) جزء آية من سورة التكويد، الآية: ١٩.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئتكم، حذف؛ لدلالة الفعل عليه. ﴿رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ مالكم والمتصرف فيه، فلا يكون شيء إلا بإرادته ومقتضى مشيئته.

تمت سورة التكوير، والحمد للواحد الخبير، والصلاة على البشير النذير، وآله وصحبه
كل صغير وكبير.

سورة الانفطار

مكية، وآيها سبع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ انشقت. ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ تساقطت^(١).

[٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ بعضها إلى بعض بإزالة البرزخ فتصير بحراً واحداً، ثم تنشق الأرض فتبقى مستوية ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴿٤﴾^(٢).

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ بعثت موتاها. والتاء زائدة للإلحاق بمبالغة، مثله بحشر لفظاً ومعنى.

[٥] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ما قدمت من الأعمال الصالحة وما ضيعت، أو ما أخرت من سنة حسنة أو سيئة، أو ما قدمت في أول عمرها وما أخرت في آخره.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ أي شيء جرأك على عصيانه. وذكر الكريم؛ للمبالغة في المنع عن الاغترار، وللإشارة إلى أن الباعث على ذلك إنما [٣٤١/١] كان تسويل الشيطان بأن ربك كريم يعفو ويغفر. وقيل: إنما ذكر وصف الكريم من كرمه تلقيناً له

(١) "تساقطت" ورد في (ح) ٥٦١/أ: تساقط.

(٢) سورة طه، الآية: ١٠٧.

ليقول: غربي كرمك. وهذا باطل؛ لأن الإنسان المذكور خاص بالكافر؛ لقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ﴾^(١)، أو عام له وللمؤمن؛ لقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٢) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ^(٣)، ولا وجه لتلقين الكافر حجته.

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ الذي أوجدك سويًا، تامَّ الخلق، معتدل الأعضاء، فلا يد أطول من أختها، ولا عين^(٣) أوسع من نظيرتها، وكذا مائل بين سائر الأطراف. وقرأ الكوفيون: "عدلك" مخففاً، من العدل وهو الميل فكالمشدد إلا ما فيه من المبالغة أو الصرف، أي: نحاً بك عن خلق سائر الحيوانات، أو إلى شبه الأبوين، أو إلى الطول والقصر، أو الذكورة والأنوثة.

[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته، فـ"ما" زائدة، و"أي" للصفة، ولما أريد التعميم حذف موصوفها، ويجوز تعليقها^(٤) بـ﴿عَدَلَكَ﴾^(٥) أي: عدلك في صورة وأي صورة. كقولك: مررت برجل أي رجل، وحذف الموصوف؛ لزيادة التفخيم والتعجب^(٦)، ثم قال ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: ركبك^(٧) ما شاء أي: تركيباً بديعاً.

(١) جزء آية من سورة الانفطار، الآية: ٩.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٣-١٤.

(٣) "عين" ورد في (ر) ٥٠٤/ب: يعين.

(٤) "تعليقها" ورد في (ح) ٥٦١/أ، و (ر) ٥٠٦/ب: تعلقه.

(٥) جزء آية من سورة الانفطار، الآية: ٧.

(٦) "والتعجب" ورد في (ر) ٥٠٦/ب: التعجب.

(٧) "أي ركبك" ساقط من (ح) ٥٦١/أ.

[٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرمه. ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ إضراب إلى ما هو السبب الأصلي في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل بوقوع^(١) الجزاء. فإن قلت. هذا إنما يستقيم إذا أريد^(٢) بالإنسان الكافر، أما إذا كان عاماً فلا. قلت: إذا كان عاماً يكون^(٣) خطاباً لكل بما وجد بينهم.

[١٠-١٢] ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿جملة حالية، أي: إنكم تكذبون بالجزاء، والحال أن شأنه أمر خطير، مع علمه الشامل قد وكل بكم من يحفظ عليكم النقيير والقطمير، وأثنى على الكتبة إشارة إلى عظم أمر الجزاء.

[١٣-١٤] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿اللام للعهد. وهم الذين يكذبون بيوم الدين؛ لقوله: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ﴾^(٤)

[١٥-١٨] ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿كقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٥) صريح في سرمدية العذاب، ثم فخّم شأن الجزاء بتفخيم يومه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿أهم أمره، وخاطب أعلم الخلق بأنه لم يحط بكنه ذلك اليوم، وكرّر ذلك، وآثر "ثم" للتراخي رتبة؛ إشارة إلى أنه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك، ثم أجمل بقوله:

(١) "بوقوع" ورد في (ح) ٥٦١/أ: لوقوع.

(٢) "أريد" ساقط من (ح) ٥٦١/أ.

(٣) "يكون" ساقط من (ر) ٥٠٧/أ.

(٤) جزء آية من سورة المطففين، الآية: ١٧.

(٥) "﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾" {جزء آية من سورة الحجر، الآية: ٤٨} ورد في جميع النسخ: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

[١٩] ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ تقريراً لشدة هوله وفخامة أمره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو. "يومٌ" بالرفع خبر مبتدأ، أي: يوم الدين يوم لا يملك، أو بدل كلُّ منه. ومن قرأ بالفتح بناء^(١)؛ لإضافته إلى غير المتمكن، كقول علي عليه السلام:
أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ^(٢). من أيِّ يَوْمِيَّ زَمَنَ الْمَوْتِ أَفْرَّ... .

تمت سورة انفطرت، والحمد لمن آلاؤه تواترت، والصلاة على من آياته بهرت، وآله وصحبه ما غابت النجوم أو لمعت.

(١) "بناء" هكذا ورد في الأصل، وفي (ر) ق ٥٠٧/أ، و(ح) ٥٦١/ب: بناء

(٢) البيت لسيدنا عليّ كرم الله وجهه، كان يقوله حين يصطفّ الجيش للقتال، وتمامه:

يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ لَا أَرْهَبُهُ
وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرُ.

انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٩/١). ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٣٢٥/١). وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (٢٣١/٤).

الشاهد فيه أن: يوم بالفتح مضاف إلى "لم يقدر" وهو غير متمكن ولذلك فهو مبني.

سورة المطففين

آيها ست وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف: نقص الكيل والوزن، من الطفف وهو القليل؛ لأن الذي يسرق من كيل أو وزن واحد لا يكون إلا قليلاً، وعن الزجاج: مأخوذ من طف الشيء: جانبه. روى النسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وهم أحبث الناس كيلاً، فنزلت، فأحسنوا الكيل))^(١). وروى أنه لما قرأ الآية عليهم قال: ((خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل به إلا سلط عليهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا أخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر)).^(٢)

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة المطففين (رقم: ١١٦٥٤). وابن ماجه، كتاب التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن، (رقم: ٢٢١٤). وابن حبان في صحيحه، كتاب البيوع، باب ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله جل وعلا ويل للمطففين (رقم: ٤٩١٩). والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب السلم، باب ترك التطفيف في الكيل (رقم: ١٠٩٤٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (رقم: ٤٠٠٩) بلفظ: ((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَطْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ الْمُفَوَّاتِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوَّلَا الْبِهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: إذا اکتالوا لأنفسهم ما لهم على الناس يأخذونه كمالاً.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: كالوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل، أو مكيلهم فحذف المضاف. وقيل: الضمير للفصل راجع إلى المطففين وليس كذلك؛ لأن الغرض بيان اختلاف حالهم في الأخذ والإعطاء لا بيان المباشرة وعدمها، ولا استدعائه إثبات الألف بعد الواو كما في نظائره، ولم يذكر الأتزان مع الاكتيال اكتفاء به. وقيل: كأهم كانوا^(١) يأخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من الاستيفاء والسرقة لاحتمال أن تززع^(٢) الكيل ويحتال في المليء، بخلاف الميزان؛ لأنه لا يقبل ذلك.

[٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ صدر الكلام بحرف التنبيه إيقاظاً، وذكر الظن؛ دلالة على أن الظن كاف في الكف عن التطفيف، كيف والفاعل قاطع متيقن؟. ووصف اليوم بالعظيم؛ لعظم ما يقع فيه. واسم الإشارة للشتم نحو: ذلك اللعين. وكل هذه التشديدات ليس من حيث التطفيف؛ [٣/١١٦] بل لأن الميزان قانون العدل الذي به قامت السماوات والأرض.

سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ)). والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (رقم: ٨٦٢٣). والطبراني في الأوسط، باب من اسمه عبد الرحمن (رقم: ٤٦٧١).

(١) "كانوا" ساقط من (ح) ٥٦١/ب.

(٢) "أن تززع" هكذا ورد في الأصل، وفي (ر) ٥٠٧/أ و (ح) ٥٦١/أ: أن يززع.

[٥] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نصب بـ "مَبْعُوثُونَ"، أو بدل من الجار والمجرور. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ((أن رسول الله ﷺ قال: يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه))^(١).

[٦] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن التطفيف. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ عقب ذكر التطفيف حديث الفجار؛ زيادة تنفير عنه. والسجّين: فعيل من السجن وهو الضيق، سمي به الكتاب الجامع لأعمال الشياطين والكفرة؛ لأنه سبب للتضييق، أو لأنه مطروح في مكان مظلم تحت الأرض السابعة، فيقدر مضاف أي: أن موضع كتاب الفجار. و^(٢) نقل الواحدي^(٣) بإسناده: ((أن السجّين بئر مفتوح في جهنم))^(٤). والغرض من وصف كتابهم بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم.

[٨-٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ كتاب مَرْقُومٌ ﴿مَعْلَمٌ﴾^(٥) يعلم من رآه أنه لا خير فيه، أو مسطور بين الكتابة. وإن كان اسم موضع فالتقدير: ما كتاب السجين، أو محل كتاب مرقوم، حذف منه المضاف.

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يقوم الناس لرب العالمين (رقم: ٤٥٥٧). ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها (رقم: ٢٨٦٢).

(٢) "و" ساقط من (ح) ٥٦٢/أ.

(٣) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، أبو الحسن، صاحب التفسير، حدث عنه أحمد بن عمر الأرقطاني وعبدالجبار بن محمد الخواري وطائفة، صنف التفسيرات الثلاثة "البيسط" و"الوسيط" و"الوجيز"، وله كتاب "أسباب النزول" مروى، وكتاب "التحبير في الأسماء الحسنى"، و"شرح ديوان المتنبي"، وكان طويل الباع في العربية. مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بلفظ: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الْفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُعْطَى، وَأَمَّا سِجِّينٌ فَمَفْتُوحٌ". (٩٦/٣٠). والدر المنثور للسيوطي (٨/٤٤٤). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٨٦).

(٥) "معلم" ورد في (ح) ٥٦٢/ب: معلوم.

[١٠-١١] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿﴾ وصف مؤكد أو ذام؛ لأن اللام في المكذبين للعهد.

[١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز عن الحدِّ حيث تقلد فيما لا يصح فيه، وقطع النظر عن الآيات والنذر ﴿أَتَيْمٍ﴾ كثير الإثم منهمك في الشهوات حيث شغله ذلك عن التفكير.

[١٣] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من فرط جهله وعدم تأمله، لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل.

[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنه أساطير ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الرين: صدأٌ يعتري القلب من تكاثر الذنوب. عن الحسن: "هو الذنب على الذنب"^(١) حتى يعمى القلب"^(٢). روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أذنب العبد ذنباً كانت نكته في قلبه فإن هو نزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد ازدادت حتى يعلو القلب فهو الرين الذي قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾^(٣)))^(٤)

(١) "على الذنب" ساقط من الأصل.

(٢) "القلب" ورد في الأصل: القلوب.

(٣) جزء آية من سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكرِ الذُّنُوبِ (رقم: ٤٢٣٤) بلفظ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ {سورة المطففين، الآية: ١٤}. وأحمد، باقِي مُسْنَدِ الْمُكْتَرِنِينَ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (رقم: ٧٦١١). والحاكم في المستدرک، كتاب الإيمان (رقم: ٦). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنوب وما يقول (رقم: ١٠٢٥١).

[١٥-١٦] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الكسب الرائن ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾
تمثيل لحلمهم في الإهانة بحال من استأذن على ملك فلم يؤذن^(١) له. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾
لداخلون النار لا محالة.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ تقريراً لهم، وزيادة في العذاب.

[١٨-٢٠] ﴿كَلَّا﴾ تكرير للأول؛ ليعقب له^(٢) وعد الأبرار كما عقب به وعيد
الفجار، أو ردع عن التكذيب ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ ﴿كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ﴾ علم كتاب الأبرار، أو موضع يكون فيه الكتاب. جمع عليّ في الأصل، من العلو، سمي
به؛ لأنه سبب العلو والارتفاع في الجنة، أو لأنه مرفوع إلى السماء السابعة.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الكروبيون يحفظون منه المعارف، أو ليشهدوا على ما فيه
يوم القيامة.

[٢٢-٢٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿على الأسرة الحجال
ينظرون إلى ما شاءوا مدّ أبصارهم مما تستلذه^(٣) الأعين.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم ورونقه كما ترى وجوه أهل
الثروة والملوك في الدنيا.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ من أسماء الخمر ﴿مَخْتُومٍ﴾؛ لئلا يتنذله الأيدي.

(١) "يؤذن" ورد في (ح) ٥٦٢/ب: يأذن.

(٢) "ليعقب له" ورد في (ح) ٥٦٢/أ، و (ر) ٥٠٧/ب: ليعقب به

(٣) "مما تستلذه" ورد في الأصل بدون تنقيط، وفي (ح) ٥٦٢/ب و (ر) ٥٠٧/ب: يستلذه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[٢٦] ﴿حَتَامُهُ مِسْكٌ﴾ مكان الطينة في أباريق الملوك، وهذا غاية الإكرام. وقرأ الكسائي: وختامه بفتح التاء وهو ما يختم به، كالأول. وقيل: معنى الأول أن المسك سرى إلى آخره. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرتغب المرتغبون.

[٢٧] ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ اسم عين، في الأصل مصدر سَنَمَه: إذا رفعه. إما لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تجري في الهواء متسمنة، فتتصب في أوانيهم^(١).

[٢٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ صرفاً؛ لأنهم لم يلتفتوا إلى غير طاعة الله تعالى ولم يشغلوا سرهم بغيره، وانتصاب "عَيْنًا" على المدح، أو الحال "مِنْ تَسْنِيمٍ"^(٢)، و"الباء" في "بِهَا" مزيدة، أو بمعنى "مِنْ".

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ هم أبو جهل وأضرابه كانوا إذا رأوا صهيياً وبلالاً^(٣) وعماراً^(٤)، و سائر الفقراء يضحكون استهزاء بهم.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير بعضهم إلى بعض بالعين والحاجب استحقاراً.

(١) "أوانيهم" ورد في (ح) ٥٦٢/ب، و(ر) ٥٠٨/أ: أدانيهم.

(٢) جزء آية من سورة المطففين، الآية: ٢٧.

(٣) هو: بلال بن رباح الحبشي المؤذن، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه، فلزم النبي ﷺ وأذن له، وشهد معه جميع المشاهد، وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي ﷺ مجاهداً إلى أن مات بالشام. قال البخاري: مات بالشام زمن عمر، وقال ابن بكير: مات في طاعون عمواس، وقال عمرو بن علي: مات سنة عشرين، وقال ابن زبر: مات بدارياً، وفي المعرفة لابن منده أنه دفن بحلب. انظر: الإصابة لابن حجر (٣٢٦/١). والاستيعاب لابن عبد البر (١٧٨/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٢/٣).

(٤) هو: عمار بن ياسر العنسي، أبو اليقظان، حليف بني مخزوم، وأمّه سمية مولاة لهم، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعدّب في الله، فكان النبي ﷺ يمرّ عليهم فيقول: صبرا آل ياسر موعدكم الجنة. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، وقتل مع عليّ بصفين سنة سبع وثمانين. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٧٥/٤). والاستيعاب لابن عبد البر (١٣٥/٣). والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٤٦/٣).

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ مستلذين أشراً وبطراً بما هم فيه من الحطام، وبما فيه فقراء الصحابة رضي الله عنهم من الضنك والأواء. وقرأ حفص: "فكهِينَ" مقصوراً، والمد أولى؛ لوجود ذلك وقت الانقلاب. والرسم على القصر.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ طريق الرشاد في اتباع محمد وترك دين الأشياخ.

[٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد. رد منه تعالى عليهم، أو هو كلام الكفار لهم إذا دعوهم إلى الإيمان. وكان الظاهر: وما أرسلوا علينا حافظين إلا أنه سلك طريقة الغيبة كقولك: قال زيد ليفعلن كذا.

[٣٤-٣٥] ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٣٤] ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ بدل ما كانوا يضحكون منهم في الدنيا. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ حال من "يضحكون".

[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المخاطب: هم المؤمنون على الأرائك إذا نظروا إلى الكفار في جهنم؛ زيادة في سرورهم، وأن الله تعالى قد كافأهم. والتثويب: الإثابة، استعمل في العذاب؛ حكماً، والاستفهام للتقرير.

تمت سورة التطيف، والحمد للكريم اللطيف، والصلاة على الرسول الشريف، وآله وصحبه ذوي الفضل المنيف.

سورة الانشقاق

مكية، وآيها خمس وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أي: بالغمام وتنزل فيه ملائكة العذاب كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾^(١). وعن علي عليه السلام: "تنشق من^(٢) الحجر"^(٣).

[٢] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ واستمعت له، من الإذن وهو الاستماع. والمعنى: أطاعت لما أريد منها من الانشقاق إطاعة المأمور إذا ورد عليه أمر من الأمر المطاع. ﴿وَوَحِّتْ﴾ وكانت محققة جدية بالإطاعة؛ لورود أمر القاهر المقتدر الذي لا يتأبى^(٤) عليه مراد. والجواب محذوف؛ ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم في سورتي التكوير والانفطار. وقيل: الجواب: ما دل عليه ﴿فَمَلَأِيهِ﴾^(٥) أي: إذا وقع ذلك لاقى الإنسان كدحه، أو ﴿فَمَلَأِيهِ﴾^(١) على أن ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾^(٢) اعتراض.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.

(٢) "من" ورد في (ح) ٥٦٣/ب: عن.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٢٥٩/٧).

(٤) "يتأبى" ورد في الأصل و (ح) ٥٦٣/ب: يتأبى.

(٥) جزء آية من سورة الانشقاق، الآية: ٦.

[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ عن ابن عباس: ((مدّ الأدم العكاظي ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٣)))^(٤)، أو هو من المدد أي: زيدت سعة وبسطة، والأول أظهر؛ إذ إيجاد أجزاء أحر مضافة لم يشهد له خبر ولا أثر.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات والكنوز ﴿وَوَتَخَلَّتْ﴾ غاية الخلو؛ للدلالة التفعّل على التكلف. كأنها كلفت أن تبلغ في ذلك غاية الجهد.

[٥] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: في إلقاء ما في بطنها وتخليها، ولا تكرار؛ لأن الأول في السماء وهذا في الأرض.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الكدح: الجد والجهد في العمل. والضمير في ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ للرب أي: لا مفرّ لك منه، أو للكدح أي: ملاقي جزاءه^(٥) كما في الحديث: ((إِنَّمَا^(٦) هِيَ أَعْمَالُكُمْ تَرُدُّ إِلَيْكُمْ))^(٧) ثم فصل ذلك بقوله:

(١) جزء آية من سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٢) جزء آية من سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٣) لأن الأدم إذا مدّ زال كل انثناء فيه واستوى، أو من مدّه بمعنى أمده، أي: زيدت سعة وبسطة. انظر: جامع البيان للطبري (٤٩/١٧). والكشاف للزمخشري (٢٥٩/٧). والدر المنثور (٥٧/٥). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٨/٢).

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٧.

(٥) "جزاءه" ورد في (ر) ٥٠٨/ب: جزاؤه.

(٦) "إنما" ورد في الأصل ٣٤٢/ب: إن.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (رقم: ٤٦٧٤) في حديث قدسي طويل، وورد فيه: ((... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَرْفِقُكُمْ بِهَا...)). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الغصب، باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق (رقم: ١١٢٨٣).

[٧-٨] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿سهلاً من

غير مناقشة تشق عليه. روى الشيخان وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ قال: ليس أحد يحاسب إلا عذب^(١) قلت: أو ليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٢) قال: ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلِكًا))^(٣). وعنهما: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه))^(٤).

[٩] ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: عشيرته، أو إلى فريق المؤمنين، أو إلى أهله في الجنة من الحور والولدان^(٥). ﴿مَسْرُورًا﴾ فرحاً.

[١٠-١١] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ تغلّ يمناه إلى عنقه، وتثنى شماله إلى وراء ظهره. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو بُرُورًا﴾ أي: يدعو بالويل والهلاك.

(١) "جزاء" ورد في (ر) ٥٠٨/ب: جزاؤه.

(٢) سورة الإنشقاق، الآية: ٧-٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع فيه (رقم: ١٠٠)، وكتاب الرقاق، باب مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُدْبٌ (رقم: ٦٠٥٦). ومسلم، كتاب الحجة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحسب (رقم: ٥١٢٢). وأبو داود، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء (رقم: ٢٦٨٩). والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه (رقم: ٢٣٥٠).

(٤) أخرجه أحمد، مسند الانصار، حديث عائشة رضي الله عنها (رقم: ٢٣٠٨٢) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهُ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ، قَالَ: أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكًا، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ تُشَوِّكُهُ. والحاكم في المستدرک، أول كتاب الصلاة، باب التأمین (رقم: ٩٣٦). وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب مسألة الرب جل وعلا في الصلاة محاسبة يسيرة (رقم: ٨٤٩). وابن حبان في صحيحه، باب إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، ذكر وصف العرض الذي يكون في القيامة لمن لم يناقش على أعماله (رقم: ٧٣٧٢).

(٥) "الولدان" ورد في (ر) ٥٠٨/ب: والولدان في الجنة.

[١٢] ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي: بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، من التصلية كقوله: ﴿وَتَصَلِّيَةُ جَحِيمٍ﴾^(١) معدى إلى مفعولين.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ سرور بطر بالمال والجاه، لا يخطر بباله أمر الآخرة.

[١٤-١٥] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٢) تعليل لذلك السرور. ﴿بَلَى﴾ إيجاب بعد النفي بـ"لن" أي: ليحورن لا محالة. والخور: هو^(٣) الرجوع. وفي الحديث: ((نعوذ بالله من الحور بعد الكور))^(٤) أي: الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه. ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيه على أعماله.

[١٦] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقِيقِ﴾ وهي الحمرة بعد مغيب الشمس، وعن أبي حنيفة: هي البياض، وروى أسد بن عمرو^(٤): أنه رجع عن ذلك^(١). مأخوذ من الشفقة؛ لرقته.

(١) سورة الواقعة، الآية: ٩٤.

(٢) "هو" ساقط من (ح) ٥٦٢/أ.

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الحور بعد الكور، (رقم: ٥٤٠٣) بلفظ: أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُتَقَلَّبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ". والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً (رقم: ٣٣٦١). وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب الدعاء عند الخروج إلى السفر (رقم: ٢٥٣٣). والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب آداب السفر، باب الدعاء إذا سافر (رقم: ١٠٠٨٣).

(٤) هو: أسد بن عمرو بن عامر القشيري البجلي القاضي، أبو المنذر، ثقة، من أهل الكوفة، ولي القضاء بواسط ثم ببغداد، وحج مع هارون الرشيد، وكان عنده حديث كثير، صحب أبا حنيفة وتفقه، وهو أول من كتب كتب أبي حنيفة، وروي عنه "أن أبا حنيفة رحمه الله صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة". توفي سنة ١٨٨هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣١/٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٩/٦). والأعلام للزركلي (٢٩٨/١).

[١٧-١٨] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما أحاط به الليل من الكائنات، من الوسق وهو الجمع. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ انتظم واجتمع نوره إذا كان بدرًا.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي: حالاً متجاوزاً عن الآخر في الشدة، وهي الموت وما بعده من الأهوال. والطبق: ما طابق غيره أي: وافقه، ومنه أطباق الثرى، والطبق: الغطاء. وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي بفتح الباء على أنه خطاب لرسول الله ﷺ. وعد له بالإسراء أي: لتسلكن أطباق السماوات في المعراج، أو لكل أحد من أفراد الإنسان نظراً إلى لفظه أي: لفظ الإنسان فإنه مفرد.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالبعث بعد ظهور دلائله.

[٢١-٢٢] ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون إكراماً له^(٢)؛ لدلالة إعجازه على أنه كلام الله. واستدل به أبو حنيفة رحمه الله على وجوب السجود؛ لأنّ الذم لا يكون إلا على ترك الواجب^(٣). روى مسلم والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنه سجد فيها وقال [٢٤٢/ب] سجدت خلف أبي القاسم فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه))^(٤). قيل:

(١) انظر: الكشف للزمخشري (٢٦١/٧). والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥٤/١٠). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسين بن محمد النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض [مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ١٣٢٨هـ، ط ١] (٣١٣/٧).

(٢) "له" ساقط من (ح) ٥٦٣/ب.

(٣) قال في المبسوط: عن عثمان وعليّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهم قالوا: السجدة على من تلاها، السجدة على من سمعها، على من جلس لها، اختلفت ألفاظهم بهذه وعلى كلمة إيجاب، ولأن الله تعالى ويخ تارك السجود بقوله ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ {سورة الانشقاق، الآية: ٢١} والتوخيخ لا يكون إلا بترك الواجب. انظر: المبسوط لشمس الدين السرخسي [دار المعرفة - بيروت] (٢٦٤/٢). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٢٠٢/٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء، (رقم: ٧٢٤). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، (رقم: ٩٠٧).

قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(١) فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون وتضاحكوا فنزلت^(٢): ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآن، والدليل إنما ينفع المسترشد.

[٢٣-٢٤] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يضمرونه من الكفر والردائل، أو بما يجمعونه في صحائف أعمالهم. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تهكم بهم.

[٢٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء منقطع، أو متصل بتقدير الضمير أي: منهم. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، أو مشوب بالمنة.

تمت سورة الانشقاق، والحمد للواحد الخلاق، والصلاة على الكامل بالاتفاق، وآله وصحبه إلى يوم التلاق.

(١) جزء آية من سورة العلق، الآية: ١٩.

(٢) انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (١٧٧/٤). والتفسير الكبير للرازي (٤٢٩/١٦).

سورة البروج

مكية، وآيها اثنتان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر المشهورة. والإقسام بها؛ لأن سير الشمس فيها، وبه نيظ نظام العالم^(١) السفلي. أو منازل القمر؛ لأن تلك البروج منقسمة إلى ثمانية وعشرين منزلاً. أو الكواكب العظام. أو أبواب السماء، فإن النوازل يظهر منها. وأصل التركيب للظهور، ومنه تبرج المرأة^(٢). ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ عن أبي هريرة وأبي مالك الأشعري^(٣) عن رسول الله ﷺ: ((الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة))^(٤) وكذا عن سعيد بن المسيب، وعن ابن عباس

(١) "وبه نيظ نظام العالم" ورد في الأصل: وبه نيظ الكلام نظام العالم، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) "تبرج المرأة" ورد في الأصل: تبرج البروج المرأة، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) هو: أبو مالك الأشعري، قيل: اسمه عبيد، أو عبيد الله، أو عمرو، أو كعب بن كعب، أو كعب بن عاصم، أو عامر بن الحارث بن هانيء بن كلثوم، أسلم وصحب النبي ﷺ، وغزا معه، وروى عنه. روى عنه عبد الرحمن بن غنم والشاميون. توفي سنة ١٨ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٣٥٦/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٧٤٥/٤). والوافي بالوفيات للصفدي (٢٨١/٧). وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٩٥/١٢).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج (رقم: ٣٢٦٢). والنسائي في السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة [مكتب المطبوعات- حلب- ١٤٠٦هـ، ط ٢] كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة

ﷺ: "الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة"^(١) وعن سعيد بن جبير: "الشاهد: هو الله، والمشهود: يوم القيامة"^(٢).

[٤] ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ دليل جواب القسم، أي: أقسم أن قريشاً للمعونون، أحقاء بأن يقال فيهم: قتلوا كما قتل أصحاب الأخدود. وقيل: المذكور هو الجواب. والأول: هو الوجه؛ لأن الكلام مسوق لتصبير^(٣) المؤمنين وتهديد المشركين كما دل عليه آخر السورة. والأخدود: جمع خدّ وهو الشق. وفي الحديث: ((أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ))^(٤) والقصة على ما رواها^(٥) مسلم: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ كَافِرٌ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ سَأَلَ الْمَلِكَ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا لِيَعْلَمَهُ السِّحْرَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا، وَكَانَ فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ عَلَى مِثْلِ عَيْسَى، فَسَمِعَ الرَّاهِبَ وَأَعْجَبَهُ كَلَامَهُ، فَانْقَطَعَ مِنَ السَّاحِرِ إِلَى الرَّاهِبِ، فَكَانَ يَضْرِبُهُ السَّاحِرُ لَانْقِطَاعِهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ مَا حَبَسَكَ عَنِّي قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا سَأَلَكَ أَهْلُكَ^(٦) قُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَمَرَّ يَوْمًا عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ

(رقم: ٦٣٠). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجمعة (رقم: ٥٣٥١). وأحمد، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، (رقم: ٧٢٣٢).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى قتل أصحاب الأخدود (رقم: ١١٦٦٣). وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣٥/٢٤).

(٢) "وعن سعيد بن جبير: "الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة" ساقط من (ح) ٥٠٩/أ.

(٣) "لتصبير" ورد في (ح) ٥٦٤/أ: لتصبر.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة موقوفاً على مسروق، كتاب الجنة، ما ذكر في الجنة وما أعد فيها مما أعد لأهلها (رقم: ٣٣٩٥٩). وأورده البغوي تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ {جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٥}. انظر: معالم التنزيل للبغوي (٧٣/١).

(٥) في (ح) ٥٦٤/أ: راها.

(٦) "أهلك" ساقط من الأصل (ح) ٥٦٤/أ.

إليك من الساحر فاقتل هذه الدابة"، فرماها فقتلها فأخبر الراهب فقال: "إنك أفضل مني، وستبلى فلا تدل علي"، فشرع الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، وكان جليس الملك قد عمي، فأتى الغلام بأموال وقال: "اشفني"، قال: "الشافي هو الله، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك"، فأمن فدعا الغلام فشفاه الله، فلما حضر الملك قال: "من ردّ عليك البصر"؟ قال: "ربي"، قال: "أنا"؟ قال: "لا، ربي وربك الله"، فأخذه يعذبه حتى دلّ على الغلام، فلما أتى به قال: "بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمه والأبرص"؟ قال: "الشافي هو الله"، قال: "أولك ربّ غيري"؟ قال: "ربي وربك الله"، فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فقال للراهب: "ارجع عن دينك" فلم يرجع، فوضع المنشار على رأسه فشقه، ودفع الغلام إلى جماعة فقال: "اذهبوا به إلى ذروة شاهق فألقوه"، فلما علوا به الجبل، فقال: "اللهم أكفنيهم"، فرجف بهم الجبل فهلكوا عن آخرهم، فرجع الغلام^(١) سالماً، فسأله الملك عن القوم؟ فقال: "هلكوا"، فدفعه إلى نفر وقال: "اجعلوه في قرقور"^(٢) فإذا توسطتم البحر فألقوه في البحر"، فلما توسطوا البحر قال: "اللهم اكفنيهم"، فغرقوا ورجع الغلام إلى الملك، فقال: "ما فعل أصحابك"؟ قال: "غرقوا"، ثم قال للملك: "أنت لا تقدر على قتلي إلا إذا فعلت ما أمرك به، اجمع الناس في صعيد واحد واصليني، وخذ سهما من كنانتي وقل: بسم الله ربّ الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قدرت على قتلي"، ففعل ذلك فقتل الغلام، فقال الناس: "آمنا بربّ الغلام"، فأمر بأفواه السكك فخذت أحاديده وأضرمت فيها النيران وقال: "من رجع عن دينه فدعوه"، فكانوا يتعادون ويتدافعون إلى النار رغبة في الموت على الدين، فجاءت امرأة تحمل رضيعاً فتقاعست فنادها الرضيع: "يا أمّاه اصبري فإنك على الحق"، فألقت نفسها مع الصبي^(٣). وعن عليّ: أنهم حين اختلفوا في

(١) "الغلام" ورد في (ح) ٥٦٤/أ: الغلام، والظاهر أنها سقطت من النسخ.

(٢) القُرْقُورُ: ضرب من السفن وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة. انظر: الصحاح في اللغة للجوهري "قرقر" (٧٣/٢).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج (رقم: ٣٢٦٣). وأحمد، باقي مسند الأنصار، حديث صهيب (رقم: ٢٢٨٠٥). وابن حبان في صحيحه، باب الأدعية، ذكر البيان بأن المرء إذا دعا الله جل وعلا بنية

أحكام الجوس، قال: هم أهل كتاب، وكانوا متمسكين به، فشرّب بعض ملوكهم الخمر، ووقع على أخته، فلما صحا ندم وطلب المخرج، فقالت أخته: المخرج أن يخطب ويقول في الخطبة: أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، ثم بعد ذلك تخطبُ وتقول: إن الله قد حرّم ذلك، فخطب، فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا، فقالت: أبسط فيهم السيف، ففعل فلم يقبلوا، فأمرته بالأخدود وإيقاد النار وإلقاء من أبي فيها^(١). وروى ابن إسحاق: أن رجلاً عالماً من علماء^(٢) النصارى وقع بنجران فدعاهم إلى دين عيسى فأمنوا به فسار إليهم ذو نواس اليهودي^(٣) من بلاد اليمن، فخيرهم بين النار^(٤) واليهودية فأبوا،

صحيحة وعمل مخلص قد يستجاب له دعاؤه وإن كان الشيء المسؤول معجزة (رقم: ٨٧٣). وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب المغازي، حديث أصحاب الأخدود (رقم: ٩٧٥١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره بلفظ: قد كانوا أهل كتاب، وقد كانت الخمر أُحلت لهم، فشرّبها ملك من ملوكهم حتى مثل منها، فتناول أخته فوقع عليها، فلما ذهب عنه السكر قال لها: ويحك، فما المخرج مما ابتليت به؟ فقالت: اخطب الناس، فقل: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقام خطيباً، فقال: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقال الناس: إنا نرى إلى الله من هذا القول، ما أتانا به نبي، ولا وجدناه في كتاب الله، فرجع إليها نادماً، فقال لها: ويحك، إن الناس قد أبوا عليّ أن يقرّوا بذلك، فقالت: ابسط عليهم السيّاط، ففعل، فبسط عليهم السيّاط، فأبوا أن يقرّوا، فرجع إليها نادماً، فقال: إنهم أبوا أن يقرّوا، فقالت: اخطبهم، فإن أبوا فحرد فيهم السيف، ففعل، فأبى عليه الناس، فقال لها: قد أبى عليّ الناس، فقالت: خذ لهم الأخدود، ثم اعرض عليها أهل مملكتك، فمن أقرّ، وإلا فاقدفه في النار، ففعل، ثم عرض عليها أهل مملكته، فمن لم يقرّ منهم قذفه في النار، فأنزل الله فيهم: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ) إلى (أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَرَقُوهُنَّ أَنْ يَتُوبُوا فَلَهُنَّ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُنَّ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات. انظر: جامع البيان للطبري (٣٣٧/٢٤). والدر المنثور للسيوطي (٤٦٧/٨).

(٢) "علماء" ورد في (ح) ٥٦٤/ب: عالم.

(٣) هو: يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شرحبيل، آخر ملوك حمير في اليمن. وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية، فسار إليهم، وحفر أحاديث "حفرا مستطيلة"، وملاها حجراً، وجمع أعيان المنتصرين منهم فعرضهم على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجح، ومن أبى هوى. انظر: الأعلام للزركلي (٨/٣). غوامض الأسماء المبهمة لخلف بن بشكوال، تحقيق: د. عزالدين علي السيد ومحمد كمال الدين [عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط ١] (٥٣٥/٢). ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٣١٠/١).

فأحرق منهم اثني عشر ألفاً، وقيل سبعين ونجا منهم رجل فلحق بقيصر^(٢)، فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يحثه على قتال ذي نواس ونصر دين عيسى، فأرسل النجاشي^(٣) جيشاً أميرهم أرياط^(٤) فهزم ذا نواس اليهودي، حتى دخل البحر في سفينة وغرق فيها، واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف بن ذي يزن^(٥) من أبناء تبع^(٦) وهو الذي أختبر عبد المطلب بشأن رسول الله وصفاته^(٧).

[٥] ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ النار بدل اشتمال. و﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة الوقود من الحطب والناس. قيل: كان طول الأخدود أربعين ذراعاً في عرض اثني عشر. [٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ظرف لـ "قتل"، أي: لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدتين حولها.

(١) "النار" ساقط من (ح) ٥٦٤/ب.

(٢) قال في اللسان مادة "قصر" (١٠٤/٥): قيصر: اسم ملك يلي الروم، وقيل: قيصر ملك الروم.

(٣) قال في اللسان مادة "نجش" (٣٥٢/٦): النجاشي بالفتح: اسم ملك الحبشة.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) سيف بن ذي يزن ملك حمير، قيل: اسمه النعمان بن قيس، ذكره ابن منده في الصحابة، وقال: أدرك النبي ﷺ، وأخبر جده عبدالمطلب بنبوته وصفته. قلت: مات سيف قبل المبعث، والذي أهدى إلى النبي ﷺ وكتابه ولده زرعة كما تقدم في ترجمته. وروى ابن هشام في الدفائن بسند منقطع عن النبي ﷺ أن ظفريه زوج حليلة أخيرهم أنهم لما أرادوا دفن سلول بن حبيشة وقفوا على باب مغلق، فإذا فيه سرير عليه رجل، وعند رأسه كتاب فيه أنا أبو شمر ذو النون، فقال: ذو النون هو سيف بن ذي يزن. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٤٦/٣). ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٣٨٤/١).

(٦) هو: تبع الحميري، واسمه أسعد تبان أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس بن زيد بن عمرو. يقال: إنه أول من كسا الكعبة. انظر: الإكمال لابن ماكولا (٣٦٧/١).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٦/٤). وأخبار مكة لمحمد بن عبد الله الأزرق، تحقيق: رشدي الصالح ملحق [دارالأندلس - بيروت - ١٤١٦هـ/١٩٩٦م] (١٣٥/١).

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه سعى في إحراقهم ولم يقصر، أو يشهدون يوم القيامة على أنفسهم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾^(١)

[٨] ﴿وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وما عابوا منهم إلا أفضل المناقب، وأحسن الخصال وهو الإيمان بمن هذه صفاته، من كونه غالباً على كل شيء، منعماً محموداً على نعمه. كقوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ^(٢).

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أعاد المظهر؛ للدلالة على أن شمول العلم شأن الألوهية ومن لوازمها.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يشمل أصحاب الأخدود وغيرهم. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ لكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ نار أخرى عظيمة تتسع بهم كما يتسع الحريق لفتنتهم، وقيل: هم أصحاب الأخدود لما روي "أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم"^(٣).

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ الذي يستحق ملك الدنيا دونه.

(١) جزء آية من سورة النور، الآية: ٢٤.

(٢) البيت للناطقة الذبياني من الطويل، والمعنى: لا عيب فيهم؛ لأن من هنا عيبهم فلا عيب فيهم، كما تقول: لا عيب له إلا كماله. انظر: الكامل للمبرد (٩٢/١). وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٣٤/١). سبق الاستشهاد به على مثله عند الآية ٢٣ من سورة الجن. ووجه الاستشهاد به كما أسلفنا سابقاً أن الآية الكريمة جرت على أسلوب القصر الذي يؤدي معنىً بلاغياً وهو إظهار المدح بما يشبه الذم.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٤/١٠). والكشاف للزمخشري (٢٦٦/٧).

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: هو الأخذ بالشدة والعنف. فالوصف بالشدة زيادة مبالغة، ثم قرر ذلك بقوله:

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدْئِي وَيُعِيدُ﴾ ومن هذا شأنه يكون بطشه وانتقامه من أعدائه في نهاية الشدة، وقيل: يبدئ البطش في الدنيا ويعيده في الآخرة، وهذا يلائم ما قيل: إن النار انقلبت على أصحاب الأعدود.

[١٤-١٥] ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ﴾ للذنوب ﴿الْوَدُودُ﴾ لمن تاب ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالق العرش، أو كنى به عن الملك ﴿الْمَجِيدُ﴾ خبر رابع لـ"هو". ومجد الله عظمته وكبرياؤه. وقرأ حمزة والكسائي بالجر صفة العرش، والمراد به: عظمة جرمه، أو اتساع الملك؛ دلالة على كمال الاقتدار. والرفع أولى؛ لكونه غالباً في صفاته تعالى.

[١٦] ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا يتأتى عليه مراد. خبر مبتدأ محذوف؛ لدلالته على تحقق^(١) الوصفين: البطش بالأعداء، والمغفرة والود للأولياء. ولو جعل خبر "هو" المذكور "فات"^(٢) ولا يخفى ما في التنكير وزيادة اللام من الفخامة.

[١٧-١٨] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ فرعونَ وَتَمُودَ ﴿أَبْدَلَهُمَا﴾ عن "الجنود"؛ لأن المراد: فرعون وملاه، وضمّ تمود إليه دون غيرهم؛ لقرب بلادهم، ورعاية للفاصلة. والمعنى: قد أحطت^(٣) علماً بتكذيبهم، وما حاق بهم؛ تسلية له وتهديد لقومه.

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ في الإضراب دلالة على أن حال هؤلاء أعجب من أولئك، فإنهم سمعوا بأخبارهم وشهدوا آثامهم وهم مستغرقون في التكذيب.

(١) "تحقق" ورد في (ح) ٥٦٥/أ: تحقيق.

(٢) "فات" ورد في (ح) ٥٦٥/أ و (ر) ٥١٠/أ: فات.

(٣) "أحطت" ورد في (ح) ٥٦٥/أ: أحاطت.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ علماً وقدره، لا يفوته أحد. جملة معترضة.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي: ما كذبوا به قرآن شريف معجز. في الإضراب ترق، وإشارة^(١) إلى أن تكذيبه خارج عن سائر أنواع التكذيب.

[٢٢] ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ عن جمهور الملائكة، لا يطلع عليه إلا بعض المقربين، فكيف يكون كذباً؟.

(١) "وإشارة إلى" ورد في (ر) ٥١٠/أ: وإضراب شارة إلى.

سورة الطارق

مكية، وآيها سبع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٤-١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ الطارق: من الطرق وهو القرع والدَّق، أطلق على الآتي بالليل؛ لأنه يحتاج إلى دقِّ الباب. والمراد به: الكوكب؛ لظهوره بالليل. ﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾﴾ أي: ألمه أولاً ثم فسره؛ إظهاراً لفخامة شأن المقسم به. والثاقب: المضيء كأنه يثقب الظلام بنوره. ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ إن: هي المخففة، و"اللام": الفارقة، و"ما" مزيدة. أي: إنَّ الشأن كل نفس عليها حافظ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: لما بتشديد الميم بمعنى: إله، على إن "إن" نافية، والجملة جواب القسم.

[٥-٦] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ أي: لما ثبت أن عليه ﴿سورة الطارق﴾ حافظاً، فلينظر في نفسه، فإنها أقرب الأشياء إليه، وكيفية تكوُّنها، فإنَّ ذلك النظر يوصله إلى الحافظ الحقيقي، ويعرفه أنه لم يخلق سدى. ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ ذي دفق نسبة كلابين وتامر. أو إسناد مجازي وصف بوصف صاحبه.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ أي: صلب الرجل وترائب المرأة: موضع القلادة، أو ما بين ثدييها. كذا^(١) عن ابن عباس رضي الله عنه، جمع تربة. ولا ينافي قول الأطباء أنه

(١) "كذا" ساقط من (ح) ٥٦٥/أ.

يتولد من جميع أجزاء البدن بعد الهضم الرابع، فيأخذ من كل عضو ما يستعد لأن يكون عضواً آخر مثله؛ لأنه نَبّه مع الاختصار على الأعضاء التي هي أصول في التولد، وذلك أن الترائب تشمل^(١) القلب والكبد والكلى، والصلب الدماغ؛ لاتصال النخاع بالدماغ، وينزل من الدماغ شعب إلى مقدم البدن، وهي الترائب، على أن كلامهم مبناه على الأوهام والظنون، وكلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

[٨] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله تعالى، فخّم أولاً بترك الفاعل في ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾^(٢)، وثانياً بالإضمار؛ لعدم ذهاب الوهم إلى الغير. ﴿عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٍ﴾ أي: على إعادة الإنسان، وقيل: الضمير للماء أي: يقدر على رجعه إلى مخرجه.

[٩-١٠] ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ منصوب بـ ﴿رَجْعِهِ﴾^(٣)، والفاصل ليس بأجنبي؛ لأنه متعلق الجار، أي: تكشف وتظهر. جمع سريرة وهي ما أخفي من العقائد والأعمال. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ من منعة في نفسه ولا من غيره.

[١١-١٢] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ذات المطر، سمي رجعاً؛ تفاعلاً، أو لأن الله يرجعه وقتاً وقتاً، أو لأن العرب تزعم أن السحاب يُحمل من بحار الأرض ثم ترجعه إلى الأرض. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ النبات، أو الشقّ بالنبات والعيون.

[١٣-١٤] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن، أو ما أخبرتم به من الاقتدار على الإحياء، والأول أولى؛ لتناوله هذا وغيره. ﴿لَقَوْلٍ فَصْلٍ﴾ حدّ فاصل بين الحقّ والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ في شيء، بل جدُّ كله.

(١) "تشمل" ورد في (ح) ٥٦٥/ب، و(ر) ٥١٠/أ: يشمل.

(٢) جزء آية من سورة البروج، الآية: ٥.

(٣) جزء آية من سورة الطارق، الآية: ٧.

[١٥-١٦] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يجتهدون في نصب المكائد وإطفاء نوره، يسمونه شعراً وسحراً وكهانة. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ بإفاضته النعم عليهم، والعافية في مقابلة ذلك؛ استدراجاً ليزدادوا.

[١٧] ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الوقت المضروب لهم في علمه تعالى. ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا﴾ إمهالاً يسيراً، كرر؛ مبالغة في التسكين والتصبير، وخالف؛ لأنه أوكد من مجرد التكرار.

تمت سورة الطارق، والحمد للخالق، والصلاة على الكامل الصادق، وآله وصحبه ما لمع شارق.

سورة الأعلى

مكية، وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ الخطاب عام، أو له وأمته تبع. وكما يجب أن ينزه ذاته عما لا يليق من الأوصاف، فكذا الأسماء الدالة عليه تحمل على معاني الكمال والجلال، وتصان عن التأويلات الزائغة، وأن لا يذكر إلا على وجه التعظيم؛ تأدباً بآداب الله. ألا يرى إلى قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١) كيف يرشد إلى ذلك؟ ﴿الأعلى﴾ الأولى جعله صفة للاسم، ويجوز أن يكون وصفاً للرب. عن عقبة بن عامر^(٢) قال: ((لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣) قال لنا رسول الله ﷺ: اجعلوه في ركوعكم، ولما نزل ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوه في سجودكم))^(١).

(١) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) هو: عقبة بن عامر الجهني، أبو حماد، صحابي شهد الفتح، وكان هو الريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، وأمّره على مصر. كان قارئاً، عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً، كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، توفي في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨ هـ - ب مصر. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٢/٢٥٧).

والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٣٣٠). وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م] (١/٢٢٨).

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٩٦، ٧٤. وسورة الحاقة، الآية: ٥٢.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ خلق كل شيء فسواه، بأن جعل له ما يتأتى كماله به ويتم معاشه.

[٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ الأشياء أجناساً وأنواعاً وأشخاصاً. ﴿فَهَدَى﴾ بنصب الدلائل، والإلهام^(٢) وإرسال الرسل، وإنزال الآيات. قرأ الكسائي: "قَدَّر" مخففاً من القدرة، والتشديد أبلغ وأوفق بسائر الآيات.

[٤-٥] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ النبات الذي ترعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ حطاماً أسود بعد خضرته ورفيفه^(٣). والأولى جعل "أحوى" حالاً من المرعى. أي: أخرجه أسود من شدة الخضرة، والفاصل بين الحال وصاحبها ليس أجنبيّاً. وفي تقديمه إشارة إلى سرعة طريان الجفاف كأنه قيل: إن يتم رفيفه يصير غثاء.

[٦-٧] ﴿سُنُقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ كأنه لما أمر بتنزيه اسمه خالج^(٤) قلبه خوف النسيان، فبشره تعالى بإكمال قوته الحافظة بأن لا ينسى شيئاً. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ نسيانه، ولا بأس^(٥) عليه في ذلك. وفي الحديث: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي))^(٦)، أو

(١) أخرجه أبو داود، كتاب ما يقول الرجل في روعه وسجوده (رقم: ٧٣٦). وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب التسييح في الركوع والسجود (رقم: ٨٧٧). والدارمي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع (رقم: ١٢٧٢).

(٢) "الإلهام" ساقط من (ح) ٥٦٥/أ.

(٣) "رفيفه" ورد في جميع النسخ: رفيفه، والمثبت من كتب التفسير.

(٤) خَالَجَ قَلْبِي أَمْرٌ أَي: نَازَعَنِي فِيهِ فِكْرٌ. انظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد "خلج" (١/٣٤٠). وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي "خلج" (١/١٣٨٩).

(٥) "ولا بأس" ورد في (ر) ٥١٠/ب: ولا بأس نسيانه.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الصلوة، باب التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ (رقم: ٣٨٦). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلوة، باب السُّهُوِّ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهَا (رقم: ٨٨٩).

إلا ما شاء الله نسيانه برفع تلاوته وحكمه، وقيل: نفى النسيان رأساً. وقيل: نهي، والألف للفاصلة. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ وقد علم خوفك من النسيان ولذلك أزاله عنك. أو عالم بالأحوال، ولذلك تنسى ما فيه حكمة ومصلحة، أو يعلم جهرك في القراءة مع جبرائيل مخافة فوت شيء منه، فلذلك ضمن لك حفظه.

[٨] ﴿وَيُسْرِكْ لِلْيُسْرَى﴾ نوقفك^(١) للطريقة التي هي أيسر الطرق، وهي شريعته التي لا إصر^(٢) فيها ولا إغلال كما قال التلخيص: ((جتكم بالحنيفية^(٣)) السمحاء لو كان ابن عمران حياً لما وسعه إلا اتباعي^(٤)). عطف على "سنقرئك". وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ [١/٣٤] الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾^(٥) اعتراض.

[٩-١٠] ﴿فَذَكِّرْ﴾ اشتغل بالتذكير بعد أمنك من النسيان. ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ كان مأموراً بالتبليغ والدعوة نفعت الذكرى أو لم تنفع، فلما دعاهم وبلغ في ذلك أقصى جهده حتى قال له: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٦) أشار إلى استبعاد النفع فيهم كأنه قال: افعل^(٧) ما أمرت به لتؤجر، وإن كانوا أهل الطبع. أو المعنى: ذكر

(١) "نوقفك" ورد في (ح) ٥٦٦/أ: يوقفك.

(٢) الإصر: الثقل. انظر: العين للخليل بن أحمد "أصر" (٤٢/٢).

(٣) "الحنيفية" في (ر) ٥١١/أ: بالحنيفية.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الدعاء إلى الإسلام، ذكر حديث جمع القرآن (رقم: ١٧٦) بلفظ: "عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن عمر أتاه فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها، فقال: أمتهوكون أنتم كما هؤكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بما بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي. وأحمد في مسنده، مسند باقي المكثرين، مسند جابر (رقم: ١٤١٠٤) وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأدب، من كره النظر في كتب أهل الكتاب (رقم: ٢٦٤٢١).

(٢) سورة الأعلى، الآية: ٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.

(٤) "افعل" ساقط من (ر) ٥١١/أ

المؤمنين وأعرض عن هؤلاء ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) يؤيده قوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ يخشى الله فإنه يتفكر في الآيات ويتعظ بالمواعظ.

[١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ أي: الكامل في الشقاوة وهو الكافر. و"أفعل" للزيادة المطلقة؛ لدخول الفاسق في السعداء في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(٢)

[١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ نار جهنم في مقابلة النار الصغرى وهي نار الدنيا، أو الدرك الأسفل.

[١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح. ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حياة طيبة. "ثم"؛ للدلالة على أن كونه لا ميتاً ولا حياً أقطع^(٣) من دخول النار. وروى مسلم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ: ((أن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون؛ والذين يريد إخراجهم يميتهم فيها إماتة ثم يخرجون فيلقون في أثمار الجنة))^(٤).

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من أوضار الشرك والمعاصي، أو تكثر من صفات التقوى، أو تطهر للصلاة، أو آتى الزكاة. والرواية عن علي: "أن المراد زكاة الفطر"^(٥). لا

(٥) جزء آية من سورة الذاريات الآية: ٥٥.

(٦) جزء آية من سورة هود الآية: ١٠٥.

(٧) "أقطع" ورد في (ر) ٥١١/أ: أقطع.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (رقم: ٢٧١) بلفظ: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أثمار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبئون نبات الحبة تكون في حميل السيل". وابن حبان في صحيحه، باب فرض الإيمان، ذكر الإخبار بأنهم يعودون بيضاً بعد أن كانوا حمماً يرش أهل الجنة عليهم الماء (رقم: ١٨٤) والدارمي في سننه، ومن كتاب الرقاق، باب ما يخرج الله من النار برحمته (رقم: ٢٨١٧).

(٢) "الفطر" ورد في (ر) ٥١١/أ: خطر.

تصح^(١)؛ لأن السورة مكية، ولا عيد بها ولا فطر. والأوجه حملة على التركي في الأعمال والإخلاص فيها؛ لقوله: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾^(٢)

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ولا دلالة فيه على تكبيرة الافتتاح ليستدل^(٣) به على خروجها عن الصلاة. وجواز قيام سائر الأذكار مقام التكبير.

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الخطاب عام أو خاص بأهل مكة. والمضرب عنه ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾^(٤)، أو ﴿ذَكَرَ﴾^(٥) أي: تؤثرون الحياة على الفلاح أو الذكر. وقرأ أبو عمرو بالغيبة باعتبار ﴿الْأَشْقَى﴾^(٦) إذا لم يُرد به معين. والخطاب أولى؛ لقول ابن مسعود ﷺ: "عجلت لنا الدنيا فآثرناها"^(٧)، ولقراءة أبي: ﴿بَلْ أَنتُمْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٨) وفيه إشارة إلى قلة النفوس الكمل، على أسلوب ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٩)

[١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ إذ نعم الدنيا لا تشارك نعم الآخرة إلا في الاسم مع سرعة زوالها.

(١) "لا تصح" ورد في (ر) ٥١١/أ: لا يصح.

(٢) جزء آية من سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٣) "ليستدل" ورد في (ح) ٥٦٦/ب: ليستدل.

(٤) جزء آية من سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٥) جزء آية من سورة الأعلى، الآية: ١٥.

(٦) جزء آية من سورة الأعلى، الآية: ١١.

(٧) أورده ابن الجوزي في تفسيره بلفظ: "إن الدنيا عجلت لنا، وإن الآخرة نُعتت لنا وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل. انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٤٩/٦).

(٨) أورده البغوي في تفسيره. انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٠٣/٨).

(٩) جزء آية من سورة سبأ، الآية: ١٣.

[١٨] ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ المشار إليه جميع ما في السورة، أو ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١)، أو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢). والأول أعم وأصح؛ لما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((كلها))^(٣).

[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ روي عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: ((أنزل الله تعالى مئة وأربعة كتب، على آدم عشر صحائف، وعلى شيت خمسين، وعلى إدريس ثلاثين، وعلى إبراهيم عشرًا، والتوراة والزبور، والإنجيل، والفرقان))^(٤)

تمت سورة الأعلى، والحمد لمن له الأسماء الحسنى، والصلاة على صاحب المعراج والإسراء، وآله وصحبه أولي الفضائل والتقوى.

(١) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٢) جزء آية من سورة الأعلى، الآية: ١٧.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة الأعلى (رقم: ١١٦٦٨). والحاكم في المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر (رقم: ٢٩٣٠).

(٤) أخرجه ابن حبان في حديث طويل، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون من كل خير حظ (رقم: ٣٦١).

سورة الغاشية

مكية، ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ❀ أي: القيامة؛ لأنها تغشى^(١) الناس بأهوالها وأفزاعها. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ❀ ذليلة.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ❀ عملت في الدنيا وتعبت بلا نفع ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ ❀^(٢)، أو "عاملة" في النار بجر السلاسل والأغلال، "ناصبية" في الصعود والهبوط في جبال النار وأوديتها. وقيل: هؤلاء نساك اليهود والنصارى أصحاب الصوامع كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

[٤-٥] ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا﴾ ❀ تدخلها، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر بضم التاء على بناء المفعول، من أصليته أدخلته النار وهو أبلغ وأوفق بقوله: "تُسْقَى". ﴿حَامِيَةٌ﴾ ❀ في غاية الحرارة؛ لأن النار لا تكون^(٣) إلا حارة. ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٍ﴾ ❀ متناهية.

(١) "تغشى" ورد في (ح) ٥٦٦/أ: يغشى.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٣) "لا تكون" ورد في الأصل بدون تنقيط، وفي (ح) ٥٦٦/أ و(ر) ٥١١/ب: لا يكون، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ جنس من الشوك ترعاه الإبل مادام رطباً فإذا ييس تتحاماه^(١)، وهو سم قاتل، ولا ينافيه ﴿إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾^(٢)؛ لاختلاف طبقات الأكل، لبعضهم الغسلين، ولبعضهم الضريع، ولبعضهم الزقوم. أو بحسب الأوقات كمأكولات الدنيا، في كل فصل يؤكل ما يلائمه جزاء على ما كانوا فيه من التنقل^(٣) في اللذات.

[٧] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ مرفوع المحل، أو مجروره على وصف "طعام"، أو "ضريع" أي: مع ما يقاسون منه في التناول لم تترتب فائدة الأكل؛ لأن الغرض منه أحد الأمرين.

[٨] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة ورونق كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(٤). ولم يعطف الوجوه على الوجوه عطف أحد الضدين على الآخر؛ لأن الإتيان بها على وجه الاعتراض استطراداً.

[٩-١٠] ﴿لَسَعِيْهَا رَاضِيَةٌ﴾ لما رأت من ثوابها^(٥). ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ علو المكان والمقدار.

[١١] ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ في المخاطبة أو الوجوه. ﴿لَاغِيَةً﴾ كلمة ذات لغو أو لغواً^[٣٤/ب] أو نفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة ذكر وحكم.

(١) "تتحاماه" ورد في الأصل بدون تنقيط، وفي (ح) ٥٦٦/أ و (ر) ٥١١/ب: يتحاماه.

(٢) جزء آية من سورة الحق، الآية: ٣٦.

(٣) في الأصل، و(ر) ٥١١/أ: السفلى، وفي (ح) ٥٦٦/أ: التنقل. ولعله هو الصواب؛ لأنه أنسب للسياق.

(٤) سورة المطففين، الآية: ٢٤.

(٥) "ثوابها" ورد في (ح) ٥٦٦/أ: أثوابها.

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: عيون كثيرة كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾^(١) وقيل: التنكير للتعظيم.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ سَمَكًا، أو قدراً.

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أباريق لا عرى لها. ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ عن حدّ الكبر أي: أوساط معتدلة، أو موضوعة بين أيديهم لا يحتاجون إلى الطلب، أو على حافات العيون؛ لأنها ألد منظرًا كما يتعاطاه أهل الشرب في مجالسهم.

[١٥] ﴿وَتَمَارِقٌ﴾ جمع ثَمْرِقَة بضم النون والراء وكسرهما وهي الوسادة. ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى بعض ليجلس حيث اختار كما يفعله الملوك في قصورهم؛ لئلا يحتاجوا إلى النقل.

[١٦] ﴿وَزَرَابِيٌّ﴾ بُسُطٌ عِرَاضٌ فَاحِرَةٌ. وقيل: ما فيه حمل رقيق^(٢)، جمع زَرِيَّةٌ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة، أو مفرقة في المجالس.

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ عاد إلى ما افتتح به السورة من ذكر القيامة وأهوالها. ولما كان الكلام مع العرب، وجلّ ما لهم هي الإبل، ولم تزل^(٣) مخيلتهم مشحونة بتخيل الماء والمرعى. فكما انتظم خيالهم الإبل، والمطر النازل من السماء المنبت في الجبال والأراضي الكلاء، انتظم الذكر على نحو ما انتظمه ذلك الخيال. وفي خلق الإبل، وإعضائها^(٤)، وأخلاقها، من التحمل على المشاق، وسرعة الانقياد، مع عظم الجثّة ما يقضي منه العجب. حكى بعض الثقات "أن قطاراً منها افتقدت، فوجدوها قد أخذ فأرة بجبل

(١) جزء آية من سورة التكوير، الآية: ١٤، وجزء آية من سورة الإنفطار الآية: ٥.

(٢) "رقيق" ورد في الأصل بدون تنقيط، وفي (ر) ٥١١/ب: رقيق، والمثبت من (ح) ٥٦٧/أ.

(٣) "لم تزل" ورد في جميع النسخ: لم يزل، ولعلّ الصواب ما أثبتناه.

(٤) "وإعضائها" ورد في (ح) ٥٦٧/أ: أعطائها.

خطامها^(١)، فدخلت به بيتها، فتبعتها^(٢). قال بعض الأدباء: "أردت أن أولف^(٣) كتاباً في شرح خلقها، فتصورت أن لو فعلت جاء مجلداً".

[٢٠-١٨] ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿﴾ بلا عمد ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿﴾ نصباً راسخاً لا تميل ولا تزول في تلك المدد المتطاولة ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿﴾ حتى صارت مهاداً، سهل القلب عليها.

[٢٢-٢١] ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿﴾. عمتسلط كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴿﴾^(٤) روى مسلم عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا عصموا مني^(٥) دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿﴾))^(٦). قرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد زايًا. وللخالد^(٧) وجهان: الصاد الخالصة، والإشمام. وهشام بالسين وهو الأصل. والباقون بالصاد وعليه الرسم.

(١) "خطامها" ورد في (ح) ٥٦٧/أ: خطامها.

(٢) "منها" ورد في (ر) ٥١١/ب زائداً.

(٣) "أولف" ورد في (ح) ٥٦٧/أ: اءلف.

(٤) جزء آية من سورة ق، الآية: ٤٥.

(٥) "مني" ساقط من (ح) ٥٦٧/أ.

(٦) أخرجه البخاري بدون زيادة " ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿﴾"، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، (رقم: ٢٤). وأخرجه مسلم بنفس الزيادة عن جابر ليس عن ابن عباس في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (رقم: ٢٤).

(٧) هو: خالد بن خالد أبو عيسى، وقيل: أبو عبد الله، الشيباني مولاهم، الصيرفي الكوفي، الأحول، قارئ الكوفة وتلميذ سليم، تصدّر للإقراء وحمل عنه طائفة، وحدث عن ابن جماعة. توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: العبر في خير من غير للذهبي (٧١/١). وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١٢٠/١). الوافي بالوفيات للصفدي (٣٨٠/٤).

[٢٣-٢٤] ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكن من أعرض وكفر ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الحريق في جهنم، وقيل: متصل فإن الجهاد مع الكفار تسلط عليهم، وقيل: استثناء من "فذكر" أي: فذكر إلا المعرض الكافر، وما بينهما اعتراض.

[٢٥-٢٦] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ لا محالة. سبق به الوعد، وفيه تسلية له، وتهديد لهم.

تمت سورة الغاشية، والحمد على نعمه الوافرة الوافية، والصلاة على من شفاعته كافية، وعلى آله وصحبه صلاة زاكية.

سورة الفجر

مكية، وآيها تسع وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ هو الصبح. أقسم به كما أقسم به في قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١) وعن عكرمة ومحمد بن كعب^(٢): هو فجر يوم النحر. وقيل: بتقدير المضاف أي: وصلاة الفجر.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة قاله: ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما. روى البخاري عن ابن عباس مرفوعاً: ((ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من عشر ذي الحجة قالوا: ولا الجهاد يا رسول الله؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج بماله، ونفسه، ثم لم

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.

(٢) هو: محمد بن كعب بن سليم بن قرظة القرظي، وكنيته أبو حمزة، من أهل المدينة، وكان أبوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك، يروي عن ابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم، كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً. توفي بالمدينة سنة ١١٨هـ، وقيل: إنه مات سنة ١١٧هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٣٥١/٥). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦٥/٥). ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان، تحقيق: م. فلايشهمر [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م] (ص ٦٥).

يرجع بشيء منهما))^(١). وإنما لم تعرف^(٢) الليالي العشر؛ لأنها ليال مخصوصة، فلو عرفت كانت اللام للعهد، فلم يجانس السابقة واللاحقة.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الأشياء كلها، أو الخلق؛ لقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٣). وقد أكثروا القول في الاحتمالات، ولا طائل تحته. وقرأ حمزة والكسائي: الوتر بكسر الواو، وهما لغتان، والفتح أخف، ومصدر وتر أحق بالكسر لا غير.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ إذا انقضى ومضى كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٤). أثبت ياءه ابن كثير في الحالين، ونافع وأبو عمرو في الوصل، وحذفه الباقر اكتفاء بالكسر.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي: هل في الأشياء المذكورة ما يحق عنده أن يكون مقسماً به؟، أو هل في الإقسام بما إقسام له؟ وعلى الوجهين أريد تعظيم المقسم به، ويلزم منه توكيد المقسم عليه. والاستفهام للتقرير. والحجر: العقل؛ لأنه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية لذلك. وجواب القسم محذوف أي: ليعذبن، دل عليه قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق (رقم: ٩١٦). وأبو داود، كتاب الصوم، باب في صوم العشر (رقم: ٢٠٨٢). والترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في أيام العشر (رقم: ٦٨٩٠). وابن ماجه، كتاب الصيام، باب صيام العشر (رقم: ١٧١٧).

(٢) "تعرف" ساقط من (ح) ٥٦٧/أ.

(٣) جزء آية من سورة الذاريات: ٤٩.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٣٣.

(٥) سورة الفجر، الآية: ١٣.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ألم تعلم؟، والخطاب عام، وكان هذا متواتراً عند العرب. وعاد هو: ابن عوص بن إرم بن سام بن [٣٤٥/١] نوح سميت أولاده عاداً، كما يقال لبني هاشم.

[٧] ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ "إرم" عطف بيان لـ "عاد"؛ وذلك أن أولاد إرم سموا عاداً الأولى. وقيل: "إرم" بلدتهم. وعلى الوجهين؛ منع الصرف للعلمية والتأنيث. وإنما وصفوا بذات العماد؛ لكونهم أهل خيام يسكنون البادية، أو لطول قامتهم. روي: "أن منهم كان أربعمائة ذراع"^(١)، فشبهت قدودهم بالأعمد. والظاهر: أن "إرم" اسم بلدة، و"ذات العماد" صفتها؛ لما تواتر وكثر في الأشعار ذكرها. وقصتها: "أن عاداً كان له ابنان شداد وشديد. ملكا الأرض، وقهرا الملوك، ثم مات شديد واشتغل شداد بالملك، ملك الدنيا بأسرها بلا منازع، فسمع بذكر الجنة، وكان عمره إذ ذاك ستمائة سنة، فبنى مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من اليواقيت والزبرجد، في مدة ثلاثمائة سنة، وفيها الأشجار والأنهار المطردة، وكانت^(٢) بأرض عدن، فلما تم بناؤها سار إليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والأنهار، فلما كان بينه وبين المدينة مسيرة يوم وليلة، صاح بهم ملكٌ صيحة هلكوا عن آخرهم"^(٣). وحكي أن عبد الله بن قلابة^(٤) خرج في طلب إبل له فاتفق دخوله^(١) فيها^(٢) فحمل ما قدر عليه، وأتى به معاوية وأخبر الخیر^(٣) والله أعلم.

(١) قال ابن عباس في رواية عطاء: كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع، والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه. انظر: تفسير القرطبي (٤٥/٢٠).

(٢) "كانت" ورد في (ح) ٥٦٨/أ: كان.

(٣) انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي (٥١/١). والنور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد

القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، ط ١] (٣٩١/١-٤٠).

(٤) قال في اللسان: هو عبد الله بن قلابة صاحب حديث "إرم ذات العماد"، ذكره الحسيني، ومن خطه نقلت، وله ترجمة في تاريخ ابن عساكر، وقصة عن معاوية وكعب الأحبار. انظر: لسان الميزان لابن حجر، تحقيق: دائرة المعارف النظامية [مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٠٦هـ، ط ٣] (٥٥/٢). وكتاب العبر وديوان المبتدا والخير في أيام العرب

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ صفة أخرى لـ "إرم" ^(٤). وهذا أيضاً يؤيد أنها اسم البلدة، إذ لو كان اسم القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلها في العباد.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ قطعوا الصخور واتخذوا فيها بيوتاً كقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ^(٥) قيل: نحتوا من الجبال ^(٦) ألفاً وسبعمائة مدينة بالوادي، وادي القرى. أثبت البزي وقنبل في أحد وجهيه الباء ^(٧) في الحالين، وورش وقنبل في الوجه الآخر في الوصل، وحذفها الآخرون.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ سمي به؛ لكثرة جنوده. إما لأن الجنود كالأوتاد للأمير ^(٨) على التشبيه، أو لكثرة خيامهم، أو لأنه كان يعدب بالأوتاد وهذا أشهر.

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون المغربي [دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٤] [١٤/١]. وقال ابن حجر في فتح الباري (٧٠٢/٨): أخرج ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة قصة مطولة جداً أنه خرج في طلب إبل له، وأنه وقع في صحاري عدن، وأنه وقع على مدينة في تلك الفلوات، فذكر عجائب ما رأى فيها، وأن معاوية لما بلغه خبره أحضره إلى دمشق وسأل كعباً عن ذلك فأخبره بقصة المدينة ومن بناها وكيفية ذلك مطولاً جداً. وفيها ألفاظ منكرة، وراويها عبد الله بن قلابة لا يعرف.

(١) "دخوله" في (ح) ٥٦٨/أ: دخولها.

(٢) اتفق دخوله فيها: دخلها صدقة.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٠٩/٤). والعظمة لعبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني (١٤٩٣/٤).

(٤) "إرم" ورد في (ح) ٥٦٨/أ: لازم.

(٥) جزء آية من سورة الشعراء، الآية: ١٤٩.

(٦) "بُيُوتًا" قيل: نحتوا من الجبال" ساقط من (ح) ٥٦٨/أ.

(٧) "الباء" ورد في (ح) ٥٦٨/أ: التاء.

(٨) "للأمير" ورد في (ح) ٥٦٨/أ: وللأمير.

[١١-١٢] ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ صفة المذكورين من عادٍ، وثمودٍ، وفرعون. مرفوع، أو منصوب. ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ تفسير لطغيانهم.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ الإضافة بمعنى أي: سوطاً منه. والمراد: تقليل ما أصابهم في جنب عذاب الآخرة^(١)؛ ولذلك روي عن الحسن أنه لما تلاها قال: "إنَّ عند الله أسواطاً كثيرة"^(٢). وقيل: ما غلظ منه، وذكر السوط كناية عنه. والأول أوفق بسائر الآيات وأشدَّ تهويلاً.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ﴾ مفعال، من رصده: إذا ترقبه، كناية عن عدم الفوت.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ﴾^(٣) كأنه قيل: إنَّ الله تعالى يرصد العصاة بالعقوبة، والإنسان لا يهमे إلا العاجلة ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره بالغنى ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ بالمال والجاه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ مفتخراً بذلك مدعياً استحقاقه، ولم يتلقه بالشكر.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ضيقه عليه. وقرأ ابن عامر: ﴿قَدَّرَ﴾ مشدداً، والمنخف أخف وأوفق بقوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^(٤). ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾؛ لقصور نظره إلى الحطام، ولم يدر أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأن التعبير قد يؤدي إلى كرامة الدارين، ولذلك زواها^(٥) عن أكثر أصفیائه. أثبت نافع في الوصل، والبزي

(١) قال ابن زيد في قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: العذاب الذي عذبهم به سماه سوط عذاب. انظر: جامع البيان للطبري (٤١١/٢٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥٠/٢٠).

(٣) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٤) جزء آية من سورة الطلاق: ٧.

(٥) "زواها" ورد في (ح) ٥٦٨/أ، و(ر) ٥١٤/ب: رواها. زواها: اختارها.

في الحالين ياء "أكرمن" و"أهانن"، ولأبي عمرو وجهان: الحذف والإثبات، وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر.

[١٧-١٨] ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عن هذا القول، ثم أشار إلى أنه مرتكب ما هو شر من هذا القول ﴿بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿ لا تتفقدون^(١) اليتيم بالإحسان، ولا تحثون أنفسكم ولا غيركم على طعام المسكين من غاية الشح، وقلة الشفقة. وقرأ الكوفيون: بفتح التاء والحاء والألف بعده من التفاعل حذف منه إحدى التائين، أي: لا يحث بعضهم بعضاً، وهذا أبلغ؛ لدلالته على أنهم لا يفعلون المعروف ولا يأمرؤن به.

[١٩] ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث، أصله: وراث، قلبت الواو تاءً كما في "تجاه". ﴿أَكَلًا لَمًّا﴾ ذا لم، أي: جمع بين الحلال والحرام؛ لأنهم كانوا لا يورثون النساء ويقولون: المال لمن يحمي الحريم^(٢)، أو تأكلون ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا يميزون بينهما، أو يسرفون في أنواع المواكيل والفواكه كما يفعله الآن الوارث؛ لأنه لم يتعب في تحصيله.

[٢٠] ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ شديداً، مع الشره^(٣) والحرص ومنع الحقوق. وقرأ أبو عمرو: الأفعال الأربعة بالياء غيبة، والخطاب أبلغ تقريراً.

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم، وإنكار لفعالهم ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ دكاً بعد دكاً حتى يصير هباءً منبثاً. وعيد لهم على تلك الأفعال التي يتحسرون على تركها حين لا ينفع.

[٢٢] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ مثل حاله في ظهور آثار قدرته وسلطانه وتوجه إرادته إلى الانتقام من المحرمين بحال ملك اعتنى بقهر أعدائه، فلم يكتف بالجد والعساكر، بل باشر

(١) "لا تتفقدون" ورد في (ح) ٥٦٨/ب: تتقدون.

(٢) "الحريم" ورد في (ح) ٥٦٨/ب: الجريم.

(٣) "الشره" ورد في (ح) ٥٦٨/ب: الشدة.

بنفسه. ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ أي: الملائكة كلهم صفًا بعد صفٍّ على قدر مراتبهم، محققين بالإنس والجن.

[٢٣] ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قال: ((يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون **[٣٤٥/ب]** ألف ملك))^(١). "يَوْمَئِذٍ" بدل من "إِذَا دَكَّتْ"، والعامل فيهما ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ ما فرط منه، أو يتعظ ﴿وَأَتَى لَهُ الذِّكْرَى﴾ استبعاداً لها من حيث النفع؛ لئلا يتناقض ما يتقدمه. ومن استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد أبعد عن الصواب؛ لأن عدم قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول، بل لفوات الوقت بانقطاع التكليف.

[٢٤] ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ هذه وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا كقولك: جئت لعشر خلون من رجب. وهذا من تمني الحال، وفيه دلالة على أن للإنسان اختياراً في أفعاله^(٢).

[٢٥-٢٦] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِتَاقَهُ أَحَدٌ﴾ الضمير: الله أي: لا يتولى عذاب الكافر ولا إيثاقه أحد غيره تعالى، ففيه تهويل. نعوذ بالله من غضب الله الحليم. أو للإنسان، إضافة للمصدر إلى المفعول أي: لا يعذب الزبانية أحداً من خلق الله مثل تعذيب

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (رقم: ٥٠٧٦). والترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار (رقم: ٢٤٩٦). والحاكم في المستدرک، كتاب الأهوال (رقم: ٨٧٥٨).

(٢) قال علي بن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: إذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فاعلاً، كحركات المرتعش. ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفة وفعالاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية. والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له؛ ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه. انظر: شرح الطحاوية في العقيد السلفية لعلي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر [وزارة الشؤون الإسلامية - المملكة العربية السعودية - ١٤١٨هـ، ط ١] (٣/٧٩).

هذا الإنسان. وقرأ الكسائي: بفتح الذال. والعذاب بمعنى: التعذيب والوثاق بمعنى: الإيثاق، كالسلام بمعنى: التسليم والعطاء بمعنى: الإعطاء. والضمير للإنسان، والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر.

[٢٧] ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المؤمنة التي اطمأنت في الدنيا إلى ذكر الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) أو الآمنة من الخوف، والحزن، القائلة: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٢) تخزناً وتحسراً. وهذا إما عند الموت، أو البعث، أو دخول الجنة.

[٢٨-٣٠] ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت ما لا عين رأت ﴿مَرْضِيَةً﴾ عند الله. ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ في زمرة عبادي الصالحين. ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ دار كرامتي ومقر أوليائي.

تمت، والحمد^(٣) لمن نعمه عمّت، والصلاة على من به الرسل تمت^(٤).

(١) جزء آية من سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) جزء آية من سورة الفجر، الآية: ٢٤.

(٣) "الله" ورد في (ر) ٥١٢/ب زائداً.

(٤) "تمت" ساقط من (ح) ٥٦٩/أ.

سورة البلد

مكية، وآيها عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أقسم تعالى بالبلد الحرام الذي هو أشرف الأماكن حرمة يوم خلق السماوات والأرض على أن الإنسان مخلوق في كبد مستغرق في الشدائد. واعترض بين القسم والمقسم عليه:

[٢] ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ دلالة على أن من المكائد كون مثلك حلاً أي: مستحلاً حرمة في مثل هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لنباتها فضلاً عن صيدها. وفيه تسكين له، وإشارة إلى أن سوء صنع المشركين قد بلغ الغاية القصوى، فيقع الذم الآتي لهم في حاق موقعه، أو وعد له بفتح مكة؛ تسلية له بأن ما يقاسيه من الأذى والمكائد عاقبته الظفر، وحلّ البلد الذي لم يحل لأحد قبله ولا لأحد بعده، يفعل فيه ما يشاء قتلاً وهباً، وفيه من إجلال قدره ما ترى، ونظيره في الاستقبال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾^(١) وقولك لمن تعده: أنت مكرم.

(١) جزء آية من سورة الزمر، الآية: ٣٠.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ وآدم وذريته، أو إبراهيم مؤسس البلد وإسماعيل، أو محمد وذريته الطاهرة. والعدول إلى "ما"؛ للدلالة على الوصفية، فيفيد فخامة كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾^(١)

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: في شدة ومشقة؛ لأن أول أحواله ضيق الرحم، وآخره الموت وضيق القبر وما بعده. من كبد الرجل: إذا أوجع كبده. ثم اتسع فيه فأطلق على كل مشقة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يظن هذا الصنديد القوي أن لن تقوم القيامة، ولا يقدر أحد على الانتقام منه. ثم ذكر ما يقول^(٢) في ذلك اليوم:

[٦-٧] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ كثيراً. من تلبّد الشيء: إذا اجتمع. يريد ما كان ينفقه رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة. والمعنى على العموم، وإن نزلت في أبي الأسد بن كلد^(٣)، فإنه كان قوياً، ييسط الأديم العكاظي تحت قدميه ويقوم عليه ثم يقول: من أزالني^(٤) عنه فله^(٥) كذا، فينقطع ويبقى ما تحت قدميه^(٦). وقيل: نزلت في الوليد. ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ حين ينفق ما ينفق رياء وفخراً؟! أي: أن الله كان رقيباً عليه.

[٨-١٠] ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما. ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم به ويعبر به عن مقاصده. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ زينة، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب. ﴿وَهَدَيْنَاهُ

(١) جزء آية من سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) "ما يقول" ورد (ح) ٥٦٩/أ: لقوله.

(٣) لم أجد ترجمته.

(٤) "أزالني" (ر) ٥١٢/ب: أزالني.

(٥) "فله" ساقط من (ح) ٥٦٩/أ.

(٦) أورده السيوطي هذه الرواية في الدر المنثور (٤٧٤/٨) وقال فيها: "أبو الأشدين" بدل أبو الأسد.

التَّجْدِينَ ﴿ طريقي الخير والشر. كقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١) والنجد: ما ارتفع، ففيه إشارة إلى غاية الإيضاح والبيان. وقيل: هما النديان، فإن العرب تقسم بهما، ويقولون: ونجديهما. فالبطن كالغور وهما نجدان.

[١١-١٦] ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ بعد هذه النعم ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ أهم على وجه الاعتراض، ثم فسره بقوله: ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ أو إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أو مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ العقبة: ما صعب من طرق الجبال، كنى به عن صعوبة هذه الأعمال على النفس؛ ولذلك عبّر عن الإتيان بها بالافتحام الذي هو: الدخول في الشيء عنفاً، من القحمة: وهي الشدة. والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب: إذا جاع. وقرب: في النسب والقربة. وترب: افتقر كأنه التصق بالتراب. والمعنى: أن الإنفاق عند الله هو هذا، لا ما افتخر به ذلك المرائي. وقدم ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾؛ لأنه أقرب القربات. روى مسلم والبخاري عن عمرو بن عبسة (٢) أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ لَهُ فَكَاكًا مِنَ النَّارِ عَضْوًا بَعْضُ)) (٣) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: "فك وإطعام" مصدرين مضافين إلى المفعول بالرفع على الخبرية، والباقون: بالفعل بدلاً من "اقتحم"، و"لا" مكررة؛ تقديرًا أي:

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٢) في الأصل "عبه" والذي أثبتناه هو الصواب. وهو: عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة، أسلم قديمًا بمكة، ثم رجع إلى بلاده فأقام بها، إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح فشهدها. قال الحاكم أبو أحمد: قد سكن عمرو بن عبسة الشام، ويقال: إنه مات بمصر. قلت: وأظنه مات في أواخر خلافة عثمان فإنني لم أر له ذكرًا في الفتنة ولا في خلافة معاوية. انظر: الإصابة لابن حجر (٤/٦٥٨). والاستيعاب لابن عبد البر (٣/١١٩٢). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان، باب قول الله تعالى: أو تحرير رقبة (رقم: ٦٢٢١)، ومسلم، كتاب العتق، باب فضل العتق (رقم: ٢٧٧٧) بلفظ: ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ)). كما يلاحظ أنه لم يكن عن عمرو بن عبسة وإنما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لا فك ولا أطمع^(١)، على أن تكرارها غير لازم. ونحو ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٢) إنما يدل على الوقوع دون اللزوم.

[١٧-١٨] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على اقتحم أي: لا اقتحم ولا آمن. ولا يلزم كونه خارجاً منه، بل لكونه أشرف الأجزاء وأساس سائرها نخص بالذكر مع "ثم" دلالة على أناة محله. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى مشاق الطاعات. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الشفقة على خلق الله. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين، أو اليمن.

[١٩-٢٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الشؤم، أو الشمال. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ مطبقة. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص: بالهمز، يقال: أوصدت الباب^(٣) وأصدته: إذا أغلقته. والواو أفصح؛ لاتفاقهم في الوصيد.

تمت سورة البلد، والحمد لمن وفق وسدد، والصلاة على السيد الأوحى، وآله وصحبه إلى آخر الأمد.

(١) في الأصل ق ٣٤٦/ب: إطعام، وفي (ح) ٥٦٩/ب، و(ر) ٥١٢/أ: أطمع. ولعله الصواب؛ لموافقته لسياق الجملة.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣١.

(٣) "الباب" ورد في (ح) ٥٦٩/ب: البات، والمثبت من بقية النسخ.

سورة الشمس

مكية، وآيها خمس عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم بالشمس وضوئها؛ لأن كلاً منهما من بدائع صنعه. الضحوة: وقت ارتفاع النهار، والضحى: فوق ذلك. والضحاء بالفتح والمد: قرب نصف النهار.

[٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ تلا الشمس في النور والكمال ليلة البدر، فإنه يظهر سلطانه كوقت الضحى للشمس، أو تلا الشمس: أخذ من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر، وأما في النصف الثاني فلا تلو؛ لأنه مفارق، أو تلا طلوعه طلوعها.

[٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي: الشمس، على التقابل كما جعل الليل غاشياً الشمس جعل النهار مجلياً لها، فإنها تظهر غاية الظهور إذا انبسط النهار. وقيل: الضمير للظلمة، أو الليل، أو الأرض.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يغشى الشمس بستر ضوئها بظلامه. ولما كانت واوات العطف نواب للواو القسمية الجارة بنفسها قائمة مقام الفعل، سادة مسده، بحيث طرح ذكره رأساً، بخلاف الباء جاز أن تكن عوامل الفعل والجارَّ معاً^(١) كقولك: ضرب زيد عمرواً وبكر

(١) "معاً" ساقط من (ح) ٥٧٠/أ.

خالداً من غير عطف على عاملين مختلفين. هذا ويرد عليه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿^(١) فإنه عطف على المجرور بـ "الباء"^(٢). والحق أن الظرف ليس متعلقاً بفعل القسم؛ لأن التقييد بالزمان غير مراد لا حالاً ولا استقبالاً، بل المعنى: وعظمة الليل وقت غشيانه؛ لأن الإقسام بالشيء إعظام له.

[٥-٧] ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ "ما" ليست مصدرية؛ لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾^(٣) بل موصولة، وإيثارها على "من"؛ لإرادة الوصف، فتفيد فخامة كأنه قال: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، وكذا^(٤) يقدر ما يناسب في غيرها. والقول بإضمار العائد إليه تعالى للعلم به مفوت لتلك الفخامة. ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ دحاها وبسطها. ﴿وَوَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ هي نفس آدم، أو التنكير للتكثير أي: كل نفس، وتسويتها: خلقها في أحسن تقويم.

[٨] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أرشدها إلى طريق الخير والشر. وتقديم الفجور؛ للدلالة على أنه بقدرته وإرادته أيضاً، ولا ينافي مدخلية قدرة العبد كسباً. فإن قلت: التسوية خلق الأعضاء وتعديلها، وإفاضة الروح والقوى وإلهام الفجور والتقوى إنما يكون بعد البلوغ وتوجه^(٥) التكليف، و"الفاء" تقتضي التعقيب من غير تراخ. قلت: التعقيب أمر عرفي، ولما كان تكامل القوى وقت البلوغ، فكان لا تسوية قبله.

(١) سورة التكويم، الآية: ١٧٠-١٨.

(٢) "الباء" ورد في (ح) ٥٧٠/أ: بالفاء.

(٣) جزء آية من سورة الشمس، الآية: ٨. "لأن إلهام الفجور لا يليق أن يكون مقسماً به؛ ولذلك غير الأسلوب بدخول الفاء." ورد في (ح) ٥٧٠/أ: زائداً.

(٤) "كذا" ورد في (ح) ٥٧٠/أ: كذا لا.

(٥) "وتوجه" ورد في (ح) ٥٧٠/أ: اتوجه.

[٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ طهرها من درن الأخلاق الذميمة، وأتمها بالأعمال

السنية. جواب القسم حذف منه اللام؛ لطول الفصل. وقيل: مستطرد لذكر بعض أحوال النفس. والجواب محذوف أي: ليديم من الله على كفار مكة كما دمدم على ثمود.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أخفها، وأطفأ نور الفطرة بظلمات المعاصي. أصله

دسس قلبت الثانية ياء كما في أمليت وتقضي البازي^(١). وإسناد التزكية والتدسية^(٢) إلى العبد إنما يقتضي القيام به لا الاستقلال ولا الإيجاد، فلا دليل فيه للقدرية^(٣)، على أن الأرجح

(١) قال الطبري في تفسير هذه الآية: وقوله: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) ... وقيل: دَسَّاهَا: دَسَّسَهَا، فُكِّبَتْ إِحْدَى سِينَاهَا ياء، كما قال العجاج:

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَّرَ

يريد: تَقْضُضُ. وتظنيت هذا الأمر، بمعنى: تظننت، والعرب تفعل ذلك كثيراً. انظر: جامع البيان للطبري (٤٥٧/٢٤).
والنهاية في غريب الأثر لابن الجزري (١٦٩/٣).

(٢) "والتدسية" ورد في الأصل مكرراً، "والتدسية" الثانية زائدة.

(٣) قال الشهرستاني في معرض الكلام عن شبه المعتزلة: المسلك الثاني لهم في إثبات الفعل للعبد إيجاباً قولهم: التكليف متوجه على العبد بإفعل ولا تفعل، فلم تخل الحال من أحد أمرين: إما أن لا يتحقق من العبد فعل أصلاً فيكون التكليف سفهاً من المكلف، ومع كونه سفهاً يكون متناقضاً، فإن تقديره افعل يا من لا يفعل، وأيضاً فإن الوعد والوعيد مقرون بالتكليف، والجزاء مقدر على الفعل والترك، فلو لم يحصل من العبد فعل ولم يتصور ذلك بطل الوعد والوعيد، وبطل الثواب والعقاب، فيكون التقدير افعل وأنت لا تفعل ثم إن فعلت ولن تفعل فيكون الثواب والعقاب على ما لم يفعل، وهذا خروج عن قضايا الحس فضلاً عن قضايا المعقول حتى لا يبقى فرق بين خطاب الإنسان العاقل وبين الجماد، ولا فصل بين أمر التسخير والتعجيز وبين أمر التكليف والطلب.

وتحقيق ذلك من غير جد عن الإنصاف: أن العبد كما يحس من نفسه التمكن من الفعل وتيسر التأني، يحس من نفسه الافتقار والاحتياج إلى معين في كل ما يتصرف ويجد في استطاعته، ويتكلف فقدان الاستقلال والاستبداد بالفعل في كل ما يأتي ويذر ويقدم ويؤخر من تصرفات فكره نظراً واستدلالاً، ومن حركات لسانه قليلاً وقالاً، ومن ترددات يديه يميناً وشمالاً، فيحس الاقتدار على النظر ولا يحس الاقتدار على العلم بعد حصول النظر. والحق في المسألة: تسليم التمكن والتأني والاستطاعة على الفعل على وجه ينتسب إلى العبد وجه من الفعل يليق بصلاحيته قدرته واستطاعته، وإثبات الافتقار والاحتياج ونفي الاستقلال والاستبداد، فيجد في التكليف موردي الخطاب فعلاً واستطاعة، ويضاف في الجزاء

المستتر إليه تعالى، والبارز المنصوب إلى "من" بتأويل النفس؛ لما روى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا))^(١)

[١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ اسم بمعنى الطغيان؛ ولذلك قلبت يائه واواً فرقاً بينه وبين الصفة، أي: كذبت بسبب طغيانها، أو بعدائها الموعود ذي الطغوى. كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^(٢) فالباء صلة.

[١٢] ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أشقى ثمود قدار بن سالف، أو هو ومن واقفه؛ لأن اسم التفضيل إذا أضيف صلح لما فوق الواحد.

[١٢] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نصب على التحذير. ولما أضاف الناقة إليه تشريفاً ذكر صالحاً باسم الرسول وأضافه أيضاً^(٣)؛ لأنه أولى [٣٤٦/ت] بالإجلال. ﴿وَسُقِيَّاهَا﴾ لا تذودوها عنه.

[١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم به من نزول العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أطبق عليهم العذاب وعمهم به. تكرير دم الشيء كبسه نحو كبكب في كب. وقيل: غضب، من الدمدمة وهو: الكلام المزعج. وقيل: أرجف الأرض بهم. ﴿بِذُنُبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: العقوبة بينهم عموماً، أو سوى ثمود بالأرض.

مقابلةً وتفضلاً والله أعلم. انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام لمحمد عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح رقم: الفرد جيوم (٢٩/١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (رقم: ٤٨٩٩). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من دعوات لا يستجاب لها (رقم: ٧٨٦٤).

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٥.

(٣) "أيضاً" ساقط من (ر) ٥١٣/أ.

[١٥] ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ عقبى الدممة، أو التسوية. والواو للحال أي: فعل ذلك والحال أنه غير خائف من عاقبة فعله كبعض الملوك. وقرأ نافع وابن عامر بالفاء، والواو أبلغ. روى البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه ((ألا أخبرك بأشقى الناس^(١))، قال: بلى، قال: أحمر ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك على هذا، وأشار إلى قرن رأسه حتى تبتل^(٢) منه هذه^(٣)) يريد لحيته

تمت والحمد لمن آلاؤه عمت.

(١) "أشقى الناس" ورد في (ح) ٥٧٠/ب.

(٢) "تبتل" ورد في (ر) ٥١٣ ب: تبل.

(٣) لم أجده في البخاري ومسلم. وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (رقم: ٤٦٧٩). وأحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، بقية حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه (رقم: ١٨٣٤٧).

سورة الليل

مكية، وآيها إحدى وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بظلامه كل ما يواريه، أو النهار، أو الشمس.
﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ تبين وتكشف بانسلاخ الليل عنه.

[٣-٤] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ والقادر الذي خلق الزوجين من كل نوع، أو آدم وحواء. ويجوز أن يكون "ما" مصدرية. وقرأ ابن مسعود وأبو الدرداء^(١) رضي الله عنهما: "والذكر والأنثى" ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جمع شتيت. جواب القسم، أو أن مساعيكم مختلفة الأغراض، متباينة الجزاء. ثم فصل بما على أثره:

[٥-٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ وصدق بالحسنى ﴿أَعْطَى الطاعة في حقوق الله تعالى، واتقى المعصية، وصدق بالتوحيد أو الجنة. ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فسنوفقه للخلة التي تؤديه إلى اليسر والراحة.

(١) هو: عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعاً، واختلف في اسمه فقيل: هو عامر، وعويمر لقب، واختلف في اسم أبيه فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد. أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها، ولآه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. توفي لستين بقينا من خلافة عثمان، وقال الواقدي وجماعة: مات سنة اثنتين وثلاثين، وقال ابن عبد البر: إنه مات بعد صفين، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان. انظر: الإصابة لابن حجر (٧٤٧/٤). والاستيعاب لابن عبد البر (١٢٢٧/٣). والطبقات الكبرى لابن سعد (٣٩١/٧).

[١١-٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بحقوق الله. ﴿وَاسْتَعْتَى﴾ بالحطام الفاني. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ بالنعيم الباقي، أو التوحيد. ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسنخذه وندله على الطريقة التي اختارها. وإطلاق التيسير؛ للمشاكلة. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ سقط في حفرة القبر، أو في قعر جهنم، أو مات من^(١) الردى: وهو الموت. نفي، أو استفهام إنكار.

[١٣-١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ الدلالة والإرشاد إلى طريق الصواب بشرع الأحكام وبيان الحلال والحرام. ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ نعطي ما نشاء لمن نشاء، أو لنا الغنى المطلق لا تنفعنا طاعة ولا تضرنا معصية^(٢).

[١٦-١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ تلهب ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ لا يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب ﴿بالحق﴾ وتولى وأعرض عنه.

[١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ الحصر فيه ادعائي كأن غير هذا الأشقى لا يصلها، وغير هذا الأتقى لا يجنب؛ لاتفاق الكل على أنها نزلت في أبي بكر، وأمّية بن خلف^(٣) حين اشترى منه بلائاً بردة وعشر أواق^(٤). وقيل: أبي جهل وأمّية، وأبي بكر. فالأشقى لم يرد به واحداً. وأما تفسير الصلي بالزوم فلا يدل عليه اللفظ، ويلزم منه أن الشقى لا يلزم بها^(٥)، وينافيه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ خالدين فيها^(٦).

(١) "من" ورد في (ح) ٥٧١/ب: في.

(٢) "لا تنفعنا طاعة ولا تضرنا معصية" ورد في في الأصل بدون تنقيط، وفي (ح) ٥٧١/ب، و(ر) ٥١٤/أ: لا ينفعها طاعة ولا يضرها معصية، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) لم أجد ترجمته.

(٤) انظر: الرياض النضرة لأحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى المانع [دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٩٦م، ط ١] (٢٣/٢).

(٥) "يلزم بها" ورد في (ح) ٥٧١/أ: يلزمها.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠٦، وجزء آية من سورة هود، الآية: ١٠٧.

[١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ في مصارف الخير. ﴿يَتَزَكَّى﴾ من الزكاة^(١) أي: يطلب أن يكون عند الله زكياً لا رياء، أو من الزكاة، بدل من "يؤتي" داخل في حكم الصلة، أو حال من فاعله.

[١٩-٢١] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ قيل: لما اشترى بلالاً قالوا: ما اشتراه إلا ليدله عليه. وعن ابن الزبير^(٢) أن أبا بكر رضي الله عنه كان يشتري الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: لو اشتريت الأقوياء^(٣). ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ منقطع، أي: لكن ابتغاء وجه ربه، أو متصل مفعول له عن محذوف أي: لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما تقر^(٤) به عينه. وعد جميل، وفي إهامه ما لا يخفى.

(١) "الزكاة" ورد في (ح) ٥٧١/أ: الزكي.

(٢) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، ويقال: أبو خبيب، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة، كان من خطباء قريش المعدودين، مدة خلافته تسع سنين. توفي سنة ٧٣هـ بمكة. انظر: الإصابة لابن حجر (٨٩/٤). والاستيعاب لابن عبد البر (٩٠٤/٣). والأعلام للزركلي (٨٧/٤).

(٣) أخرجه أحمد بن عمرو الشيباني في الأحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة [دار الراية - الرياض - ١٤١١هـ، ط١]، ومن ذكر بلال بن رباح (رقم: ٢٦٢) بلفظ: عن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق الضعفة، فقال له أبوه أبو قحافة: لو أعتقت من يمنع ظهرك، قال: منع ظهري أريد. وأورده البغوي والرازي في تفسيرهما. انظر: التفسير الكبير للرازي (٦٧/١٧). ومعالم التنزيل للبغوي (٤٤٨/٨).

(٤) "بما تقر" ورد في الأصل، و(ر) ٥١٤/أ: بما يقر.

سورة الضحى

مكية، وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٣] ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أي: وقت الضحى، وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه. وقيل: أقسم به؛ لأنه وقت غلبة موسى فرعون؛ لقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ﴾^(١). وقيل: جميع النهار؛ لقوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَىٰ﴾^(٢) في مقابلة "بياتاً"^(٣). ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ستر، متعد من سجيته، أو سكن من فيه، أو سكن ظلامه واستقر. قدّم الليل تارة باعتبار الأصل فإن الليالي غرر الأيام، والنهار أخرى باعتبار الشرف. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ جواب القسم أي: ما تركك ترك المودّع. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ما أبغضك، من القلى بكسر القاف مقصوراً. روى البخاري عن جندب البجلي: ^(٤) ((أن رسول الله ﷺ

(١) جزء آية من سورة طه: ٥٩.

(٢) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ٩٨.

(٣) ليلاً.

(٤) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، ثم العلقمي، أبو عبد الله، ويقال: جندب بن خالد بن سفيان، كان بالكوفة ثم صار إلى البصرة، روى عنه من أهل البصرة الحسن بن أبي الحسن ومحمد بن سيرين وغيرهما، وروى عنه من أهل الكوفة عبد الملك بن عمير والأسود بن قيس وسلمة بن كهيل. توفي سنة بعد ٦٠ هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/٢٥٦).

اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك فأنزل الله تعالى ﴿وَالْبُضْحَىٰ﴾^(١).

[٤] ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: الأوقات المستقبلية خير لك من الأيام الماضية، فإنه يعلو شأنك فيها ويظهر دينك على سائر الأديان وترى الناس^(٢) يدخلون في دين الله أفواجاً.

[٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الدارين ﴿فَقَرَضَىٰ﴾ بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية. وإنما حذف المفعول؛ لغرض العموم، فيشمل مقام الشفاعة وسائر المزايا التي تخصه. و"اللام" للابتداء - دخل الخبر بعد حذف المبتدأ، والتقدير: لأنت سوف يعطيك - لا للقسم؛ فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون؛ وجمع مع "سوف"؛ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة.

[٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ من الوجود بمعنى: العلم. والاستفهام للتقرير أي: قد كنت يتيماً فأواك^(٣). مات أبوه وهو جنين أتى عليه ستة أشهر، فلما ولد كان في حجر أمه، ويحوطه عبد المطلب^(٤) جده إلى أن بلغ عمره ثمان سنين، مات عبد المطلب وأمّه، فعطف الله تعالى عليه عمه أبا طالب^(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ما ودّعك ربك وما قلى (رقم: ٤٥٦٩). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (رقم: ١٧٩٧).

(٢) "الناس" ساقط من (ح) ٥٧١/ب.

(٣) "فأواك" ورد في جميع النسخ: آواك، والمثبت من كتب التفسير. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٧/٨).

(٤) هو: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جد النبي ﷺ.

(٥) هو: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، أبوطالب، كفل النبي ﷺ لما مات عبد المطلب بوصية منه؛ لكونه شقيق والده عبد الله، وكان له عليه الصلاة والسلام من العمر ثمان سنين. انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي (١٦٧/١). والأعلام للزركلي (٢١٨/٣).

[٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ قيل: أضلته ظميره حليلة^(١) عند باب مكة. وقيل: ضل في بعض شعاب مكة، فردّه أبو جهل إلى عمه أبي طالب. وقيل: ضلّ في طريق الشام أضله إبليس حلّ راحلته فردّه جبرائيل إلى الركب، أو كنت ضالاً عن علم الشرائع والأحكام وما طريقه السمع ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٢).

[٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ كنت عديم المال فأغناك بمال خديجة رضي الله عنها، أو أحلّ لك الغنائم ولم يُحلّها لأحد قبلك، أو كنت مبعوثاً إلى الأحمر والأسود، فأغناك بكنز المعارف وهو القرآن، فسيخرج أمتك من فرائد درّه إلى آخر الدهر. عدّد عليه بعض نعمه السابقة؛ تقريراً لقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٣)؛ لأنه إذا كانت هذه عنايته معه ولم يكن لابساً خلعة رسالته، فكيف به وقد أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً.

[٩] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ لا تظلمه في حقه وتعطف^(٤) عليه، واذكر حالك في اليتيم^(٥).

[١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تزجر، يشمل^(٦) الفقير والمسترشد في دينه.

(١) هي: حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر السعدي البكري الهوازني، من أمهات النبي ﷺ في الرضاع، جاءته يوماً فبسط لها النبي ﷺ رداءه، فقعدت عليه. لها رواية عن النبي ﷺ، روى عنها عبد الله بن جعفر. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٨٤/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨١٢/٤). والأعلام للزركلي (٢٧١/٢)

(٢) جزء آية من سورة الشورى: ٥٢.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٤.

(٤) "وتعطف" ورد في (ح) ٥٧١/ب: ويعطف.

(٥) "اليتيم" ورد في (ح) ٥٧١/ب: اليتيم.

(٦) "يشمل" ورد في (ح) ٥٧١/ب: شمل.

[١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فَإِنَّ إِشَاعَتَهَا شَكَرٌ لَهَا. رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلَيكافُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُشْنِ بِهِ فَمَنْ أَنَّنِي فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ))^(١). وَلِما مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ بِثَلَاثِ خِلَالَ^(٢)، أَرْشَدَهُ وَحَثَّهُ عَلَى ثَلَاثِ فِي مِقَابَلَتِهَا؛ لِيَكُونَ مُتَخَلِّقاً^(٣) بِأَخْلَاقِ اللَّهِ، وَتَقْتَدِي بِهِ فِي ذَلِكَ أُمَّتِهِ.

تَمَّتْ سُورَةُ الضُّحَى، وَالْحَمْدُ لِمَنْ لَهُ الْعَطَاءُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى الْمُحْتَبَى، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَتْقِيَاءِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ (رَقْمٌ: ٤١٧٩). وَالتِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُنْتَشِعِ عَمَّا لَمْ يُعْطَ (رَقْمٌ: ١٩٥٧).

(٢) "خِلَالَ" وَرَدَ فِي (ح) ٥٧١/ب: خِلَالَ.

(٣) "مُتَخَلِّقاً" وَرَدَ فِي ٥٧١/ب: مُتَخَلِّقاً.

سورة ألم نشرح

مكية، وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: شرحناه؛ لأن إنكار النفي إثبات، والمعنى: نورنا لك صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الأولين والآخرين. روى البخاري عن مالك بن صعصعة^(١) ((أن رسول الله ﷺ أخبر عن ليلة أسري به قال: فجاء جبرائيل بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشق من ثغرة نحري إلى مرقأ بطني، فأخرج قلبي وشقه، ثم غسله بماء زمزم، فحشاه حكمة وإيماناً))^(٢) أوثر فيه الإجمال والتفصيل مبالغة في الإيضاح.

[٢-٣] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والأحكام، أو ما كنت ترى من ضلال قومك، مع عدم الاهتداء إلى ما ترشدهم إليه، أو ما كنت تلقى من الشدة عند تلقي الوحي خوفاً من فوت شيء منه، فضمننا لك حتى سكن

(١) هو: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي الأنصاري المازني، من بني مازن بن النجار، الصحابي المدني، روي له عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على أحدها، وهو حديث الإسراء والمعراج، وهو أحسن أحاديث الإسراء. انظر: الإصابة لابن حجر (٧٢٨/٥). والاستيعاب لابن عبد البر (١٣٥٢/٣). وتقريب التهذيب لابن حجر (١٥٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في ليلة الإسراء (رقم: ٣٣٦). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (رقم: ١٦٤).

روحك. ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ من النقيض وهو: صوت الرجل من ثقل الحمل. مثل حاله به؛ كناية عن غاية الشدة.

[٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ في الدارين، بأنك سيد المرسلين وخاتم النبيين، ونعتك في زبر الأولين، واسمك مقرون باسم رب العالمين. ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢) ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣) عدّد عليه بعض جلائل نعمه، ثم قال:

[٥-٦] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كأنه قال: إذا كنت بهذه الرتبة عندنا، فلا تُبال بقول من قصر نظره على حطام^(٤) الدنيا، معيّرًا لك ولأصحابك بضيق ذات اليد، فإنكم سترون عن قريب يسرًا وأي يسر. ودلّ على القرب بلفظ "مع" الدال على المقارنة والمصاحبة. ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ استئناف. واليسر الثاني غير الأول على قانون النكرة المعادة^(٥)، وترجيحاً للتأسيس على التأكيد، وحملًا لكلام الله تعالى على أبلغ احتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التسلية والتنفيس. ولما روي مرفوعاً أنه قال: ((لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ))^(٦). فإن قلت:

(١) جزء آية من سورة التوبة، الآية: ١.

(٢) جزء آية من سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٣) جزء آية من سورة النساء، الآية: ١٣، وجزء آية من سورة النور، الآية: ٥٢، وجزء آية من سورة الأحزاب، الآية: ٧١، وجزء آية من سورة الفتح، الآية: ١٧.

(٤) "حطام" ورد في (ر) ٥١٥/أ: حطام.

(٥) "المعادة" ورد في (ح) ٥٧٢/أ: المضادة.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد (رقم: ٨٥٤) بلفظ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعًا مِنَ الرُّومِ وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنْزِلٍ شِدَّةٍ يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَهُ فَرَجًا وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٢٠٠). والحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، تفسیر سورة آل عمران (رقم: ٣١٧٦). وابن أبي شيبه في المصنف، کتاب الجهاد، ما ذکر في فضل الجهاد (رقم: ١٩٤٨٦).

فما تقول في معنى الحديث، من حمل الثاني على التأكيد، وجعله مثل قولك: إنَّ زيدا قائم، إنَّ زيدا قائم؟. قلت: يحمل اليسرين على يسر الدنيا والآخرة. فإن قلت: كان الواجب تعريفه؛ لأنه الأول كالعسر. قلت: ذلك ليس بواجب، بل أكثرى عدل عنه للتفخيم.

[٧-٨] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ فإذا فرغت من عبادة أتبعها بأخرى ليكون شورك على وفق النعم. وأشار بلفظ النصب^(١) وهو التعب إلى الترقى كما في جانب النعم بقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٢). وعن ابن عباس رضي الله عنه: "إذا فرغت من الصلاة، فاجتهد في الدعاء"^(٣) وذلك؛ لأن ((الصلاة عماد الدين))^(٤) و((الدعاء مُخُّ الْعِبَادَةِ))^(٥). وعن الحسن: "إذا فرغت من الغزو، فاجتهد في العبادة"^(٦). وكأنه لاحظ قوله: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))^(٧). ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ في مطالبك لا إلى غيره، لعلك بتفرده بالتأثير لا يشاركه [٣٤٧/ب] أحد، الكل منه وبه وإليه، فتوكل عليه.

(١) "النصب" ورد في (ح) ٥٧٢/أ: انصب.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٤.

(٣) أورده الزمخشري وابن الجوزي في تفسيرهم. انظر: الكشاف للزمخشري (٣٠٧/٧). وزاد المسير لابن الجوزي (١٧١/٦). والطبراني في المعجم الأوسط، باب الباء، من اسمه بكر (رقم: ٣٣٢٤).

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس، ذكر الفصول من ذوات الألف واللام (رقم: ٣٧٩٥). والبيهقي في شعب الإيمان، في كتاب الطهارة (رقم: ٢٨٠٧).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب منه (رقم: ٣٢٩٣) والطبراني في المعجم الأوسط، باب الباء، من اسمه بكر (خ: ٣٣٢٤). والطبراني في كتاب الدعاء، باب تأويل قول الله ﷻ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (رقم: ٨).

(٦) انظر: الكشاف للزمخشري (٣٠٧/٧). وفتح القدير للشوكاني (٢٢/٨). والدر المنثور في التأويل بالمأثور للسيوطي (٢٩٢/١٠).

(٧) أورده البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ {جزء آية من سورة الحج، الآية: ٧٨} قال: وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". أراد بالجهاد

تمت سورة ألم نشرح^(١) بحمد الله، والصلاة على أفضل خلق الله.

الأصغر الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس. انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٠٢/٥-٤٠٣). وذكره العجلوني في كشف الخفا، تحقيق: أحمد القلاش [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط٤] (٥١١/١) وقال عنه: قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن عيلة. وأقول الحديث في الإحياء. قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر.

(١) "ألم نشرح" ساقط من الأصل، و(ر) ٥١٥/أ.

سورة التين

مكية، وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ أقسم بجمال الأرض المقدسة. والأولان سميا باسم الشجرتين النابتين بهما. والطور: هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى. و﴿سينين﴾ وسيناء: اسم البقعة التي بها الجبل. قال ابن زيد: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس. وقيل: أراد الشجرتين لكثرة منافعهما^(١)، وليس بقوي؛ لأن النخلة أشرف الأشجار حتى قال رسول الله ﷺ في مدحها: ((مثلها مثل المسلم))^(٢)، ولعدم الملائمة بين المعطوف والمعطوف عليه.

(١) "منافعهما" ورد في (ر) ٥١٥/أ: منافعهما.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم (رقم: ١٣١) بلفظ: "عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا يا رسول الله: أخبرنا بما، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة، قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا". ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (رقم: ٢٨١١).

[٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ الحافظ داخله. هي مكة شرفها الله كأنه قال: والأرض المباركة ديناً ودينياً، والبلد^(١) الذي من دخله كان آمناً في الدارين. وفيه نهج الترقى، إذ لا مطمح وراء أمن الدارين.

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل. شكلاً وصورة، لا ترى في الكائنات أحسن منه، حتى يبلغ منه سرّ الملاحظة حدّاً يعجز الواصف عن إبرازه قطعاً^(٢).

[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ وهو الكافر. في النار سنّه مثل أحد، ويجر شفته على الأرض، والوجه أسود مظلم، وما بين كتفيه ما بين مكة والمدينة. عافانا الله. أو رددناه في الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال أسفل، من تسفل: تقوس ظهره بعد اعتداله، وبيض شعره بعد اسوداده، وكل سمعه وبصره، وتناقصت قواه وعقله، وأنفه من كان يحبه.

[٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء متصل على الأول ظاهر الاتصال، منقطع على الثاني. أي: لكن الذين آمنوا وكانوا صالحين من الهرمى. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع. بل يجري عليهم ثواب الأعمال التي كانوا يعملونها وهم أقوياء.

[٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ الخطاب للإنسان، أي: بعد هذه الدلائل المشاهدة أي شيء يجعلك كاذباً بالإعادة؟، فإن مكذب الحق كاذب. و"الباء" للسببية. أو لرسول الله ﷺ إلهاباً له، أو تعريضاً بالمكذبين، أي: بعد هذا البيان لا يكذبك شيء كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله تعالى. وعلى الأول استفهام توبيخ.

(١) "والبلد" ورد في (ح) ٥٧٢/ب: والبلد الأمين.

(٢) "قطعاً" ورد في (ح) ٥٧٢/ب، وفي (ر) ٥١٥/أ: نطقاً.

[٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أليس ذلك الموصوف أقدر من كل قادر؟. فما وجه إنكار الإعادة بعد إخباره؟. وأثر الاسم الأعظم؛ دلالة على أنّ ذلك من خواص الألوهية.

تمت سورة التين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

سورة اقرأ

مكية، وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ الجار في محل نصب على الحال أي: اقرأ حال كونك مفتتحاً قراءتك باسم الله. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: خلق كل شيء، ثم خصّ الإنسان؛ لأنه أشرف البرية والمقصود بالإنزال، أو المراد: خلق الإنسان: أوثر فيه الإبهام والتفسير. وفيه إشارة إلى أنه مخلوق للقراءة والدراية^(١) ﴿مَنْ عَلَّقَ﴾ جمع باعتبار الأفراد.

[٥-٣] ﴿اقْرَأْ﴾ تكرير للأول، وهو محزنة؛ لأنه أول أمر ورد بالقراءة، ولإنكاره القراءة بقوله: ((ما أنا بقارئ))^(٢) وقيل: الأول لنفسه، والثاني للتبليغ، أو الأول خارج الصلاة، والثاني فيها. ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ على الإطلاق، إذ كرم غيره تكلف في جزئي لغرض. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ دليل على أكرميته؛ لأن كل عطية دون العلم والمعرفة كنقطة من المحيط. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣). ورمز في ضمن ذلك إلى فضل الكتابة؛ لأنها

(١) "الدراية" ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ٣). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ١٦٠).

(٣) جزء آية من سورة طه: ١١٤.

آلة التعليم، وضابطة الحكم. وفي المثل: "العلم صيد والكتابة قيد"^(١). ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ما لا يمكنه علمه إلا بالتعليم.

[٦-٨] ﴿كَلَّمَ﴾ ردع للإنسان الذي قابل هذه النعم بالكفر والطغيان. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ ليتجاوز عن حده. ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى﴾ لأن رأى نفسه غنياً أي: علم؛ ولذلك جاز أن يكون الفاعل والمفعول ضميرين لشيء واحد، وذلك من بعض خصائص فعل القلب. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ خطاب لذلك الإنسان الطاغية التفاتاً؛ لكونه أبلغ تحذيراً. ﴿الرُّجْعَىٰ﴾ مصدر كالبرقى.

[٩-١٠] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عِبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أبا جهل قال: هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قالوا: نعم. قال: والذي يحلف به، لئن رأيتُه لأطأَنَّ [على] عُنُقِهِ. فمرَّ به وهو يصلي عند المقام، فتوجه إليه، والمشركون ينظرون إليه. فما رأوه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويبقي يديه. فقيل له: ما بدا لك؟ فقال: رأيتُ بيني وبينه خندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لأختطفته الملائكةُ عضواً عضواً^(٢).

(١) أورده ابن عجيبة في تفسيره في تفسير {سورة البقرة، الآية: ٢٨٣} في بيت شعري بدون ذكر قائله:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيْدُهُ قيْدُ صِبْوَدِكَ بِالْحِبَالِ الْمُوثِقَةُ

وَمِنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تَصِيدَ حَمَامَةً وَتَتْرُكُهَا بَيْنَ الْأَوَانِسِ مَطْلُوقَةً

انظر: البحر المديد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني الشاذلي، تحقيق: عمر أحمد الراوي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٣هـ] (٢٤١/١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله إن الإنسان ليطغى (رقم: ٥٠٠٥) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ: فَقِيلَ نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْأَعْرَىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَآتَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ قَالَ: فَمَا فَجَّحَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقْبِيهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُوعًا عَضُوعًا. والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير،

[١١-١٢] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿٢﴾﴾ "أرأيت" تكرر للأول، والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب؛ لدلالة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾^(١) عليه، وحذف المفعول الأول؛ لظهوره.

[١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾﴾ مقابل للأول لتقابل الشرطين والمعنى: أخبرني يا من له أدنى تمييز^(٢) عن حال من ينهى عبداً يصلي، إن كان ذلك الناهي على طريق الرشاد، "أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ" في أمره بعبادة الأوثان أخبرني إن كان ﴿١/٣٤٨﴾ مكذباً معرضاً.

[١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١﴾﴾ ويشاهد. وسوق الكلام على طريقة المنصف والتهكم؛ لأن الناهي عن الصلاة ليس على الهدى قطعاً، وكذا كونه مكذباً^(٣) مجزوم به.

[١٥] ﴿كَلَّا ﴿١﴾﴾ ردع للناهي. ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنَ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٢﴾﴾ لناخذن بناصيته ولنجرنه إلى النار. والسفع: القبض على الشيء وجره بعنف. قال عمرو بن معدي كرب^(٤):

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ
مَا بَيْنَ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(١)

سورة العلق (رقم: ١١٦٨٣). والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب وَمِنْ سُورَةِ أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ (رقم: ٣٢٧١) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿سَنَدُّعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ {سورة العلق، الآية: ١٨} قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَطَّأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا.

(١) جزء آية من سورة العلق، الآية: ١٤.

(٢) "تمييز" ورد في ٥١٥/ب: تميز.

(٣) "مكذباً" ورد في (ح) ٥٧٣/أ، وفي (ر) ٥١٦/أ: معرضاً.

(٤) هو: عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، أبوثور، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على النبي ﷺ وأسلم، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الاسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. توفي سنة ٢١ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٦٨٦/٤). والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٢٥/٥). والتاريخ الكبير للبخاري (٣١٢/٦). والأعلام للزركلي (٨٦/٥).

[١٦] ﴿نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ بدل من الأول، وحسنه الوصف، وكان أوفى بالمقصود؛ لدلالته على علة السفع. وإسناد الكذب والخطأ إلى الناصية مجاز حكمي، وتخصيصها؛ لأنها أشرف الأعضاء.

[١٧] ﴿فَلَيْدُغٌ نَادِيَةٌ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا جهل لما لم يقدر أن يقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم توعدته بالكلام، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تهددني^(٢) يا محمد وأنا أكثر أهل الوادي نادياً^(٣). أراد عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم.

[١٨-١٩] ﴿سَدَّغُ الزَّبَانِيَةِ﴾ عن قريب ليجروه إلى النار. جمع زابن، أو زباني، أو زبينة كعفرية. قال الأخفش: العرب لا تكاد^(٤) تعرف هذا، بل يجعله من الجمع^(٥) الذي لا واحد له مثل: أبييل. وأصل الزبن: الدفع. ﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي أيضاً. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي: دم على عصيانه. ﴿وَاسْجُدْ﴾ وذم على الصلاة ولا تبال بالناهي.

(١) ذكر في كتب الشعر والأدب ولم ينسب لأحد. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٤/١). وأساس البلاغة للزمخشري (٢١٩/١). ولسان العرب لابن منظور (١٥٦/٨). والشاهد فيه قوله: (...أو سافع) ساق الشاهد هنا ليؤكد أن السفع يأتي بمعنى القبض على الشيء وجره بعنف.

(٢) "تهددني" ورد في (ر) ٥١٦/أ: تهددني.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (رقم: ٣٣٤٩). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة العلق (رقم: ١١٦٨٤). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الجمعة (رقم: ٣٨٠٩).

(٤) "لا تكاد" ورد في (ح) ٥٧٣ ب: يكاد.

(٥) "بل يجعله من الجمع" ورد في (ح) ٥٧٣ ب: بل يجعله هذا الجمع.

﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ بها؛ فإنها المعراج إليه، أو بالسجود؛ لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ)).^(١)

تمت سورة العلق، والحمد لمن خلق، والصلاة على من في مضمار السعادة سبق، وآله وصحبه ما الليل وسق.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (رقم: ٧٤٤). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التطبيق، أقرب ما يكون العبد من الله جل ثناؤه (رقم: ٧٢٣). وأبو داود، أبواب تفریح استفتاح الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود (رقم: ٨٧٥).

سورة القدر

مدنية، وآيها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فحَمَّ شأن القرآن بأن خص إنزاله به، وبالإضمار؛ لأنه العلم الذي لا يذهب الوهم إلى غيره، وبزمان نزوله. اتفقوا على أن القرآن نزل به جبرائيل في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء الدنيا، فكتبه السفارة، ثم نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة. وسميت ليلة القدر؛ لأن الأمور المتعلقة بذلك العام وأقذارها تكتب من اللوح فيها وتدفع إلى الملائكة.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ لم تبلغ درايتك كنه فضلها. ثم بينه بقوله:

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: القيام بالعبادة فيها خير من القيام بالعبادة في ألف شهر خالية عنها. عن مجاهد: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَبَسَ السَّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ فَنَزَلَتْ (١). وروى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر (رقم: ٨٣٠٥). وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٥٢/١٠).

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ مَا تَقَدَّمَ^(١))). والأكثر على أنها في أوتار العشر الأخيرة من رمضان. ومن علامتها: أن ليلتها ساكنة لا حر ولا برد، ولا يرمى فيها بكوكب، وهي صافية كأنها قمراء تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع. وروى الترمذي عن حسن بن علي^(٢) عن رسول الله ﷺ أنه أُرِي^(٣) بِنِي أُمِّيَةَ عَلَى مَنَبَرِهِ فَنَزَلَتْ^(٤)، وعدوا أيام بني أمية فوجدوها ألف شهر. وأهل الحديث ينكرونه^(٥).

[٤] ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بيان لما فصلت. والروح: جبرائيل. وقيل: خلق لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: تنزل لأجل كل أمر، وقضاء وقدر في تلك السنة. وإنما تنزل تعظيماً لها، ونشراً لخيرها وبركتها.

[٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ مثل "تيممي أنا" أي: ما هي إلا سلامة أي: لا يقضى فيها إلا السلامة والخير. وعن مجاهد: لا يستطيع الشيطان في تلك الليلة على عمل السوء. وقيل: سميت سلاماً؛ لكثرة سلام الملائكة على المؤمنين والمؤمنات. ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ غاية

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قِيَامُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْإِيمَانِ (رقم: ٣٤). ومسلم، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ (رقم: ١٢٦٨).

(٢) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وربحائه، وابن بنته السيدة فاطمة الزهراء، ولد في شعبان سنة ٣هـ، فسماه النبي حسناً، كان يشبه النبي ﷺ. توفي في شهر ربيع الأول سنة ٤٩ هـ بالمدينة، أوفي سنة ٥٠ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٦٨/٢). والاستيعاب لابن عبد البر (٣٨٣/١). الوافي بالوفيات للصفدي (١٦١/٤). وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٦١/١٣).

(٣) "أُرِي" ورد في جميع النسخ: رأى، والمثبت من نص الحديث.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب وَمِنْ سُورَةِ الْقَدْرِ (رقم: ٣٢٧٣).

(٥) "وأهل الحديث ينكرونه" ورد في (ر) ٥١٦/أ: وأهل بني أمية الحديث ينكرونه.. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث القاسم بن الفضل، وفيه يُوَسِّفُ بن سَعْدٍ هو رجلٌ مَجْهُولٌ. انظر: سنن الترمذي (٤٣٦/١). والمسند الجامع لأبي الفضل أبو المعاطي النوري (٣١٨/١١).

للسلامة^(١) أو السلام. والمطلع مصدر أو زمان. وقرأ الكسائي: بكسر اللام والفتح أخف، وهو القياس.

تمت سورة القدر، والله الحمد.

(١) في (ر) ٥١٦/ب: للسلام.

سورة القيمة^(١)

مكية، وقيل مدنية، وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾
حكاية^(٢) مقالة أهل الكتاب والمشركين، كانوا قبل البعثة يقولون^(٣): لا نفك عما نحن فيه
حتى يأتينا النبي الموعود.

[٢-٣] ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بدل من البينة. ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ فيها كُتِبَ قِيمَةٌ
الصحف: صحائف المصاحف، والكتب القيمة: القضايا والأحكام القويمية المسطورة فيها.

[٣] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ توييخ لهم، وإلزام
بأن ما كانوا يعدونه سبب الوفاق والوئام، جعلوه سبب الافتراق والاختلاف. ونظيره قوله.
﴿وَكَأْتُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٤) وإنما أفرد

(١) "سورة القيمة" ورد في (ر) ٥١٦/ب: سورة لم يكن.

(٢) "حكاية" ساقط من (ر) ٥١٦/ب.

(٣) "يقولون" ساقط من (ح) ٥٧٤/أ.

(٤) جزء آية من سورة البقرة: ٨٩.

أهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين أولاً؛ لأنهم إذا تفرقوا مع علمهم فالمشركون أولى بذلك.

[٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٢٤٨/ت] استدل به على وجوب البينة في العبادات. ﴿حُنْفَاءً﴾ مائلين عن الباطل، والعقائد الزائغة. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ دين الملة القويمية.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يوم القيامة، أو بعد موتهم؛ لأن قبورهم حفر النيران. والاشترار في مطلق الدخول لا في مقدار العذاب والدركات. ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ الخليقة.

[٧-٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ جزأؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً ﴿أطرب في أوصاف الجنة وقيد الجزاء بأنه عنده، وأكد الخلود بالتأييد؛ إشارة إلى سبق رحمته. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فوق ذلك الجزاء، ﴿وَرَضُوا مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١). ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما منحهم مما لا مزيد^(٢) عليه. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ذلك المذكور لكل من خشي ربه. وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز وهو الأصل، من برأ^(٣): خلق. قال يونس: خالف أهل مكة العرب فهمزوا البريئة والنبي، وكذا عن سيبويه.

تمت، والحمد على نعم عمّت.

(١) جزء آية من سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٢) "لا مزيد" ورد في (ح) ٥٧٤/أ: مزية.

(٣) "برأ" ورد في (ر) ٥١٦/ب: براء.

سورة الزلزلة

مختلف فيها^(١) وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ الزلزلة: تحريك بعنف، ومنه الزلزال للشدائد، وإضافته للأرض للمبالغة أي: ما يمكن لها من الزلزال والمراد: النفخة الثانية؛ لقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما في بطنها من الأموات والكنوز. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَازًا^(٢) كَبِدِهَا، كَالْأَسْطُوانِ^(٣) مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَقُولُ الْقَاتِلُ: فِي

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٩٠/٨) عن ابن عباس وقتادة: أن السورة مدنية. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٠١/٩): فيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن مسعود، وجابر، وعطاء. والغالب على آياتها خصائص الآيات المكية والله أعلم. وانظر أيضاً: معالم التنزيل للبغوي (٤٩٨/٨).

(٢) الأفلاذ: جمع فلذ، والفلذ جمع فلذة وهي: القطعة المقطوعة طولاً. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٤٧٠/٣). ولسان العرب لابن منظور (٥٠٢/٣).

(٣) الأسطوان: -بِضْمِ الْهَمْزَةِ وَالطَّاءِ-: السَّارِيَّةُ وَالْعُمُودُ، وَشَبَّهَ بِالْأَسْطُوانِ لِعَظَمِهِ وَكَثْرَتِهِ. انظر: شرح النووي على مسلم (٤٥٤/٣). ولسان العرب لابن منظور (٢٠٨/١٣).

هَذَا قَتَلْتُ وَيَقُولُ الْقَاطِعُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ [رَحِمِي] وَيَقُولُ السَّارِقُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ [يَدِي] ثُمَّ
يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا^(١)

[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ حَتَّى أُخْرِجَتْ هَذِهِ الْأَثْقَالُ. يَقُولُونَ تَعْجَابًا. وَقِيلَ: الْقَائِلُ
الْكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ
الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢)

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلَ مِنْ "إِذَا". وَنَاصِبُهُمَا "تُحَدِّثُ"، أَوْ انْتَصَبَ "إِذَا". مَعْضَمٌ. وَيَوْمَئِذٍ
﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أَي: تُحَدِّثُ كُلَّ عَبْدٍ وَأُمَّةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ
وَأَحْمَدُ^(٣). وَقِيلَ: بِلِسَانِ الْحَالِ وَهِيَ الْأَحْوَالُ الَّتِي أَحْدَثَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الزَّلْزَلَةِ، وَلَفْظِ
الْأَمْوَاتِ، وَالْدَفَائِنِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا (رَقْمٌ: ١٦٨٣). وَابْنُ حِبَانَ فِي
صَحِيحِهِ، ذَكَرَ الْبَيَانَ بِأَنَّ الْقَوْمَ يَقْتُلُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتِمَكَّنُوا مِمَّا يَقْتُلُونَ عَلَيْهِ (رَقْمٌ: ٦٦٩٧). وَالتِّرْمِذِيُّ،
كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ مِنْهُ (رَقْمٌ: ٢٢٠٨).

(٢) جِزَاءُ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ يَسٍ، الْآيَةُ: ٥٢.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتْ
(رَقْمٌ: ٣٢٧٦). وَكِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مِنْهُ (رَقْمٌ: ٢٣٥٣). وَالنَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى، كِتَابُ
التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (رَقْمٌ: ١١٦٩٣). وَأَحْمَدُ، مَسْنَدُ الْمَكْثَرِينَ، بَابُ مِمَّا فِي الْمَسْنَدِ السَّابِقِ (رَقْمٌ: ٨٥١٢) بَلْفِظٍ: عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ {سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ، الْآيَةُ: ٤} قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأُمَّةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ
كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَهِيَ أَخْبَارُهَا.

[٥] ﴿بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء للسببية، أو بسبب إيجاء ربك إليها بالتحديث ويجوز أن يكون ﴿بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ بدلاً من ﴿أَخْبَارَهَا﴾. يقال: أوحى له وإليه كذا وبكذا.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، كل شيعة مع إمامها كما كانوا في الدنيا ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(١) ((كان رسول الله ﷺ يمشي يوماً بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أخذاً بيد كل منهما فقال: هكذا نُبعثُ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] إن شاء الله تعالى))^(٢). ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(٣)

[٧-٨] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أي: يرى جزاءه. وتفصيل؛ لقوله ﴿أَشْتَاتًا﴾^(٤). وحسنات الكافر لها مدخل في التخفيف كما أن زيادة سيئاته توجب ضعف العذاب. ولا ينافي حبوط عمله؛ لأنَّ ذاك معنى آخر. روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: ليس في القرآن آية أشمل منها وأعم لكل عمل^(٥).

(١) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما (رقم: ٣٦٠٢) بلفظ: أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو أخذ بأيديهما وقال هكذا نُبعثُ يوم القيامة. وابن ماجه في سننه، باب فضل عمر (رقم: ٩٩). والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، أبو بكر بن أبي قحافة ؓ (رقم: ٤٤٢٨).

(٣) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٤) جزء آية من سورة الزلزلة، الآية: ٦.

(٥) "روى البخاري بسنده أن رسول الله قال: ليس في القرآن آية أشمل منها، وأعم لكل عمل" ساقط من الأصل و(ر) ٥١٧/أ.

أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (رقم: ٤٥٨٠) بلفظ قريب من هذا المعنى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْخَبْلُ لِثَلَاثَةِ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ... قَالَ: مَا

تَمَّتِ السُّورَةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى آيَاتِهِ الْمَوْفُورَةِ.

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلًّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨﴾. ومسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (رقم: ٩٨٧).

سورة العاديات

مكية، أحد عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أقسم بخيل الغزاة العاديات في الكر والفر. والضح: صوت أنفاسها حين العدو. وعن أبي عبيد: هو السير. نصبه على المصدر إما من فعله المحذوف، أو بالعاديات؛ لأنه يلازم العدو، أو الحال. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنها الإبل؛ إذ لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوى فرسين: فرس المقداد، وفرس أبي قتادة. ولا أظن صحته؛ لأن الخيل آلة الجهاد لقوله: ((وَمَنْ رَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرٌ أَبْوَإِهَا [وَأُرْوَاتِهَا] ^(١))) رواه البخاري ^(٢). وناهيك قوله: ﴿مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ^(٣). وعدم وجدان الخيل في غزوة بدر لا تمنع الإقسام بها. أدلّ من ذلك: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ فالمنحرجات ناراً من الحجارة بصكّ حوافرها قادحات.

(١) "وأرواتها" ورد في جميع النسخ: وأورائها، والمثبت من نص الحديث.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل لثلاثة (رقم: ٢٤٦٨) بلفظ يشير إلى هذا المعنى: ((أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْخَيْلُ لِثَلَاثَةِ لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أُرْوَاتِهَا وَأَنَارُهَا حَسَنَاتٌ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ وَرَجُلٌ...)) . ومسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (رقم: ٩٨٧).

(٣) جزء آية من سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

[٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ وقت الصباح ((كان رسول الله ﷺ ينزل بقرب العدو حتى يصبح، فإن سمع الأذان كف وإلا أغار))^(١). وقال: ((إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ﴾^(٢)))^(٣)

[٤-٥] ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ بذلك الوقت والمكان غباراً كما ترى في مواقع الحروب:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا... وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ^(٤)

وقيل: أصوات الذين أغير عليهم. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء. أو أقسم بالنفوس العدية في طلب الكمال، المتأوهة على الفرطات، المورية بإقدام الأفكار من صخور المسالك أنوار المعارف، المغيرات على جيش الهوى بالاستغفار في الأسحار، فأثرن به غبار الشوق، فوسطن به جمعاً من جموع الملاء الأعلى.

[٦-٧] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لكفور جحود، وعن الحسن: هو الذي يذكر

المصائب وينسى^(١) النعم^(٢). [٧٣:٤٩] وعن أبي أمامة^(٣): ((سئل رسول الله ﷺ قال: "]

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء (رقم: ٥٨٥). ومسلم، كتاب الصلاة، باب الْإِمْسَاكِ عَنِ الْإِغَارَةِ عَلَى قَوْمٍ فِي دَارِ الْكُفْرِ إِذَا سُمِعَ فِيهِمُ الْأَذَانُ (رقم: ٥٧٥) بلفظ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ...)).

(٢) جزء آية من سورة الصفات، الآية: ١٧٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْحَرْبِ (رقم: ٢٧٦٩). ومسلم، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (رقم: ١٣٦٥).

(٤) البيت لبشار بن برد من الطويل باختلاف بسيط:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

شبه الشاعر الغبار بالليل، والسيوف في الغبار بالكواكب. انظر: المصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: عبد السلام هارون [الكويت- ١٩٦٠م، ط١] [٩/١]. والشاهد فيه: وصف المعركة بوجود الغبار الذي يحصل من حوافر الخيل.

لَكَفُورًا مَن يَأْكُلُ وَحَدَهُ وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، يَمْنَعُ رِفْدَهُ»^(٤). ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يدل على كونه كنوداً حاله. وعن الثوري: الضمير لله.

[٨-٩] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ شديد الحب للمال الكثير. ((لو كَانَ له واديَانِ مِّنْ ذَهَبٍ لَّابْتِغَىٰ تَالِثًا وَلَا يَمَلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ))^(٥). ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى أي: البعث، وفي زيادة الرأء مبالغة كبحت مع بجزر.

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أبرز ما فيها من السرائر والضمائر.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ بأعمالهم والإخلاص فيها. وآثر "ما" أولاً ثم قال: "بهم"؛ لأنهم حال البعث تراب ورفات.

تمت والله الحمد، والصلاة على رسوله وآله وصحبه.

(١) "ينسى" ورد في (ح) ٥٧٥/أ: بفس.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦٠/٢٠). والنكت والعيون، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي، الشهر بلماوردي، تحقيق: خضر محمد [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت - ١٤٠٢هـ، ط١] [٤/٤٤٦].

(٣) هو: صُدَيّ - بالتصغير - بن عجلان بن الحارث بن أعصر الباهلي، أبو أمانة، مشهور بكنيته، روى عن النبي ﷺ، وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وعمرو بن عبسة وغيرهم، وروى عنه أبو سلام الأسود، ومحمد بن زياد الألهاني، سكن الشام. توفي سنة ٨٦هـ - قال ابن البرقي: بغير خلاف، وأثبت غيره الخلاف فقيل: سنة إحدى قاله محمد بن سعد. انظر: الإصابة لابن حجر (٤٢٠/٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٧٣٦/٢). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤١١/٧).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ما أسند أبو أمانة (رقم: ٧٧٧٨) بلفظ: "الكنود: الذي يضرب عبده، ويمنع رِفْدَهُ، ويأكل وحده". والطبري في تفسيره (٥٦٦/٢٤) بلفظ: عن أبي أمانة قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال: "لَكَفُورٌ: الَّذِي يَأْكُلُ وَحَدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ".

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب ما يتقى من فتنه المال (رقم: ٥٩٥٧) بلفظ: ((لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَّالًا لَّأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلَا يَمَلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ)). ومسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديان لا يبتغي ثالثاً (رقم: ١٠٤٨).

سورة القارعة

مكية، عشر آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٣] ﴿الْقَارِعَةُ ﴿۱﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿۲﴾ وَمَا أَذْرَاكَ ﴿۳﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿۴﴾﴾ القرع: الضرب بشدة، والقارعة: من أسماء الساعة؛ لأنها تقرع الناس بالأهوال والأفزع، أو تقرع أعداء الله بالعذاب، أو لاصطكاك الأجرام العلوية والسفلية فيها. وقد بالغ في التهويل بإهمام أمرها مرتين. ولفظ القارعة أبلغ من الحاقة.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿۵﴾ يَوْمَ تُصَبُّ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقَارِعَةُ. شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار، مثله قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿١﴾﴾ وهذه أبلغ؛ لما في المثل: "أضعف من فراشة وأذل وأجهل" (٢).

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٦﴾﴾ الصوف الملون المندوف؛ لأن الجبال بيض وحمرة وغرايب سود.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾﴾ ترجحت مقادير حسناته. روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: ((ينشر للمؤمن صحائف سيئاته ثلاثمائة صحيفة، كل منها مد بصره، ثم

(١) جزء آية من سورة القمر، الآية: ٧.

(٢) مثل من الأمثال المضروبة في المبالغة والتناهي. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١/١٣٨).

يخرج له بطاقة فيها كلمة لا إله إلا الله، ويقال: أَحْضُرْ وَزَنْكَ فيقول^(١): ماذا عسى تفعل هذه البطاقة مع تلك الصحائف؟! فتوضع^(٢) البطاقة في كفة، والصحائف في أخرى، فتطيش صحائف السيئات، ولا يوازن اسم الله تعالى شيء))^(٣).

[٧] ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةِ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية. الإسناد مجازي، أو ذات رضى.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وهو الكافر الذي ليست معه كلمة الإخلاص.

[٩-١١] ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ من أسماء النار؛ لأنها تهوي بالداخل فيها سبعين خريفاً.

وسميت "أماً" على التشبيه؛ لأن الأم تأوي الولد. وعن قتادة: أم رأسه هاوية؛ لأنه يسقط فيها منكوساً. ويرده قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نارٌ حامية؛ لأنه شرح للهاوية. فإن قلت: كل نار حامية!

قلت: معناه حامية وأي حامية، كأن سائر النيران بالنسبة إليها ليست حامية. روى

البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((تَارُكُمُ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ

(١) "فيقول" ساقط من (ر) ٥١٧/ب.

(٢) "فتوضع" ورد في (ح) ٥٧٥/أ: فيوضع، وفي (ر) ٥١٧/ب: فموضع، والمثبت من الأصل.

(٣) لم أجد في البخاري، وإنما أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (رقم: ٢٥٦٣) بلفظ: ((إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ، يَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ، يَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حُسْنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ: أَحْضُرْ وَزَنْكَ، يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَتَقَلَّتْ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يُثْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا)) وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (رقم: ٤٢٩٠). والحاكم في المستدرک، کتاب الإيمان (رقم: ٩).

جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ))^(١). وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ))^(٢). عفانا الله منها.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَعَلَى رَسُولِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (رقم: ٣٠٢٥). ومسلم، كتاب الجنة وصفتها ونعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (رقم: ٥٠٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب منه (رقم: ٢٥١٦). وابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة النار (رقم: ٤٣١١).

سورة التكاثر

مختلف فيها وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ شغلکم التباري والتباهي بالكثرة عن طاعة الله^(١). لهی عن الشيء: غفل عنه.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: إلى حين الموت لم ترجعوا عنه. وقيل: تفاخر بنو عبد مناف وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت^(٢). عن قتادة: نزلت في طائفتين من الأنصار تكاثروا حتى عدوا الأموات^(٣).

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مثله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ خطأكم في ذلك. ما لابن آدم وللفخر، وأوله نطفة مَدْرَةٌ، وآخره جيفةٌ قَدْرَةٌ بين الحجر والتراب.

[٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كرره تأكيداً، والأول عند الموت أو في القبر، والثاني عند النشور. وفي "ثم" دلالة على أن الثاني أبلغ.

(١) "الله" ساقط من (ح) ٥٧٥/ب.

(٢) انظر: أسباب نزول القرآن للواحيدي (١/١٦١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٤٧٣).

[٥] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ تكرر للتنبيه. والجواب محذوف أي: لو علمتم بإقدامكم على^(١) العقبة الكؤودة كما تستيقنون من سائر الأمور^(٢)، لجهدتم^(٣) غاية الجهد^(٤). وفي الحديث. ((لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))^(٥)

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواب قسم محذوف، ولا يصلح أن يكون جواب لو؛ لكونه محقق الوقوع. قرأ ابن عامر، والكسائي. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ بضم التاء.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مشاهدة. ولا علم فوقها^(٦).

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي كنتم فيه، هل شكرتم أم لا؟ وروى البخاري أن رسول الله ﷺ، وأبا بكر، وعمر رضي الله عنهما دخلوا حديقة أبي الهيثم^(٧) أيام

(١) "على" ورد في جميع النسخ: من، والمثبت من كتب التفسير.

(٢) "الأمر" ورد في (ر) ٥١٨/أ: العموم.

(٣) "لجهدتم" ساقط من ٥١٨/أ.

(٤) "غاية الجهد" ورد في (ر) ٥١٨/أ: ثم غاية الجهد.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا (رقم: ٦٠٠٤). ومسلم في حديث طويل، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك (رقم: ٢٣٥٩).

(٦) "فوقها" ورد في (ح) ٥٧٥/ب: فوقه.

(٧) هو: مالك بن النيهان بن مالك بن عبيد، أبو الهيثم البلوي الأنصاري حليف بني عبد الأشهل، مشهور بكينته، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا قبل ذلك رسول الله ﷺ بالعقبة، وهو أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة فيما زعم بنو عبد الأشهل، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. توفي في خلافة عمر بالمدينة سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين، وقيل: بل قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين، وقيل: إنه شهد صفين مع علي ومات بعدها بيسير. انظر: الإصابة لابن حجر (٧/٤٤٩). والاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٣٤٨). والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٤٤٧).

الرطب، فذبح شاة وأطعمهم من الرطب والبسر، وسقى ماء بارداً، فقال رسول الله ﷺ:
(هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة)^(١). وقيل: الخطاب خاص بمن ألهاه النعمة
والتكاثر بالأسباب، عما يعنيه من الشكر لمولائها.
تمت، والحمد لمن آلاؤه جلت.

(١) أخرجه مسلم، كتاب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه (رقم: ٣٧٩٩). والترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (رقم: ٢٢٩٢). والنسائي، كتاب التفسير، سورة التكاثر (رقم: ١١٩٦٧). والحاكم في المستدرک، کتاب الأَطْعَمَة (رقم: ٧١٧٨).

سورة العصر

مكية، ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وصلاة العصر، فإنها أفضل الصلوات؛ [٣/٩٠] لأنها الصلاة الوسطى. أو بالليل والنهار، وهو الدهر عظمه؛ لأنهم كانوا يسبون الدهر، أو بوقت العصر؛ لأنه وقت شريف كما أقسم بالضحى، أو بالعصر الذي أنت فيه فإنه أشرف الأعصار^(١) بوجودك.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾؛ لأن رأس ماله عمره، وهو شيء لا أعز منه يشتري به النعيم المقيم، فإذا ضيَّعه لا يكون أحسر منه.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم رجوا ما لا عين رأت، ولا خطر على قلب، في جوار رب العالمين ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وصَّى بعضهم بعضاً بالدين الثابت مرشداً له تكميلاً كما كمل في نفسه. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على إقامة الحق؛ لكثرة المبطلين أعداء الدين، أو بالصبر عن إتباع الشهوات.

(١) "الأعصار" ورد في (ح) ٥٧٦/أ: الأعضاء.

سورة الهمزة

مكية، تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمز: الكسر، واللمز: الإشارة بالعين قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾^(١) والمراد: الطعن في الأعراض قولاً وفعلاً صريحاً وإشارة. والبناء يفيد الاعتياد والاستمرار كالضحكة واللحنة. نزلت في أمية^(٢) أو^(٣) في الوليد. كان هذا شأنهم مع رسول الله ﷺ وفقراء الصحابة. والحكم عام؛ ولذلك صرّح بلفظ الكل.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ أي: كثيراً، أو مذموماً يعذب به يوم القيامة. بدل كل أو رفع، أو نصب على الذم. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: بالتشديد، وهو أبلغ ذماً، ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه وضبطه^(٤) كما هو شأن البخلاء، ليلاً ونهاراً تراهم في الحساب، أو جعله عدة وذخيرة. يقال: أعددته وعددته بمعنى. روي أن الأحنس قال لموسر: ما تقول في ألوف لم

(١) جزء آية من سورة التوبة، الآية: ٥٧.

(٢) لم أجد ترجمته.

(٣) في (ر) ٥١٨/أ: و.

(٤) في (ر) ٥١٨/أ: ضبطه.

أفتديها من لئيم، ولا تفضلت على كريم، قال: ولكن لماذا؟ قال: لجفوة السلطان، ونواب الزمان. قال: إذن تدعه لمن لا يحمذك، وترد على من لا يعذرك^(١).

[٣] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ لجهله وغروره واشتغاله عما أمامه^(٢) من قوارع الآخرة، أو يفعل أفعال من يظن أنه مخلده، من تشديد الأركان وتشديد البيان. وفيه تعريض بالعمل الصالح بأنه المخلد.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسابانه. ﴿لَيَبْدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ من أسماء النار؛ لأنها تحطم أي: تكسر ما يلقي فيها. قابل كسر الأعراض بكسر الأعضاء. واستحقاره بالنبد الدال على غاية الحقارة.

[٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ لم تحط بها^(٣) علماً.

[٦-٧] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي أوقدها للانتقام، والإضافة فيه كما في: ناقة الله^(٤) ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ تستولي عليها بالإحراق، بعد إحراق الأعضاء. والفؤاد أطف الأجزاء يتأذى بأذى شيء، فكيف بنار جهنم؟!، أو تطلع على الأفئدة أي: تنظر فيها وتطالعها؛ لأنها معادن الذنوب ومصادرها؛ ليكون العذاب على قدر ما تولد منها.

(١) أورده الزمخشري في تفسيره عن الحسن بلفظ: وعن الحسن: أنه عاد موسراً فقال: ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم؟ قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونواب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إذن تدعه لمن لا يحمذك، وترد على من لا يعذرك. انظر: الكشاف للزمخشري (٣٢٤/٧). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٣٨٢/٧).

(٢) "عما أمامه" ورد في (ح) ٥٧٦/أ: عما أمه.

(٣) "لم تحط بها" ورد في الأصل، و(ح) ٥٧٦/أ: بها.

(٤) "الله" ساقط من الأصل ٣٥٠/أ.

[٨-٩] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ مطبقة. واختلاف القراء كما في سورة البلد. ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ حال من ضمير "مؤصدة"، والمعنى: نغلق عليهم أبواب النار، وتوثق بالأعمدة^(١)؛ توكيداً ليأسهم من الخروج. أو من المجرور في "عليهم" أي نغلق عليهم الأبواب حال كونهم مسلسلين في العمد كاللصوص في المقاطر؛ لأنهم سراق الأعراض. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: عُمَدٌ بضمّتين، والباقون بالفتح، وكلاهما جمع عمود.

تَمَّتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ.

(١) "بالأعمدة" ورد في (ح) ٥٧٦/ب: بالأعمد.

سورة الفيل

مكية، وآيها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هم أبرهة الأشرم^(١) والي يمن من قبل النجاشي ملك الحبشة وليس بأصحمة الذي صلى عليه رسول الله ﷺ. وقصته: أنه قتل أرياطاً^(٢) من أمراء النجاشي، فغضب عليه فتدارك أبرهة ذلك بأن بنى له كنيسة بصنعاء اليمن لم ير مثلها، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وأرسل يخبر بذلك النجاشي، فأعجبه ذلك ورضي عنه، فشق ذلك على العرب، فاحتال رجل من كندة فدخلها ليلاً وأحدث فيها، فأخبروا بذلك أبرهة، فاشتد غضبه، وعزم على تخريب الكعبة الشريفة زادها الله شرفاً. واصطحب فيلة ليهد^(٣) البيت بها، فلما توجه عارضه ذو نفر^(١) من قومه من بني قحطان فلم

(١) هو: أبرهة الأشرم، أبو يكسوم، رجل من الحبشة، قتل أرياطاً، وغلب على اليمن، بنى كنيسة بصنعاء فسامها القديس، وزعم أنه يصرف إليها حج العرب، وحلف أنه يسير إلى الكعبة فيهدمها، فأرسل الله الطير من البحر كالبلسان مع كل طير ثلاثة أحجار، حجران في رجله وحجر في منقاره، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة، فإذا غشين القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحد إلا هلك. انظر: الثقات لابن حبان (١٥/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٩١/١). والمنتظم لابن الجوزي (١٥٩/١).

(٢) لم أجد ترجمته.

(٣) "ليهد" ورد في (ر) ٥١٨/ب: هـ.

يقدر عليه فأسره، فلما بلغ أرض خثعم^(٢) قاتله نفيل بن حبيب الخثعمي^(٣) فأسره أيضاً ولم يقتله ليدله على الطريق، ولما بلغ المعتمس^(٤) وهو موضع بقرب مكة. فأرسل حناطة الحميري^(٥) ليخبرهم بأن الملك لم يأت لحرهم، وإنما قصده تخريب البيت، ويأتيه بأشرف البلد، فجاء عبد المطلب فخرج معه إلى أبرهة، فلما رآه أكرمه، وكان عبد المطلب وسيماً حسن المنظر، فقام له أبرهة، وأجلسه على سريره، وسأله عن حاجته، فقال: إن جيشك قد أغار على سرح مكة، وأخذوا لي إبلاً، وكانوا أخذوا له مئتي بعير، فقال لترجمانه: قل له: إني جئت في تخريب بيت هو شرفك وشرف آبائك، فلم تذكره وتطلب الإبل، فقال عبد المطلب: أنا رجل مضياف، ولا أقدر على قيام الضيافة إلا بالإبل، والبيت له صاحب أنت وذاك، فردَّ إبله

(١) هو: رجل من ملوك وأشرف اليمن اعترض جيش أبرهة الأشرم وهو في طريقه إلى هدم الكعبة شرفها الله، وقاتله بجيش من أهل اليمن. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٥٥٢/١).

(٢) "خثعم" ورد في (ر) ٥١٨/ب: خثعم.

هو: أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن زيد بن كهلان، وإنما سمي خثعماً؛ بجمل كان له يقال له: خثعم، وهو من اليمن، قال ابن الكلبي: ويقال: إن أفتل بن أنمار لما تحالف ولده على سائر ولد أبيه نحرُوا بعيراً ثم تخثعوا بدمه أي: تلطخوا بدمه في لغتهم. انظر: الإكمال لابن ماكولا (٢٠٤/١). والجزء المتمم لطبقات ابن سعد لابن منيع الهاشمي، تحقيق: زياد محمد منصور [مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ، ط ٢] (٢٧٠/٢).

(٣) "الخثعمي" ورد في (ر) ٥١٨/ب: الخثعمي. هو: نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبِ الْخَثْعَمِيِّ فِي قَبِيلِي خَثْعَمٍ، شاعر جاهلي، يلقب بذي الديدن، كان من أدلة "أبرهة" الحبشي في زحفه على مكة. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٥٥٥/١). والأعلام للزركلي (٤٥/٨).

(٤) الْمُعْتَمَسُ بالضم ثم الفتح وتشديد الميم وفتحها: موضع على ثلثي فرسخ من مكة في طريق الطائف، وهو الموضع الذي رضى فيه الفيل حين جاء به أبرهة، فجعلوا ينخسونه بالحراب، فلا ينبعث، حتى بعث الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكتهم. قال أبو الصلت الثقفي:

حَسَّ الْفِيلَ بِالْمُعْتَمَسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مُعْقُورٌ

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٣٠/٤). ومعجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٣٣٩/١).

(٥) "حناطة الحميري" ورد في (ح) ٥٧٦/ب: حناط حميري. لم أجد ترجمته.

وذهب، فلما أصبحوا هيتوا الفيلة، وكان أكبرها اسمه محمود، فقدّموه فبرك، فضربوه ضرباً شديداً لم يتحرك، فوجهوه نحو اليمن فهول، ثم نحو الشام فهول، ثم نحو مكة [٣٥٠/١] فبرك. هذا؛ وعبد المطلب أخذ بحلقة الكعبة وهو يقول:

لا هُمَّ إنَّ المرءَ يمنع رَحْلَه فامنع رحالك لا يَغْلِبَنَّ صلييهم ومِحالم غدوا محالك
إن تتركهم^(١) وكعبتنا فأمر ما بدا لك جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا حلالك.

فلم يتمّ كلامه إلا والطير أقبلت^(٢).

[٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع.

[٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات متفرقة. كسراويل لا واحد له. وقيل: جمع أبالة وهي الجماعة. وقيل: إِبُول كِعَجُول وقيل: إِبِيل كقنديل^(٣). كانت في جنة الخطاطيف.

[٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ معرّب من سبك^(١) وكل. وقيل: من السجل وهو الدلو الكبير^(٢). وقيل: من الإسجال وهو الإرسال^(٣). وقيل: من السجل، فإنه كان مكتوباً على كل حجارة اسم من قتل بها.

(١) "تركهم" ورد في الأصل ٣٥١/ب، و(ر) ٥١٨/أ: تركهم.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٦١١/٣٤). وتاريخ الأمم والملوك للطبري (٥٥٢/١). والثقات لابن حبان (١٥/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٩١/١).

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب (٦/١١): "قيل: الأبايل جماعة متفرقة واحداها إِبِيل وإِبُول. وذهب أبو عبيدة إلى أن الأبايل جمع لا واحد له بمنزلة عبايد وشمايط وشعاليل".

[٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكله الدود، أو كروث الدواب. وإنما عدل إلى المنزل؛ على نمط آداب القرآن. قيل: كان كل طير يحمل أحجاراً ثلاثة يرمي بكل واحدة إنساناً، لا يردّه شيء من الحديد ففرّ أبو كيسوم وزيره حتى بلغ النجاشي فأخبره، فلما أتمّ حديثه كان فوق رأسه طير^(٤) فرماه بحجر فقتله، وأما أبرهة فتساقطت أعضاؤه، وتصدّع صدره وقلبه، وجمع عبد المطلب وأهل الحرم أموالهم. وما نقل عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " رأيت قائد الفيل وسائسه مُقْعَدَيْنِ"^(٥)، ظاهر القرآن يخالفه، واتفق الثقات أنّ رسول الله ﷺ ولد في ذلك العام بعد وقعة الفيل.

ذلك يُمنُّ مقدمه لله دره، من صارم قبل ما سُئل يقطع.

تمت والله الحمد والمنة، والصلاة على كاشف الغمة.

(١) "سيك" ورد في (ح) ٥٧٧/ب: سنك.

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/١٣٠٩). ولسان العرب لابن منظور (١١/٣٢٥). وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/٤١٨).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١١/٣٢٦). وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/٤١٨).

(٤) "طير" ساقط من (ح) ٥٧٧/أ.

(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الحج، باب في حرمة مكة والنهي عن استحلالها (٣/٢٨٥). وانظر: السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد [دار الجليل - بيروت - ١٤١١، ط ١] (١/٥٧). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٤٨٩).

سورة قريش

مكية، وآيها أربع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ يتعلق بآخر الأولى كأنه قيل: إنما جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أو باعجبوا، أو بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾^(١)، والفاء جواب الشرط. أي: إن لم يعبدوا الله لنعم الدارين، فليعبدوه لإيلافهم.

[٢] ﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن. ﴿وَالصِّيفِ﴾ إلى الشام نصبه على مفعولية الإيلاف. يقال: أَلَفَ الشيءَ وألّفه بمعنى. وقرأ ابن عامر الأول بحدوف الياء جمعاً بين اللغتين، أو هو أيضاً مصدر أَلَفَ. روي أن قريشاً^(٢) وهم أولاد النضر بن كنانة^(٣) - والقرش: دابة

(١) سورة قريش، الآية: ٢.

(٢) قريش: ولد النضر بن كنانة سُموا بتصغير القرش وهو: دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تُطَاقُ إلا بالنار، وقيل: من القرش وهو الكسب؛ لأنهم كانوا كسّابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. ورد عن النبي ﷺ ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (رقم: ٤٢٢١). انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٥٤/٤).

(٣) هو: النضر بن كنانة القرشي التيمي المكي من مضر: جد جاهلي، من سلسلة النسب النبوي. قال النبي ﷺ: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا، ولا تنتفى من أئينا. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢٧٤/٧). والأعلام للزركلي (٢٦٧/٥).

عظيمة في البحر تلعب^(١) في السفن، ولا يدفعها غير النار- والتصغير للتعظيم، كانوا سكان الحرم، وكان إذا أصابهم مجاعة خرجوا إلى البر، وضربوا الأخبية متفرقين ربما مات طائفة جوعاً، فقام هاشم^(٢) يوماً خطيباً وحثهم على الرحلتين، فأثروا بعد ذلك وحسن حالهم^(٣). ولما أهلك الله أصحاب الفيل أمنوا من تعرض^(٤) الناس، فمن الله عليهم بذلك ﴿أَوْلَمْ تُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾^(٥).

[٤-٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

تمت، والحمد لمن آلاؤه عمت. والصلاة على المختار من هاشم.

(١) "تلعب" ورد في الأصل: تكن.

(٢) هو: هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، من أجداد النبي ﷺ.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٢١/١٧).

(٤) "تعرض" ورد في (ح) ٥٧٧/أ: تعريض.

(٥) جزء آية من سورة القصص، الآية: ٥٧.

سورة الماعون

مكية، وآيها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢-١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: بالجزاء؛ لاعتقاده عدم البعث. الاستفهام للتعجيب. وقرأ الكسائي: بحذف الهمزة إلحاقاً له بالمضارع. ولما كان في^(١) التعجيب تشويق إلى تعرف حال المكذب؛ ربّ عليه قوله: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه عنيفاً. هو أبو جهل، كان وصياً على يتيم فجاءه عرياناً سأله عن مال نفسه فدفعه. وقيل: الوليد. وقيل: أبو سفيان^(٢)، سأله يتيم وكان نحر جزوراً فقرعه بالعصا. واسم الإشارة للتحقير، وفي الصلة؛ إشارة إلى أن المكذب بالجزاء لا ينفك عن هذه الرذائل.

(١) "في" ساقط من (ح) ٥٧٧/ب.

(٢) هو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، والد معاوية ويزيد وعتبة، كان من أشرف قريش في الجاهلية، أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ حيناً وأعطاه من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية، توفي سنة ٣٣هـ في خلافة عثمان. وقيل: سنة ٣٢هـ. وقيل سنة ٢١هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/٣٦-٣٧). والإصابة لابن حجر (٣/٤١٢).

[٣] ﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ غيره، فهو محل بكلا الوجهين^(١) لا يفعل الخير ولا يأمر به.

[٤-٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ تاركون لها غير مباليين.

[٦-٧] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاعُونَ﴾ بأعمالهم. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الزكاة، فاعول من العون؛ لكونه معاوناً للفقراء والمحاويج. وفي الكلام ترقق؛ ولذلك زاد لفظ الويل أي: إذا كان دغّ اليتيم وترك الحض على الإطعام من سمات التكذيب ومعرفاته، فالويل لمن ترك عماد الدين قلة مبالاة، والزكاة التي هي^(٢) قنطرة الإسلام، وتلبس بالرياء الذي هو الشرك الخفي. فأشار إلى العقيدة بالتكذيب، وإلى الأفعال بهذه الخصال؛ ولذا كان دليلاً على كونه مخاطباً بالفروع، فعلى المؤمن بالدين البعد عنها بمراحل. فإن قلت: عن ابن مسعود: أن الماعون محقرات المتاع كالقأس والنار والملح. فما وجه ذلك؟ قلت: المراد تجريد المكذب عن الخير رأساً، والوصف بكمال الخسة وعدم المروءة.

تمت، والحمد لله على نعم عمت، والصلاة على محمد وآله وصحبه

(١) "الوجهين" ورد في (ح) ٥٧٧/ب، و(ر) ٥١٩/أ: الواجيين.

(٢) ورد في جميع النسخ: الذي هو. ولعل ما أثبتناه هو الصواب؛ لمناسبته للسياق.

سورة الكوثر

مكية، وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فعول، من الكثرة وهو الإفراط في الخير، من العلم والعمل وشرف [٣٥/ت] الدارين. روى البخاري ومسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((ليلة أسري بي أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر))^(١). وفي رواية: ((ترابه المسك وحبهاؤه اللؤلؤ ماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج، آنيته أكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أول من يرد عليه فقراء المهاجرين))^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة إنا أعطيناك الكوثر، (رقم: ٤٥٨٢). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة النجم (رقم: ١١٥٣٣). والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الكوثر (رقم: ٣٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (رقم: ٦٢٠٨). ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (رقم: ٢٣٠٠). والترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض (رقم: ٢٣٦٨) بلفظ: حَدَّثَنِي تُوَيْانُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكَاوِيئُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وَرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ نِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدُودُ)).

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: إذا أخصك الله بذلك، فخصه بالصلاة والسجود. ﴿وَأَنْحَرْ﴾ له القرابين والبدن مراغماً للمشركين الذين يسجدون للأوثان وينحرون لها. وقيل: ضع يدك على النحر في الصلاة، وفيه بعد، ويؤيد الأول قوله. ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ (١).

[٣] ﴿إِنْ شَأْنُكَ﴾ عائبك ومبغضك. ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الذي لا عقب له. مات له ابن عابه بذلك العاص بن وائل قال: محمد أبتَر إذا مات انقطع ذكره. وقيل: القائل أبو لهب (٢). وقيل: كعب بن الأشرف (٣). والمعنى: إنَّ الأبتَر من انقطع ذكره بموته، والنسل يكون (٤) سبباً للذكر، وأنت مرفوع الذكر على المنابر إلى آخر الدهر. بيد ما أخفي لك من الشرف والمقام المحمود، وشأنك عليه اللعن من كل مؤمن، ومأواه (٥) جهنم مقروناً مع الشيطان، فلينظر من الأبتَر.

تمت سورة الكوثر، والحمد على الحظ الأوفر، والصلاة على خير البشر.

(١) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) هو: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عم رسول الله ﷺ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام، وفيه نزلت الآية ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿سورة المسد، الآية: ١-٢﴾. كان أحمر الوجه مشرقاً، فلُقّب في الجاهلية بأبي لهب. انظر: الأعلام للزركلي (١٢/٤). وسقط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي (١٧٦/١).

(٣) هو: كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، شاعر جاهلي، يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذاتهم، والتشبيب بنسائهم، فأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في سنة ٣ هـ ظاهر حصنه. انظر: معجم الشعراء للمرزباني (٧٢/١). والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤٦٠/١). والأعلام للزركلي (٢٢٥/٥).

(٤) "يكون" ساقط من (ح) ٥٧٧/ب.

(٥) "مأواه" ورد في (ح) ٥٧٧/ب: "مأوا" والهاء ساقطة.

سورة الكافرون

مكية، وآياتها ست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الخطاب لرهط من قريش، وهم الذين ماتوا على الكفر دعوة إلى عبادة آلهتهم ليعبدوا إلهه.

[٢-٤] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في المستقبل؛ لأنّ "لا" لنفيه كما أنّ "ما" لنفي الحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أيضاً ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في الماضي إذا لم أكن مرسلًا، فكيف وأنا رسول من ربّ العالمين.

[٥] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ما عبدت وأنا مستمر على عبادته؛ لذلك لم يقابل الماضي بمثله. وقيل: إنما عدل عنه؛ لأنه لم يكن موسوماً بعبادة قبل البعثة ولا عبادته على نمط التكليف، وأما^(١) طوافه، وتحتيته، كان على جري العادة دون التعبد، وهذا كلام باطل. بل كان متعبداً قطعاً إما شرع من شرائع من قبله، أو اجتهاداً. كيف وقد صحّ في البخاري تعبده بحراء^(٢) وكان قريش في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات^(١) فأين اقتضاء العادة؟.

(١) "أما" ورد في (ر) ٥١٩/ب: إنما.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (رقم: ٣) بلفظ: "عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَّبَ إِلَيْهِ

[٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كلُّ منا لا يتجاوز دينه إلى أن يموت. وليس فيه نسخ كما ظنَّ، ولا منع عن القتال معهم بعد الإذن والله أعلم.

تمت سورة الكافرين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه الكرام، الغر المحجلين^(١).

الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَدِيحَةِ حِرَاءٍ لِمَنْطَلَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ...)) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم: ١٦٠).

(١) عرّفات بالتحريك وهو واحد في لفظ الجمع: هو مكان بين جبال صغيرة كالتلال، مساحته فرسخان في مثلهما، كان به مسجد بناء إبراهيم عليه السلام، وعلى بعد فرسخ جبل حجري صغير يسمّى جبل الرحمة، هناك يقف الحجاج ويدعون حتى وقت الغروب. ورد عن النبي ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْتُوهُ ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟". انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢١٥). وسفرنامه لناصر خسرو، تحقيق: د. نجيب الخشاب [دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٨٣، ط ٣] (٣٨/١).

(٢) "وعلى آله وصحبه الكرام، الغر المحجلين" ساقط من الأصل ٣٥١/أ، و(ر) ٥٢٠/أ.

سورة النصر

مدنية، وآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. نزلت في حجة الوداع^(١) ففهم رسول الله تمام الأمر، فركب ناقته القصواء في المسجد الحرام، وخطب الناس الخطبة المشهورة، وودّع فيها وقال: ليلغ الشاهد الغائب؛ فلذلك سميت حجة الوداع، وكان بين حجته وإجابته داعي الحق ثلاثة أشهر ونيف.

فإن قلت: فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة، وحجة الوداع سنة عشر. فكيف يصح نزولها في حجة الوداع و"إِذَا" يدل على الاستقبال؟

قلت: قد روي أنها نزلت قبل سنتين، وعلى تلك الرواية يحمل "إِذَا". ولما كان فتح مكة أمّ الفتوح جعله مترقباً باعتبار ما ردفه من الفتوح، وإن كان متحققاً في نفسه يدل عليه قوله:

(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/١٠): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق بمضى، وهو في حجة الوداع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ {سورة النصر، الآية: ١} حتى ختمها، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع.

[٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعات كثيرة فوجاً بعد فوجٍ. كانت العرب والأعراب ينتظرون فتح مكة ويظنون أن من قصد مكة يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل، فلما فتحها قهراً وتمكن من رقايمهم ثم أعتقهم، وسموا مُسَلِّمة الفتح "طلاقاً" لذلك؛ فبادروا إلى الإسلام قبيلة قبيلة.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزهه عن خلف الوعد الذي سبق معك بالنصر وفتح مكة بقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(١)، ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ لما عسى فرط منك من خلاف الأولى الذي لا يليق بجلالة قدرك. أو لأمتك؛ لما روت عائشة رضي الله عنها: ((أنه ﷺ كان عندي في ليلة فلما ظنَّ إني نائمة قام إلى الباب ففتحته خفية وذهب، فتلففتُ بخماري وذهبت وراءه، فجاء إلى البقيع فوقف ودعا زمناً طويلاً ثم انصرف، فأسرعت وأسرع ورائي حتى دخلت البيت فدخل فوجدني أهت، فقال: ما لك؟ قلت: لا شيء، قال: أخبريني أو ليخبرني العليم الخبير، قلت: خرجت، فظننت أنك ذهبت إلى بعض أزواجك، فقال لي: أنت ذاك السواد الذي رأيته، قلت: بلى، قال: جاءني جبرائيل وناداني من وراء الباب، ولم يدخل لأنك وضعت الخمار، وقال لي: تعال استغفر لأهل [٣٥١/١] البقيع فذهبت))^(٢) ثم قال: وارأساه، فكان ذلك ابتداء مرضه صلوات الله عليه^(٣). ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ لمن استغفر.

(١) جزء آية من سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقالُ عندَ دُخُولِ القُبُورِ والدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (رقم: ١٦١٩). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب الغيرة (رقم: ٨٩١١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وراساه (رقم: ٥٣٤٢). بلفظ: "قالت عائشة: وراساه، فقال: رسول الله ﷺ ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: وانكليه والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظلمت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: بل أنا وراساه، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبي الله ويدفع

تَمَّتْ سُورَةُ النَّصْرِ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ النَّصْرَ عَلَى الْأَعَادِي، بِحَقِّ أَفْضَلِ الْعِبَادِ.

المؤمنون أو يدفع الله ويأبي المؤمنون". وابن ماجه في سننه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ
وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (رقم: ١٤٥٤). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الوفاة، بدء علة النبي ﷺ (رقم: ٧٠٧٩).

سورة تبت

مكية، وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ التباب: الهلاك، والمراد: جملته؛ لأن اليدين للإنسان كالجنحين للطائر، فمن عدت يداه فهو والهالك سواء. وقيل: رمى رسول الله ﷺ حجراً بيديه. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ صعد الجبل، ثم نادى واصباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم هل أنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً. قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعنا؟! فنزلت))^(١). واسمه عبد العزى، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان أحول العين، وهو^(٢) عم رسول الله ﷺ. وقرأ ابن كثير: أَبِي لَهَبٍ بسكون الهاء ﴿وَتَبَّ﴾ أي: كان ذلك وحصل. فالأول دعاء، والثاني إخبار كما في قوله:

جزاء الكلاب العاويات وقد فعل^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (رقم: ٤٣٩٧). ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (رقم: ٢٠٨).

(٢) "هو" ورد في (ح) ٥٧٨/ب: هم.

(٣) البيت من البحر الطويل، للناطقة الذبياني وصدوره:

[٢] ﴿مَا أَعْنَى عَنَّهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ استئناف رداً لما كان يقول: أنا أفتدي بمالي إن صدق محمد^(١). والمراد من الكسب: الربح، أو ما حصله من مال ورثه، أو ما عمله من أعمال البر، أو أولاده. وفي الحديث: ((ولد العبد من كسبه))^(٢).

[٣] ﴿سَيَصَلِّي نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم إغناء المال والولد. وجمع بين طريقي التأكيد بقوله: "وتب" أولاً ماضياً للتحقق، والسين ثانياً لتأكيد الوعيد.

[٤] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسمها أروى^(٣) بنت حرب بن أمية^(٤) أخت أبي سفيان، كانت مع زوجها في الكفر شناً وطبقة. عدل عن كنيته؛ لاتصافها بالزند. عن ابن عباس^(٥): كانت تحمل الشوك^(٥) على ظهرها فتضعه في طريق رسول الله ﷺ إذا خرج

حَزَى اللَّهُ عَبْسًا عَبْسَ آلِ بَغِيضٍ جَزَاءَ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ.

انظر: خزنة الأدب للبغدادي (٩٨/١). وجمع الأمثال للميداني (٢٤٩/١). والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (٤٦/١). والشاهد فيه قوله: (وقد فعل) أي: أخبر أن الله استجاب دعاءه، كذلك (تبت) الأولى في الآية: للدعاء، والثانية: إخبار من الله تعالى أنه قد أهلك أبا لهب.

(١) أورده ابن كثير عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول لابن أخي حقاً فيني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله: ﴿مَا أَعْنَى عَنَّهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ {سورة المسد، الآية: ٢}. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٥/٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده (رقم: ٣٠٦١). والنسائي، كتاب البيوع، باب الحث على الكسب (رقم: ٤٣٧٣-٤٣٧٥-٤٣٧٦). بلفظ: إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ. واللفظ لأبي داود. وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب (رقم: ٢١٣٧). والدارمي، ومن كتاب البيوع، باب في الكسب وعمل الرجل بيده (رقم: ٢٥٣٧).

(٣) "أروى" ورد في (ح) ٥٧٨/ب: اددى.

(٤) هي: فاختة بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أم جميل، أخت أبي سفيان بن حرب، وهي أم عتبة بن أبي لهب ومعتب بن أبي لهب اللذان أسلما يوم الفتح. انظر: سبط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي للعصامي (١٧٦/١). والثقات لابن حبان (١١٨/٣).

(٥) "الشوك" ورد في الأصل و(ح) ٥٧٨/ب: الشوكة.

للصلاة^(١). وقيل: مجاز عن المشي بالنميمة وحمل الخطايا. وقرأ عاصم: "حمالة" بالنصب على الذم والشتم، وقد طَبَّقَ فيه المِفْصَل.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ المسد: الليف، أو شجر باليمن. وعن أبي عبيد^(٢): جبل^(٣) مفتل من أخلاط^(٤). حَقَّرَ شَأْنَهَا بأن صَوَّرَهَا بصورة بعض الخطَّابَات اللاتي لا تجد حمولة فتجعل الحبل في العنق الذي هو أشرف الأعضاء. هذا وهي من الثروة وشرف النسب بمكان. أو هذا حالها في جهنم، صورها الله لأهل النار بما كانت متصفة به في الدنيا، جعل الغل في عنقها وعلى ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع. وكذا كل مجرم يعذب بما يماثل عمله.

تَمَّتْ سُورَةُ تَبَّتْ، وَالْحَمْدُ عَلَى نَعْمِ عَمَّتْ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ الرُّسُلِ وَمَوْضِعِ السَّبِيلِ.

(١) أورد الطبري في تفسيره (٦٧٧/٢٤): قال بعضهم: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ؛ ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة.

(٢) في (ح) ٥٧٩/أ: أبي عبيدة.

(٣) "حبل" ورد في (ح) ٥٢٠/ب: لا تجد حبل.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٠٢/٣).

سورة الإخلاص

مكية، وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ روى الترمذي والإمام أحمد أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ أن يصف لهم الإله الذي يدعو إلى عبادته فنزلت (١). فضمير (٢) "هُوَ" لما سألوه مبتدأ والجملة خبر، ولا حاجة إلى العائد؛ لأن الجملة إذا كان أحد جزئها عين المبتدأ كقوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (٣) لا يحتاج إلى رابط، وكذا إن جعل ضمير الشأن؛ لأن الشأن (٤) ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفسه. وعلى الأول يجوز أن يكون "الله" بدلاً؛ ولذلك قرئ (٥): "الله أحد" بدون "هو"، وأما جعل "أحد" بدلاً فلا؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة. والأحدية: توحيد الذات بانتفاء أنحاء جهات التركيب عقلاً وخارجاً، والموصوف بما هو الواحد الحقيقي. والواحدية: عدم المماثلة في الصفات. وكل منهما يجوز انفكاكه عن الآخر، وفي ذاته تعالى يتلازمان؛

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (١٦٤).

(٢) في الأصل "ضمير"، والمثبت من (ر) ٥٢٠/ب، و(ح) ٥٧٩/أ.

(٣) جزء آية من سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٤) "لأن الشأن" ساقط من (ح) ٥٧٩/أ.

(٥) في (ح) ٥٧٩/أ، و(ر) ٥٢٠/ب: قراء.

تعالى يتلازمان؛ ولذلك وصف بالواحد الأحد. وقُدِّم وصف^(١) الواحدي؛ لأنه^(٢) محل الاشتباه في الجملة، وأما كونه أَحَدِيُّ الذات جلي لا يخفى.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الصمد: فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذي يقصد في الحوائج، من الصمد وهو المكان المرتفع. أخلاه عن العاطف؛ لأنه نتيجة الأولى، إذ من كان أَحَدِيُّ الذات وَأَحَدِيُّ الصفات لا يكون إلا غنياً مطلقاً، أو دليل لها؛ لأن من كان مقصود الكل في الاحتياج ولا يحتاج إلى شيء فهو المتوحد ذاتاً وصفة.

[٣] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لاقتضائهما التجانس والتماثل. وقد دلَّ التوحد على انتفائهما ﴿أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾^(٣)، ولأنه لو وَلَدَ أو وُلِدَ لم يكن غنياً مطلقاً.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ كفؤ الشيء: ما يماثله ذاتاً أو صفة. فالمتوحد المطلق الغني عن كل شيء، لا يماثله أحد في شيء، والاشتراك في الشيئية ليس إلا في الاسم؛ ولذا تفيد بكونه شيئاً لا كالأشياء. وقرأ حمزة ﴿كُفُوًا﴾^(٤) باسكان الفاء وبالواو ووقفاً، وكذا حفص ووقفاً ووصلاً بالإبدال؛ لاستئصال الهمز بعد الضمتين. روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم، فقال: قل هو الله أحد ثلث القرآن))^(٤). وذلك؛ لاشتماله على التوحيد، ومباحث المبدأ والمعاد. ومقاصد القرآن ثلاث: عقائد وأحكام وقصص. روى مالك وأحمد والترمذي

(١) "قُدِّم وصف" ورد في (ح) ٤٧٩/أ: وقد وصف.

(٢) "محل" ساقط من (ر) ٥٢٠/ب.

(٣) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد (رقم: ٤٦٢٨). ومسلم، كتاب صلاة

المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد (رقم: ٨١١).

والنسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" فقال: "وجببت"، قيل يا رسول الله ما وجبت؟ قال: "وجببت له الجنة" (١). وروى الإمام أحمد عن تميم الداري (٢) عن أبي هريرة ﷺ (٣) أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال: لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب له أربعون ألف حسنة)) (٤). وعن بريدة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فسمع رجلاً يقول: ((اللهم إني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)) (٥).

تمت، وفضائلها لا تتم، والحمد للواحد الأحد، والصلاة على الأوحاد في جميع الرسل وآله وصحبه أجمعين

(١) أخرجه مالك، كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك الذي بيده (رقم: ٤٣٥). وأحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي هريرة (رقم: ٧٦٦٩). والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص (رقم: ٢٨٢٢). والنسائي، كتاب الاستفتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد (رقم: ٩٨٤).

(٢) هو: تميم بن أوس بن خارجة الداري، يكنى أبا رقية بابنة له تسمى رقية لم يولد له غيرها، كان نصرانياً، أسلم في سنة تسع من الهجرة، سكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان ﷺ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٣/١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠٨/٧).

(٣) "عن أبي هريرة ﷺ" ساقط من الأصل و(ر) ٥٢١/أ.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ماجاء في فضل التسييح (رقم: ٣٣٩٥). والطبراني في المعجم الكبير، باب التاء، تميم بن أوس الداري (رقم: ١٢٧٨). وأحمد في مسنده، أول مسند المدنيين، حديث تميم الداري ﷺ (رقم: ١٦٩٩٣).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في جامع الدعوات (رقم: ٣٣٩٧). وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، (رقم: ١٢٧٦). وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (رقم: ٣٨٥٧). والحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء والتكبير والتسييح والتهليل والذكر (رقم: ١٨٥٨).

سورة الفلق

مدنية، وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فلق الشيء: شقّه. قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾^(١) والمراد: الصباح، فَعَلَ بمعنى المفعول؛ لأنّ الليل يُفلق عنه، أو لأنّ الله تعالى أخرجّه من جيب الليل؛ لقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾^(٢) وفي المثل: "فلق الصبح فالفه"^(٣). وعن الضحاك: هو الخلق

(١) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٢) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٣) قال ابن منظور في اللسان (٣٠٩/١٠): الفلق بالتحريك: ما انفلق من عمود الصبح، وقيل: هو الصبح بعينه، وقيل: هو الفجر، وكلُّ راجع إلى معنى الشقّ. قال الله تعالى (قل أعوذ برب الفلق) قال الفراء: الفلق الصبح يقال هو أيين من فلق الصبح وفرق الصبح، وقال الزجاج: الفلق بيان الصبح. وانظر أيضاً: الصحاح للجوهري (٥١/٢).

كله؛ لأنه^(١) فلق من ظلمة العدم^(٢). وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: "جبّ في جهنم إذا فُتح صاح أهل النار من شدة حرّه"^(٣). وأصل الفلق: المطمئن من الأرض.

[٢] ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر مخلوقاته كلها، ذوي العقول وغيرهم، يعم شرّ الدارين في العالم السفلي والعلوي.

[٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ من شرّ الليل إذا دخل ظلامه، من الغسق وهو الظلام؛ لقوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٤) يقال: غسقت العين إذا امتلأت دمعا. وخصّ بالذكر؛ لأنّ انبثاث الشرّ فيه أكثر، والتحرز منه أشقّ. روى البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((إذا دخل الظلام أجيفوا الأبواب، وكفوا الصبيان حتى تذهب فحمة العشاء؛ لأنّ الشياطين تنتشر بعد المغرب))^(٥). وقيل: هو العمر إذا خسف؛ لقول عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي ونظر إلى القمر وقال: ((تعوذي من شرّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب))^(٦). والمعنى: أنه

(١) في (ر) ٥٢١/أ: لأن.

(٢) "ظلمة العدم" ورد في (ح) ٥٧٩/ب: "ظلمة الليل العدم". أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٧٥/١٠) عن ابن عباس. وانظر أيضاً الدر المنثور للسيوطي (٦٨٩/٨).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٢٨٤/٢٤). وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٥/١٠). والنكت والعيون، لأبي الحسن الماوردي (٣٩٦/٤).

(٤) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٥) لم أجده في البخاري بهذا اللفظ، لكن أخرجه في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (رقم: ٣٠٣٨) بلفظ: "إِذَا اسْتَجَحَّ اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا". ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب.. (رقم: ٢٠١٣).

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين (رقم: ٣٢٨٨). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا رفع رأسه إلى السماء (رقم: ١٠١٣٧). وأحمد، باقي مسند الأنصار (رقم: ٢٤٦١٩). والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الفلق (رقم: ٣٩٨٩).

يغسق الليل بوقوبه، فالإسناد مجازي، وأضاف الشر إليه للملابسة؛ لأنه يحدث بسببه. والوقوب: الدخول، من وقب العين وهو النقرة التي تكون^(١) فيها العين.

[٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ من شر النفوس الساحرة التي تعقد الخيوط وتنفض فيها لعمل السحر. ولعل ذلك أكثر من إذ قد يكون بدونه. والنفث: فوق النفخ، يجوز أن يكون معه ريق، والتفل: لا يكون إلا مع ريق. والتعوذ من إثم ذلك العمل والاتصاف به، أو من الانخداع لتلك الأباطيل، أو مما يصيب الله به المسحور ((فإنه ﷺ سحر^(٢) حتى كان يخيل إليه أنه فعل شيئاً لم يكن فعله))^(٣). سحره^(٤) لبيد بن الأعصم اليهودي^(٥)

فإن قلت: إذا صح أنه سحر فكيف كذبهم الله في قولهم^(٦): ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٧) قلت: هذه مقالة المشركين بمكة، وإنما سحر بالمدينة وعائشة رضي الله عنها عنده، وأيضاً لم يكن قصدهم في تسميته مسحوراً ذلك المعنى. بل الجنون بواسطة السحر.

[٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ إذا ظهر حسده بالقول أو الفعل. والحسد: تمني زوال نعمة الغير وحصولها للحاسد. والاعتباط: هو تمني حصول مثله من غير طلب زوال عنه، وهو المراد بقوله ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنين العلم الذي يعمل به، والمال الذي ينفق في سبيل

(١) في (ر) ٥٢١/أ: يكون.

(٢) "سحر" ساقط من (ر) ٥٢١/أ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر (رقم: ٢٩٣٩). ومسلم، كتاب السلام، باب السحر (رقم: ٢١٨٩).

(٤) "سحره" ورد في الأصل: سحر.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٩٦-١٩٧).

(٦) "كذبهم الله في قولهم" ورد في (ح) ٥٨٠/أ: أكذبهم في قوله.

(٧) جزء آية من سورة الإسراء، الآية: ٤٧، وجزء آية من سورة الفرقان، الآية: ٨.

الخير))^(١). وإنما عبر عنهما بالحسد؛ مبالغة في الحرص عليهما. وإنما عرف النفاثات دون غاسق وحاسد؛ لوصفهما بالظرف بعدهما. وقيل: لأن كل النفاثات شرّ بخلاف الغاسق والحاسد؛ استدلالاً بالحديث، وليس بناهض؛ لما أشير إليه من الفرق بين الحسد والاعتباط، ولقوله عليه السلام: ((إذا دخل الظلام، أجيئوا الأبواب وكفوا الصبيان))^(٢) من غير تفرقة بين غاسق وغاسق^(٣). وفي دعائه عليه السلام: "أعوذ بك من شر كل حاسد"^(٤).

تمت والحمد لله وحده. [٣٥٢/١]

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الاعتباط في العلم والحكمة (رقم: ٧١). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.. (رقم: ٨١٥).

(٢) سبق تخريجه عند الآية ٣ من سورة الفلق.

(٣) "وغاسق" ساقط من (ح) ٥٨٠/أ.

(٤) لم أجد هذا اللفظ.

سورة الناس

مدنية، ست آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بسيدهم المتولي أمورهم، المتصرف فيهم.

[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ عطف بيان على طريقة التلقي؛ لأنَّ الربَّ قد لا يكون سلطاناً، وهو أعمُّ من أن يكون إلهاً يستحق العباداة. وتكرير "الناس" مظهراً؛ لأنه^(١) أكمل في البيان.

[٣] ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الموسوس، اسم المصدر، أطلق على الفاعل مبالغة. والوسوسة: حديث النفس بالشر، أصله صوت الحلي. قال الأعشى:

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسْوَاساً إِذَا انصَرَفَتْ^(٢)

(١) "لأنه" ورد في (ر) ٥٢١/ب: إن به.

(٢) البيت للأعشى من البسيط وتامه:

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسْوَاساً إِذَا انصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحِ عَشْرِقٍ زَجَلُ

قوله: كما استعان بريح عشريق زجل: إشارة إلى شدة الحركة؛ وذلك أن العشريق: شجر شديد الحركة في ضعف النسيم، فكيف إذا استعان بالريح. انظر: عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز بن

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن للشيطان بابن آدم لمة يوعده بالشر وتكذيب الحق))^(١). ﴿الْخَنَاسِ﴾ المنسوب إلى الخنوس وهو التأخر؛ لأنه كلما سمع ذكر الله تأخر.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((تجاوز الله عن أمي ما وسوست^(٢) به صدورها ما لم تكلم أو تعمل^(٣) به)). ويجوز في محل الموصول الحركات الثلاث: الجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم.

[٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان لـ "الذي"^(٤) يوسوس "على أن الشيطان يعمّ القبيلين؛ لقوله. ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾^(٥)، ويجوز أن يكون "من" ابتدائية أي: من جهة هذين النوعين.

ناصر المانع [مكتبة الخانجي - القاهرة] (٩/١). وسمط اللآلي للميمي (١٤١/١). والشاهد فيه: قوله (تسمع للحلي وسواساً) أي: صوتاً وساقه المؤلف؛ ليؤكد أن أصل الوسواس صوت الحلي.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، (رقم: ٢٩١٤) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَيَاغَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَيَاغَادُ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأْ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ﴾ {جزء آية من سورة البقرة، الآية: ٢٦٨}. والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ (رقم: ١١٠٥١). وابن حبان في صحيحه، باب الأدعية، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن المرء إذا كان في حالة ليس له سؤال الرب جل وعلا الحلول من تلك الحالة لأن هذا كلام محال (رقم: ٩٩٧).

(٢) "ما وسوست" ورد في (ر) ٥٢١/ب: ما وسعت.

(٣) في (ح) ٥٨٠/أ: يتكلم أو يعمل.

(٤) في (ح) ٥٨٠/أ، و(ر) ٥٢١/ب: للذي.

(٥) جزء آية من سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

فإن قلت: الوسوسة: حديث النفس وذلك مختص بشيطان الجن، فكيف أسند إلى

الإنس؟

قلت: المراد بالوسوسة: الدلالة على الشر وإقاؤه في النفس فهي تتحدث به سواء كان بطريق ظاهر أو خفي؛ ولذلك قيل: شيطان الإنس أشدّ إغواء من شيطان الجن؛ لأنه يخنس عند ذكر الله تعالى دون شيطان الإنس، ولما كان شأن الديانة أهم وأولى أفرد الاستعاذة له بعدما كان داخلاً في عموم شرّ ما خلق.

روى مسلم عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن قط، قل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس))^(١).

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: ((كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقراً: قل هو الله أحد، والمعوذتين، ونفث فيهما، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده))^(٢).

هذا وأنا أعوذ بهما من شر نفسي وشر كل ما ذرأ وبرا، وأستغفر الله من خطرات الأوهام وعشرات الأقلام، وأسأله العفو والمغفرة لي ولوالدي ولمشايخي الكرام ولكافة المسلمين.

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذات (رقم: ١٣٤٨). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب افتتاح الصلاة، الفضل في قراءة المعوذتين (رقم: ١٠٢٦). والترمذي، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (رقم: ٢٩٠٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (رقم: ٤٦٣٠) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفْيَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يُبَدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ولم أجده في مسلم. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللييلة، وما يقول من يفزع في نومه (رقم: ١٠٦٢٤). وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم (رقم: ٥٠٥٦).

هذا آخر ما أوردته من تفسير كلام الملك العلام، مع انخراط رتبتي عن هذا المقام، ولكن للمجتهد الأجر وإن حُرِم إصابة المرام وقصّر عن شأو^(١) الكرام.

والحمد لله المفضل المنعم أولاً وآخراً^(٢)، والصلاة على أكمل خلقه^(٣) ترغيماً للشيطان^(٤)، وعلى إخوانه من المرسلين وسائر الأنبياء، والصالحين من آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

فرغ مؤلفه من تأليفه يوم الخميس الثالث من رجب الفرد، الواقع في سنة سبع وستين وثمانمائة، وكان الابتداء به في أواخر سنة ستين وثمانمائة في المسجد الأقصى، تجاه باب الجنة تفاعلاً، والله خير مأمول ومسؤول.

أتم حامداً لله تعالى، وعلى نبيه مصلياً. قد وقع الفراغ من تحرير هذا التفسير الشريف من شهر أواسط شوال المبارك سنة أربع وثمانين وثمانمائة، على يد العبد الضعيف النحيف الأسيف، المحتاج إلى رحمة ربه العفو الغفور اللطيف، الفقير المعتصم بالصمد إبراهيم بن أحمد بن خليل السينائي الحنفي عاملهم^(٥) الله تعالى بلطفه الخفي^(٦). [٣٥٢/ب]

(١) ورد في الأصل (د) ٣٥٢/ب: شأوا الكرام، وفي (ح) ٥٨٠/ب: شاءوا الكرام، وفي (ر) ٥٢١/ب: شأن الكلام، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) "وآخراً والصلاة على أكمل خلقه ترغيماً للشيطان" ساقط من (ح) ٥٨٠/ب.

(٣) "عظيم الشأن" ورد في (ر) ٥٢١/ب زائداً.

(٤) في (د) ٣٥٢/ب، و(ر) ٥٢١/ب: اخرا. ولعله خطأ من الناسخ.

(٥) ورد في الأصل: حاملهم، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) "أتم حامداً لله تعالى، وعلى نبيه مصلياً. قد وقع الفراغ من تحرير هذا التفسير الشريف من شهر أواسط شوال المبارك سنة أربع وثمانين وثمانمائة، على يد العبد الضعيف النحيف، الأسيف، المحتاج إلى رحمة ربه العفو الغفور، اللطيف. الفقير المعتصم بالصمد إبراهيم بن أحمد بن خليل السينائي الحنفي عاملهم الله تعالى بلطفه الخفي" ورد هذا القسم في الأصل فقط، وهو غير موجود في (ح) ٥٨٠/ب، و(ر) ٥٢١/ب.

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

في ختام عملي في هذه الرسالة، أودّ أن أذكر أهمّ النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا البحث، وهي ما يلي:

١- تبين لي من خلال دراستي لهذا الكتاب أن الإمام الكوراني رحمه الله تبع في منهجه في تفسير الآيات النمط التالي:

أ- يورد الآية، أو الآيتين، أو أكثر على حسب تكامل المعنى.

ب- ويبدأ بتوضيح معاني الكلمات اللغوية فيها.

ت- ثم يقوم بإعراب بعض الكلمات في الآية؛ لتوضيح معناها، مع التوسع في ذلك أحياناً.

ث- ثم يبين وجوه القراءات فيها، مع اكتفائه بالقراءات السبعة المتواترة.

ج- كما يأتي بالأبيات الشعرية؛ لتوضيح المعنى اللغوي للآية.

ح- ومن بعد ذلك يفسر الآية بالقرآن، أو الحديث، أو الآثار إن وجد.

خ- ثم يذكر الأقوال في تفسير الآية بقوله: قيل كذا وقيل كذا.

د- كما يذكر أسباب نزول الآيات، مع بيان الناسخ والمنسوخ منها.

ذ- ويشير إلى المسائل الفقهية، والعقدية، والأصولية، والتاريخية عند الحاجة لذلك.

٢- أما من ناحية مذهبه في التفسير:

أ- فقد جمع في تفسيره بين الدراية، والرواية.

ب- واعتمد في رواياته على الأحاديث الصحيحة مشيراً إلى موضعها في كتب التخريج.

ت- نادراً ما يورد الراويات الإسرائيلية في تفسيره إلا أن يأتي بها من أجل نقدها وتفنيدها.

٣- أما ما امتاز به الكوراني في هذا التفسير:

أ- فقد نهج في تفسيره طريق الإيجاز والاختصار بعبارة واضحة، وأسلوب سهل، من غير نقص أو إخلال.

ب- مع أن المفسر استفاد كثيراً من الكشاف للزمخشري وأنوار التتري للبيضاوي، وضمّن كتابه ما تميّز به هذان التفسيران، وتعقبهما في أشهر ما اعترض به عليهما، إلا أن كتابه جاء خالياً من الاعتزال والفلسفة والأحاديث الضعيفة.

ت- ضمّن المفسر كتابه فوائد بلاغية ونحوية منشورة في حواشي الكشاف وأنوار التتري، كحاشية الطيبي "فتوح الغيب"، وحاشية القزويني "الكشف"، وحاشية السيوطي "نواهد الأبرار وشوارد الأفكار"، وغيرها، وتلك الحواشي - في الغالب - مخطوطة لم تصلها يد الباحثين والمحققين بعد، فكان في تحقيق هذا الكتاب فائدة جلية لإظهار تلك الفوائد ونشرها.

أهم التوصيات

أوصي بأمر مهمّة:

١- أوصي إخواني طلبة العلم الذين يدرسون دراسات إسلامية بتحقيق الكتب المخطوطة في مرحلة دراستهم في الماجستير أو الدكتوراه؛ لأن ذلك يعطيهم فوائد كثيرة كالاطلاع على مراجع ومصادر كثيرة تثري معلوماتهم العلمية، والاطلاع على التراث الإسلامي، والمساهمة في حفظه من الضياع، كما يستفيد طالب العلم بتحقيق

المخطوطات طريقة البحث العلمي، وكيفية الرجوع إلى المراجع والمصادر في المسائل العلمية التي تطرأ عليه.

٢- للأسف الشديد أن هذا التفسير لم ينل مكانته بين كتب التفسير، ولم تدرك قيمته العلمية بين طلاب العلم حتى الآن، فأوصي من يحبّ الأجر من الله في خدمة دينه وكتابه أن يطبع هذا التفسير، ويُجعل بين طلاب العلم مقررًا في المناهج الدراسية كتفسير الجلالين والنسفي؛ وذلك لأنه تفسير واضح العبارة، يهتم بشرح الكلمات الغريبة، سهل الأسلوب، موجز من غير نقص أو إخلال بالعبارة، ويجمع بين الرواية والدراية، ويعتمد في روايته على الأحاديث الصحيحة.

٣- كما أوصي طالب العلم أثناء دراسته باستخدام جميع الوسائل المتطورة من الحاسب الآلي وغيره؛ لأن ذلك يسهل عليه مهمة البحث والاطلاع، ويكسبه وقتًا ثمينًا. هذا ما أحاط به جهدي وتفكيري، فإن أصبت بفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي، وحسي أني اجتهدت في ذلك.

أسأل الله العليّ العظيم أن يوفقنا لما فيه خير هذه الأمة، إنه أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

فہارس

فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها ..

الصفحة	الآيات القرآنية
١٧٦	﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾
٣٠٩	﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾
٣٣٦	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾
٣٣٦	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾
٣٣٩	﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾
٧٢	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾
١٧٨	﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾
٣٠١	﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾
٤٠٧	﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
٤٤	﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾
٣٤١	﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾
٣٧	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾
٣٧	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾
٣٨٩	﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
١٧٥	﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾
١٨٨	﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾
٣٧٨	﴿إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾

٣٧٥	﴿الْأَشْقَى﴾
٧٤	﴿السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾
٣٤١	﴿الْعَالَمِينَ﴾
٩١	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
٣٠٨	﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾
٤١٥	﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾
٢٩٠	﴿أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾
٤٦٢	﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾
٢٠٣	﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾
٦٢	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
٣٤٤	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٤٤﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾
١٦٨	﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾
١٥٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾
٢٤٤	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾
٤٦٣	﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾
٢٢٤	﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾
٣٨٦	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾
٢٦٠	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾
٤٤٩	﴿إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾
٢١٦	﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
١٨٤	﴿إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
٤٠٢	﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى﴾
٣٠٣	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾

٣١٩	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾
٣٢٦	﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
٢٤٨	﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾
٢٥٨	﴿إِنَّا سَتَلْقَاكَ عَلَىٰ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾
٣٩٢	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
١٤٤	﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾
٣٩٠	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾
٣٣٧	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾
٢٨٢	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾
١٩٨, ٣٢٥	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٢٥٢	﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾
٢٧٢	﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾
٢٤٤	﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾
٣٧٣	﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾
١٣٥	﴿إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾
٤٥٩	﴿إِنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تُكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾
٣١٦	﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾
١٧٠	﴿أَوْلَيْتَكَ هُمْ﴾
٤٤٥	﴿أَوْلَمْ يُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾
٢٠١	﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾
١٢١	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
٥٧	﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾
٤٠٧	﴿بِرَأْيِهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

٣٠١	﴿بَطَّأْتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾
٣٧٥	﴿بَلْ أَنْتُمْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
٩٠	﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
١٧٤	﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
٧٧	﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾
٢٥٣	﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَئِدَةِ﴾
٣٧٨	﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾
٣٢٧	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾
٨٧	﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾
٢٧٩	﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
١٤٣	﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾
٢٨٠	﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾
١٤٥	﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِبُونَ﴾
٢٣٠	﴿حَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ﴾
١٧٤	﴿خَبِيرٌ﴾
٢٠٦	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾
٢٨٦	﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾
٣٧٦	﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
٣٧٥	﴿ذَكَرَ﴾
٦٤	﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾
٦٨	﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾
٢٤٣	﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾
٢٤٤	﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ﴾

١٧٠	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
٣٦٩	﴿رَجَعَهُ﴾
٢٩١	﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾
٣٤١	﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾
٣٣٧	﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾
٣٠١	﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾
٣٤٠	﴿شَدِيدِ الْقُوَى﴾
٤٦٦	﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾
٣٤٤	﴿عَدْلِكَ﴾
٢٢٩	﴿عَذَابٍ وَّاقِعٍ﴾
٩٧	﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
٢٠٥	﴿عَطَاءٍ غَيْرٍ مَجْذُودٍ﴾
٣٧٩	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾
٧٤	﴿عَلَى سُرُرٍ﴾
١٩٣	﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾
٣٢٢	﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾
٦٨	﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
٢٢٠	﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾
٣٢٧	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾
٣٢٤	﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾
٣٨	﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾
٤٦١	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾
٤٦١	﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾

٣٩٥	﴿فَأَلْهَمَهَا﴾
٤٠٠	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَتُّوا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٤٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
٣٩٧	﴿فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِطَاغِيَةِ﴾
٢٠٠	﴿فَامشُوا﴾
١٧٤	﴿فَامنُوا﴾
٣٧٤	﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٤٢٨	﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾
٣٨٣	﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ﴾
٢٧٤	﴿فَقَالَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾
٣٩٣	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾
٢٨٢	﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾
٢٤١	﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾
٤٤٤	﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾
٣٥٤	﴿فَمَلَأْتِيهِ﴾
٣١٩	﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾
٢٧٨	﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
٣٧٤	﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾
٦٣	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ﴾
٢٢٣	﴿فَيَقُولُ الشُّهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
٢٧٣	﴿فَاتْلُوهُمْ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤفَكُونَ﴾
٣٧٥	﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾
٣٧٦	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

١٢٣	﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾
٣٧	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾
٢٩٥	﴿كَافُورًا﴾
٤٣٠	﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُتَشَرِّرٌ﴾
٦٠	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾
٣٤٤	﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾
٢٨٢	﴿لئنِلا يعلم﴾
٢٦٩	﴿لئن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ﴾
٢٧١، ٣٠٩	﴿لا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾
٣٤٣	﴿لا ترى فيها عوجًا وَلَا أَمْتًا﴾
١٨٤	﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾
١٧٠، ١٧٥	﴿لَا تُهْلِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾
٦٣	﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
٣٧	﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾
٢٥٣	﴿لَأَسْفِينَاهُمْ﴾
٢٤	﴿لَأَوْتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾
٤٥٣	﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾
٢٧٤	﴿لتروها عين اليقين﴾
١٧٤	﴿لَتُنَبِّؤَنَّ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
٣٧٣	﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
٩٨	﴿لَكِنَّا تَأْسَوْنَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾
٢٧٨	﴿للْبَشَرِ﴾
٣٢٨	﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾

٧١	﴿لَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾
٢٥٤	﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾
٢٩٦	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾
٤٥	﴿لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾
٤٦	﴿لَهُمْ شَرِبٌ يَوْمَ وَلَهَا شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾
٢٤, ٤٦	﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾
١٩٨	﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾
٧٦	﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾
٩٤	﴿مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾
٣٢٦	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
١٥٤	﴿مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾
٤٠٤	﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾
١٣٣	﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾
٣٠٨	﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾
٢٩٥	﴿مِنْ كَأْسٍ﴾
٢٤١	﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ﴾
٣٠٨	﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾
٢٠٢	﴿تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾
٣٤٥	﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾
٤٢٤	﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾
٢٤٠	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾
٢٥٣	﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾
٣٣٧	﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ﴾

٣٣٩	﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾
٣٥٩	﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾
٢٧٩	﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾
٣٨٢	﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾
٣٩١	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾
٣٠٣	﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾
٣٨٣	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾
١٣	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾
٣٩٥	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾
٢٤٨	﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾
١٣٨	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾
٤٠٢	﴿وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾
٢٦٩	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
٢١٨	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾
٢٤٨	﴿وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾
٢١٣	﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾
٣٥٧	﴿وَتَصَلِيَةً جَحِيمٍ﴾
٣٨٥	﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾
٥٥	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾
٣٢٢	﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾
٤٢٢	﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
١١٣	﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾
٢٠٠	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾

١٣٥	﴿وَقَالَ إِنِّي بريءٌ منكم﴾
٢٨٠	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ ﴿حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾
٣٧٧	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾
٤١٣	﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾
٣٧٥	﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾
٤٢١	﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾
٢٠٠	﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾
٢٤	﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾
١٤٢	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾
٤٥٨	﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾
٢٧١	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
٢٥٠	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾
٢٠٠	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾
٤٠٤, ٤٠٨	﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾
٣٧١	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾
٢٩٨	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾
٢٨٠	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾
٣٨٠	﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾
٢٨٠	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
١٩٠	﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾
٢٧٧	﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾

٢٨٥	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾
٩٥	﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾
٣٤٥	﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾
١٣٦	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾
٢٩٥	﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾
٣٧٥	﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾
٣٨٦	﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾
٣٨٣	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ﴾
٤٠٧	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
٤٣٧	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾
١٨٥	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾
٤٢٥	﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾
٣١٩	﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾
٣٠٦	﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾
٣٧	﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾
١١١	﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾
١٢٩	﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
٣٥٤	﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُزَلُّ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾
٣٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾
٢٦٨	﴿يَا أَيُّهَا المُدْتَرُّ قُمْ فَأَنْذِرْ.....﴾ فَاهْجُرْ ﴿
٣٨٩	﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾
١٥٥	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾
٢٣١	﴿يَفْتَدِي﴾

٦٢	﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ﴾
٣٣٩	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾
٣٦٥	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾
٦٣	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾
٣١٥, ٤٢٥	﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾
٦٤	﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الأحاديث النبوية
١٧٩	أتلعبون بكتاب الله
١٩٠	اجتمعت نساء النبي ﷺ في الغيرة
١٩٦	أحسن عملاً: أتم عقلاً عن الله، وأورع عن محارمه
٣٥٠	إذا أذنب العبد ذنباً كانت نكته في قلبه
٤٦٢	إذا دخل الظلام أجيئوا الأبواب، وكفوا الصبيان
٤٦٤	إذا دخل الظلام، أجيئوا الأبواب وكفوا الصبيان
٧٢	إذا فتحت العراق يأتي قومٌ يبسون بأهليهم
٢٢٢	أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش
٧٩	ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام
١٨٣	استوصوا بالنساء خيراً
٤٦	أشقى الناس رجلان: عاقر الناقة، وقاتل علي
٢٠٩	أشم العرين
٤٦٤	أعوذ بك من شر كل حاسد
٤١٧	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
١٩٥	أكثروا ذكر هادم اللذات
٢٨٧	أكرم الخلق على الله تعالى من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية
٣٩٨	ألا أخبرك بأشقى الناس، قال: بلى، قال: أحمر ثمود

٣١	أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى؟
٤٦٧	ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن قط
٣٨٠	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٠٠	إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً، لَهُ مِثْلُ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ
٣٠٠	إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مَلِكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ
١٠١	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ
٣٤٩	أَنَّ السَّجِّينَ بَعْرٌ مَفْتُوحٌ فِي جَهَنَّمَ
٣٣٧	أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَكُورَانِ فِي جَهَنَّمَ
٢٩٧	إِنَّ الْكَافِرَ يَعْبَسُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ شِبْهُ الْقَطْرَانِ
١٦٨	إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ يَا غَلَامَ
٩٨	أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ
٣١٥	أَنَّ أُمَّتَهُ ﷺ تَحْشُرُ عَشْرَةَ أَصْنَافٍ
٧٤	أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ صَفًّا
٣٧٤	أَنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ لَا يَرِيدُ اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ
٣٩	أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقِيحًا
٢٧	إِنَّ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا
٤٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقُبَّةِ يَثْبُ فِي دَرْعِهِ
٤٠٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَكَى فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا
١٨٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصَابَ مَارِيَةَ فِي يَوْمِ حَفْصَةَ
٤٦٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ،

	وإذا دعي به أجاب
١٨٧	أن رسول الله ﷺ دخل على زينب فشرب عندها عسلاً
١٦	أن رسول الله ﷺ رأى ربه بقواديه مرتين
٤٥٥	أن رسول الله ﷺ صعد الجبل، ثم نادى واصباحاه!، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرايتم إن حدثتكم أن العدو
٣٤٧	أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وهم أخبث الناس كيلاً، فترلت، فأحسنوا الكيل
٢٩١	أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك بلى
١٨٣	أن سبيعة الأسلمية كانت تحت سعد بن خولة. توفي زوجها وهي حامل، فوضعت بعده بأربعين يوماً، فأنكحها رسول الله
٢٦٠	أن قيام الليل كان فرضاً بأول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم
٢٧٥	إن لأحدهم قوة الثقلين يسوق أمة إلى النار
٤٦٦	إن للشيطان بابن آدم لمة يوعد بالشر وتكذيب الحق
١٥٤	إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد
٥٦	إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم... ثم قال إنها النخلة
٢٠٦	أن نعتة في التوراة محمد عبدي سميت المتوكل
٢٤٢	أن هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام
١١٣	أن يهودياً مر برسول الله ﷺ وعائشة عنده. فقال: السام عليك فقالت عائشة: وعليك السام واللعن. فقال رسول الله ﷺ: لا تكوني فحاشة
١٣٨	أن لله تسعة وتسعين اسماً
٢٨١	أنا أهل أن أتقى ممن أتقى
١٥٥	أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي

٣٧٦	أنزل الله تعالى مئة وأربعة كتب، على آدم عشر صحائف
٣٧٢	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ
٣٥٥	إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تَرُدُّ إِلَيْكُمْ
٤٥٣	أنه <small>عليه السلام</small> كان عندي في ليلة فلما ظنَّ إنِّي نائمة قام إلى الباب ففتحته خفية
٤١٩	أنه أُرِي بَنِي أُمِّيَّةَ عَلَيَّ مِنْبِرِهِ فَتَرَلْتُ
١٨١	أنه سأل رسول الله <small>ﷺ</small> عن عدد النساء
٣٥٨	أنه سجد فيها وقال سجدت خلف أبي القاسم فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه
١٦٩	أنه وقف بباب المدينة وسل سيفه، فلما جاء أبوه قال له: وراءك، حتى جاء رسول الله <small>ﷺ</small> وهو حابسه، فشكى إليه، فقال له: نخل سبيله
٥٢	أما نزلت في أهل القدر
٣٦١	أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ
٤٣٢	أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ
٢٥٩	أول ما أتاه جبرائيل أتى خديجة وقال: زملوني
٤٦٦	تجاوز الله عن أمي ما وسوست
٤٤٨	ترابه المسك وحصاؤه اللؤلؤ
٤٦٢	تعوذي من شرِّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب
٤٢٣	تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا، كَالْأَسْطِوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
٢١	تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم أبدا
١٠٢	ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ آمَنَ بِنَبِيِّهِ
٣٧٣	جتتكم بالحنيفية السمحاء
١٣١	جاء رجل إلى رسول الله <small>ﷺ</small> وقد أصابه الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد شيئا، فقال: ألا رجل يضيف هذا؟

٢٥٣	جعلت لي الأرض مسجداً
٦٨	جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا
٣١٥	الحجُّ عَجٌّ وَثَجٌّ
١٥٠	خطب رسول الله ﷺ يوم الفطر ثم شقّ الرجال وأتى النساء
٣٤٧	خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم
٤٠٨	الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ
٤١٨	ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَبِسَ السَّلَاحَ
٢٦١	رأيته في اليوم الشديد البرد يتزل عليه الوحي، وإن جبينه ليتصفد عرقاً
٤٠٨	رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر
٩٩	رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُوحِي
٢٢١	سألت الله أن يجعل أذنك واعية
٣١٧	سألت رسول الله ﷺ عن أشدّ آية في كتاب الله على الكفار فتلاها
٤٦٠	سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال: وجبت
١١٧	سَيِّئَاتِكُمْ الْآنَ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعَيْنِ شَيْطَانٍ
١٩١	سياحة أمتي الصيام
٣٦٠	الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة
٢٣٢	شرّ ما في الرجل شحّ هالع وجبن نخالع
٢٦٧	الصدقة أن تصدق وأنت صحيح صحيح شحيح
٤٠٨	الصلاة عماد الدين
٢٩٦	غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك
١٨٩	فإذا حلف أحدكم على فعل
١٥	فأردت أن ألقى نفسي من شاهق فلما خرجت فإذا هو جالس على

	كُرْسِيٌّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
٢٣٦	فإنَّ الإسلامَ يجبُ ما قبله
٤٦٣	فإنه ﷺ سحر حتى كان يخيل إليه أنه فعل شيئاً لم يكن فعله
٢٦٨	فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً فرفعتُ بصري قبلَ السماءِ فإذا الملكُ الذي جاءني بحراءِ
٤٠٦	فجاء جبرائيل بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً
١٨١	فشكى إلى رسول الله ﷺ الفاقة، فأمره بالصبر وكثرة قول لا حول ولا قوة إلا بالله
١١٥	ففضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أذنائكم
٦٩	فلم أرَ عبقرياً يفري فرّيه
٥٨	قرأ رسول الله ﷺ علينا سورة الرحمن إلى آخرها ثم قال: قرأتها على الجن كانوا أحسن رداً منكم
٢٤٧	قرأت عليهم سورة الرحمن، فكانوا أحسن مردوداً منكم
٢٨	قطعتُ عنقَ صاحبك
٤٦٧	كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقراً: قل هو الله أحد
٢٠٥	كان خلقه القرآن
٢٠٦	كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدراً
١٢٧	كان رسول الله ﷺ يأخذ من ذلك قوت سنته وأهله
٤٢٥	كان رسول الله ﷺ يمشي يوماً بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، آخذاً بيد كل منهما فقال: هكذا بُعث يوم القيامة
٤٢٨	كان رسول الله ﷺ يتزل بقرب العدو حتى يصبح، فإن سمع الأذان
٢١٧	كان في بني أسد، وكان يتجوع منهم رجل ثلاثة أيام، فلا يمر به شيء يقول: لم أر كالיום مثله إلا عانه، فأرادوا فعله برسول الله ﷺ، ففوقاه الله

	بعنايته
٣٦١	كان فيمن كان قبلكم ملك كافر له ساحر
١٩٥	كفى بالموت واعظاً
١٩١	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
٣٧٦	كلها
١٩٤	كامل من الرجال كثير
٢٥٠	كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية
٢١٦	لا تفضلوني على يونس بن متى
١٥٠، ١٧٦	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
١٦٩	لا نقتله، بل نحسن صحبته
٤٥٩	لا يعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة
٣٣٠	لَا يَقْضِي الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ
٨٣	لا يقل أحدكم زرعتم وليقل حرثتم
١١٥	لا يقم أحدكم أخاه ثم يجلس مكانه
٤٦٣	لا حسد إلا في اثنين العلم الذي يعمل به
٤٢٩	لَكَفُورٌ مَنْ يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، يَمْنَعُ رِفْدَهُ
١٥٧	لكل نبي حواري، وحواري الزبير
٦٧	لكل واحد زوجتان يرى منح ساقها من وراء اللحم
٩٥	لم يكن بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله إلا أربع سنين
٢٥٩	لما رأى جبرائيل قاعداً على كرسي بين السماء والأرض، فرجع إلى خديجة
١٥١	لما قال: ولا يعصينك في معروف قالت امرأة: إن فلانة أسعدتني

٣٧١	لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال لنا رسول الله ﷺ اجعلوه في ركوعكم
٤٠٧	لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ
١٨٣	لها السكنى والنفقة
٣٩٧	اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا
٢٦٣	اللهم اشدد وطأتك على مضر
٣٥	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
٣٥٦	اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه
٢٢٨	اللهم عليك بقريش
٤١٤	لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا
٤٣٤	لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا
٤٢٩	لو كان له واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب
٣٥٦	ليس أحد يحاسب إلا عذب
٤٢٥	ليس في القرآن آية أشمل منها
٤٤٨	ليلة أسري بي أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
١٨٦	ما السموات السبع، والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة في فلاة
٤٨	ما ألقاه السحر الأعلى عندي إلا نائماً
٤١٣	ما أنا بقارئ
٣٨٢	ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من عشر ذي الحجة
٢٨٣	مَا مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَفَاجِرَةٍ إِلَّا تَلَوْتُ نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٣٢	المأهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة
١٠٢	مثلكم ومثل أهل الكتائبين مثل رجل استأجر قوماً

٤١٠	مثلها مثل المسلم
٣٣٠	مرحبا بمن عاتبني فيه ربي
١٧٨	مره فليراجعها، فإذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت فليطلقها إن شاء
٢٧٠	المستغزر يثاب من هبته
٣٩٢	مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ لَهُ فَكَأَنَّ مِنَ النَّارِ
٤٠٥	مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فليكاف
١٩٢	من اغتاب خرق ومن استغفر رفا
١٤٩	مَنْ جَاءَكُمْ مِنْ سَخْفًا لَهُ
٣٢٥	من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل
٣١	من دعا إلى هدى فله أجر فاعله
٣٣٦	من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين
١٨٦	من غصب شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين
١٣٨	مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٤٦٠	من قال : لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب له
٤١٩	مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ مَا تَقَدَّمَ
٢٤٥	من قتل قتيلًا
٣١٢	من قرأ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل
١٧٢	من لم يشكر الناس لم يشكر الله
١٨٤	من نوقش في الحساب هلك
٣٣٨	الموؤودة في الجنة
٤٣٢	نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ
٢٦٨	النَّاسُ دَنَارٌ وَالنَّاصِرُ شِعَارٌ

٧٤	نَحْنُ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا
١٦١	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
٣٥٧	نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر
٤٣٥	هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة
٥٢	هذه في أناس من أُمَّتِي يكونون في آخر الزمان يُكذِّبُونَ بِالْقَدَرِ
١٦٠	هم قوم هذا. لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء
٧٩	هُنَّ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا شُمُطًا، رُمُصًا، عَجَائِزَ
١٦١	هو سيد الأيام
٣٣٨	الْوَائِدَةُ وَالْمَوْعُودَةُ فِي النَّارِ
٢٢٩	والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن
١٥١	والله ما مست يده يد امرأة قط
٢٩٦	وكان يؤتى بالأسير إلى رسول الله فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول : أحسن إليه
٤٥٦	ولد العبد من كسبه
١٧٥	الولد مجبنة مبخلة
٢١٧	وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ
٤٢٧	وَمَنْ رَبَّطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرٌ أَبُوَالهَا
٣٨٨	يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام
١٤٥	يا رسول الله أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال : نعم صلي أمك
٢٢٣	يدني الله المؤمن يوم القيامة، فيقرره بذنوبه
١٨١	يستجاب لأحدكم ما لم يتعجل
٢٢٢	يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات
٩١	يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَا لِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مَالٌ إِلَّا مَا أَكَلْتَهُ فَأَفْنَيْتَ

٢١٥	يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة
٤٣٠	ينشر للمؤمن صحائف سيئاته ثلاثمائة صحيفة
٣٤٩	يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه

فهرس الآثار

الصفحة	الآثار
٢٦٢	أثبت قياماً
٤٠٨	إذا فرغت من الصلاة، فاجتهد في الدعاء
٤٠٨	إذا فرغت من الغزو، فاجتهد في العبادة
١٢٦	أرسلت قريظة تقول: يا محمد كنت تنهى عن الفساد فترلت
٢٦٢	أشق وأكثر علاجاً لترك الراحة
١٠٢	افتخر مؤمنوا أهل الكتاب بأن لهم الأجر مرتين، فأنزل الله تعالى لمؤمني هذه الأمة، وزادهم النور والمغفرة
٤٣١	أم رأسه هاوية
٢٩٤	أمشاج: ألوان وأطوار
٤٠١	أن أبا بكر <small>رضي الله عنه</small> كان يشتري الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: لو اشتريت الأقوياء
	أن أبا جهل لما لم يقدر أن يقرب رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> توعده بالكلام، فأغلظ له رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> فقال: تهددني يا محمد وأنا أكثر أهل الوادي نادياً. أراد عشيرته فسماهم باسم مجلسهم وجمعتهم
١٥٠	أن المؤمنين لما سألوا ما أنفقوا أبي المشركون، فكان الحكم أن ما كان يعطى زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة
٤٤٧	أن الماعون محقرات المتاع كالقأس والنار والملح

٣٧٤	أن المراد زكاة الفطر
٤٥٨	أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ أن يصف لهم الإله الذي يدعو إلى عبادته فترلت
٣٦٥	أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم
١٥١	أن بعض فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود لعلهم يصيبوا منهم بعض ثمار
٣٦٤	أن رجلاً عالماً من علماء النصارى وقع بنجران فدعاهم إلى دين عيسى فآمنوا به فسار إليهم ذو نواس اليهودي من بلاد اليمن، فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفاً، وقيل سبعين ونجا منهم رجل فلاحق بقيصر، فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يحثه على قتال ذي نواس ونصر دين عيسى، فأرسل النجاشي جيشاً أميرهم أرياط فهزم ذا نواس اليهودي، وحتى دخل البحر في سفينة وغرق فيها، واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف بن ذي يزن من أبناء تبع وهو الذي أخبر عبد المطلب بشأن رسول الله وصفاته
١٥٣	أن صهيباً قتل كافراً شديداً النكاية في المسلمين، وراه رسول الله ﷺ، فانتحل آخر قتله، فقال عمر: ذلك لصهيب فقال إنما قتله الله
٣٨٤	أن عاداً كان له ابنان شداد وشديد. ملكا الأرض، وقهرا الملوك، ثم مات شديد واشتغل شداد بالملك، ملك الدنيا بأسرها بلا منازع، فسمع بذكر الجنة، وكان عمره إذ ذاك ستمائة سنة، فبنى مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من اليواقيت والزبرجد، في مدة ثلاثمائة سنة، وفيها الأشجار والأهوار المطردة، وكانت بأرض عدن، فلما تم بناؤها سار إليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والأهوار، فلما كان بينه وبين المدينة مسيرة يوم وليلة، صاح بهم ملكٌ صيحة هلكوا عن آخرهم. وحاكي أن عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له فاتفق دخوله فيها فحمل ما قدر

	عليه، وأتى به معاوية وأخبر الخير والله أعلم
٥٠	أن عمر قال : كنت أقول أيّ جمع يهزم ؟. فلما رأيت رسول الله ﷺ يوم بدر يثب في الدرع وهو يتلوها عرفت تأويلها
٢٧٠	أن فيه بعدد كل روح نقرة
٢٦٩	أن قريشاً لما قالت في رسول الله ﷺ شاعر، وقال بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينا فأنزل الله
٣٨٠	أن قطاراً منها افتقدت، فوجدوها قد أخذ فأرة بجبل خطامها، فدخلت به بيتها، فتبعتها
٢٧١	إن كان محمد صادقاً، فالجنة لي
٢٥٨	أن مشركي مكة لما اختلفوا، شاعر أو ساحر أو كاهن أو مجنون، ترمّل في ثيابه في بيته حزينا. فأتاه جبرائيل وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾
١٦٢	أن من باع أو اشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة
٣٨٤	أن منهم كان أربعمئة ذراع
٢١٠	أن هؤلاء كانوا من قرية يقال لها : صروان من قرى صنعاء، وكان أبوهم ذا بر وإحسان على الفقراء، كان يأخذ من غلة بستانه هذه قوت سنة، ويصرف الباقي على الفقراء والمحاويج، فقال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذو عيال
٢١٧	أن هذه الآية رقية العين، من خاف من إصابة العين فليقرأها
٢٧٥	إِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَدْفَعُ بِالْذَّفْعَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْ رِبْعَةِ مُضَرٍّ
٨٤	انتشارها يوم القيامة
٢٥٩	إنه كان متزماً في مرط لعائشة نصفه عليه، ونصف آخر على عائشة رضي الله عنها
٤٢٧	أنها الإبل

١١٢	أُها نزلت في حبيب و ربيعة ابني عمرو، وصفوان بن أمية كانوا يتناجون بأحوال المؤمنين
١٠٢	أُها نزلت في مؤمني أهل الكتاب
٣٣٧	أوقدت فصارت نيرانا
٢٦٢	أول الليل
٢٦٢	بين العشائين
٤٢٤	تحدّث كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها
٤٣٣	تفاخر بنو عبد مناف وبنو سهم بكثرة القبيلة فترلت . عن قتادة : نزلت في طائفتين من الأنصار تكاثروا حتى عدوا الأموات
٣٣٤	تلا هذه الآية فلما وصل إلى قوله : ﴿وَأَبَا﴾ قال : ما الأبُّ، ثم حاد وقال : لعمرك يا عمر إن هذا هو التكلف
١٥٢	تمنوا أحب الأعمال فترلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ . فلما ولوا يوم أحد عوتبوا بهذه الآية
٣٥٤	تنشق من الحجر
٤٦٢	جبّ في جهنم إذا فُتح صاح أهل النار من شدة حرّه
٣١٠	الجمالات : جِبَالُ السُّفْنِ تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ
٤٥٧	جبل مفتل من أخلاط
٢٦٧	خيراً من متاع الدنيا
٢٧٦	دعا رسول الله ﷺ إلى المصارعة وقال : إن صرعتني آمنت بك، فصرعه مراراً، فلم يؤمن
٢٨٠	الرامي
٤٤٣	رأيت قائد الفيل وسائسه مُقْعَدَيْنِ
٤٥٥	رمى رسول الله ﷺ حجراً بيديه

١٩٩	روي أن المشركين كانوا يقولون :أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فيخبره
٢٣٩	روي أن رجلاً اشتكى إلى الحسن الجذب، فأمره بالاستغفار، والآخر الفقر، فأمره به، والآخر قلة ريع أرضه فقال :استغفر. فقال الربيع بن صبيح :شكوا إليك أبواباً وسألوك، والجواب واحد؟ فتلا عليه الآية .ولما استسقى عمر في خلافته لم يزد على الاستغفار، فقيل له في ذلك؟ فقال:لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستزل بها المطر
٤٤	روي أنهم كانوا يصطفون آخذاً كل واحد يد الآخر، فيدخلون في الشعاب، ويحفرون فتترعهم وتدق رقابهم .وقيل :تقلع رؤوسهم وتبقى الجثث ساقطة على الأرض
٦٥	روي أنهما ينبعان من جبل من مسك
٣٨٦	روي عن الحسن أنه لما تلاها قال :إن عند الله أسواطاً كثيرة
٣٣٤	سئل عن الأب فقال . لا أقول في كتاب الله ما لا أعلم
٢٢٩	سأل سائل على من يترل عذاب الله
٢٨٠	الصائد
٢٦٢	الصلاة بعد النوم
٤٢٩	الضمير لله
٣٧٥	عجلت لنا الدنيا فآثرناها
٤١٦	العرب لا تكاد تعرف هذا، بل تجعله من الجمع الذي لا واحد له
٢٩٤	عروق النطفة
٣٨٢	عشر ذي الحجة
٢٨٦	فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿ فَاسْتَمِعْ لِقِرَاءَتِهِ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿ قِرَاءَتِهِ عَلَى لِسَانِكَ . كان يستعجل الأخذ من جبرائيل مخافة أن يفوته منه شيء، فنهى عنه

٢٣٠	الفضة المذابة
٣٠١	الفضة للأبرار، والذهب للمقربين
١٥٠	فَعَاقَبْتُمْ غَنَمْتُمْ. أمروا بأن يعطوا زوج الراجعة ما أنفق من الغنيمة
١١٣	في اليهود، كانوا إذا رأوا المؤمنين سارّ بعضهم بعضاً وغمزوهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم فلم ينتهوا
٣٥٩	قيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون وتضاحكوا فترلت
١١٤	كان رسول الله ﷺ في الصفة يوم الجمعة، فجاء البديون والصفة خاصة بالناس فلم يجدوا موضع الجلوس فوقفوا. فأقام رسول الله ﷺ طائفة حتى جلس البديون. فترلت
٣٠	كان عاهد الله أن لا يسأل غيره، فلما ألقى إلى النار لقيه جبرائيل، فقال له: هل من حاجة يا خليل الله؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: سل ربك، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي
١٦٢	كَانَ عَرَاكُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ وَأَتَشَشَّرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ
٤٥٧	كانت تحمل الشوك على ظهرها فتضعه في طريق رسول الله ﷺ إذا خرج للصلاة
١١٦	كانت في عليّ ثلاث لو كانت في واحدة كانت أحب إلي من جميع النعم: صهارة رسول الله ﷺ بفاطمة، والنجوى، والراية يوم خيبر
١٥٧	كانوا اثني عشر رجلاً قصارين يقصرون الثياب
٢٣٥	كانوا يتدرون عند طلوع الشمس إلى أصنامهم لا يلوي أحدهم على الآخر

١٢٤	كانوا يخربونها ليصلحوا به ما تهدم من السور
٢١٣	كانوا يقولون إن لم نكن في الآخرة أحسن حالاً من المسلمين، فلا أقل من المساواة
١٥٢	كانوا يقولون قتلنا ضربنا، ولم يكونوا فعلوا ذلك
٣٣٣	كل علف يقطع
٣٣٣	كل مرعى الدواب أبّ
٣٠١	كما ترى الرجل يكون عليه الثياب يعلوها الأفضل
٣١٠	كنا نرفع خشبة للشتاء طولها ثلاثة أذرع أو أقلّ، فنسميها القصر
١١٦	لم يعمل بها غيري، كان معي دينار فصرفته، وكنت إذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم
٣٣٣	لم يقض أحد من لدن آدم إلى هذا الأوان ما أمره الله به إذ لم يخل أحد من نوع تفريط
٢٧٤	لما سمع الوليد القرآن، قيل: سمع حم السجدة يتلوه رسول الله قال: إن له حلاوة، وإن عليه لطاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى. فلما سمعوه قالوا لابن أخيه أبي جهل صبأ الوليد، فجاء وجلس إليه ولامه على ما بدا منه، فقال: فماذا أقول؟!.. والله ما منكم أعلم بالأشعار مني، أعلم رجزه، وقصيده، وأعلم أشعار الجن، ولا يشبه شيئاً من ذلك، فقال: لا يرضى قومك حتى تقول فيه، ففكر وقدر ﴿فَقَالَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾
٢٦٩	لما نزلت كبر رسول الله ﷺ وكبرت خديجة وأيقنت أنه الوحي
٢٧٤	لواحة للبشر شديدة الظهور
٢١٢	لولا تصلون فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء
٤٣٨	ما تقول في ألوف لم أفتديها من لئيم، ولا تفضلت على كريم، قال:

	ولكن لماذا؟ قال: لجفوة السلطان، ونوائب الزمان. قال: إذن تدعه لمن لا يحمدك، وترد على من لا يعذرك
٢٦٧	ما خلق الله مودة أمتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبي رحل أضرب في الأرض ابتغاء فضل الله
٣٥٥	مدّ الأديم العكاظي
٢٨٥	المعاذير: الستور
٣٣	من أعطي مئة من المعز فقد أعطي القنا، ومن أعطي مئة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطي مئة من الإبل فقد أعطي المنى
٢٦٢	من العشاء إلى الصبح، أي وقت كان
٦٢	نار لا دخان فيه
٩٢	نزلت في الصديق. أنفق ماله في سبيل الله حتى تحلل بعباء فجاء جبرائيل فقال لرسول الله يقول الله تعالى قل لأبي بكر هل هو راضٍ عني في فقره؟ وسلم عليه مني
١١٣	نزلت في المنافقين
١٧٦	نزلت في أناس أرادوا الهجرة، منعهم نساؤهم وأولادهم، فلما هاجروا بعد برهة وجدوا السابقين قد فقهوا في الدين، تغاضبوا وهوا بالانتقام منهم
١١٤	نزلت في مواضع الحرب، كانوا يتنافسون فيها
٢٦٠	نسخ بعد عشر سنين
٣٢٦	نكال كلمته الأولى، هي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ والأخرى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
١٢١	هؤلاء رؤوس الكفار، مكني من فلان لقريب له، ومكن علياً من عقيل، وفلاناً من فلان، ليعلم المشركون أن لا هوادة في قلوبنا

٤٦٢	هو الخلق كله؛ لأنه فلق من ظلمة العدم
٣٥٠	هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب
٤٢٨	هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم
٤٢٧	هو السير
٣١٩	هو المؤمن
٣٨٢	هو فجر يوم النحر
٣٥٧	هي البياض
٣٣٩	هي الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
٢٨٣	والله لو عاينت ذلك لم أؤمن بك
١١٨	وذلك أنهم كانوا يقولون: لنا الأموال والأولاد، إن كان لقول محمد أصل، نفتدي بها يوم القيامة
٦٣	الوردة أديم أحمر
٢٢٠	وسميت أيام العجوز؛ لأنَّ عجوزاً توارت في سربٍ فوجدها الريح في اليوم الثامن
٢٩٠	يا رب باب أدقه سبعين سنة الآن يفتح ولا أدري ما وراءه

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
٤٤٠- ٤٤١- ٤٤٣	أبرهة
١٦٦	ابن أبي
١٦٢	ابن أبي حاتم
٣٤	ابن أبي كبشة
١٨٠- ٣٦٣	ابن إسحاق
٣٢٢	ابن الأعرابي
٤٠١	ابن الزبير
٣٢٢	ابن السكيت
٣٢٩	ابن أم مكتوم
٢٦٠- ٢٨٠	ابن جبیر
١٨١	ابن جریر
٥٧- ٢٠٩- ٢٢٦- ٢٩٥- ٣٣٩- ٤٢٢	ابن ذكوان
١٦٩- ٤١٠	ابن زید
١٦٧- ١٦٨	ابن سلول
٤٦- ٥٧- ٧٠- ٨١- ٨٢- ٩٢- ٩٤- ٩٩- ١١٥- ١٤٣- ١٥٦- ١٨٥- ٢٠٩- ٢٢٨- ٢٣٥- ٢٤٨- ٢٦٣- ٢٨٦- ٢٩٨- ٣٠١- ٣١٩- ٣٢٤- ٣٤١-	ابن عامر

٣٥٧- ٣٦٨- ٣٨٦- ٣٩٢- ٣٩٨- ٤٣٤- ٤٣٧- ٤٤٤-١٠٧- ١٧٤	
١٦- ٤٩- ٦٢- ٦٣- ٩٥- ١٠٠- ١٠١- ١١٢- ١١٤- ١١٧- ١٣٤- ١٤٥- ١٥٠- ١٧٥- ١٨٢- ٢١٧- ٢٢٩- ٢٤٠- ٢٤٢- ٢٥٠- ٢٦٢- ٢٦٣- ٢٦٨- ٢٧٢- ٢٧٣- ٢٨٠- ٢٨٦- ٣٠١- ٣١٠- ٣٢٦- ٣٣٣- ٣٣٧- ٣٤٧- ٣٥٥- ٣٦٠- ٣٦٨- ٣٧٦- ٣٨٠- ٣٨٢- ٤٠٨- ٤١٤- ٤١٦- ٤٥٥- ٤٥٦	ابن عباس
١١٦- ١٧٨- ٢٢٣- ٢٦٢- ٣٠٠- ٣٣٦- ٣٤٩-٢٦٦	ابن عمر
٢٠- ٢٣- ٣٣- ٤١- ٤٢- ٥٧- ٦٢- ٨٢- ٩٢- ٩٦- ١٠٧- ١٣٣- ١٥٧- ١٨٤- ٢٢٦- ٢٣٣- ٢٤١- ٢٤٨- ٢٥٩- ٢٨٠- ٢٨٢- ٢٨٦- ٢٩٩- ٣٠١- ٣١٣- ٣١٩- ٣٢٤- ٣٣٧- ٣٣٩- ٣٤٦- ٣٥٧- ٣٥٨- ٣٨٣- ٤٥٥-٢٦٣	ابن كثير
٤٣٢-٢٨١- ٣٤٧	ابن ماجه
٣٩- ٦٧- ٩٥- ١٨٢- ٢٣٠- ٢٤٧- ٣٧٥- ٣٩٩- ٤٤٧- ٤٦٦-٢٢٢- ٣٨٨	ابن مسعود
١١٢	ابني عمرو
١٥٥	أبو إسحاق
٣٩١	أبو الأسد بن كلدة
٢٧٥	أبو الأشد كلدة بن أشد بن خلف
٣٩٩	أبو الدرداء

٣٦- ٢٦٥	أبو الطيب
١٤٠	أبو المطلب
٤٣٤	أبو الهيثم
٤٢٨	أبو أمامة
١٤٨	أبو أمية
٣١٧	أبو برزة الأسلمي
٧٩- ٨٣- ٩٦- ١٢٠- ١٢٣- ١٥٦- ١٦٨- ١٧٠- ١٩٢- ٢٠٩- ٢٩٥- ٣٢٣- ٣٧٧- ٤٣٩- ٤٠١- ٤٣٤- ٦١- ١١٥- ٤٠٠- ٩٢- ١٨٩	أبو بكر
٢٥٨	أبو بكر البزار
٢٨	أبو بكرة
٤٠	أبو جعفر
٣٥٢- ٤٠٤- ٤٤٦- ٤١٤- ٤١٦- ٢٧٤- ٤٠٠	أبو جهل
١٤٩	أبو جهم
١٠٨- ١٠٩- ٣٥٧- ٦٨- ١١٠- ٣٥٨	أبو حنيفة
٨٥- ٢٢٢- ٢٩١- ٣٥٦- ٤٠٥	أبو داود
١٣١	أبو دجانة
٣٠- ٣٧٦	أبو ذر
٣٣- ١١٥- ١٩٦- ٢٢٨	أبو زيد
٢١٤- ٢٢٩- ٣٧٤- ٤٥٩- ٣٠٠	أبو سعيد الخدري
١٢٣	أبو سعيد بن وهب
٣٤- ٤٥٦- ٤٤٦	أبو سفيان
٤٠٣- ٤٠٤	أبو طالب

٤٢٧- ٤٥٧	أبو عبيد
٣٣٣	أبو عبيد القاسم بن سلام
٣٣-١٢٠	أبو عبيدة بن الجراح
٣٣- ٤١- ٤٢- ٥٧- ٥٩- ٦٢- ٩١- ٩٨- ١٠٧- ١٢٥- ١٣٣- ١٥٦- ١٥٧- ١٦٦- ١٧٠- ١٩١- ٢٤١- ٢٤٨- ٢٨٦- ٢٩٨- ٣٠٦- ٣١٩- ٣٣٧- ٢٤٤- ---٣٣٩- ٣٤٦- ٣٧٥- ٣٧٧- ٣٨٣- ٣٩٣ ٣٨٧-٣٠١-٨٢- ٢٢١-١٩٤- ٣٢٨- ٣٨٧-٢٨٠	أبو عمرو
٤٢٧	أبو قتادة
٣٤	أبو كبشة
٤٤٣	أبو كيسوم
٤٤٩	أبو هب
٣٦٠	أبو مالك الأشعري
١٤١	أبو مرثد
٢٩٤	أبو مسعود
٢٥١	أبو معاوية
٦٧- ٧٩- ١٣١- ١٣٨- ١٥٩- ٢٣٢- ٣١٢- ٣٢٥- ٣٥٠- ٣٥٨- ٣٦٠- ٤١٧- ٤١٨- ٤٢٣- ٤٣١- ٤٣٢- ٤٦٠- ٤٦٦	أبو هريرة
١٨١-٣٧٥	أبي بن كعب
١٠٨- ١٧٩- ١٨٩- ٢٣٢- ٢٨١- ٤٢٤- ٤٥٨- ٤٥٩- ٤٦٠-١٣٨- ٢١٧- ٢٢٩- ٢٨٧- ٣٣٦	أحمد بن حنبل

٢٦٠- ٢٦٢- ٤١٦	الأحفش
٢٠٨- ٢٨٣- ٤٣٧	الأحنس بن شريق
٤٥٦	أروى بنت حرب بن أمية
٣٦٤-٤٤٠	أرباط
٣٥٧	أسد بن عمرو
٤١	إسرافيل
١٤٥	أسماء بنت أبي بكر
١٩٣	آسية بنت مزاحم
٤٤٠	أصحمة
٢٩٩- ٣١٨- ٤٦٥	الأعشى
٢٥١	الأعمش
٧٩	أم سلمة
١٥٠	أم عطية
١٤٩	أم كلثوم بنت عمرو
٤٠٠- ٤٣٧	أمية بن خلف
١٨٨- ١٩٠- ٣٣٤- ٤٤٨- ٢٨١	أنس بن مالك
١٠٥	أوس بن صامت الأنصاري
١٧- ٣٩- ٤٩- ٦٧- ٧٤- ١٠١- ١٠٢- ١٠٤- ١١٣- ١١٤- ١٢٨- ١٣١- ١٤٥- ١٥٠- ١٥٤- ١٥٩- ١٦١- ١٦٣- ١٧٨- ١٨٢- ١٨٥- ١٨٧- ١٨٩- ١٩٤- ٢٠٦- ٢١٤- ٢٢٣- ٢٤٢- ٢٦١- ٢٦٨-	البخاري

٣٠٠- ٣٣٢- ٣٤٩- ٣٥٨- ٣٨٢- ٣٩٢- ٣٩٨- ٤٠٢- ٤٠٦- ٤١٨- ٤٢٥- ٤٢٧- ٤٣٠- ٤٣١- ٤٣٤- ٤٤٨- ٤٥٠- ٤٥٥- ٤٥٩- ٤٦٢- ٤٦٦- ٤٦٧	
٤٦٠	بريدة
٤١- ١٠٧- ٢٩٥- ٣١٣- ٣٨٥- ٣٨٦	البزي
٣٥٢- ٤٠٠- ٤٠١	بلال
٣٦٤	تبع
٣٠- ٥١- ٧٩- ٢٢٢- ٢٨١- ٢٨٧- ٣٢٥- ٣٥٦- ٣٨٨- ٤١٤- ٤١٩- ٤٢٤- ٤٣٢- ٤٥٨- ٤٥٩- ٤٦٦	الترمذي
٤٦٠	تميم الداري
٢٩٧	ثعلب
٤٢٩	الثوري
١٦٣- ٢٤٧- ٢٥٨- ٢٦٨- ٤٠٥	جابر
١٣- ١٥- ١٩- ٤٠٤	جبرائيل
١٥٤	جبير بن مطعم
٢١٤	جرير
١٠٤-١٠٣	جعفر
٤٠٢	جندب البجلي
١٦٧	جهجاه بن سعد الغفاري
٦٦	الجوهري
٢٨٨	حاتم
١٣١	الحارث بن الصمة

١٤٠-١٤١	حاطب بن أبي بلتعة
١٩٢	حبر الأمة
١١٢	حبيب
١٢٦	حسان بن ثابت
٥٦-٧٥-٨٤-١١٥-١٥٧-٢١١-٢١٧-٢٣٥- ٢٣٩-٢٥٣-٢٥٤-٢٦٢-٢٧٤-٣١٥-٣٣٣- ٣٥٠-٣٨٦-٤٠٨-٤٢٨-٧٤	الحسن
٤١٩	حسن بن علي
٩٤-١١٥-١٨١-١٩٤-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٥-٢٤٨- ٢٦٩-٢٧٧-٢٨٩-٢٩١-٢٩٥-٢٩٨-٣٠١- ٣٠٦-٣١٠-٣١٧-٣٣٩-٣٥٣-٣٩٣-٤٥٩	حفص
١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠	حفصة
٤٠٤	حليمة
١٦-٢٧-٣٥-٤٦-٥٧-٥٩-٦١-٧٦-٨٤-٩٣- ٩٨-١٠٧-١١٣-١٤٣-١٥٥-١٩٦-٢٠٩-٢٢٣- ٢٢٤-٢٤١-٢٤٨-٢٥٥-٢٦٣-٢٧٧-٢٩٥- ٢٩٨-٢٩٩-٣٠١-٣٠٦-٣١٠-٣١٧-٣٢٣- ٣٣٩-٣٤١-٣٥٨-٣٦٦-٣٦٨-٣٨٠-٣٨٣- ٣٩٢-٣٩٣-٤٣٧-٤٣٩-٤٥٩	حمزة
٤٤١	حناطة الحميري
١٨٣	الحنفية
٢٧٢-٢١	خالد بن الوليد
٤٠٤	خديجة

٣٨٠	خلاد
٣٨٠	خلف
١١٤- ٢٥٣	الخليل
٦٠	الخنساء
٣٣٨	خنساء بنت معاوية
١٠٥	خولة بنت ثعلبة
١٦٣	دحية
٦٦	الدوري
٨١-٥٠	ذو الرمة
٤٤٠	ذو نفر
٣٦٤-٣٦٣	ذو نواس اليهودي
٢٣٩	الربيع بن صبيح
١٤١	الزبير
٧٧- ٢٦٧- ٢٧٧- ٣٤٧	الزجاج
٥٢	زرارة
١٤٦- ١٤٩	الزهري
١٦٧- ٣٩٧-١٦٨	زيد بن أرقم
١٨٧	زينب
١٤٠	سارة
١٨٢	سبيعة الأسلمية
١٣٤	سراقة
١٣٠	سعد بن الربيع
١٨٢	سعد بن خولة

٢٠٥	سعد بن هشام
٣٦٠	سعيد بن المسيب
٢٠٩-٣٦١-١٠٢	سعيد بن جبير
١٨٥	سعيد بن زيد
١٥٩	سلمان
٣٣٨	سلمة بن يزيد
١٦٧	سنان بن يزيد
١٣١	سهل بن حنيف
٢٧٥	السهيلي
١٨٨-١٨٩-١٩٠	سودة
٢٣-١٩٦-٢٥٣-٣١٧-٤٢٢	سيبويه
٣٦٤	سيف بن ذي يزن
١٠٨-١٠٩-١١٠-١٢٧-١٣٦-١٨٠	الشافعي
١١٠-١٨٣	الشافعي
٣٨٤	شداد
٣٨٤	شديد
٢٦٣	شعبة
٦٤	الشماخ
٢٤٥	شمخاء بنت أنوش
٣٥٦	الشيخان
٩٢	الصدّيق
٣٣٣	الصدّيق
١١٢	صفوان بن أمية

١٥٢-٣٥٢	صهيب
١٥٣	صهيب
١٠١- ١٤٧- ٤٦١	الضحاك
٤٨- ١٠٥- ١٥١- ١٨٧- ١٨٨- ١٩٠- ٢٦٠- ٢٦١- ٢٦٢- ٣٣٢- ٣٥٦- ٤٤٣- ٤٥٣- ٤٦٢- ٤٦٧	عائشة
١٨٨- ٢٠٥	عائشة
٣٢٩	عاتكة بنت عبد الله المخزومية
٤٤٩	العاص بن وائل
٢٤	العاص بن وائل
٣٥- ٥٧- ٩٢- ١٠٧- ١١٥- ١٤٣- ٢٥٥- ٣٠١- ٣١٩- ٣٣٠- ٣٤١- ٣٦٨- ٣٩٢- ٤٥٧	عاصم
١٣٠	عبد الرحمن بن عوف
٤٥٥	عبد العزى
٢٠٦	عبد الله بن عمرو
٣٨٤	عبد الله بن قلابة
٦٧	عبد الله بن قيس
١١٧	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ نَبْتَل
٣٦٤- ٤٠٣- ٤٤١- ٤٤٣	عبد المطلب
٣٠٢	عتبة
٢٩- ١٨٣	عثمان
١٤٠	عثمان
٣٤٠	العجاج

٢٨٣	عدي بن ربيعة
١٦٢	عَرَائِكُ بْنُ مَالِكٍ
١٤٧	عروة
٣٧١-٤٦٧	عقبة بن عامر
١٢٠	عقيل
١٢٣-١٦٩-٣٨٢	عكرمة
١٢٣-١٤١-١٨٢-٢٢١-٢٦٢-٣٤٦-٣٥٤- ٣٧٤-٣٩٨-٢٩٧-٣٦٢-١١٦-٢٠٦-٢٢٠-٤٢٧- ٤٦٢-١٢٠-١٤١	علي بن أبي طالب
٣٩٨-٣٥٢	عمار بن ياسر
٢٧٢	عمارة
٦٩-١٢٣-١٥٢-١٦٨-١٧٨-١٨٩-١٩٠-٢٣٩- ٤٣٤-١٢٠-١٢٨-١٤٦-٣٣٤	عمر بن الخطاب
١٦٧	عمر بن الخطاب
١٨٣	عمران
٢٧٢	عمرو بن العاص
١٢٢	عمرو بن أمية
١٢٣	عمرو بن جحاش
٢٧٥	عمرو بن دينار
٣٩٢	عمرو بن عبسة
٤١٥	عمرو بن معدي كرب
١٨٠	عوف بن مالك الأشجعي

٧٧- ١١٣- ٢٦٢- ٢٨٤- ٣٣٩	الفراء
١٩٣- ٣٢٤- ٣٨٦	فرعون
٨١- ١٠٧	قالون
٩٥- ١١٥- ١٢٤- ١٥٢- ٢٠٥- ٢٢٩- ٢٥٤- ٢٩٤- ٣٠٠- ٣١٥- ٣٢٤- ٤٣١- ٤٣٣- ٢٢٩- ١٦٨- ٣١٩	قتادة
٤٦- ٣٩٧	قدار بن سالف
٣٩٦	القدرية
١٤٨	قرية
١٠٧- ١٦٦- ٢٩٥- ٣٨٥	قنبل
٣٦٣	قيصر
١٦- ٢٧- ٥٧- ٦٦- ٧٦- ٨٢- ٨٤- ٩٨- ١٠٧- ١٤٣- ١٥٥- ١٦٦- ١٩٠- ١٩٦- ١٩٨- ٢٠٣- ٢٢١- ٢٢٣- ٢٣٠- ٢٤١- ٢٤٨- ٢٦٣- ٢٩٥- ٣٠٦- ٣٠٧- ٣١٠- ٣١٧- ٣١٨- ٣٢٣- ٣٣٩- ٣٥٢- ٣٥٧- ٣٥٨- ٣٦٦- ٣٧٢- ٣٨٣- ٤٢٠- ٤٣٤- ٤٣٧- ٤٣٩- ٤٤٦- ٣٨٨	الكسائي
٤٤٩	كعب بن الأشرف
٤٦٣	ليبد بن الأعصم اليهودي
٢٤٥	ملك بن متوشلخ
٣٦	لوط
٦٦	الليث
١٨٨- ١٨٩	مارية

٨٥- ١٠٨- ١٠٩- ١٣٢- ١٥٣- ٤٥٩	مالك
٤٠٦	مالك بن صعصعة
٢٨٩	ماوية بنت عقر
٢١- ١١٣- ٢٦٢- ٢٨٥- ٣٣٢- ٣٨٢- ٤١٩- ٢٨٥-	مجاهد
٤١٨	
٣٨٢	محمد بن كعب
١٦- ٣٩- ٥١- ٦٧- ٧٤- ٩٥- ٩٨- ١٠٢- ١١٥-	مسلم
١٤٥- ١٦١- ١٦٣- ١٨٢- ١٩٤- ٢٦٠- ٢٦٨-	
٣٥٨- ٣٦١- ٣٧٤- ٣٨٠- ٣٨٨- ٣٩٢- ٣٩٨-	
٤١٧- ٤١٨- ٤٢٣- ٤٣١- ٤٤٨- ٤٦٦- ٤٦٧	
١٤٨	المسور بن مخزومة
١٢٠	مصعب بن عمير
١٤٩- ٣٨٤	معاوية
١١٤- ١٥٢- ١٦٣- ٢١٣	مقاتل
٤٢٧	المقداد
١٤١	المقداد بن الأسود
٢٤٤- ٣٢٤	موسى
٢٩١	موسى بن أبي عائشة
١٥٦	موسى بن عمران
٤٢- ٥٧- ٥٩- ٩٤- ٩٩- ١٠٧- ١١٤- ١١٥- ١٥٦-	نافع
١٥٧- ١٦٧- ١٧٤- ١٨٥- ١٩١- ٢١٧- ٢٢١-	
٢٢٨- ٢٦٣- ٢٧٧- ٢٨٠- ٢٨٤- ٢٩٥- ٣٠١-	
٣٠٣- ٣٠٧- ٣١٩- ٣٢٤- ٣٣٩- ٣٤١- ٣٥٧-	

٣٨٣- ٣٨٦- ٣٩٢- ٣٩٨- ٤٢٢	
١٠٣- ٢٧٢- ٣٦٤- ٤٤٠- ٤٤٣	النجاشي
١٨٨- ٣٤٧- ٣٥٠- ٣٧٦- ٤١٤- ٤٢٤- ٤٦٠	النسائي
٢٢٨	النضر بن الحارث
٢٠٩	النضر بن شميل
٤٤٤	النضر بن كنانة
٤٤١	نفيل بن حبيب الخثعمي
١٩٤	هارون
٤٤٥	هاشم
٣٤	هرقل
٢٠٩	هشام
١٢٨- ٢٢٦- ٢٥٥- ٢٦٦- ٢٩٥- ٢٩٩- ٣٨٠	هشام
٣٤٩	الواحدى
٤١- ١٠٧- ٣٨٥	ورش
٢٧١	وليد بن المغيرة المخزومي.
٢٠٩- ٢٧٢- ٢٧٣- ٢٧٤- ٣٠٢- ٤٤٦- ٢٩- ٢٠٨- ٣٩١- ٤٣٧	الوليد بن المغيرة
١٢٣	يامين بن عمرو
٢٧٧- ٤٢٢	يونس
٢١٦	يونس بن متى

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	فهرس الأشعار
٣٢٣	أَحَافِرَةٌ عَلَى ضَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ
٥١	إِذَا ذَابَتْ الشَّمْسُ أَبْقَى سَعْرَاتَهَا بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مَعِيلٍ
١٢	إِذَا طَلَبَ النَّجْمُ عِشَاءً طَلَبَ الرَّاعِي كِسَاءً
٢٣٨	إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
٢١٤	أَلَا رَبُّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا
٢٨٩	أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ مِنَ الفَقْرِ إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
٧٣	أَنَا أَبُو النِّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي
٢٩٣	أَهْلُ رَأُونَا بِسَفْحِ القَاعِ ذِي الأَكْمِ
٣٦	بِذَا قَضَيْتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
٤٦٥	تَسْمَعُ لِلحَلِيِّ وَسَوَاسِئًا إِذَا انصَرَفَتْ
١٧٠	تَعَجِّبِينَ مِنْ سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ العَجَبُ
١١٩	تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّي صَدِيقُكَ لَيْسَ التَّوَكُّؤُكَ عِنْدَكَ بِعَازِبٍ
٤٥٥	جِزَاءُ الكِلَابِ العَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ
٣٤٠	حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وَأَنجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّعَسَا
٣٩	زَارَتْ عَلَيْهَا لِلظَّلَامِ رُوقُ
٩٩	الظُّلْمُ مِنَ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عَفَّةٍ فَالْعَلَّةُ لَا يَظْلِمُ
١٢٩	عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

٨١	فَأَصْبَحْتُ كَالْهِمَاءِ لَا الْمَاءُ مُبْرَدٌ	صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هَيَامُهَا
٣١٨	فَصَدَّقَهَا وَكَذَبْتَهُ	وَالمرء ينفعه كذابه
٨٨	فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
٤١٥	قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتُهُمْ	مَا بَيْنَ مُلْجَمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ
٢٩٩	كَأَنَّ الْقَرْنُفَلَ وَالزَّرْنَجَبِيلَ... بِأَثَابِهَا وَأَرِيَاءَ مَشُورًا	
٤٢٨	كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا	وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
٦٠	كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ	
٢١	كُفْرَانِكَ يَا عَزِي لَا سُبْحَانَكَ	
٣٠٩	كَمَا طَيَّبْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا	
٧٦	لِعَمْرِي لئن أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ	لبئسَ التَّدَامِي كَتَمَ آلَ أَبْحَرَا
٢٧	لِقَاءِ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ لِمَامٍ	
٣٤٦	مَنْ أَيُّ يَوْمِي زَمَنَ الْمَوْتِ أَفْرٌ	أَيُّومٌ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمٌ قُدِّرَ
٢٦٥	وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً	وَيُثِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ
٢٨٤	وثنياكِ إنها أغريض	
٣٠٨	وَقَدِ قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ	
٢٥٥	وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ	
٣٦٥	وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ	بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
٢٩٨	وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَرَ	قَطَعْتَهَا وَالزَّمْهَرِيرَ مَا زَهَرَ
٦٤	وَنَفَيْتُ عَنْهُ	مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ
١٢٦	وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ	حَرِيْقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ
٢١٧	يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقْوَا فِي مَوْطِنٍ	نَظْرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ
٦٢	يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ	لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا

فهرس الأمثال

الصفحة	فهرس الأمثال
٢٩٤	بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ وَبُرْدٌ أَكْبَاشٌ
٢١٢	أَتَسَاعِ الْخَرْقِ عَلَى الرَّاقِعِ
١٣٣	أَجِبْنَ مِنْ صَافِرٍ
٣٢	أَضْحَكُنِي الدَّهْرُ دُونَ هَذِهِ
٤٣٠	أَضْعَفُ مِنْ فِرَاشَةٍ وَأَذَلُّ وَأَجْهَلُ
٢٨٨	أَظْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ
٤١٤	الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدٌ
٢٠٩	الْقَوْمُ شَمُّ الْعِرَانِينَ
٢٨٨	حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ
٤٣	حَيٌّ مُسْتَقِيمٌ الْقَامَةُ، عَرِيضُ الْأَطْفَارِ، وَفِيهِ فَخَامَةٌ
١٦٧	سَمْنُ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ
٢٠٩	فَلَانُ بِهِ شَمُّ
٤٦١	فَلَقَ الصَّبِيحُ فَالِقَهُ
٢٧٣	قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ
٤٠	كُلُّ شَيْءٍ لَهُ آخِرٌ وَالصَّبِيرُ نَعْمُ النَّاصِرُ
٢٤٤	مَا فِي الدَّارِ دِيَارٌ
١٢٨	مَنْ عَزَّ بَزَّ

فهرس الأماكن والقبائل

الصفحة	الأماكن والقبائل
٣٥, ٣٨٤	إرم
١٩	بجيلة
٢٢٣	البصريون
١٢٣, ١٢٧, ١٢٢	بنو النضير
٤١٩	بنو أمية
٤٣٣	بنو سهم
١٢٢, ١٢٣	بنو عامر
٤٣٣	بنو عبد مناف
٢٤٣	بنو غطفان
٤٤٠	بنو قحطان
١٣٤	بنو قينقاع
٣٨٤	بنو هاشم
١٩	ثقيف
٣٨٦	ثمود
٢٤٣	الجرف
١١٦	الجمهور
١٠٤, ٤٤٠	الحبشة

١٤	حراء
٢٤٣	حَمِير آلِ الْكَلَّاعِ
٤٤١	خثعم
٣٤٠٢٠	خزاعة
١٠٤	خير
٢٤٢	دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ
١١٢	ربيعة
١٤١	روضه خاخ
٢٠٨	زهرة
٢٠٩	صروان
٢٠٩	صنعاء
١٩	الطائف
٣٨٦٠٣٨٤	عاد
٣٨٤	عدن
٤٥٠	عرفات
١٩, ٢١	العزى
٢٠	غطفان
١٩٣	القبط
٤٤٤	قريش
١١١٠١٢٥	قريظة
٢٤٢	كلب
١٣٥	كنانة
٤٤٠	كندة

١٠٧, ١٩٠, ٢٦٣, ٢٦٦, ٢٨٠, ٣٠٤, ٣١٦, ٣٣٣, ٣٤٤, ٣٨٧, ٢٥٣, ٢٥٩	الكوفيون
١٩, ٢١	اللات
٢٤٣	مُرَاد
١٤٠	مزينة
٤٤١	المغمس
٢٠	مناة
٢٠	هذيل
٢٤٢	هُذَيْل
٢٤٣	هَمْدَان
٣٥	هود
٣٨٥	وادي القرى

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم

- ١- أيجاد العلوم لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٧٨م].
- ٢- إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف [أبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض [مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر].
- ٣- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة [دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ، ط١].
- ٦- اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر [دار عمار - الأردن - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط١].
- ٧- آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني. آثار البلاد وأخبار العباد لأبي يحيى زكريا بن محمد بن محمود القرظيني [دار صادر- بيروت].
- ٨- إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر عبد الله البدر [الدار السلفية- الكويت- ١٤٠٦هـ، ط١].
- ٩- أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥هـ، ط١].

- ١٠- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا [دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان].
- ١١- أخبار النحويين لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر المقرئ، تحقيق: مجدي فتحي السيد [دار الصحابة للتراث - طنطا - ١٤١٠هـ، ط ١].
- ١٢- أخبار مكة لمحمد بن عبد الله الأزرقى، تحقيق: رشدي الصالح ملحس [دار الأندلس - بيروت - ١٤١٦هـ/١٩٩٦م].
- ١٣- أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، السكوفي، المروزي، الدينوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [مكتبة السعادة - مصر - ١٩٦٣، ط ٤].
- ١٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي [دار إحياء التراث العربي - بيروت].
- ١٥- أساس التقديس في علم الكلام للإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية للنشر - بيروت - ١٤١٥هـ، ط/الأولى].
- ١٦- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي [مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٨هـ].
- ١٧- أسد الغابة لعز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي [دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ط ١].
- ١٨- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢].

١٩- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي [دار الفكر- بيروت- ١٣٩٩هـ].

٢٠- الإجماع لابن المنذر [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠٥هـ، ط ١].

٢١- الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو الشيباني، تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة [دار الراجية - الرياض - ١٤١١هـ، ط ١].

٢٢- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي [دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤هـ، ط ١].

٢٣- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: سيد الجميلي [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ، ط ١].

٢٤- الاختيار لتعليل المختار لابن مودود الموصلبي. الاختيار لتعليل المختار لأبي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود الموصلبي، تحقيق: علي عبد الحميد ومحمد وهبي سليمان [دار الخير- بيروت- ١٤١٩هـ].

٢٥- الاستذكار ليوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض [دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، ط ١].

٢٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي [دار الجليل - بيروت - ١٤١٢هـ، ط ١].

٢٧- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلين والمخضرمين لسعيد ومحمد ابنا هاشم الخالديان، تحقيق: محمد يوسف [لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ١٩٥٨م].

٢٨- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البحايي
[دار الجليل-بيروت-١٤١٢هـ، ط١].

٢٩- الأعلام لخير الدين الزركلي [دار العلم للملايين-بيروت، ط: ٥].

٣٠- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر [دار الفكر للطباعة
والنشر - لبنان].

٣١- الإكمال لعلي بن هبة الله بن ماكولا [دار الكتب العلمية - بيروت -
١٤١١هـ، ط١].

٣٢- الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي [دار الكتب العلمية -
بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م].

٣٣- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق: خليل محمد هراس [دار الفكر -
بيروت - ١٤٠٨هـ].

٣٤- الأنساب لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق:
عبد الله عمر البارودي [دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى].

٣٥- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي [دار
إحياء العلوم - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٤].

٣٦- البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي،
تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر [دار الكتب العلمية -
لبنان/بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١].

- ٣٧- البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود-
علي معوض [دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١].
- ٣٨- البحر المديد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني الشاذلي، تحقيق: عمر
أحمد الراوي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٣هـ].
- ٣٩- البخلاء لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي
الجارم بك [دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].
- ٤٠- البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي [مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد].
- ٤١- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: علي شيري [دار إحياء التراث العربي-
١٤٠٨هـ، ط١].
- ٤٢- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي،
تحقيق: بسام علي سلامة العموش [مكتبة المنار- الأردن- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط١].
- ٤٣- البلدانيات للحافظ السخاوي، تحقيق: حسام بن محمد القطان [دار العطاء -
السعودية - ١٤٢٢هـ، ط: الأولى].
- ٤٤- البلغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري [جمعية إحياء التراث
الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧، ط١].
- ٤٥- التاريخ الكبير للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي [دار الفكر].
- ٤٦- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور [مكتبة العلوم والحكم].

- ٤٧- التخويف من النار لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي [مكتبة دار البيان - دمشق -
١٣٩٩هـ، ط١].
- ٤٨- الترغيب والترهيب للمندري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين [دار الكتب العلمية-
بيروت- ١٤١٧هـ، ط١].
- ٤٩- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي [دار الكتاب العربي -
لبنان - ١٤٠٣هـ، ط: الرابعة].
- ٥٠- التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية [دار الفكر
المعاصر - بيروت، دمشق - ١٤١٠هـ، ط١].
- ٥١- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، [دار الكتاب
العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط١].
- ٥٢- التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي [دار الكتب العلمية- بيروت-
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ط١].
- ٥٣- التهجد وقيام الليل لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: مصلح بن جزاء
الحارثي [مكتبة الرشد - السعودية - ١٤١٨هـ، ط١].
- ٥٥- الثقات لابن حبان، تحقيق السيد شرف الدين أحمد [دار الفكر - ١٣٩٥-
ط١].
- ٥٦- الجزء المتم لطبقات ابن سعد لابن منيع الهاشمي، تحقيق: زياد محمد منصور
[مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- ١٤٠٨هـ، ط٢].

- ٥٧- الجنى الداني في حروف المعاني لحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: طه محسن
[مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - ١٣٩٠هـ].
- ٥٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي [مؤسسة الأعلمي للطبوعات -
بيروت].
- ٥٩- الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد
[عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م].
- ٦٠- الحماسة المغربية لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد
رضوان الداية [دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٩٩١م، ط ١].
- ٦١- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار [عالم الكتب -
بيروت].
- ٦٢- الدر المنثور للسيوطي [دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣].
- ٦٣- الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول [دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ].
- ٦٤- الرياض النضرة لأحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى المانع [دار الغرب
الإسلامي - بيروت - ١٩٩٦م، ط ١].
- ٦٥- الزهد لهناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي [دار الخلفاء
للكتاب - الكويت - ١٤٠٦هـ، ط ١].
- ٦٦- السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي [مكتبة الدار -
المدينة المنورة - ١٤١٠هـ، ط ١].

- ٦٧- السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة [مكتب المطبوعات- حلب- ١٤٠٦هـ، ط٢].
- ٦٨- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا [مكتبة دار الباز- مكة المكرمة- ١٤١٤هـ].
- ٦٩- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار البنداري- سيد كسروي حسن [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١١هـ، ط١].
- ٧٠- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد [دار الجيل - بيروت - ١٤١١، ط١].
- ٧١- الشرح الكبير لابن قدامة [دار الكتاب العربي].
- ٧٢- الصحاح في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار [١٤٠٢هـ، ط٢].
- ٧٣- الضعفاء الصغير للبخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد [دار الوعي- حلب- ١٣٩٦هـ، ط١].
- ٧٤- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر - بيروت - ١٩٦٨م، ط: ١].
- ٧٥- الطبقات لابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري [دار طيبة-الرياض-١٤٠٢- ط٢].
- ٧٦- العبر في خبر من غير لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد [مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، ط٢].

- ٧٧- العرش محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد الحمود [مكتبة المعلا - الكويت - ١٤٠٦هـ، ط ١].
- ٧٨- العظمة لعبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله المبار كفوري [دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨هـ، ط ١].
- ٧٩- العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي [دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط ٣].
- ٨٠- العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [دار الجيل - بيروت - ١٤٠١هـ، ط ١].
- ٨١- الفتح السماوي للمناوي، تحقيق: أحمد مجتبي [دار العاصمة - الرياض].
- ٨٢- الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور [دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧، ط ٢].
- ٨٣- الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي [مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤١٢هـ، ط ١].
- ٨٤- الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم [دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م].
- ٨٥- القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب [دار الفكر - دمشق - ١٩٩٣م، ط ٢].
- ٨٦- القاموس المحيط للفيروزآبادي [مؤسسة الرسالة - بيروت].
- ٨٧- الكاشف لمحمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة [دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، ط ١].

٨٨- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي
[دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ، ط ٢].

٨٩- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق: عبد الحميد
هنداوي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ، ط ١].

٩٠- الكبائر لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل الأنصاري [منطابع الرياض للنشر
- الرياض، ط: الأولى، قابله على أصوله الخطية: إسماعيل الأنصاري، محمد عيد، عبد العزيز
بن إبراهيم الفريح].

٩١- الكبائر لمحمد بن عثمان الذهبي [دار الندوة الجديدة للنشر - بيروت].

٩٢- الكتاب لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد
هارون [دار الجيل - بيروت، ط ١].

٩٣- الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي [دار إحياء
التراث العربي - بيروت].

٩٤- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي [دار
إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ط ١].

٩٥- اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري [دار
صادر - بيروت ١٤٠٠هـ].

٩٦- المبسوط لشمس الدين السرخسي [دار المعرفة - بيروت].

٩٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥م].

٩٨- المجموع للنووي [دار الفكر- بيروت-١٩٩٧م].

٩٩- المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: محمد سويد [دار إحياء العلوم- بيروت- ١٩٩١م].

١٠٠- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء، تحقيق: مصباح غلاونجي [مجمع اللغة العربية- دمشق].

١٠١- المحرر الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد السلام محمد [دار الكتب العلمية- لبنان- ١٤١٣هـ/١٩٩٣م- ط١].

١٠٢- المحصول في أصول الفقه لأبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق: حسين علي البدري - سعيد فودة [دار البيارق - عمان - ١٤٢٠هـ، ط ١].

١٠٣- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي [دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، ط ١].

١٠٤- المحلى لابن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي [دار الآفاق الجديدة- بيروت].

١٠٥- المحيط في اللغة لأبي القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس المشهور بالصاحب بن عباد [عالم الكتب- بيروت].

- ١٠٦- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده [دار الفكر- بيروت-
١٩٧٨م].
- ١٠٧- المدونة الكبرى لمالك بن أنس، [دار صادر للنشر - بيروت].
- ١٠٨- الزهر في علوم اللغة ولأدب للسيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور [دار الكتب
العلمية- بيروت- ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ط ١].
- ١٠٩- المستدرک علی الصحیحین للحاکم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا [دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ، ط ١].
- ١١٠- المستصفي في علم الأصول لمحمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام
عبد الشافي [دار الكتب العلمية للنشر، بيروت - ١٤١٣، ط: الأولى].
- ١١١- المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح
الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميحة [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،
ط ٢].
- ١١٢- المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري
[دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م، ط ٢].
- ١١٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي المقرئ [المكتبة
العلمية - بيروت].
- ١١٤- المصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: عبد
السلام هارون [الكويت- ١٩٦٠م، ط ١].

١١٥- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني [دار الحرمين - القاهرة- ١٤١٥هـ].

١١٦- المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: محمد شكور [المكتب الإسلامي- بيروت/عمان- ١٤٠٥هـ، ط١].

١١٧- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي [مكتبة العلوم- الموصل- ١٤٠٤هـ، ط٢].

١١٨- المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية [دار التحرير- ١٤٠٠هـ، ط١].

١١٩- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية [دار الدعوة للنشر].

١٢٠- المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م].

١٢١- المغرب في ترتيب المغرب لأبي الفتح بن عبد السيد بن علي المطرزي [دار الكتاب العرب- بيروت].

١٢٢- المغني لابن قدامة لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى].

١٢٣- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني [دار المعرفة - لبنان].

١٢٤- المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم [مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٩٣، ط١].

- ١٢٥- الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني [دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤هـ].
- ١٢٦- المنتظم لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج [دار صادر - بيروت - ١٣٥٨، ط ١].
- ١٢٧- المنتقى لابن الجارود لعبد الله بن علي بن الجارود، تحقيق: عبد الله عمر البارودي [مؤسسة الكتاب - بيروت - ١٤٠٨هـ، ط ١].
- ١٢٩- المهذب في فقه الإمام الشافعي لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، [دار الفكر - بيروت].
- ١٣١- النجوم الزاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي [وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر].
- ١٣٢- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: خضر محمد [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت - ١٤٠٢هـ، ط ١].
- ١٣٤- النهاية في غريب الأثر للمبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي [المكتبة العلمية- بيروت- ١٣٩٩هـ].
- ١٣٥- النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، ط ١].
- ١٣٦- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، [دار إحياء التراث للنشر - بيروت - ١٤٢٠هـ].

- ١٣٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي
النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- وآخرون [دار الكتب العلمية- بيروت-
١٤١٥هـ، ط١].
- ١٣٨- الوفيات لمحمد بن رافع السلامي أبو المعالي، تحقيق: صالح مهدي عباس ، د.
بشار عواد معروف [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٢، ط١].
- ١٣٩- أنوار التتريل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي [دار الفكر -
بيروت].
- ١٤٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق:
محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الجيل - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط٥].
- ١٤١- بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق / د. محمود
مطرجي [دار الفكر - بيروت].
- ١٤٢- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار لأبي بكر الكلاباذي البخاري [دار الكتب
العلمية- بيروت- ١٤٢٠هـ، ط: الأولى].
- ١٤٣- بدائع السلك لابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار [وزارة الإعلام -
العراق، ط/الأولى].
- ١٤٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني [دار الكتاب العربي -
بيروت - ١٩٨٢، ط٢].
- ١٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو
الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين [دار الهداية].

- ١٤٦- تاريخ أسماء الثقات لعمر بن أحمد الواعظ، تحقيق: صبحي السامرائي [الدار السلفية- الكويت- ١٤٠٤هـ، ط١].
- ١٤٧- تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم [دار سويدان- بيروت].
- ١٤٨- تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [مطبعة السعادة - مصر - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ط١].
- ١٤٩- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي [دار الكتب العلمية- بيروت].
- ١٥٠- تاريخ مدينة دمشق لأبي القسم علي بن حسن بن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري [دار الفكر- بيروت- ١٩٩٥].
- ١٥٢- تحرير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة [دار الفرقان - الأردن / عمان - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١].
- ١٥٣- تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٤هـ، ط٢].
- ١٥٤- تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون [مكتبة الخانجي - القاهرة- ١٤١٨هـ، ط٧].
- ١٥٥- تخریج الأحاديث والآثار لعبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد [دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، ط١].

١٥٦- تذكرة الحفاظ لشمس الدين بن محمد الذهبي [دار الكتب العلمية-بيروت-
ط١].

١٥٧- تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد
الطيب [المكتبة العصرية-صيدا-].

١٥٨- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي [دار الفكر-
بيروت- ١٤٠١هـ].

١٥٩- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق:
ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم [دار الوطن- الرياض- السعودية- ١٤١٨هـ،
ط١/].

١٦٠- تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد
[مكتبة الرشيد-الرياض- ١٤١٠هـ-ط١].

١٦١- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [دار الشعب-
القاهرة].

١٦٢- تفسير غريب ما في الصحيحين لمحمد بن أبي نصر الأزدي الحميدي، تحقيق:
الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز [دار النشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر-
١٤١٥- ١٩٩٥، الطبعة: الأولى].

١٦٣- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة [دار
الرشيد- سوريا- ١٤٠٦هـ، ط١].

- ١٦٤- تكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي [جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٠هـ، ط١].
- ١٦٥- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ١٦٦- تهذيب التهذيب لابن حجر [دار الفكر- بيروت- ١٤٠٤هـ، ط١].
- ١٦٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني، تحقيق: بشار عواد معروف [مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤٠٠هـ، ط١].
- ١٦٨- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب [دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، ط١].
- ١٦٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله التميمي [مكتبة الرياض الحديثة للنشر - الرياض].
- ١٧٠- جامع البيان عن تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ].
- ١٧١- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع [دار الأرقم - بيروت].
- ١٧٢- جمهرة الأمثال لحسن بن عبد الله بن سهل أبي هلال العسكري [دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ].
- ١٧٣- جمهرة اللغة، لمحمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي [دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧م ط١].

- ١٧٤- حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين. مهمات الدين لأبي بكر محمد شطا الدميّاطي [دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت].
- ١٧٥- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفه الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، [دار الفكر - بيروت].
- ١٧٦- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي [المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٣١٨هـ، ط ٣].
- ١٧٧- حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط ٤].
- ١٧٨- حلية الفرسان وشعار الشجعان لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري [مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - ١٩٩٧م].
- ١٧٩- خريدة العجائب وفريدة الغرائب لأبي حفص ابن الوردي سراج الدين عمر القرشي، تصحيح: محمود فاخوري [دار الشرق العربي - حلب - ١٤١١هـ، ط ٢].
- ١٨٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي/أميل بديع يعقوب [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، ط ١].
- ١٨١- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمجّي [دار صادر - بيروت].
- ١٨٢- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي [مكتب المطبوعات - حلب/بيروت - ١٤١٦هـ، ط: ٥].
- ١٨٣- دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي [١٤٢٥هـ، ط ١٣].

- ١٨٤- درة التزليل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: محمد مصطفى آيدين [جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤٢هـ، ط١].
- ١٨٥- دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي القاسم علي بن الحسن الباخري، تحقيق: عبد الفتاح محمد حلو [دار الفكر العربي- القاهرة- ١٩٧١م].
- ١٨٦- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري، شرح أحمد شمس الدين [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٠م].
- ١٨٧- ديوان الحماسة للتبريزي [دار القلم - بيروت].
- ١٨٨- ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي [دار المعرفة - بيروت].
- ١٨٩- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري [دار الجليل - بيروت].
- ١٩٠- ديوان بشار بن برد لأبي معاذ بشار بن برد العقيلي، شرح: مهدي محمد ناصر الدين [دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٣م].
- ١٩١- ديوان ذي الرمة لغيلان بن عقبة العدوي، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، رواية أبي العباس ثعلب. ت: عبد القدوس أبو صالح. ط. ٣. ١٤١٤هـ. مؤسسة الرسالة، ٣ أجزاء.
- ١٩٢- ديوان صفى الدين الحلبي لصفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي الحلبي [دار صادر- بيروت].
- ١٩٣- روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، ط٢].

١٩٤- روضة الناظر وجنة المناظر، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد،
تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد [جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ١٣٩٩،
ط٢].

١٩٥- زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي [المكتب الإسلامي-
بيروت-١٤٠٤هـ، ط٣].

١٩٦- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الحصري، تحقيق: د. زكي مبارك
[١٩٢٥م].

١٩٧- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: محمد
حجي ومحمد الأخضر [الدار البيضاء- ١٤٠١هـ، ط١].

١٩٨- سفرنامه لناصر خسرو، تحقيق: د. يحيى الخشاب [دار الكتاب الجديد -
بيروت - ١٩٨٣، ط٣].

١٩٩- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري،
تحقيق: عبد العزيز الميمني [دار الكتب العلمية- بيروت].

٢٠٠- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد
الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض [دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

٢٠١- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي [دار الفكر- بيروت].

٢٠٢- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الفكر].

٢٠٣- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون [دار إحياء التراث- بيروت].

٢٠٤- سنن الدارمي لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي - خالد السبع العلمي [دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط ١].

٢٠٥- سنن سعيد بن منصور لسعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي [الدار السلفية- الهند- ١٤٠٣هـ، ط ١].

٢٠٦- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرقسوسي [مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤١٣هـ، ط ٩].

٢٠٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المتوفى سنة: ١٠٨٩هـ [دار الكتب العلمية-بيروت].

٢٠٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [دار الفكر - سوريا - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م].

٢١٠- شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر [وزارة الشؤون الإسلامية- المملكة العربية السعودية- ١٤١٨هـ، ط ١].

٢١١- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ١٤١٣هـ، ط ١].

٢١٢- شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود التفتازاني، [دار المعارف
العمانية للنشر - باكستان - ١٤٠١هـ، ط الأولى].

٢١٤- شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي
[دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، ط ٢].

٢١٦- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون [دار
الجيل - بيروت - ١٤١٥هـ، ط ١].

٢١٧- شرح شذور الذهب لعبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد
الغني الدقر [الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م].

٢١٨- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول [دار الكتب
العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ، ط ١].

٢١٩- صبح الأعشى للقلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، تحقيق: عبد القادر
زكار [وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨١م].

٢٢٠- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [مؤسسة الرسالة - بيروت -
١٤١٤هـ، ط ٢].

٢٢١- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي [المكتب الإسلامي -
بيروت - ١٣٩٠هـ].

٢٢٢- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا [دار ابن كثير - بيروت - ١٤٠٧هـ،
ط ٣].

٢٢٣- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [دار إحياء التراث - بيروت -].

٢٢٤- طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣هـ، ط ١].

٢٢٥- طبقات المفسرين للإمام أحمد بن محمد الأدهوي، تحقيق: د. سليمان بن صالح الخزي، [مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، سنة ١٩٩٧م، ط ١].

٢٢٦- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر [دار المدني - جدة].

٢٢٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، [دار إحياء التراث العربي - بيروت].

٢٢٨- عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع [مكتبة الخانجي - القاهرة].

٢٢٩- غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، رسالة دكتوراه، من أول سورة النساء إلى آخر سورة الأعراف، إعداد: يوسف بن عبد العزيز بن عبدالله الشبل [١٤٢٢-١٤٢٣هـ].

٢٣٠- غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، رسالة دكتوراه، من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم، إعداد: محمد بن سريع بن عبدالله السريع [١٤٢٢-١٤٢٣هـ].

٢٣١- غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، رسالة دكتوراه، من أول سورة الحجر إلى آخر سورة الحج، إعداد: العباس بن حسين عبد الفتاح الحازمي [١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م].

- ٢٣٢- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، عني
بنشره: ج: براجستراسز [مكتبة المتني- القاهرة].
- ٢٣٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسين بن محمد النيسابوري، تحقيق:
إبراهيم عطوه عوض [مطبعة مصطفى البابي الحلبي- ١٣٢٨هـ، ط ١].
- ٢٣٤- غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد
الواحد جمران، [دار قتيبة للنشر - ١٤١٦هـ].
- ٢٣٥- غوامض الأسماء المبهمة لخلف بن بشكوال، تحقيق: د. عزالدين علي السيد
ومحمد كمال الدين [عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط ١].
- ٢٣٦- فتح الباري لابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب [دار المعرفة- بيروت].
- ٢٣٧- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني [دار الفكر - بيروت].
- ٢٣٨- فوات الوفيات لمحمد شاکر الکتبي، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر-
بيروت- ١٩٧٤م، ط ١].
- ٢٣٩- كتاب العبر وديوان المبتدا والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون المغربي [دار إحياء التراث العربي- بيروت،
ط ٤].
- ٢٤٠- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي/إبراهيم
السامرائي [دار ومكتبة الهلال].
- ٢٤١- كتاب القدر لعبد الله بن وهب، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم [دار
السلطان- مكة المكرمة- ١٤٠٦هـ، ط ١].

- ٢٤٢- كشف الخفاء لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥هـ، ط٤].
- ٢٤٣- كتر العمال للمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياي- صفوة السقا [مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤٠٩م].
- ٢٤٤- كتر الوصول إلى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي الحنفي [مطبعة جاويد بريس للنشر - كراتشي].
- ٢٤٥- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ت ٧١١هـ [دار صادر- بيروت- ط١].
- ٢٤٦- لسان الميزان لابن حجر، تحقيق: دائرة المعارف النظامية [مؤسسة الأعلمي- بيروت- ١٤٠٦هـ، ط٣].
- ٢٤٧- لقطه العجلان لمحمد صديق حسن خان، [دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان - ١٤٠٥-١٩٨٥، ط١].
- ٢٤٨- مجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد [دار المعرفة - بيروت].
- ٢٤٩- مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، [دار الريان للتراث- القاهرة/بيروت- ١٤٠٧هـ].
- ٢٥٠- محاضرات الأدباء لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع [دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

- ٢٥١- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر [مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ، طبعة جديدة].
- ٢٥٢- مدارك الترتيل وحقائق التأويل لعبد الله أحمد بن محود النسفي، تحقيق: إبراهيم محمود رمضان [دار القلم - بيروت - ١٤٠٨هـ].
- ٢٥٣- مسند أبي عوانة ليعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، [دار المعرفة - بيروت].
- ٢٥٤- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: حسين سليم أسد [دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤هـ، ط ١].
- ٢٥٥- مسند أحمد لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني [مؤسسة قرطبة - مصر].
- ٢٥٦- مسند البزار لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله [مؤسسة علوم القرآن - بيروت/المدينة - ١٤٠٩هـ، ط ١].
- ٢٥٧- مسند الحارث (زوائد الهيثمي) للحارث بن أبي أسامة /نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري [مركز خدمة السنة - المدينة المنورة - ١٤١٣هـ، ط ١].
- ٢٥٨- مسند الشهاب لمحمد بن سلامة أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط ٢].
- ٢٥٩- مسند عبد بن حميد بن نصر، تحقيق: صبحي البدري السامرائي - محمود محمد خليل الصعيدي [مكتبة السنة - القاهرة - ١٤٠٨هـ، ط ١].
- ٢٥٩- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، تحقيق: م. فلايشهمر [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م].

٢٦٠- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت [مكتبة الرشد- الرياض
- ١٤٠٩هـ، ط١].

٢٦١- مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي [المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣هـ، ط٢].

٢٦٣- مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحيباني [المكتب
الإسلامي - دمشق - ١٩٦١م].

٢٦٤- معارج القبول لحافظ بن أحمد حكيمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر [دار
ابن القيم- الدمام- ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط١].

٢٦٥- معالم أصول الدين: لفخر الدين الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، [دار
الكتاب العربي للنشر - لبنان - ١٤٠٤هـ].

٢٦٦- معالم التزويل للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان
ضميرية- سليمان الحرش [دار طيبة للنشر والتوزيع- ١٤١٧هـ، ط٤].

٢٦٧- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني [مركز إحياء
التراث الإسلامي- مكة المكرمة- ١٤٠٨هـ، ط١].

٢٦٨- معاهدة التنصيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين
عبد الحميد [عالم الكتب - بيروت - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م].

٢٦٩- معتصر المختصر لأبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي [مكتبة عالم الكتب -
بيروت/القاهرة].

٢٧٠- معجم أبي يعلى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري [إدارة العلوم الأثرية- فيصل أباد- ١٤٠٧هـ ط١].

٢٧١- معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ط١].

٢٧٢- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي [دار الفكر- بيروت].

٢٧٣- معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: عبد الستار فراج [دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- ١٩٦٠ م].

٢٧٤- معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراقي [مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة- ١٤١٨هـ، ط١].

٢٧٥- معجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا [عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٣هـ، ط٣].

٢٧٦- معرفة القراء الكبار لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس [مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، ط١].

٢٧٧- مغني اللبيب عن كتب الأعراب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله [دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥، ط٦].

٢٧٨- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون [دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ط٢].

٢٧٩- مناهج البحث وتحقيق التراث لأكرم ضياء العمري [مكتبة العلوم والحكم-
المدينة المنورة- ١٤١٦هـ، ط١].

٢٨٠- منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك أبو غالب بن ميمون، تحقيق:
محمد نبيل طريفي [دار صادر- لبنان- ١٩٩٩م].

٢٨١- ميزان الاعتدال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد
معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود [دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، ط١].

٢٨٢- نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن
صالح السديري [مكتبة الرشد - الرياض - ١٩٨٩م].

٢٨٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي،
[توزيع: مكتبة ابن تيمية- القاهرة- ١٣٩٥، ط١].

٢٨٤- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق:
إحسان عباس [دار صادر- بيروت- ١٩٩٧م].

٢٨٥- نهاية الأرب في فنون الأدب لشمس الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد
النويري [دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٣٥٥هـ، ط٢].

٢٨٦- نهاية الإقدام في علم الكلام لمحمد عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح: الفرد
جيوم.

٢٨٧- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة [دار الجيل-
بيروت- ١٩٩٢م].

٢٨٨- نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني [دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م].

٢٨٩- همع الهوامع للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي [المكتبة التوفيقية - مصر].

٢٩٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس [دار صادر- بيروت- من ١٩٠٠ إلى ١٩٧١].

٢٩١- يتيمة الدهر لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية [دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط ١].

فهرس الموضوعات

١	المقدمة
١٢	سورة النجم
٣٩	سورة القمر
٥٤	سورة الرحمن
٧١	سورة الواقعة
٨٨	سورة الحديد
١٠٥	سورة المجادلة
١٢٢	سورة الحشر
١٤٠	سورة المتحنة
١٥٢	سورة الصف
١٥٩	سورة الجمعة
١٦٥	سورة المنافقين
١٧٢	سورة التغابن
١٧٨	سورة الطلاق
١٨٧	سورة التحريم
١٩٥	سورة الملك
٢٠٤	سورة نون
٢١٩	سورة الحاقة
٢٢٨	سورة المعارج
٢٣٦	سورة نوح
٢٤٦	سورة الجن
٢٥٨	سورة المزمل
٢٦٨	سورة المدثر
٢٨٢	سورة القيامة

٢٩٣	سورة الإنسان
٣٠٥	سورة المرسلات
٣١٣	سورة النبأ
٣٢١	سورة النازعات
٣٢٩	سورة عبس
٣٣٦	سورة التكوير
٣٤٣	سورة الانفطار
٣٤٧	سورة المطففين
٣٥٤	سورة الانشقاق
٣٦٠	سورة البروج
٣٦٨	سورة الطارق
٣٧١	سورة الأعلى
٣٧٧	سورة الغاشية
٣٨٢	سورة الفجر
٣٩٠	سورة البلد
٣٩٤	سورة الشمس
٣٩٩	سورة الليل
٤٠٢	سورة الضحى
٤٠٦	سورة ألم نشرح
٤١٠	سورة والتين
٤١٣	سورة اقرأ
٤١٨	سورة القدر
٤٢١	سورة القيمة
٤٢٣	سورة الزلزلة
٤٢٧	سورة العاديات

٤٣٠	سورة القارعة
٤٣٣	سورة التكاثر
٤٣٦	سورة العصر
٤٣٧	سورة الهمزة
٤٤٠	سورة الفيل
٤٤٤	سورة قريش
٤٤٦	سورة الماعون
٤٤٨	سورة الكوثر
٤٥٠	سورة الكافرون
٤٥٢	سورة النصر
٤٥٥	سورة تبت
٤٥٨	سورة الإخلاص
٤٦١	سورة الفلق
٤٦٥	سورة الناس
٤٦٩	خاتمة
٤٧٢	فهارس
٤٧٣	فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها
٤٨٥	فهرس الأحاديث النبوية
٤٩٦	فهرس الآثار
٥٠٥	فهرس الأعلام
٥١٩	فهرس الأشعار
٥٢١	فهرس الأمثال
٥٢٢	فهرس الأماكن والقبائل
٥٢٥	فهرس المراجع والمصادر

الجمهورية التركية
جامعة صاقريا

غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني

لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني
من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس
دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير

إعداد:

محمد مصطفى كوكصو

معهد العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية الأساسية

إشراف:

أ.د. ولي أولو ترك

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الجمهورية التركية
جامعة صاقريا

غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني

لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني
من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس
دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير

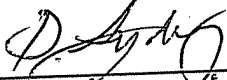
إعداد:

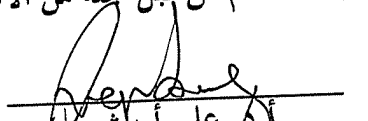
محمد مصطفى كوكصو


معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

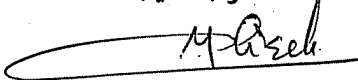
نوقشت هذه الرسالة ٢٥/٠٥/٢٠٠٧م من قبل لجنة من الأساتذة وتم قبولها بالإجماع.


أ.د. داود أيلوز


أ.د. علي أرباش


أ.د. ولي أولوتورك

أ.د. يعقوب جيجك



الأستاذ المشارك/د. محمد آيدين

